

أُمين الرحياني

نجد الحديث وملحقاته

وسيرة


عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فهد آل سعود

ملك الحجاز ونجد وملحقاتها


الطبعة الثانية

دار ربحاني للطباعة والنشر - بيروت





Elmer Holmes
Bobst Library
New York
University



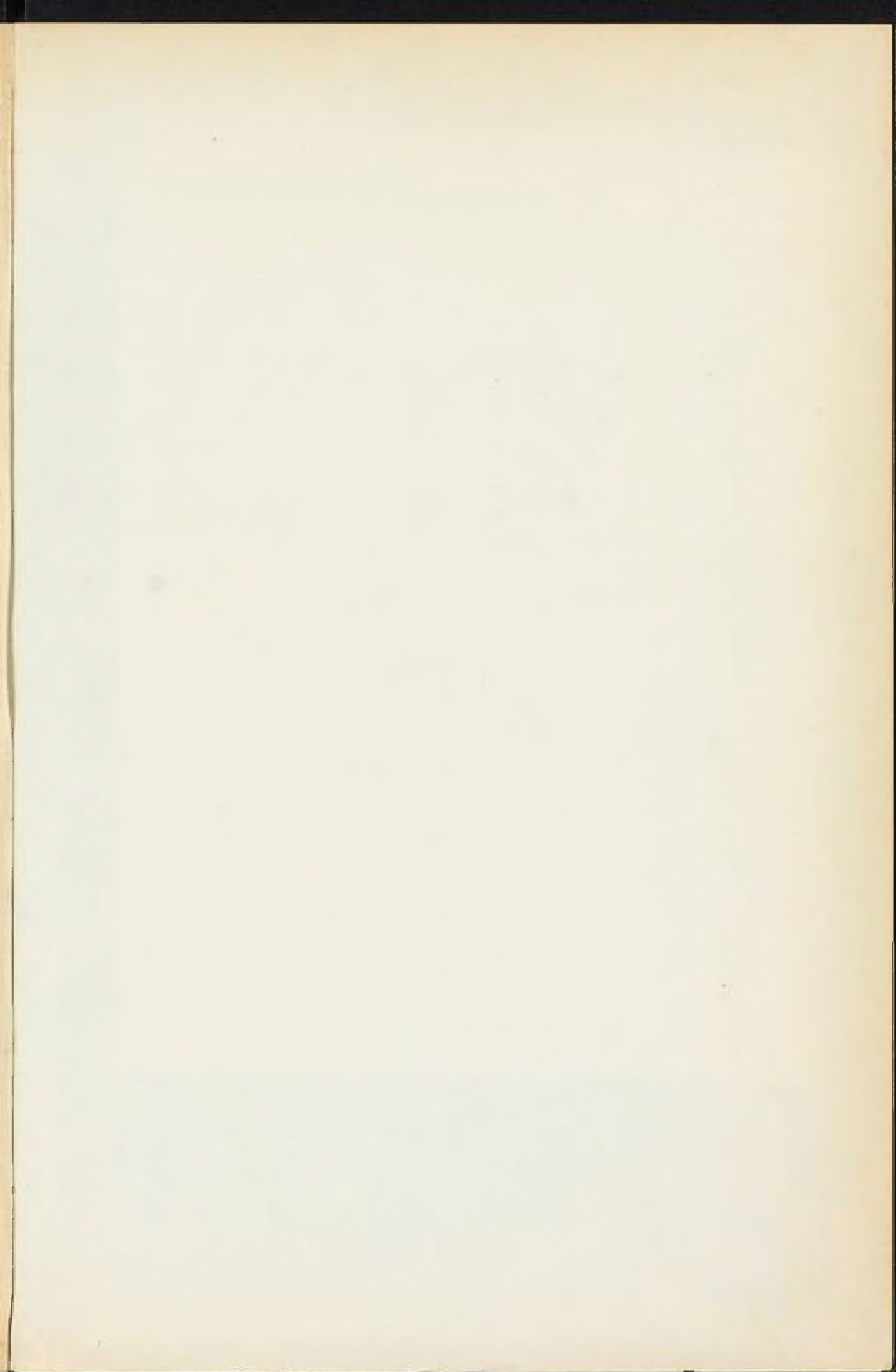
NEW YORK
UNIVERSITY
LIBRARIES

GENERAL UNIVERSITY
LIBRARY



DATE DUE





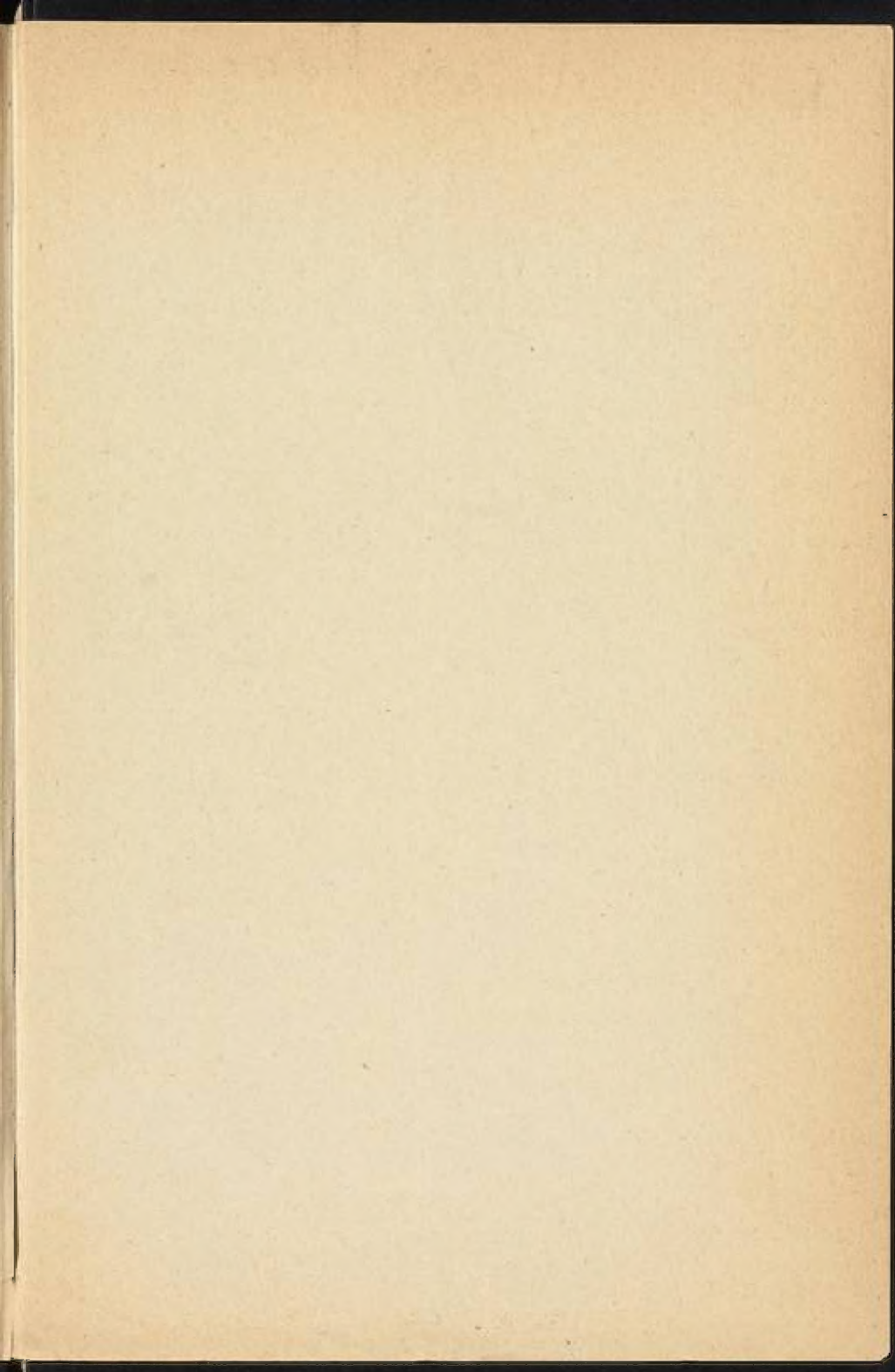
29

T

front

8

B



Rihani, Ameen Fares

أمين الريحاني

Tārīkh Najd
تاريخ

نجد الحديث وملحقاته

وهو يشتمل على نبذات ثلاث في

نواحي نجد

ومحمد بن عبد الوهاب والوهابية

وال سعود منذ نشأتهم الى حياه اسيد ومحمد بن الرسيد على نجد

2nd ed.

وسيرة

عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود

ملك الحجاز ونجد وملحقاتها

اشرف على تصحيحه وطبعه البرز الريحاني شقيق المؤلف

عنيت بنشره وطبعه دار ريجاني للطباعة والنشر - بيروت

N. Y. U. LIBRARIES

الطبعة الاولى ١٩٢٧

الطبعة الثانية ١٩٥٤

DS
247
.9
.N35
R54
1954
C.1

Near East

~~DS
247
.N45
.R5
1954
C.1~~

عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود

خرج من الكويت غازياً في شتاء ١٣١٨ هـ (١٩٠١ م)
 وبريع في السنة التالية في الرياض على ان يكون امام الوهابية وامير نجد
 وفي صيف ١٣٣٩ هـ (١٩٢١ م) عقد مؤتمر في الرياض ، حضره علماء
 نجد ورؤساء القبائل ، فنودي بالامير عبد العزيز سلطاناً على نجد
 وملحقاته

وفي ٢٥ جمادي الثانية ١٣٤٤ هـ (١٥ يناير ١٩٢٦ م) بريع في مكة
 ملكاً على الحجاز

وفي ٢٥ رجب ١٣٤٥ هـ (١٩ يناير ١٩٢٧ م) نادى به اهل نجد ،
 في اجتماع عقد في الرياض ، ملكاً على نجد وملحقاته

تقدمة الكتاب

صاحب الجلالة الملك عبد العزيز المعظم

يا طويل العمر

منذ عهد الخليفة عمر حتى بداءة عهدكم السمودي لم يسعد العرب
 بمن يجمع شملهم ، ويوحد كلمتهم ، ويعزز شؤونهم ، فيجعلها تحت
 السيادة التي فيها الخير الاكبر للجميع اي السيادة العربية الواحدة .
 كان في بني امية معاوية ، وفي بني العباس المأمون ، وفي
 الايوبيين صلاح الدين . ثلاثة من عظام العرب ، بل من عظام الرجال
 في التاريخ العام . ولكنهم وان وصلوا الى ذرى المجد ورفعوا اعلام
 العرب في اقاصي البلدان ، فلم يتمكنوا من بسط سيادتهم على شبه
 الجزيرة كلها . ولا كان بينهم العنصر الاكبر فيها ، اي البدو ، الا
 كحطاب للحروب .

ما استطاع الامويون ان يوفقوا حتى بين القيسية واليمانية في
 الشام . ولا استطاع العباسيون ان يبسطوا نفوذهم حتى على عشائر
 الاحساء . وما فكر صلاح الدين ، على ما يظهر ، في تحسين حال
 البدو ونزع العداوات المتأصلة بينهم .

ولت الالف والثلاثمئة سنة وهؤلاء العرب لا يزالون . كما كانوا .

ما غير الزمان شيئاً في أحوالهم المدنية او بالحري البدوية، ولا عمل فيهم عامل من عوامل التطور الاجتماعي .

الف وثلاثمئة سنة ! ثم كتب لهم بعبر ثانياً ، بعث اليهم بعبد العزيز ابن سعود ليجمعهم ، ويوحد متاعدهم ، ويعزز جانبهم ، ويؤسس ملكاً عربياً هو منهم ، وهو فيهم ، وهو فهم .

يا طويل العمر ، ان ما قمتم به من تحضير البدو ، وتأسيس الهجرة ، لمن امجد ما تركم القومية ، ومن اخير عمالكم الاصلاحية . غير ان هنالك عملاً اخر فيه كذلك الخير الجزيل ، بل فيه للعرب الخير الاكبر . كانت الهجرة الاولى ، هجرة البدو ، من الشرك الى التوحيد في الدين ، ومن البادية الى الحضارة . فعسى ان تكون الهجرة الثانية من الأمية الى الالتقاء ، من الجهل الى العلم ، من الظلمات العقلية الى النور . ينم يا طويل العمر البيوت للبدو . هي الخطوة الاولى في تدينهم . فعسى ان تخطوا الخطوة الثانية فتبنوا لهم كذلك المدارس . ان في المدارس تحقيق كل ما تشدو . المدارس تكمل عمل السيف . المدارس تهيئ السبيل الى الوحدة العربية الثابتة ، الوحدة الشاملة ، الوحدة العزيزة الوثيقة العرى .

واني اسأل الله ان يعطي اياكم لتتبنوا الاصلاح الذي باشرتموه ، ولتحتفوا الامال العربية الكبرى المتوقعة بكم .

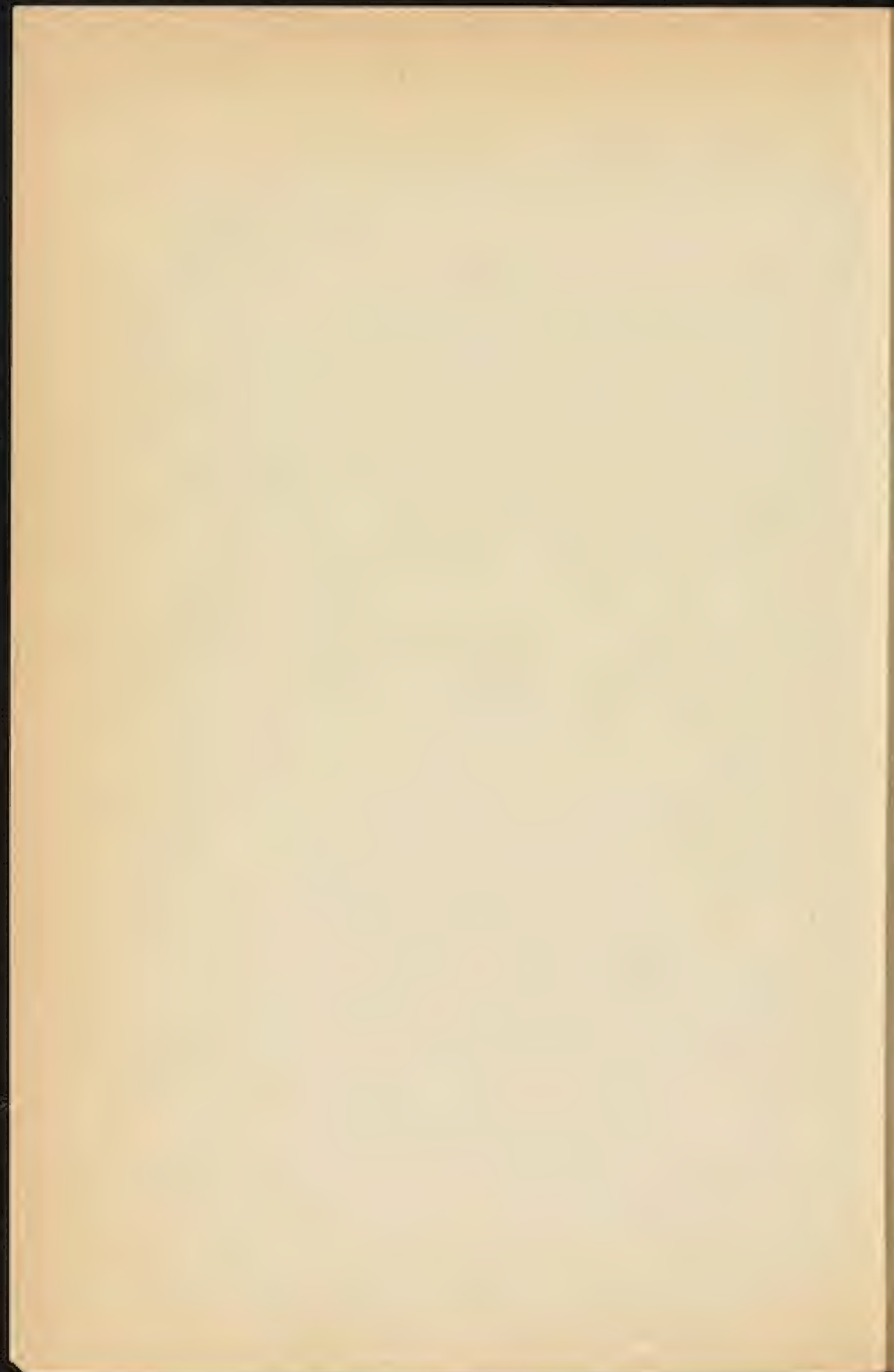
الصديق المخلص لجلالتكم والعرب

امين الريحاني

في رجب ١٣٤٥ هـ (يناير ١٩٢٧ م)



الخط البارز في هذه الخارطة هو خط الحدود لملك ابن السعود في سنة ١٩٢٦



المراجع والاسانيد

كنا في الرياض نسرد رجال التاريخ من آل سعود، المعاصرين منهم والاقدمين . وكان الفضل في السمر التاريخي للسلطان عبد العزيز الذي ارسل الي كتابين طبعوا في الهند لاثين من ادباء نجد ومؤرخيه، الاول روضة الافكار لحسين بن غنام الخنبلي ، والثاني علو المجد في تاريخ نجد ، لعثمان بن عبدالله بن بشر .

قرأت التاريخ فصرت أحسن الحديث وعظيمة السلطان عن اجداده، وطالعت في «الروضة» شيئاً كثيراً في محمد بن عبد الوهاب وله ، فصرت افقه معنى النهضة الروحية التي قام بها في وادي حنيفة كخيران من ربيعة هما هذا التميمي ابن وهاب وذاك المانع الوائلي ابن سعود .

ولكني وانا اطالع الكتابين اسفرت لاسلوب مؤلفيهما القديم ، ذلك الاسلوب المكلف المسجع الذي لا يحجب مطالعة التاريخ الى قراء هذا الزمان ، ووددت لو ان احد المثقفين العصريين يلخص ابن بشر ، او يعيد كتابة تاريخ نجد منذ قرن ونصف قرن ليطلع العامة والخاصة على ما جرى في وادي حنيفة من الامور الدينية والسياسية ، التي كانت لها التأثير الاكبر في العرب بعد البعثة النبوية .

وكنيت قد تدوقت السمر السلطاني في العقير ، فروى عظمته شيئاً من اخبار حروبه وابن الرشيد ، وكان في الرواية فصيحاً ، بليغاً ، جذاباً ومنصفاً حليصه . فقلت في نفسي ، وقد فُتح لي باب في الكتابة عجيب ، جذبا القصة كلها ادونها للناس - قصة هي تاريخ كله جديد ، واكثره لذيذ مفيد .

لم اجرؤ يوم كنا في العقير ان افصح للسلطان عن رغبتي هذه ، ولكني قلت لرفيقي السيد هاشم الرفاعي اني احب ان اكتب سيرة السلطان

عبد العزيز، واني مباشر العمل. وفي الحقيقة كنت قد دونت في مذكرياتي الواقعة التي سمعت خبرها في الليلة السابقة.

وعندما جئنا الرياض، وبدأ من عظمة السلطان ذاك التعطف الجاني الجليل، فانزلني في القصر وكان يشرف منزلي كل ليلة بعد صلاة المساء، تشجعت فاستأذنت بان اكون مؤرخه، فاجاب، وكان الجواب مبهجاً: ما يخالف (لا بأس) فاستويت واقفاً وشكرته، ثم قلت: وخير البر عاجله. لنبدأ اذا امرتم الان.

ما يخالف

وكان على المنضدة الورق والحرير فجلست اكتب ما رواه تلك الليلة من اخباره الاولى في الكويت.

وبعد ذلك، اثناء المدة السعيدة التي اقمتها في الرياض، اي ستة اسابيع، كان عظمته يروي من اخباره ما يستغرق ساعة واحداً كل ليلة، فتتعاون انا والسيد هاشم في التدوين. وكنت استوقف عظمته في بادي الامر مراراً لأفهم معنى لفظة من الفاظه او عبارة منجدية الاصطلاح. وكنا فوق ذلك، رغبة في التدقيق والتحقيق، نقرأ قبل ان نباشر الكتابة ما كتب الليلة السابقة، فيصلح عظمته ما قد يكون فيها من الخطأ.

هوذا المصدر الاول الاعلى لهذا التاريخ. أضف الى ذلك رسائل عدة ووثائق رسمية اطلعتني عظمته عليها، واذن بفسخ بعضها.

بعد ان وصلنا في تاريخ نجد الحديث الى مؤتمر العقير عدت الى ابن بشر وعقدت النية على تلخيص ما جاء فيه من الاخبار. وابن بشر، بقطع النظر عن أسلوبه، مدقق في الاجمال وحادق الرواية. الا انه ينتهي في تاريخه عند سنة ١٢٦٧ هـ (١٨٥٠ م) فيكون بينه وبين النكبة الاخيرة (اي خروج آل سعود من نجد) فترة مقدارها اربعون سنة،

لم يروى السلطان اخبارها لانه لم يكن متحققاً منها كلها ، ولا اذن احد علماء الرياض ، للسبب نفسه ، بروايتها .

ولكنه ، عندما ازمنت الرحيل ، اعطاني كتاباً الى احد عماله في سقراء ، هو محمد السباعي ، يأمره بان يكتب الى الشيخ ابراهيم بن صالح بن عيسى في أسيقر (قرب سقراء) ليرسل اليه تاريخه الخطي ، فاطلع عليه وانسخه ، ثم يعاد الى صاحبه .

جئت سقراء ، وراح نجاب السباعي الى أسيقر ، فوجد بيت المؤرخ مقفلاً ، وقيل له ان الشيخ ابراهيم في غنيزه . وكنا في طريقنا الى غنيزه ، فرجونا ان نجتمع بالمؤرخ فيها . ولكن السباعي ، سلمه الله ، لا يثق كل الثقة بالتقارير ، فأمر نجابه بالرجوع الى أسيقر يوم رحلنا من سقراء وقال لي : اذا ظفر بالتاريخ ارسله اليك حيث تكون في بريده ، او في غنيزه ، او في الحفر . واذا اجتمعت بصاحبه في طريقك فامسكه يا امين بتلايبه .

وصلنا الى غنيزه فلم نجد فيها المؤرخ ، ولا جاءنا من السباعي التاريخ ، ولكن غداً دنونا من بريده خرج النجاب يلاقينا ، وكان قد جاءها رأساً من أسيقر ، فسلم واخرج التاريخ من جيبه قائلاً : بعد ان تقضي حاجتك منه رده الى السباعي فيرده الى صاحبه . وهكذا كان .

قد سرني من تاريخ ابن عيسى ، على ما فيه من ركافة وسداجة ، انه خلو من التقعر والسجع . واليك مثال واحد منه :

« خرج عليهم (محمد ابن الامام فيصل على اهل غنيزه) واقتتل الفريقان قتلاً شديداً ، وصارت الهزيمة اولاً على محمد ابن الامام ومن معه ، وتتابعت هزيمتهم الى خيامهم ، فأمر الله سبحانه وتعالى بالمطر ، وكان غاب سلاح اهل غنيزه البنادق ، فبطل عملها من شدة المطر ، فكرر عليهم محمد واصحابه ، فهزموهم ، وقتلوا منهم

اربعمئة رجلا

بابن بشر وابن عيسى معاً يتم اذن تاريخ آل سعود منذ نشأتهم الى حين استيلاء محمد بن الرشيد على نجد. ولولاها لما تمكنت من كتابة النبذة الثالثة من هذا التاريخ. على انه ، وانا اكتبها ، خطر لي ان اقابل بين المؤرخين الوطنيين والمؤرخين الاجانب ، خصوصاً في الحملات التي جردها على نجد محمد علي باشا وابناه طوسون و ابراهيم .

والتاريخ ذو شعبون ، فقد جرتني فتوحات سعود الكبير الى الحجاز ، فكرة المكرمة ، فالتفت هناك ببعض الاوربيين المستشرقين المتكبرين فاستكشفت اخبارهم واثارهم لاطلع على رأيهم في الوهابية يومئذ وفي اهل نجد ، فعرفت ان السويسري بر كهارت كان مقرباً من محمد علي ، والاسباني بادياي ليبلغ كان جاسوساً لنابليون الاول. على انها متفقان في نزعتها العالية ، وصدق الرواية ، وان اختلفا في المقاصد السياسية .

جاء بر كهارت الحجاز ، قادماً من السودان ، يوم كان محمد علي في الطائف . وعندما وصل اليها سأله الباشا عن احوال تلك البلاد التي كان يحكمها يومئذ ابنه ابراهيم .

قال بر كهارت في رحلته العربية (Travels in Arabia, John Lewis Burckhardt. London: Henry Colburn, 1829)

«وسألني الباشا اذا كان ابنه ابراهيم محبوباً هناك فاجبته بلغة الصدق: ان مشايخ القرى كلهم يكرهونه لانه ردعهم عن الاستبداد بالفلاحين . اما الفلاحون فيحبونه حباً جماً »

ولاشك ان محمد علي الكبير كان يحب بر كهارت لعلمه ، ومحترمه لصدق لهجته ، فاذن له بالدخول الى مكة وبزيارة المدينة .

اما المستشرق الاسباني الذي انتحل اسم علي بك العباسي فلم يكن له من اولي الامر نصير ، وما فاز بغير جده ودهائه . احببت ان اطلع على

رحلته التي طبعت بالانكليزية بلندن ، فكتبت الى كتير مشهور هنالك
اطلها ، فاجاب ان الكتاب غير موجود في المكتاب ، وعرض ان يعلن
في الجرائد لعل هنالك احداً عنده نسخة يبيعها ، فقبضت . وبعد شهر جاءني
منه كتاب يقول انه حظي بنسخة من الطبعة الاولى ، سليمة تامة ، بجلد
بجلد ثين ، ثمها عشرون ليرة انكليزية فقط !

و كنت يومئذ اراجع التواريخ الافرنسية في نسخة محمد علي المصرية ،
فقرأت ما كتبه ادوار غوان

(L'Egypte au XIX Siècle, Edouard Guin, Paris 1847)

وعنت المكتبة الشرقية لاطالع تاريخ مانجن

(Histoire de l'Egypte sous le Gouvernement de Mohammed Aly.
Felix Mengin, Paris 1823)

فلم اجد منه غير الجزء الثالث ، وهو ملحق للتاريخ ، كتبه جومارد
E. F. Jomard فجئت مكتبة الجامعة الاميركية ، فخطيت فيها ليس
بمانجن فقط بل برحلة علي بك ايضاً ! وهي طبعة اميركية عن الطبعة
اللدنية الاولى

(Travels of Ali Bey, Philadelphia: John Conrad, 1816)

اما مانجن فقد وجدت في ما راجعت لغرضي انه يتل أحياناً عن
تاريخ الجبرتي (عجائب الآثار في التراجم والاخبار) ووجدت ان الرواية
في ما يختص بحوادث نجد لا تختلف كثيراً عن رواية ابن بشر . الا ان
في تاريخ المصري ، وبالتالي الافرنسي ، بعض الاشياء التي فات ابن بشر
ذكرها ، او انه كان يحفلها . كالصندوق الصغير مثلاً الذي حمله عبدالله بن
سعود الى الاسنانة ، وفيه بعض اطلاق الحجرة النبوية التي كان يأمل ان
يسترضي السلطان بها ، فيعطيه الامان ويأذن له بالرجوع الى بلاده . هذا
في ما يختص بالنبذة الثالثة .

اما النبذة الثانية ، محمد بن عبد الوهاب والوهابية ، فقد كانت لي في

كتبتها عون آخر غير ابن غنام ، اجل ، قد طالعت ، وانا في الرياض ،
رسائل ابن نسيمة وغيرها من الرسائل الحبشية في كتاب طبع بمطبعة
المنار بمصر .

أمّا ، وقد ذكرنا التبدلات عكسا ، في التبذة الاولى : نواحي
نجد ، وهي لا تخلو من صعوبة اذا نحرننا التدقيق في ضبط الاسماء ، اسماء
البلدان ، فكتب السياح المستشرقين نضلّ غالبا في اعلامها ، وكتب
الافديمين العربية يزوي اسماء بلدان اثيرت ، واسماء للبلدان التي لا تزال
في علم الوجود غير المصطلح عليها لفظاً ومعنى . لا بد اذن من الاستعانة
بأحد علماء نجد المعاصرين . وبما ان الوقت كان قد ضاق دون ذلك ، يوم
كنت في الرياض التست من عظمة السلطان ان يأمر أحد العلماء بان
يرسل مطلوبي الى القرية . فأرسل اليّ بدل اسماء النواحي والبلدان
نسخة من كتيب خطي عنوانه : مشير الوجد في معرفة انساب ملوك
نجد ، تأليف راشد بن علي الحبلي . فجاهدنا في تحقيق انساب آل
سعود . وابن عبد الوهاب ، وعرب الشمال اي مصر وربيعة .

و كنت قد استعنت عندها مررت بعزيرة بالشيخ عبدالله بن محمد العبد
العزير البسام ، فكتب لي لائحة باسماء بلدان القصم وسدير والعارض ،
وبت انتظر وصول المعلومات الاخرى ، فرت الايام ، وتراجعت الحوادث
في نجد ، ولم تكتب التبذة الاولى .

وكانت حرب الحجاز . وكان من حظي ان اشرف ثانية بزيارة السلطان
عبد العزيز . فذكرته ، ونحن في جده ، بتلك التبذة وبما وعدني به
لاقامها ، فقال : ما يخالف ، ولكنني وجدته مشغولاً في مسائل أهم منها ،
فسكرت ثم سألت الدكتور عبدالله الدموجي عن بعض البلدان فقال :
لا يستطيع ان يجيب اسئلتك هذه غير السلطان ، وهو الملقب بجغرافية
البلاد العربية .

السلطان الاستاذ! ولحسن الحظ ، عندما جئته ذات يوم بعد الظهر حسب العادة ، لقيته يطالع كتاباً للسيد محمود شكري الالوسي ، عنوانه تاريخ نجد (المطبعة السلفية بمصر) فسألته رأيه فيه فقال : لا بأس به ، ولكنه لا يخلو من اغلاط في اسماء البلدان . فقلت ، وقد تمسكت بتلايب الفرحة : اذن ، يا طويل العمر ، عليكم باصلاحها .
وأخرجت القلم والذفت من جيبي قائلاً :
اتأمرون بان تكونوا الان الاستاذ وان اكون انا التلميذ؟ اتأمرون بان ابدأ سؤالاتي؟

فاجاب عظمته : وما هي ؟ فذكرت بعضها ، فقال : الامر يطول .
تأذنون اذن بان امد رجلي .

فقلت مبتسماً : وهل في ذلك اشارة الى قصة الامام ابي حنيفة؟^{١١}
فرفع يديه ضاحكاً وقال : لا والله . لا والله . القصة لا تنطبق عليك وكانت ساعة نادرة ذكرني بليالي الرياض ، ومكنتني من كتابة النبذة الاولى .

اما مراجع هذا التاريخ الاخرى فاهمها ما يأتي :
الكتاب الاخضر النجدي .
كتاب الوفد الهندي .
الكتاب الاحمر الحجازي

تقرير المندوب السامي لحكومة بريطانيا العظمى في العراق من اول

(١) كان ابو حنيفة يخطب في حلقة من تلاميذه في ان صلاة الفجر ينبغي ان تكون قبل طلوع الشمس ، وبينما هو يخطب ، وقد جلس جلسة الالفه ومد رجله ، دخل شيخ جليل الطلعة ، وتبوأ مكاناً في الحلقة ، فترجع الامام اكراماً له ، واستمر في كلامه ان صلاة الفجر ينبغي ان تصلى قبل طلوع الشمس ، فسأله الشيخ : واذا طلعت الشمس قبل الفجر ؟ فقال الامام : وهو يعود الى جلسته الاولى : عندئذ يد ابو حنيفة رجله ولا يبالي .

اكتوبر سنة ١٩٢٠ الى آخر مارس سنة ١٩٢٢

تاريخ الكويت لعبد العزيز الرشيد (المطبعة العصرية بغداد)
مذكرات الفريق شفيق كالي باشا (متصرف عسير والقائد العام فيها
من سنة ١٩٠٨ الى سنة ١٩١٢ ، ووالي البصرة سنة ١٩١٣) نشرت تباعاً
في الاغرام في شهري نوفمبر وديسمبر سنة ١٩٢٤
عنوان المجد في احوال بغداد وبصره ونجد تأليف ابراهيم فصيح
الحيدري البغدادي (نسخة خطية)
ومن الكتب الانكليزية :

(The Heart of Arabia, H. St. John Philby, قلب البلاد العربية
Constable : London)

(Wanderings in Arabia, Charles M. الطواف في البلاد العربية
Doughty, Duckworth : London)

(The Penetration of Arabia, D. G. التغلغل في البلاد العربية
Hogarth, Alston Rivers : London)

انك ترى اذن بما تقدم ان اهم مصادر النبذات الثلاث هي نجدية ،
اي ان ابن بشر هو ركن النبذة الثالثة ، وابن غنام وابن تيسية ركن
النبذة الثانية ، والسلطان عبد العزيز ، الملقب بجغرافية البلاد العربية ،
والشيخ عبدالله البسام الذي قال فيه عظيمة السلطان انه من العارفين
المدققين ، هما مرجعي في النبذة الاولى .

اما السيرة فقد قصص قصتها . وقد شغعت المصدر الاول الاعلى
بما استوجبه التدقيق من مراجعات ما طبع في البلدان المجاورة لنجد ،
وما نشره السياح المستشرقون ، وبعض الترك والعرب ، في ما يختص
بالبلاد العربية ثخينين سنة مضت .

ولا بد من ذكر مرجع آخر هو رحلتي العربية الاولى ، ورحلتي
الثانية الى الحجاز . فقد كنت اثناء ذلك استقي الاخبار من مصادرها
العليا ، واستمع من ذوي العرفان ممن حدثتهم ما ثبت او يكمل الرواية

السلطانية . فقد كان عظمته يقتضِب الكلام في ما يتعلق بشخصيته ،
فيمسك النفس عما فيه فخرها والثناء عليها . واني اختم هذا الفصل بقصة
واحدة من القصص العديدة التي كنت اسمعها ، والتي تمثل الحلم والكرم
في شخصية هذا العربي الكبير .

عندما كانت الحرب قائمة بينه وبين اقاربه « العرايف » في الحساء
ارسل خصمه سلمان بن محمد بن سعود وفدًا من قبله الى قطر ، وعمان ،
ومستقط ، والبحرين يستنجد شيخها على السلطان عبد العزيز . وكان
العجمان يومئذ حلف « العرايف » وكان احد رجال الوفد من هذه
القبيلة ، فسافروا الى عمان ، ومنها جازوا الخليج الى لنجا على الشاطئ
العجمي ، وهم يقصدون سلطان الحمادي حاكم تلك الناحية الذي يدعي
ان العجمان من العجم ، فاعطاهم لذلك مئة بندقية واربعة آلاف روبية .
ثم جاءوا البحرين فاعطاهم الشيخ عيسى مئة بندقية واثنى عشر الفروبية .
وقد ساعدهم آل زايد بعمان باكثر من ذلك .

عاد رجال الوفد موفقين . وبينما هم مسافرون الى العقير التي كانت
يومئذ بيد العجمان ، ومعهم ما جمعوا من الاسلحة والمال لمحاربة ابن سعود ،
علم بهم الشيخ عبد الرحمن بن سويلم امير القطيف . فسارع الى ارسال
عساكر في مراكب شرعية ، وطاردوا مراكب العدو بين البحرين والعقير ،
ثم حاقوا به فحجزوه والقوا القبض على ثلاثة من رجاله .

حدثني احد الثلاثة ، وهو العجماني ، قال : جاءوا بنا الى القطيف
وارسلونا عقيدين الى السلطان عبد العزيز بالحسا . فلما وصلنا امر بترك
قيودنا وبأخذنا الى المضيف . وبعد ثلاثة ايام احضرنا الى المجلس وكل
واحد منا لا يرى من قسمته غير الموت ، فخطبنا السلطان قائلاً :
يا عيالني نحن لا نقهر احداً . فمن كان منكم ينبغي معزته (شيخه او اميره)
فاليه به . ومن كان منكم ينبغي فاهلاً ومرحاً . فقال واحد منا : انا

يا طویل العمر افضل تارك على جنة سلمان ، فامر له ببندقية وكسوة
 وادخله في الجيش . وقال الاخران : ودنا نروح الى معربنا نعتز واياه
 وننذبح واياه . فامر لكل منها بكسوة ، وذللول ، وشيء من المال ،
 ثم اطلق سراحهما .

وفي التاريخ بقية القصة التي انتهت بتسليم العرايف ، فكان الحلم انجيع
 بهم من السيف .

النبتة الاولى

نواحي نجد



نواحي نجد^(١)

ليس في نجد أرض يستوي سطحها وسطح البحر . فانك اذا جئت البلاد من خليج فارس غر بالحساء ، ثم تأخذ بالتصعيد - والعرب يقولون التسليد - وتستمر مصعداً ، دون ان تدرك ذلك في اغلب الاحايين ، الى العارض (١٨٠٠ قدم) فالشعره (٣٠٠٠) فالخربة الصغيرة (٤٠٠٠) غرأس السيل (٤٥٠٠) ومن هناك تنحدر الى مكة .

واذا جئت نجداً من البحر الاخر ، من جعدة مثلاً ، فتصعد الى الطائف (٦١٧٠ قدم) وتشرف بعد ذلك على جبل حصن - من رأى حصناً فقد نجد - ومنه تنحدر الى نجد ، وتستمر في الانحدار دون ان تدرك ذلك لانه في اكثر الاحايين غير محسوس ، حتي تصل الى الحساء . وبكلمة اخرى اذا شطرتنا شبه الجزيرة شطرين من جده الى العقير على الخليج ، يظهر نصفها في هذا الشكل :



(١) في كتاب الايلوسي صفحات ٦ و ٧ و ٨ شيء من كلام الاقدمين المتناقض المتضارب في ما هو نجد وما هي حدوده ، فالتاريخي الراغب يمثل هذا العلم ان يرجع اليه اما حدود الباطنة النجدية الحاضرة والذي قررته الطبيعة حداً واحداً فقط هو الاحقاف او الربع الخالي في الجنوب . اما الحدود الاخرى فقد قرر ابن سمرود الشرقية والغربية منها بالسيف وقد تقررت الحدود الشمالية ، والشمالية الغربية والشرقية ، بالاتفاق ومحاكاة الانتداب في العراق وشرقي الاردن ، اي حكومة بريطانيا العظمى . وهذه الحدود ظاهرة في الخارطة الملحقة بهذا التوزيع .

ان نجداً ليردق اذن معنى اسمه ، اي هو المرتفع من الارض . وفي هذه الاراضي المرتفعة ، شمالاً وغرباً وجنوباً ، اماكن تختلف في العلاء والوطاء بعضها عن بعض . فالقصيم مثلاً يعاى الف قدم فوق العارض ، وسائل تعلو نحو ذلك فوق القصيم ، واليامة هي خمسة قدم دون الرياض . وفي هذه البلاد السهول والجبال ، وصحاري الرمال ، والادوية والشعاب والواحات والقفار . وهنالك من الاراضي المنبسطة الفسيحة التي لا اكلا فيها ولا ماء كالصمان ، ومن صحاري الرمل التي تكثر فيها المراعي كالدنهان ، ومن السهول التي تنزرع مرتين في السنة كالوشم ، ومن الواحات التي تغزر فيها المياه ، وتتعد البساتين ، كالعارض ، والاحساء ، والافلاج . ومن البقاع العالية الطيبة التربة والهواء كالقصيم وجبل شمر . اما اطول سلسلة من جبالها فهي التي كانت تدعى قديماً العارض او عارض اليامة . والعارض ما اعرض او يبرز في الارض . قال الشاعر :

واعرضت اليامة واشمخرت
كاسيا فبايدي مصليتنا

وبما ان هذه السلسلة من الجبال تطوق قلب نجد من القصيم الى وادي الدواسر فاهل نجد يسمونها جبل طويق . وبما ان الاسرة السعودية اتخذت الرياض مركزاً لها ، وقاعدة لبلاد نجد ، فقد اطلقوا على البلد اسم الناحية اي العارض ، فنقول اليوم طويق والعارض كما كان الاقدمون يقولون اليامة .

واليامة هذه ، التي كانت من اشهر البلدان النجدية قديماً ، والتي لا يزال اسمها يرن في كتب الادب والشعر ، هي اليوم واحة صغيرة تكاد تختفي النفود ، فيها اربع قرى وبعض « القصور » مساحتها نحو ميل واحد مربع ، وعدد سكانها لا يتجاوز الالفين ، كلهم مزارعون من بني مرة وقحطان وبني هاجر . وهم يزرعون في بساتينهم الرمان والعنب والتين ، وبعض القطن ، والخنطة والبزسم الذي يسمونه الجلت . هذه البقية من

القامة هي في وادي الحرج المنخفض الذي تضعده منه جنوبا الى الافلاج ، وشمالا الى الرياض . ولكننا قبل ان نعود الى العارض سنعلم القارى باننواحي السكائة جنوبا منه . ان اكبرها واطيبها

الافلاج

التي تكسر فيها الابرار ، والعيون والنخيل ، وتزرع فيها الحبوب والثمار وشيء من القطن . قاعدتها ليلي ، على سبع مراحل من الرياض ، واكبر قراها البدائع ، والاحمر ، والمذار ، وفي هذه الناحية بقعة تدعى السبع ، من العيون السائخة ، بل فيها بحيرات عدة هي من مياه جبل طويق التي تصب غربا بجنوب تحت ارض الوشم وفي وادي حنيفة ، ثم تظهر على وجه الارض بصورة دائرة في الافلاج . اما العرب الذين يقطنون هذه الناحية فهم من قحطان ، والدواسر ، وسبيع . ان بعد الافلاج الى الجنوب الغربي

وادي الدواسر

وفي طرفه الشمالي ناحية تدعى السليل وفيها من القرى الدمام ، وحنايج ، ورويه ، وفرعه وغيرها . وفي طرفه الجنوبي ناحية تليلث ومن قراها العمق ، ومطايه ، وعين ، وخريفة . اما سكان الوادي فاعلمهم من عرب الدواسر الاشواوس البدو منهم والحضر . بعد الوادي جنوبا ، على ثلاثة مراحل منه

نجران

لبنى يام الذين كانوا في الماضي خارجين على كل سلطة مشروعة ، فما دانوا لاحد غير شيوخهم . ولكنهم منذ ثلاث سنوات دخلوا في الرعوبة السعودية فصاروا يدفعون الزكاة طائعين . ان اكبر قرى نجران مخلاف

وجبوته ، وعند نجران تنتهي الحدود الجنوبية الغربية لسلطنة نجد .
نعود اذن شمالاً بشرق الى الافلاج ومنها الى

الخرج

تلك الناحية الحصبة التربة ، الغزيرة المياه ، التي تزرع في ارضها
الحبوب ، وفي بساتينها الثمار على انواعها ، من مشمش ودراق وتين
وعنب ، وتربى فيها احسن الجمال . اما قاعدة الخرج فهي الدلم على ثلاث
مراحل من الرياض ، واهم بلدانها زميعة ، ونعجان ، واليامة ، والسلمية في
طرفها الشمالي .

ثم وادي الفرع الى الجنوب ، وفيه بلدان ، او بلادين كما يقول اهل
نجد ، وسط جبل اليامة ، اكبرها الحوطة التي تبعد عن الدلم جنوباً ثمانية
واربعين ميلاً . وفي اعلى الوادي الحريق على مسافة اربعة وعشرين ميلاً
من الحوطة . اما اهل هذين البلدين فمن بني تميم الاشداء ، ومن غلاة
الحنبلية المحافظين على تقاليدهم وعزلتهم ، الغيورين على استقلالهم .

عندما دانت بلاد نجد لابن الرشيد ظل اهل الحوطة ، التي تدعى
حوطة بني تميم ، خارجين عليه متمردين . وعندما عاد ابن سعود وفازعه
السيادة ابن عمه سعود العرافة نصر اهل الحوطة والحريق سعوداً على
الشاب عبدالعزيز . وكان ما هو مدون في هذا التاريخ من انتصار عبدالعزيز .
ولكنه ضمن لاهل هذه الناحية ، اي الفرع ، استقلالهم النوعي على شريطة
ان يعترفوا بسيادته ، فيدفعوا الزكاة ويلبوا الدعوة للجهاد . ومن البلدان
الاخرى في الخرج نعام ، وميفقر ، والحوطة التي يغلب في سكانها عرب
عنزى .

ثم حائر في طرف وادي حنيقة الجنوبي ، على مسافة خمسة وعشرين
ميلاً من الرياض ، وهي تدعى حائر سبيع لان سكانها من عرب هذه

القبيلة النازحين من الغرب . وفيها ايضاً السهول خلفاء سبيع .
ومن حائر شمالاً بعد بضع ساعات من السير ، نصل الى البلدة التي
كانت قديماً تشاطر اليامة الشهيرة والمجد . هي المنفوحة بلدة الشاعر زهير
بن ابي سلمى القرينية جديداً من الرياض ، والتي اتمت اليوم منفوحتين ،
الواحدة القديمة ولا تزال خرائبها باقية للعيان ، والثانية الجديدة على رمية
سهم منها .

ان السبب في بوار اودية مثل وادي الرمة (العرب يلفظونها مخففة) ،
وخراب مدن مثل اليامة والمنفوحة ، هو اما انقطاع المطر اعواماً متوالية
فتجف العيون والأبار فينزع اهليها ، وأما تهطل الأمطار التي ترسل
السيول في البلاد فتغمر ما يكون في طريقها من العمران وتتركه خراباً
يبابا . ان من هذه الاخربة ما نشاهده في الحرج ، وفي وادي حنيفه ،
وفي الباطن من وادي الرمة .

العارض

قلت ان العارض هو اسم الناحية والعاصمة معاً ، فيه واحة جميلة تمتد
من سفح جبل طويق شرقاً بجنوب الى المنفوحة ، وفيه العيون العذبة ،
والقلبان - الآبار - المتعددة ، والبساتين التي يزدهي فيها النخيل ، وتناوج
في ظلالها اخضرار الجت والبقول .

ويطعن بالرياض او العارض عدة قرى كبيرة ، كالدرعية الجديدة ،
على ثلاث ساعات الى الشمال منه ، وعزرة ، وابو كباش ، التي كانت
مسكن آل سعود الاقدمين قبل ان اسست الدرعية ، والعمارية ، والجبلية ،
احدى قرى بني حنيفة ومسكن مسيلمة قديماً ، والعيينة بلد آل معمر
ومستط رأس محمد بن عبد الوهاب .

وهناك جنوب العاصمة المنفوحة ، والمصانع ، وحائر سبيع التي مر

ذكرها . وغرباً منها ، في طرف الحمادة الجنوبي 'ضرمه' (تلفظ 'ضرمه') المؤلف من قصور ومزارع عديدة تسمى المراحيات . وجنوبي 'ضرمه' الغلظ بلدة الاخوان المشهورين ببساتينهم ، اخوان عتيبه . ثم البروة على مرحلة منه شمالاً ، وهي اول بلدة في الجهة الجنوبية من الوشم . اما

الحمادة

التي ذكرت فهي سهل يمتد من الشمال الى الجنوب بين جبل طويق ونقود السر ، وفيه الزلفى وغيرها من القرى ، بعضها في النفود الكائنة بينها وبين عتيزه ، وبعضها في السهل . ومن هذه القرى ملىح ، بين الزلفى والفاط ، وفريسان ، وهما هجرتان من هجر مطير . وجنوبي فريسان الداهية من هجر عتيبه .

اما الفاط التي هي بين الجمعة قاعدة سدير وبين الزلفى ، على مرحلة واحدة من الاثنين ، فهي مشهورة بانها مسكن « السداه » من اعيان اهل سدير ، الذين صاغرهم آل سعود قديماً وحديثاً ^(١) وامروهم في البلاد . فقد كان تركي السديري اميراً على عمان في الزمن الغابر ، وكان ولده احمد ، جد عبد العزيز ، اميراً على الاحساء في عهد الامام فيصل ، وولده محمد وعبد المحسن متولين الحكم في القصيم وفي الجمعة .

نعود الان الى النواحي التي هي شمالي الرياض ، واؤها

الشعيب

التي تفصل بين العارض وسدير ، قاعدتها حريملة على مرحلتين من الرياض ، (تسمت سنة ١٠٤٥ هـ) . واهم بلدانها قريته (عمرت سنة ١١٠١ هـ) ، وملهم ، وصليبوخ ، وسدوس التي فيها اثار قديمة قيل انها حيرية . ثم

(١) والدة جلالة الملك عبد العزيز من السداه

المحمل

وثائق قاعدتها ، التي عمرت سنة ١٠٧٩ هـ ، والصفرات ، هي والبير تدعى كلها اللزوم . أما الصفرات فهي عدة بلاد قريبة من ثادق . وهناك البير جنوبي الصفرات (عمرت سنة ١٠١٥ هـ) ، ورغبه (عمرت سنة ١٠٧٩ هـ) . من الشعيب والمحمل نستمر مصعدين في جبل طويق الى

سدير

اكبر نواحي الجبل ، وقاعدتها الجمعية (عمرت سنة ٨٢٠ هـ) التي يقال لها وحرمه منيح ، والتي تبعد مئة ميل عن عنيزة الى الشرق ، تفصل بين البلدين نفود كبيرة تمتد جنوباً الى وادي السر . أما بلدان سدیر فعديدة ، ومن اكبرها واقدمها حرمه (عمرت سنة ٧٧٠ هـ) ووشي ، وجوي ، وجلجل ، والتويم (عمرت سنة ٧٠٠ هـ) والداخله ، والخصون ، والجنوبية ، والعطار والجنينة ، والعودة ، وعشير ، والخطامه ، وتيريم ، والحيس ، والروضة (روضة سدیر)

الوشم^(١)

هذه الناحية هي غربي جبل طويق ، وغرباً بجنوب من سدیر . قاعدتها شقراء ، واهم بلدانها ثرمدا ، والجريفة ، والقرابن ، واشيتر على ساعتين من شقراء ، والفرعه على رمية سهم من اشيتر ، والنصب على ثمانية عشر ميلاً من شقراء ، ومرتآ بلد امري ، القيس ثم الحريف على مرحلة واحدة من روضة سدیر .

القصيم

لم تكن تعد في الماضي من نواحي نجد ، وقد يجوز ان لا نعلها اليوم الا من ملحقاته . فقد طالما تنازعت السيادة فيه ،

(١) راجع ملوك العرب ، الجزء الثاني ، صفحات ١٠٣ / ١١٧ الطبعة الثالثة

عنزّه وبريده ، ونزعت كتابهما الى الاستقلال عن ابن الرشيد وعن ابن سعود .

ان في هذا التاريخ الكفاية عن البلدين وامرائها ، وفي « ملوك العرب » ^(١) الكفاية في وصف اهل القصيم وسجايها المنة التي تختلف عن سجايا اهل الجنوب .

اما اهم بلدان هذه الناحية ، بعد بريدة وعنزّه ، فهي البكيرية (عمرت سنة ١١٨٠ هـ) والهلالية ، والخبراء (عمرت سنة ١١٤٠ هـ) والبدايع . وكلها لا تبعد عن عنزّه اكثر من خمسة وعشرين ميلاً . ثم الرس وملحقاته ، وهي على مسافة خمسة وثلاثين ميلاً غربي عنزّه . ثم النبهانية على مرحلتين منها الى الغرب ، والمذنب على مرحلة منها الى الجنوب ، والقصيا على مرحلتين منها الى الشمال ، والاسياح ، وعين فهد ، والطرفية على مرحلتين شرقاً من بريدة . وهناك شمالاً بغرب من القصيم ، على خمسة مراحل منه .

جبل شمر

اي جبلا طي ، اجا وسلمى ، وما يتبعهما من السهول والجبال . اما حائل ، عاصمة شمر ، فهي من اكبر المدن العربية واجملها ، سكانها نحو ثلاثين الف وهم مثل اهل القصيم يكثرون الاسفار والاتجار ، ويبارون بالترفه اهل الامصار ، وبالبسالة والشجاعة اهل القفار . وهناك قرى عديدة منها قفار ، وقبة ، وبتعاء ، وسميراء ، وكهفة هي كلها تابعة حائل . واذا سرنّا منها شمالاً بغرب واجتونا النفود الكبرى نصل الى جوف آل محرو او

وادي مراحات

التي كانت لعرب الرولة من عنزّي فاستولى عليها ابن الرشيد ، ثم بعد

سقوط حائل دخلت في حوزة ابن سعود . قاعدتها الجوف واهم قراها
سكاكة ، وكاره ، وقرايا الملح ، وأثره ، وقرقر . هناك عند الطرف
الشمالي من وادي سرحان الحدود الشمالية الغربية لسلطنة نجد .

الاحساء

هي اكبر وانصب النواحي ، بعد جبل شمر والتصميم ، التابعة لسلطنة
نجد . جاء في الكامل للمبرد^(١) : « الحساء جمع حسي وهو موضع رمل تحته
صلابة ، فاذا امطرت السماء على ذلك الرمل نزل الماء فتمتعه الصلابة ان
يغيب » ومنع الرمل السائم ان تنفسه . فاذا بحث ذلك الرمل اصيب
الماء . يقال حسي ، احساء وحساء » .

هذا الوصف علمي صحيح . الا ان في الاحساء واحات متفرقة اهمها
واحات الحساء والتطيف ، وبينهما ارض رملية مثل التي وصفها المبرد .
وفي هذه الواحات المياه الجارية ، والعيون العذبة ، والبساتين الغناء ،
والارض التي تصلح للحرثة ، فتزرع فيها الحنطة ، والشعير ، والسمسم ،
والذرة ، والارز . وفي الحساء قرب الحفوف عيون معدنية متنوعة ،
ماؤها حار وبارد ، اهمها عين نجم قرب الميرز التي يتغنى الشعراء بآثارها
العجيب - ماؤها المعدني الحار .

قد كانت الحسا في أيام القرامطة عاصمة متناطعة هجر ، ثم استولى عليها
الامراء العيونيون^(٢) وفي سنة ٩٣٦ هـ (١٥٣٠ م) في عهد السلطان سليم
الاول ، دخلت في حوزة الدولة العثمانية التي كانت قد استولت على اليمن ،
فعدت الحسا من الولايات الجانية . ثم أخذتها الدولة فاستولى عليها بنو
خالد الى حين ظهور آل سعود الذين ادخلوا بني خالد في طاعتهم .

وعلى اثر الشقاق الذي حدث بين ابناء الامام فيصل سنة ١٢٨٧ هـ

(١) الجزء الاول صفحة ٧٦ طبعة لبيك سنة ١٨٤٦ في ٤ اجزاء

(٢) راجع « ملوك العرب » الجزء الثاني صفحته ٢٣٤ الطبعة الثالثة

(١٨٧٠ م) يوم كان مدحت باشا متولياً على بغداد ، عادت الدولة الى الاحياء فاحتلتها ، واطلقت عليها تيمناً اسم لواء نجد . ولكنها في مدة اربعين سنة لم تتمكن من بسط سيادتها على باع من الارض خارج الواحات .

هذي هي نواحي نجد واهم ملحقاتها ، ما عدا عسير ، وفيها يسكن الحضر من اهل البلاد . اما البدو فسكنواهم الخيام ، وقد قل عددهم في عهد السلطان عبد العزيز بسبب الهجر (القرى المستحدثة) التي شرع في تأسيسها منذ عشرين سنة^{١١} فسكان نجد اذن هم اليوم اساساً ثلاث طبقات ، البدو ، واهل الهجر ، والحضر .

(١) في الملحق احواء هذه الهجر وعددها وعدد سكانها .

النسخة الثانية

محمد بن عبد الوهاب والوهابية

ولد سنة ١١١٥ هـ ١٧٠٣ م

توفي سنة ١٢٠٦ هـ ١٧٩١ م

من مؤلفاته

التوحيد في ما يجب من حق الله على العبيد
السيرة المختصرة
كشف الشبهات
كتاب الكبائر
احول الايمان
فضائل الاسلام
احاديث الفتن
مختصر زاد المعاد
مختصر صحيح البخاري
مسائل الجاهلية
مجموع الحديث
استنباط القرآن
رسائل عدة ذكرها ونقل بعضها حسين بن غنام في تاريخه

نسب محمد بن عبد الوهاب^(١)

عبدان
 معد
 نزار
 |
 |
 ربيعة
 مضر
 الياس
 طابخه
 أد-
 قحيم
 مالك
 حنظله
 شداد
 قاسم
 محمد
 بريد
 راشد
 احمد
 محمد
 علي
 سليمان
 محمد
 عبد الوهاب

محمد بن عبد الوهاب

حسين	ابراهيم	عبدالله	علي	حسن
محمد	حسن	علي	عبد الرحمن	عبد الرحمن
			عبد الطيف	اسحق
			عبدالله	ابراهيم
			محمد	عبد الرحمن

(١) عذوف من اجداده اكثر من ١٥ درجة

« ان الدعاء كله لله ، يكفر من صرف منه شيئاً لسواه »

محمد بن عبد الوهاب

« محبة الاولياء والصالحين انما هي اتباع هديهم وآثارهم والاستئانة
بضياء انوارهم » .

محمد بن عبد الوهاب

« المشاهد التي بنيت على القبور التي اتخذت اولئنا تعبد من دون الله ،
والاشجار التي تقصد للتبرك والنذر والتقييل ، لا يجوز ابقاء شيء منها
على وجه الارض مع القدرة على ازالته »

من رسالته الى عبد الله بن مسعود

محمد بن عبد الوهاب

والوهابية

١

في وادي حنيفة ظهر مَسِيَّمة الذي حارب النبي والاسلام فكاث مدحوراً . قتله خالد بن الوليد في وقعة الروضة . وفي وادي حنيفة ، بعد الف ومئة سنة ، ظهر محمد بن عبد الوهاب الذي كافح البدع والخرافات فكان من الفائزين .

قبل ظهور هذا المصلح النجدي كان العرب في نجد ، بل في الشطر الشرقي من شبه الجزيرة ، منغمسين في عقائد وعبادات جاءتهم من النجف ومن الاهواز ، او بالحري من بلاد فارس . فكاث لا يزال لا يبال في الترامطة اثر في الاحياء ، وكانت للتبور شفاع لا شفاع فوقها ، فجلها الناس المحل الاعلى في العبادة والتوسل . والحق يقال ان هذه البدع ، او هذه الخرافات القديمة ، ابعدت العرب بادية وحاضرة عن حقيقة الدين الكبرى وجوهره الاولي الحلي .

ابعدتهم عن الاسلام الذي جاء يبطل عبادة الاوثان وكل ما فيه رائحة العبودية لغير الله . فعادوا الى ما كان فيه اجدادهم وامعنوا اكثر منهم في الخزعبلات والاضاليل ، فلم يتوسلوا فقط الى قبور الاولياء بل تعددت التباب فوق القبور فصارت الشفاع الكبرى للاشجار . بل كانوا يعبدون حتى الاشجار ، فيعلقون على اغصانها الرقاع ويتقدمون لها النذور ومن هذه الاشجار في نجد ، خصوصاً في كهوف جبل طويق ووادي حنيفة ، ما كانت تفوق سواها شهرة ، وتمتاز اسماً وفعلاً ، في نظر عبادها الذين كانوا يجيئونها من اقصى نواحي الجزيرة متبركين متوسلين .

قلت ان هذه العبادات ابعدت العرب عن الاسلام بل انستهم حقائقه واركانه ، فقل منهم من كانوا يقرأون القرآن ويفهمون . قال المؤرخ النجدي : « اعمل الناس الصلوة والزكاة والحج وكانوا لا يعرفون حتى مركز البكة » . وبكامة اوضح عادوا الى الوثنية ، فبعاء ابن عبد الوهاب يعيدهم الى الاسلام . فكان منذ نشأته الى يوم وفاته يدعو للرجوع الى الكتاب والسنة ، وقد انتشرت دعوته في نصف قرن بين الحاضرة والبادية ، ومحت في عهد سعود الكبير البلاد العربية جمعا .

نعم قد كان في نجد علماء يتبعون الامام احمد بن حنبل في المذهب والاحكام . ولكن علمهم لم يخل بما يشوب طريقة المجتهدين والمتصوفين . فكانوا من هذا القبيل يشبهون علماء الكنيسة المسيحية في الترون الوسطى . ومن كبار اولئك العلماء النجديين جد صاحب الترجمة محمد بن سليمان بن علي التميمي . فقد كان رجلاً فاضلاً كريماً ، تولى منصب الفتوى في نجد ، ودرس علمي التفسير والحديث ، وكان له العلم ينفق على الطلبة من ماله الخاص ناهيك عن بيته الذي كان على الدوام مفتوحاً للفقراء والمظلومين اللاجئين الى بابه واحسانه .

وكان ابنه عبد الوهاب مثله من رجال العلم والحجى ، تولى القضاء في بعض بلدان العارض فكان عادلاً حكيماً ، وألف رسائل عدة في الفقه والتفسير ، ولحق ابنه محمداً شيئاً من العلوم التي كانت يحسنها . اما سجيته الكبرى ، تلك التي تميز العالم الحقيقي عن سواه من الناس ، انما هي الوداعة والاتضاع . وناهيك بها من سجيته تحمل صاحبها على الاقرار بالفضل حيثما كان في ولد صغير ، او في خصم كبير . فقد طالما استعان الشيخ عبد الوهاب بابنه محمد في حل المعضلات الفقهية والدينية ، وهو القائل : « قد استفدت من ولدي محمد فوائد شتى في الاحكام » .

كانت ولادة محمد بن عبد الوهاب بن محمد بن سليمان بن علي التميمي في

السنة الخامسة عشرة والمئة بعد الالف. الموافقة (١٧٠٣ م) في العينة بوادي حنيفة ، وقيل في حرمةلة . على ان المؤرخ ابن بشر يزيل على ما ارى الرب في الرواية الاولى اذ يقول : « ولد في العينة قبل ان ينقل ابوه الى حرمةلة » . فكان عبد الوهاب نقل يوم كان ابنه صغيراً فتضاربت بعدئذ الآراء في اية البلدين مستط رأسه . والاقرب الى الصحة رواية ابن بشر .

ولد محمد على شيء من الشذوذ ، وكان سباقاً في عقله وفي جسمه ، سريع البلوغ في الاتين ، متوقد الذهن ، حاد المزاج . فقد استظهر القرآن قبل بلوغه العشر ، وبلغ الاحتلام قبل اكال الاثني عشرة سنة . قال ابوه . « ورأيت اهلاً للصلوة في الجماعة وزوجته في ذلك العام » . وما عم بعد ذلك ان حج وأدى المناسك على التام واقام شهرين في المدينة . ثم عاد الى بلده واتخذ في القراءة على والده ولكنه لم يكتف بذلك فرحل طالباً المزيد . زار الحجاز والأحساء والبصرة مراراً وكان الشيخ عبدالله بن ابراهيم آل سيف النجدي والشيخ محمد حيوة السندي المدني من اساتذته . فغرس في ذهنه مذاهب دلت في نحوها الضئيل على ما ناصل فيه بسقط رأسه تحت سقف والده من مذهب الامام احمد بن حنبل . وقد كانت اكثراً اقامته في البصرة حيث قرأ الكثير من كتب اللغة والحديث على الشيخ محمد الجموعي . ولم ينحصر جهده في الدرس بل شرع يشر هنالك بما تجلي له من حقائق التوحيد . انما هو القائل : « كان الناس عن مشركي البصرة يأتون الى بشبات يلقونها علي فاقول وهم قعود لدي ، لا تصلح العبادة كلها الا لله ، فبهت كل منهم ، فلا ينطق فوه . »

اما النفوذ الاكبر في البصرة في تلك الايام فكان لا يزال للشيعة ، مكبرة الاولياء . ولكن ابن عبد الوهاب الشاب لم يحجم عن التول الحق

حسب اعتقاده ، فادهش الناس واثروهم عليه ، فاخرجوه ذات يوم من البصرة . مشى في الهجيرة مطروداً يقصد الى الزبير ، وكان في نيته ان يزور الشام ، ولكنه لصيق ذات يده انثنى عن عزمه وعاد الى نجد فأقام ووالده عبد الوهاب في حرمله . ثم شرع ييث مبدأ التوحيد وينادي باخلاص العبادة لله وحده ، فكان شديد الهمجة ، قوي الحجة . وكان في حرمله قبيلتان لاحداهما رطل من العبيد كثيري الفساد والفسق ، فحاول الشيخ محمد ان يردعهم فاغضبهم ، فقاموا عليه ذات ليلة يريدون قتله ، ففر هارباً الى العيينة .

بعد عودته الثانية الى مسقط رأسه بدأ فعلاً لنشر الدعوة . بل قد سبّت هناك نيران حربها ، فرفعت بين الانصار اعلام التوحيد ، ولعلت سيوف الحق المسلولة . اردعوا المعاندين والمعارضين ! وكان الشيخ محمد يزداد شدة يوماً فيوماً ، فاشتهر امره في جميع بلدان العارض ، في حرملة والعينة والدرعية والرباض والمنقوحة ، وتعددت اتباعه واعداؤه . بل ظهرت الانصار وكان ثيآن بن سعود واخوه مشاري في طليعتهم

ولكن النصير الاول الكبير هو عثمان بن معمر الذي كان يومئذ امير العينة . وقد انفق بن معمر وابن عبد الوهاب على العمل الاول الحظير في نشر الدعوة ، العمل الذي أضرمت نار الحامسة ونار العداء في الناس . قلت ان عرب نجد كانوا يومئذ يقدسون القبور ، بل كانوا يعبدون القباب فوق القبور ، والاشجار التي يزرعونها في ظل القباب . فأول ما باشر الشيخ محمد هو انه امر الامير عثمان تلميذه الاول من الامراء الحاكمين ، يهدم القباب والمساجد المبنية في الجبل على قبور الصحابة ، وبقطع الاشجار التي كانت تتوسل اليها الناس .

قبل الامير ، وخرج والشيخ وجماعة من الانصار الى الجبل فهدموا قباب القبور ، قبور الصحابة هناك . ثم تناول الشيخ محمد الفأس بيده

وانتهال بها على الشجرة التي كانت مشهورة في وادي حنيفة بمجاوبها ،
شجرة « المذيب » ولية الفتاة طالبة الحبيب ، والارملة ذات القلب
الكتيب ، والزوجة حاملة الطيب ، تبغي الابن الحبيب .

صانت الشجرة العجيبة وهي تهوي الى الارض ، فكان لصوتها
الرهيب صدى تردد في شعاب الوادي وفي جبال سدير . ثم اقتدى
التابعون بأمرائهم فشرعوا يهدمون القباب ويجعلون القبور مسنمة كتقبور
الصحابه .

هذا هو الحادث الاول الخطير في تاريخ الدعوة . اما الحادث الثاني
فهو اشد منه خطورة لان فيه قطع امرأة لا قطع شجرة . انت تعلم ان
الشرع الاسلامي يوجب قتل الزانية رجلاً . ودعوة الشيخ انفا هي الرجوع
الى الشرع - الى القرآن قبل كل شيء . الزانية ، هي ذي في العينة .
وقد ثبت زناها باقرارها وبشهادة اربعة اعيان^(١) فجيء بها الى الساحة
وامر الشيخ ان تُشد عليها ثيابها وترجم . رمى الامير عثمان بن معمر
الحجر الاول ، وتبعه الراجون ليتم الحكم المشروع بالسنة والاجماع .
لم يذكر التاريخ اختناً لهذه الفاجعة ، فكان الشيخ رأى فيها الارهاب
السكافي .

رُجمت الزانية ! فسرى خبرها سير البرق في البوادي والحضر ، ووقع
وقع الصاعقة في القلوب الاثيمة والقلوب الطاهرة ، فسكت أناس ،
وصاح آخرون . ومن هؤلاء اهل الحساء الذين قاموا ينجحون ، فقد
كانوا كما قلت مستمتعين بأشياء من الاباحات القرمطية ، فكتب اميرهم
سليمان آل محمد رئيس بني خالد الذي كان يحكم يومئذ حتى في العارض ،
وكان ابن معمر عاملاً له ، يهدد الشيخ المصلح بالقتل اذا كان لا يرجع

(١) وقيل ان امرأة بني جاءت الى الشيخ تلتصم التوبة على يده فردها اولاً
وثانياً وثالثاً ثم حكم عليها بالرجم .

عن غيته « في تخريب قلوب المسلمين وافساد دينهم » .
 لم يرجع الشيخ المصلح عن دعونه . فارسل الأمير سليمان الى عامله
 الأمير عثمان يأمره بقتل محمد بن عبد الوهاب . فرأى الأمير ان خير
 طريقة لحفظ منصبه ، وخلاص صاحبه ، هي ان يغادر الشيخ العينة .

دخل المصلح الى الدرعية ^(١) فكانت الهجرة الثالثة وهو في الثانية
 والاربعين من سنه . وقد نزل هناك ضيفاً على احد تلاميذه احمد بن
 سويلم ، فتهاجت عليه الانصار وبالعوا في اكرامه . الا ان محمد بن
 سعود امير الدرعية تردد في مقابلته ، فالتج عليه بذلك اخواه نتيان
 ومشاري ، فظلل متردداً . ثم لجأ الى زوجته ^(٢) وكانت من النساء
 العاقلات النقيات ، فانخبرها بما يدعو الشيخ اليه وبما ينهي عنه ، فأرتاحت
 الى ذلك ووعدتها خيراً . انما عملها يدل على ما للمرأة حتى داخل الحريم
 ووراء الحجاب من التأثير الطيب اللهم اذا كانت عاقلة ، وعاملة بشؤون
 الامة . قالت هذه « الحديجة » الفاضلة لاميرها ابن سعود : « ان هذا
 الرجل ساقط الله اليك وهو غنية ، فاعنتم ما خصك الله به » .

قبل الأمير قولها « وقذف الله في قلبه محبة الشيخ ومحبة ما دعا اليه »
 فاراد ان يدعو له القابلة ، فقال اخوه مشاري : « سر برجلك وأظهر
 تعظيمه وتوقيره ليسلم من اذى الناس » . فسار محمد بن سعود الى بيت ابن
 سويلم ورحب بابن عبد الوهاب قائلاً : « ابشر ببلد خير من بلادك وبالعرز
 والمنعة » . فقال الشيخ : « وانا ابشرك بالعرز والتسكين اذا عاهدتني على
 كلمة التوحيد التي دعت اليها الرسل كلهم » .

وفي ذلك اليوم عقد العهد الذي اجمع بين عقيدة المصلح وسيادة الأمير

(١) كتاب « ملوك العرب » (الجزء الثاني) الطبعة الثالثة ، الفصل ١٤ ص ١٠٣
 وما يلي من القسم الخامس وصف لوادي حنيفة وبلداته .

(٢) هي موشى بنت ابي وهطان من آل كبير

بين المذهب والسيف - فتعهد ابن سعود بنشر دين التوحيد في البلاد العربية ، وتعهد ابن عبد الوهاب بان يقيم في الدرعية معلماً ، وان لا يخالف اميراً آخر من امراء العرب .
ولا يزال هذا العهد مرعياً بين البيتين بيت سعود وبيت الشيخ^(١) حتى اليوم .

٢

كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب في العقد الرابع من العمر عندما بايع ابن سعود (١١٥٧ هـ ١٧٤٤ م) علي ان يكون اماماً يتبعه المسلمون ، وتعاهد الاثنان على كلمة التوحيد ونشرها بين العرب .

ولما علم الامير عثمان بن معمر بذلك جاء يستوفي حديقته ويسأله الرجوع الى العينة فلم يفر ببعيته . ذلك لان الشيخ عاهد ابن سعود علي ان يقيم في الدرعية ، فجعلها مقلداً دائماً ، فاصبحت في الشطر الثاني من حياته قطب دين التوحيد ، ومطلع انوار العلم التي كانت تنبثق من شمس المشرق . فقد تخرج عليه اناس كثيرون ، كان يرسلهم الى البلدان القاصية والذانية مبشرين ، معلمين مرشدين ، منذرين .

كانت الدرعية يومئذ بلدة صغيرة قليلة اسباب الرزق والثروة . ولما كثرت الوافدون علي الشيخ خاق بهم العيش فكانوا يجتفون في الليل ويتعلمون في النهار . وما دنا القرن الثاني عشر من الزوال حتى اصبحت اكبر مدينة في البلاد العربية ، يقيم فيها العرب من اليمن وعمان ومن الحجاز والعراق والشام .

قد رأى ابن بشر الدرعية في زمن سعود بن عبد العزيز فدهش بما شاهده من مظاهر الثروة والعمران . وقد وصف موسمها فقال « نظرت

(١) في نجد يُعرف محمد بن عبد الوهاب بالشيخ وتدعى سبلاته ببيت الشيخ .

الى موسمها وانا في مكان مرتفع وهو في الموضع المعروف بالباطن بين منازلها الغربية التي لآل سعود المعروفة بالطريف ، وبين منازلها الشرقية المعروفة بالبحيري التي فيها ابناء الشيخ ، ورأيت موسم الرجال في جانب ، وموسم النساء ^(١) في جانب اخر ، وما فيهما من الذهب والفضة والسلاح والابل والاغنام ، وكثرة ما يتعاطون من البيع والشراء ، والاخذ والعطاء . وهو مد البصر لا تسمع فيه الا كدوي النحل الاصوات ، والدكاكين الى جانبيه الشرقي والغربي وفيها من الثياب والقماش وانواع الالبسة والسلاح ما لا يوصف .

تمت كلمة التوحيد الدرعية ، فأضحت في ايام سعود الكبير عاصمة البلاد العربية ، وصار الشيخ محمد فيها المرجع الاعلى في العلوم والاحكام . على انه ظل مع ذلك يعلم ويشرح ويؤلف ويرسل ويناقش نشرأ لمذهبه ودفاعاً عنه . حتى ان اولاده الخمسة حسن وحسين وعلي وعبدالله وابراهيم كانوا عوناً له في التعليم . قال ابن بشر : « قد رأيت لهؤلاء الخمسة مجالس ومحافل للتدريس في بلد الدرعية ، وعندهم الطلبة الكثيرون من سائر نواحي نجد ومن اهل صنعاء وزيد وعمان وغيرها من الاقطار . اما التعليم فقد كان مجاناً ، بل كان للطلبة نفقة جارية من بيت المال ، وللاذكياء منهم جوائز فوق ذلك من مال وكسوة . هناك تالأت انوار الدين والفقه والحديث ، فكانت الدرعية في تلك الايام مثل رومه في العهد المسيحي الاوسط ، وكانت مدارس الشيخ محمد واولاده مثل المدرسة الكبرى برومه لنشر الايمان . ولد هذا النجدي الكبير ونشأ في بيت العلم والزهد فأشرب روحه بنيه ، واخذ احفاده وابنائهم العلم عنهم وعنه ، فهم لا يزالون حتى اليوم محافظين على هذا الارث الثمين ، الا انه ينقصهم شيء من المرونة العقلية والروحانية ،

(١) للنساء حتى اليوم في نجد سوق خاص بين يمين ويشترين فيه

يعادون غيثاً سنة التطور والعمرات .

لم يتدخل الشيخ محمد في شؤون الملك المدنية ولكن الامير محمداً وابنه عبد العزيز كانا يستشيرانه في الاحكام الشرعية ، وكانت له الصكامة الاولى في المبايعة على الامامة .

٣

ظلت الدرعية قطباً للعلم والتعليم الى يوم دمرها ابراهيم باشا المصري . وبعد ان استوطنها الشيخ شرع يكاتب الرؤساء والمشايخ يحذرهم من الشرك ويدعوهم لدين الله دين التوحيد . وكان آتئذ سليمان آل محمد امير الحساء ، وابن مفلح امير القطيف ، وابن تويني امير آ في البصرة ، وابن دواس حاكماً مستقلاً في الرياض ، وكلهم اعداء لمذهب التوحيد . هم الامراء المعادون . وهناك العلماء السنيون والشيعة الذين سخروا منه ، وافتروا عليه ، وشرعوا يتهمونه بكلام اتهم به الخوارج من قبل . حتى ان بعضهم سعى لدى الحكام في قتله .

اول من ضله وكفره ، وسعى الى العلماء في البصرة والاحساء والحرمين في مقاومته وقتله ، اثنان من مطاوعة الرياض هما محمد بن سحيم وابنه سليمان ، فقالا ان ابن عبد الوهاب خارجي ، بل من اقبح المضالين والكفار ، واصر الخوارج والنجار . ومن جملة من رفض دعوته ورد عليه في بادى الامر اخوه سليمان بن عبد الوهاب الذي كان متولياً القضاء في حريمه . ولكنه اهتدى بعدئذ وتاب ، فأقر بخطئه وقال ان كتابه لم يكتب لوجه الله

حارب المصلح العلماء اعداءه بالعلم . ولكن الجبهة ، اي عامة الناس الذين اثارهم العلماء عليه ، لا يقرأون ، وقلما يفهمون . فلما ميزون بين الزيارة والعبادة مثلاً ، وبين الاكرام والتوسل . قيل لهم ان ابن عبد الوهاب ينكر كرامة الاولياء ، وهو لا ينكر غير الدعوة لهم . وقيل انه يحرم

زيارة القبور وهو لم يحرم غير عبادتها والتشفع بها . ولكن العربان لا يقرأون وفما يفهمون غير لغة العنف والقوة . وقد احرز المصلح في تحالفه وابن سعود سيفاً بئراً . فالذي لا يفهم بالقلم يفهم بالسيف ، والذي لا يرتدع بالحسنى يرتدع بآبن عمها .

استل محمد بن سعود الحسام وراح ينهى الاعراب عن افعال الجاهلية ، ويدعوهم لدين الحق الذي هو الاسلام المجرد من الخرافات . وبأمرهم العمل بالكتاب والسنة . وكان اتباع ابن عبد الوهاب يدعون انفسهم بالمسلمين واعداً هم بالمشر كين .

أشهرت الحرب على المشر كين في السنة الاولى (١١٥٧ هـ) من العهد الوهابي السعودي ، فكانت الوقعة الاولى في الرياض بين رجال ابن سعود ورجال دهم بن دواس . وداهم هذا عصامي دون فضيلة اخرى له تذكر الا الثبات . اقتصب الامارة ، وهو من خدام القصر واستمر اميراً ثلاثين سنة في زمن الزعازع الدينية والفنن والحروب .

كان داهم خادماً لعبد يدعى خميس قتل قاتل امير الرياض زيد بن موسى ابازرعه وتولى مكانه . ثم فر عارباً فتولى الامارة داهم خادمه ، فقامت عليه الاهالي ، فاستنجد بابن سعود فانجده واقامه في مركزه . ولكن العبيد منا كيف فكيف بخدامهم ؟

دعا ابن سعود صديقه ابن دواس لدين التوحيد فآبى . ثم انصرفه فاستكبر وقال : ومن هو ابن مقرن ليحصل مفاتيح الجنة وينذر الناس بالثأر ؟ شبت الحرب . وكان ابن دواس فيها اشد اعداء التوحيد وآل سعود ، حاربهم في الدور الاول عشر سنين وهو يحتل اليوم بلداً وبخلة غداً . وحاربهم كذلك بالدهاسس والنقن . فند ظهرت الردة في سنة ١١٦٧ هـ في بعض بلدان العارض التي كانت في حوزة ابن سعود وكانت هو من عوامها الحفنة .

ولكن المصلح غلب الملق . بادر الشيخ محمد ابي نجدة ابن سمود في تأديب المرتدين . جاءت الكلمة النارية تشدح السيف وتعضده . فقد دعا الشيخ الرؤساء والزعماء من جميع البلدان الى الدرعية ، وخطب فيهم باسم الله ، فاعاد الى قلوبهم قيس الايمان ، واضرم فيهم نارية نار الجهاد . ومع ذلك فقد استمر ابن دواس يحارب ابن سمود عشرين سنة ، يحاربه بالمقاتلة والمخاطلة . والاد ثم عاداه مراراً . عاهده اربع مرات حباً بدين الله والسلام ، ونكث اربع مرات عهده . حتى انه انضم مرة الى جيشه وحارب المسلمين . على انه بعد تعدد الوقعات والمحنات والمعاهدات والخباياث تسحر في سنة ١١٨٧ هـ (١٧٧٣ م) الدخلة التامة النهائية . تسحر الامير عبد العزيز بن محمد الذي دخل الرياض ظافراً . ولكنه لم يقف بدهام الدواس الذي فرّ هارباً الى بلاد الخرج وتوفي هناك . وكان للموحدين خصم اخر لدود يدعى غريعر ، خلف الاخير سليمان رئيس بني خالد في الحساء . وقد جاء بجيش جرار من العربان ، وفيهم جنود من عتري كبيرهم ابن هنذال^(١) ، ومدافع حملتها الخيل فاجتازت بها الدفناء . نصبت المدافع وحوصرت الدرعية . وانضم الى العدو كثيرون من اصحاب الردة ، ومن اهل الوشم وسدير الذين ترددوا في قبول التوحيد .

وقد كان غريعر صاحب مكر وحيلة ، بل كان محتزماً . قعد ان حاصر الدرعية شهراً دون نتيجة يشكو عليها اختراع آلة جديدة للحرب سميت الزخافة . وهي صندوق من خشب يسير محمولاً على دراجات ، يجلس فيه من العشرة الى العشرين رجلاً وهم في امن من وصاص العدو فيسوقونه الى السور يريدون هدمه . وما شبه زخافة غريعر بدبابة اليوم .

(١) كانوا ولا يزالون من اعداء التوحيد وآل سمود ، وكبيرهم اليوم هذ بك الهذال شيخ العماوات ، فخذ من عتري .

ثم حاول عريعر ان يصب مدفعاً كبيراً يدمر به الدرعية فامر بجمع الحديد والنحاس لهذه الغاية وبأشر العمل . سببت النيران ، ونفخت المتافخ ، وذابت في المراحل المعادن ، ولكنها في النهاية صدت الطالب ، وعصت القالب . قال مؤرخ ذاك الزمان : « كلما افرغها في القالب ابت » وكان لعريعر ابن اسمه سعدون لم يرغب مثله في التوحيد فحمل على اهله في الجنوب . اجتاز الدهناء بجيشه ، ومعه المدافع ايضاً ، وهو يبغى السهامة لينجد اهله على الموحدين . ولكنه ، بعد ان جاء اليامة بمدافعه ، عاد منها بدونها ، مثلاً عاد ابوه من الدرعية . ولا تزال هذه المدافع محفوظة في بريده .

كسر الاب وكسر الابن ، فجاء للمرة الثالثة موحدين قواهما - لا بد من التوحيد على الاقل في القتال - وحاصروا بريدة ، فاستمر الحصار اربعة اشهر ، واستخدمت فيه الزخافات التي لم تخفف عن الاب والابن وجيوشهما ذل الحيلة والاندحار .

ولكن اهل التوحيد لم يستفيدوا من هذه الغلات المتوالية لاث وجود العدو في نجد كان يشجع على العصيان اولئك الذين اكرهوا في دينهم ، واولئك الذين تخاذلوا . لذلك تعددت الردات في الشمال وفي الجنوب . فكان الموحدون اذا امسكوا القصيم ينقلت من ايديهم الخرج واذا وحدث المجنعة تعود اليامة الى شركها القديم .

اول من باشر الجهاد في سبيل الدعوة الامير محمد بن سعود واخوانه . ولكن بطل التوحيد الاول هو عبد العزيز بن محمد الذي كان يغزو في الجزيرة شمالها وغربها وشرقها وجنوبها ست غزوات في بعض الاعوام ، فوصل في الجنوب الغربي الى وادي الدواسر ، وفي الشمال الشرقي الى السهولة بالعراق . باشر الغزو في سبيل التوحيد وهو شاب ، وباشره كذلك ابنه سعود - سعود الكبير فاتح الجزيرة .

قد عاش محمد بن عبد الوهاب ليرى هذا النصر المبين ويشاهد ثمار
دعوته في من كانوا يؤمنون في الدرعية من سائر الاقطار ليعلموا عليه .
ولكنه لم يعيش ليرى بفتح الحجاز ودخول سعود ظافراً الى مكة
المكرمة . فقد كانت وفاته قبل ذلك بأثني عشرة سنة ، اي في السنة
السادسة والمئتين والالف هـ . الموافقة (١٧٩٢ م) يوم كان سعود يحارب عرب
المتنق خارج البصرة ، ويوم كانت جيوش الشريف غالب زاحفة من
الحجاز لمحاربة اهل نجد .

٤

ان في الصفحة الثالثة من كتاب^(١) يتضمن عدة رسائل لمحمد بن عبد
الوهاب وابن تيمية ما يلي :

اعلم رحمك الله انه يجب على كل مسلم ومسلمة تعلم هذه الثلاث
مسائل والعمل بها :

اولاً - ان الله خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هملًا بل ارسل الينا رسولاً
فمن اطاعه دخل الجنة ، ومن عصاه دخل النار . والدليل قوله تعالى .

إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى
فِرْعَوْنَ رَسُولًا . فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا .
(سورة المزمل آية ١٥)

الثانية - ان الله لا يرضى ان يشرك معه في عبادته أحداً ، لا ملك
مقرَّب ، ولا نبي مرسل . والدليل قوله تعالى .

وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا .

(سورة الجن آية ١٨)

(١) طبع هذا الكتاب في مطبعة المنار بمصر على نفقة عيسى بن ربيع من اهالي نجد ، وهو
يوزع مجاناً . وكذلك «التحفة النيرة» التي طبعت على نفقة الامام جلالة الملك عبدالعزيز .

الثالثة - ان من اطاع الرسول ووحده الله لا يجوز له موالاته من حاد الله ورسوله ولو كان اقرب قريب . والدليل قوله تعالى .

لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ
حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ
عَمِيرَتَهُمْ . (سورة المجادلة آية ٢٢)

انك ترى اذن ان الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، مثل ابن تيمية والامام احمد بن حنبل ، يعود في هذه الاصول الى المصدر الاول الاعلى - الى القرآن فكل ما هو مبني عليه من العقائد والاحكام لا يؤد ولا ينتقد . ولكن الحنابلة والوهابيين لا يختلفون في هذا والاتفة الاخرين . انا الخلاف في التفسير والاجتهاد . فالجعفريون اي علماء الشيعة ، وهم على جهة الاجتهاد في التطرف ، يفتحون الباب على مصراعيه . والحنابلة وهم على الجهة الاخرى المناقضة يثقلونه . يقرأ الجعفريون بين سطور الكتاب ، وفي تلافيف الآيات . يبنون عليه الاحكام ، وما لا يخلو في بعض الاحياء من ابهام ، فيتخذون التفسير وسيلة للفرار من معنى الآية الحرفي . ويقول العلماء الحنابلة ان لا باب بعد الخلفاء الراشدين للاجتهاد ، ان كل ما في الكتاب واضح جلي . وهناك بين الفريقين ، علماء المذاهب الاخرى اي الحنفيون والشافعيون والمالكيون الذين يثبتون خلق التفسير ولا يغالون في استخدامه .

بعد الكتاب نجيحة السنة وهي محترمة متبعة عند الحنابلة والوهابيين . ولكن الاسناد في السنة لا يكون دائماً محققاً فيثبت بعض المحدثين بعض اعمال النبي واقواله ، ويثبت كل المحدثين بعضها ، ويختلف المحدثون في جملة منها . هوذا منشأ الاختلاف بين الشاويين والمفسرين . ولكن الامام احمد بن حنبل اهتدى على ما رأى الى الطريق التي

فيها العلم الوضعي ، الواضح الجلي ، في ما هي السنة . وكأنه غربل
 الاحاديث ونبد كل ما ليس بالاجماع ، فلا يقبل الا ما يشته الاثمة أجمع .
 وقد توصل والحال هذه الى اصح الطرائق العملية وجاء بذهب في
 الانتخاب ، ولنا ان نقول في التفسير ، يصح ان يدعى بالمذهب العقلي
 الوضعي .

هي القاعدة التي وضَّحها الشيخ محمد بن عبد الوهاب في قوله : « الحق
 والصواب ما جاءت به السنة والكتاب ، وما قاله وعمل به الاصحاب ،
 وما اختاره الاثمة الاربعة المتقدمة في الاحكام المتبعة ، فقد انعقد على
 صحة ما قالوه الاجماع » . ثم قال : « والسنة في عرف العلماء المتأخرين
 هي السالبة من الشبهات في الاعتقادات » .

وقد قام ابن تيمية في القرن الثامن للهجرة بنصر ابن حنبل وينشر
 مذهبه ، بل ينصر ما رآه حقاً ، ويبين ان مذاهب الاثمة كلها لا تختلف
 في الحق بعضها عن بعض . فألف الرسائل في الحديث والعبادات ، وفي
 زيارة القبور ، وكان للاثمة مثل الرسول بولس للمسيح .

قد اسلفت القول ان اهل نجد ، على ما كانوا فيه من سخياف العبادات ،
 هم اصلاً حنابلة . وقد كان جد الشيخ محمد وابوه وغيرهما من الفضاة
 يستخرجون الاحكام على مذهب الامام احمد . اما الشيخ محمد نفسه
 فقد طالما مثل بهذه الايات :

بأي لسان اشكر الله انه لذو نعمة قد اعجزت كل شاكر
 هداني الى الدين القويم فضلاً علي وبالقرآن نور البصائر
 وبالنعمة العظمى اعتقاد بن حنبل عليه اعتقادي يوم كشف السرائر
 قد كان الشيخ محمد معجباً ايضاً بابن تيمية مكثراً من مطالعة
 كتبه . وهو القائل : « لست اعلم احداً يجاري ابن تيمية في علم
 الحديث والتفسير بعد الامام احمد بن حنبل » . انك ترى اذن

ان المذهب الوهابي هو في اصوله المذهب الحنبلي . وازيدك علماً ان كثيرين من اهل نجد - من اهل التوحيد - يدعون انفسهم حنابلة ويؤثرون هذا اللقب على سواه .

ما فضل ابن عبد الوهاب اذن ؟ ان فضله بالرغم مما ذكرنا لعظيم . ليس من الواجب ان يكون المصلح مبتكراً لطريقته او مكتشفاً لناموس جديد في الكون او في الحياة . ان المصلح المخلص اولاً في يقينه لا يهاود فيه ولا يجاني ، وهو مخلص في عمله لا يخرج فيه عن يقينه . وانه اذا ما بلغ هذه الدرجة من الاخلاص لمتعصب . والمتعصب مقاتل حتى يستقيم المعوج ، وتصفو موارد العبادة واليقين .

اما مواد العمل واسباب الاصلاح فقد يجدها مدفونة في زوايا النسيان ، في ظلمات الماضي ، مكفنة بالغبار والصدأ والعنكبوت ، ولا يزال الرمي فيها . لا تزال ، رغم ما أثقلت به من الحُرَابِلات والخرافات ، على شيء من الحياة . ان المصلح ليجدها هنا دعوته ومصدر العمل والالهام . اجل ، حيث الحياة هناك ايضاً بذورها ، وحيث البذور هناك النشؤ والنمو والحلوى .

اتنا نقول اذن ان الشيخ محمد بن عبد الوهاب هو الذي انتقد المذهب الحنبلي بما كان يكتنفه في نجد من اسباب الفساد والاضمحلال . هو الذي اكتشف بذور الحياة فيه فاعاد زرعها وجدد موسمها . فهل ندعوه مجدد؟ انه لكذلك وفوق ذلك . هل ندعوه مصلحاً ؟ قد كان ولا شك الباعث الاكبر لاصلاح كبير في نجد ، ولكنه قصر ، اذا توسعنا بمعنى الكلمة ، دون الاصلاح الاكبر في الاسلام . عاد الشيخ محمد الى الكتاب والسنة فجاء في حملاته على الشبهات والخرافات شيء من الشدة في التحريم لا نظنها تدوم . هل ندعوه معلماً ؟ نعم هو معلم كبير ، وقد تجاوز في رسالته التعليم . فقد علم اهل نجد دين التوحيد الذي كانوا

قد نسوه ، ونفخ فيهم فوق ذلك روحاً قومية عظيمة ، تلك الروح القومية التي مكنتهم ، وهم محصورون في بؤادٍ من الرمال في قلب البلاد العربية ، من التوسع والاستيلاء ، فقلدتهم من القوة سيفاً نبوياً ، ومن التفوق روحاً حنيفاً ، ومن التقشف والصبر والثقة بالنفس ، بعد الثقة بالله ، درعاً من دروع الصحابة . هوذا الفضل الأكبر للشيخ محمد بن عبد الوهاب . ان دعوته في نتائجها سياسية كما ترى ودينية معاً . وما كانت كذلك لو لا تمسكه في أكثر الاحايين بمعاني الكتاب والاحاديث الظاهرة اي بمعانيها الخفية .

خذ لك مثلاً مسألة من أدى الشهادتين ولم يصل ولم يرك . فان الامام الشافعي واما حنيفة لا يحكمان بكفره ، اذا كان لا يجحد الصلاة وغيرها من اركان الاسلام . وحبتهما في ذلك حديث رواه عبادة بن الصامت قال : سمعت رسول الله (صلعم) يقول : خمس كتبهن الله على العباد من اتى بهن كان له عند الله عهد ان يدخله الجنة ، ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد ، ان شاء عذبه وان شاء غفر له . اما الامام احمد فيحكم بكفره ، ويحتج باحاديث منها : بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلوة . ومنها : امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ، ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله وقيموا الصلوة وآتوا الزكاة .

وهناك مسألة اخرى في الصلوة والعبادة . يقول العالم الوهابي : من قال : لا اله الا الله ومحمد رسول الله وهو مقيم على شركه يدعو الموتى ويسألهم قضاء الحاجات ، وتقريج الكربات ، فهذا مشرك كافر حلال الدم والمال . اما اذا وحد الله تعالى ولم يشرك به شيئاً ولكنه ترك الصلوة والزكاة تكاسلاً فقد اختلف العلماء في كفره . ولا عصاة للعلماء الا في الاجماع . كل واحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك الا رسول الله . جاء في الكتاب : فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله . وقال العلماء : الرد الى

الله هو الرد الى كتابه .

العود اذن الى الكتاب وما فيه من آيات يلزمها شرح او تفسير ،
وغيرها ما هي واضحة جليلة الا انها انزلت لغرض معلوم ، في وقت
معلوم . فمن عاد الى التاريخ ، ولجأ الى مفاتيح التفسير ، رحب لديه ولدى
اتباعه مجال الفكر ، وضاق غالباً مجال اليقين . ومن غسك بالمعنى الظاهر
كانت النتيجة عنده وعند اتباعه عكس ما ذكرت . اما اليقين فقد يضع
او يضعف في تعدد الشروح والتفاسير ، والعزم يضعف في ضياع اليقين ،
وتشر المذهب اذا ضعف العزم في رجاله لا يتم وقد يستحيل .

٥

لم يكن محمد بن عبد الوهاب خشن الطبع قاسي القلب عتياً ، بل
كان في حياته الخاصة والعامة لطيفاً ، حسناً ، شفيقاً ، حلماً . على انه في نفسه ،
شأن كبار المصلحين ، لم يكن لليهود او يلمن . علم الناس معرفة الله
ومعرفة النبي ومعرفة الدين بالادلة القرآنية ، والاحاديث النبوية ، على
طريقة الصحابة ، خلافاً لعلما المسلمين في الامصار الذين يعلمون هذه
الموضوعات الثلاثة على طريقة المتكلمين . قد ناله من الجلاء وادعاء العلم ما
نال كل مصلح كبير . ولا سيما وقد جاء بردهم عن عادات الابرار الاسلاف
الذين درجوا على حب البدع والخرافات . على انه لم يكفر احداً من
هؤلاء بل كاتب يقول : معاذ الله ان اكفر من قال : لا اله الا الله .
ولكنه في رجوعه الى الكتاب والسنة اصطدم بآيات واحاديث نهت
فيه نكرة الاقدمين فحرض على الاعمال التي شوهت في الماضي كل دين .
على ان الاصلاح ، في بادىء امره ، لا يكون بغير الهدم ، ولا يقوم بغير
شيء من الازهاق .

قد جد الشيخ محمد واجتهد في نفع الناس ، ولكنه رأى واکثرهم
من البدو لا يفقهون دقيق الكلام ، ولا يساقون بالبرهان ، فقال بالجهاد

خصوصاً والكتاب يقدم السلاح ، والسنة تقدم الذخيرة .

«وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا»

سورة الجن آية ١٨

أمرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدآ رسول الله وقيموا الصلوة ويأتوا الزكوة (الحديث)

قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ

تَرْجِعُونَ . (سورة الزمر آية ٢٥)

عليهم اذن ! فانهم وان قالوا : لا اله الا الله وهم يرجون شفاعته غيره ، او يشركون بالشفاعة غيره ، انهم لمشركون . قد أمرت ان اقاتل الملح . وهذا مصدر الشدة ، ومبرر القتال . وقد كتب الشيخ محمد الى عبدالله بن سحيم مطوع الرياض يقول :

«الغلو في علي بن ابي طالب مثل الغلو في المسيح . من غالى في نبي ، او صحابي ، او رجل صالح ، وجعل فيه نوعاً من الالهية مثل امت يقول : يا سيدي فلان اغثنني . او انا في حبيبك ، فهذا كافر يستتاب فان تاب والا قتل .» ومن كتاب اليه ايضاً :

«المشاهد التي بنيت على القبور التي اتخذت اوثاناً تعبد من دون الله ، والاحجار التي تقصد للتبرك والتذرع والتقييل ، لا يجوز ابقاء شيء منها على وجه الارض مع القدرة على ازالته .»

وقد قال النبي : خير القبور الدوارس . ان الشيخ محمد ليستشهد اذن بالكتاب والحديث ، وبأقوال الصحابة والائمة الاربعة ، على قتل الكفار والمشركين . ولكنه في بعض رسائله يشكو ويعتذر ، فقد جاء في واحدة منها :

«ولا يخفى انكم انت الذين عادونا في هذا الامر عم الخاصة لا العامة

فكاتبناهم وخطبناهم بالتي هي احسن وما زادهم ذلك الا نفورا »
وفي كتاب الى عبد الرحمن السويدي في العراق يقول :
« اما القتال فلم نقاتل احداً الى اليوم الا دون النفس والحرمة وهم
الذين اتونا في ديارنا ولا ابقوا بمكانا . ولكن قد نقاتل بعضهم على سبيل
المقابلة . وجزاء سيئة سيئة » مثلها »

ان هاهنا شيئاً من الغلبة للطبع الانساني ، ولكنها غلبة لا تشر
دائماً ، خصوصاً اذا اصطدمت بالتزعات والتعرات ، فتقوم الآيات مقام
الحسنات ، فلا يرى المصلح اذ ذاك غير مشرك حلال الدم والمال ،
وقبور ذي قباب لا تصلح لغير المدم . ولكن الاشراك درجات ، وفي
الآيات معانٍ ظاهرة او باطنة يتسلح بها من قاوموا الشيخ وخلوه .

وَلَا تَقْعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ . (الاية)

(سورة السبا آية ٢٢)

مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ (الاية)

(سورة البقرة آية ٢٥٦)

قال المذاومون : ورسول الله مأذون ، وبالتالي ملائكتك ، فتوسع
المتطرفون في المسألة وقالوا : والمقربون كذلك من رسول الله وملائكته ،
اي الاولياء مأذونون ، فجهز ذلك الى الشرك العقيم ، والكفر الذمير .
هي ذي حجة ابن تيمية وابن عبد الوهاب الكبيري . ليس للملائكة
ولا لاحد من المخلوقات سهم واحد في ملك الله ، وليس له اعوان
تعاونه كما تكون للملوك اعوان .

ولكن - « ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له » (الاية) .
اذن هناك شفاعة ، وهي تنفع اذا كان المتشفع به مأذوناً له . وها
هنا اختلف العلماء والمفسرون . كيف السبيل الى معرفة من اذن له الله

بالشفاعة ؟ قد اجاب ابن تيمية عن هذا السؤال واحسن التخلص فقال :
 « وفي كل حال الاذن من الله فالامر اذن كله له تعالى » . لا تزال في
 الدائرة التي لا نهاية لها . انت تردني الى الكتاب وانا اردك الى الله . واذا
 رددتني الى الله اردك الى كتابه تعالى وسنة رسوله .

اما الدعاء وهو نوع من التشفع ، فقد حله ابن تيمية في قوله مامعناه :
 ان كل ما لا يستطيعه الا الله لا يجب ان يطلب الا منه تعالى ^{١١} ولا
 يجوز ان يقول الانسان ملك او نبي اولشيخ ، سواء كان حياً ام ميتاً ،
 اغفر ذنبي او انصرني على عدوي الخ . ومن سأل ذلك فهو من المشركين
 الذين يعبدون الملائكة والانبياء والصور والتائيل . ولكن هناك نوعاً
 من الدعاء يجوز ، كأن تقول لجيرانك عند ارتحالك عنهم : ادعوا لنا
 بالخير والسلامة . هذا ما يسميه العلماء اجابة غائب لغائب . ثم توسعوا
 فيه فقالوا ان الناس لما اجدوا سألوا النبي ان يستقي لهم فدعا الله لهم
 فسقوا . وفي الصحيحين ايضاً ان عمر بن الخطاب استسقى بالعباس فدعا
 فقال : اللهم انا كنا اذا اجدنا نتوسل اليك بعم نبينا فأسقنا فسقوا .

هي ذي حجة اصحاب الاولياء . فاذا استجاب الله طلبه النبي وعم
 النبي اقلاً يستجيب كذلك طلبه صهره وابنته وابنيها والصالحين من
 سليلتيهما ^{١٢} ولكن ابن تيمية وابن عبد الوهاب يردان عليهم في قولهما
 ان هذا من باب طلب الانسان الحي ما يقدر عليه فانت حقيقة التوسل
 بالنبي وبعثه هو طلب الدعاء منهما في حياتهما . وذلك جائز . اما الميت
 فلا يستطيع امراً .

قد نهى النبي حتى عن التعظيم . لذلك لا يقبل اهل نجد يد سلطانهم ،

(١) قد ذكر ابن تيمية شفاء الامراض - امراض الادميين والبهائم - والنصر على
 الاعداء وغفران الذنوب ، وتعلم القرآن ، واملاح القلوب ، كلها من الامور التي
 لا يجوز ان تطلب من غير الله .

ولا يخضعون امامه او يطأطئون له الرأس . لا يجوز السجود والتعظيم
لغير الله . وقد نهى النبي عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها ،
فتصلّى صلاة الفجر قبل الشروق وصلاة المغرب بعد الغروب ، ليعبد
المسلمين عن العقائد التي كانت شائعة في الجزيرة خصوصاً في اليمن وفي
الاحساء ، اي عقائد عبدة الشمس والكواكب ، الجحوس والصابئين ،
فلا يسجدون مثلهم للشمس .

اما زيارة القبور فمشروعة شائعة عند الوهابيين ، والدعاء للميت هي
بمترلة الصلوة على جنازته . فاهل نجد الذين يواظبون على هذه العادة
يقولون : سلام عليكم اهل ديار قوم مؤمنين وإنا ان شاء الله بكم لاحقون .
يرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين . نسأل الله لنا ولكم العافية . اللهم
لا تحرمنا اجرهم ولا تفتننا بعدهم .

هو دعاء جميل . واجمل منه جواب النبي لرجل قال له : ما شاء الله
سئت . فقال النبي « أجعلني لله نداً . ما شاء الله وحده » . وقد قال
ايضاً : « لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد . ولكن قولوا ما شاء الله
ثم ما شاء محمد » . وهذي هي القاعدة التي يجري عليها اليوم اهل نجد
فيقولون مثلاً : ما شاء الله ثم ما شاء ابن سعود ، نسأل الله ثم ابن سعود ،
لولا الله ثم ابن سعود هلكننا .

اما التوسل فهو على ثلاث درجات :

الاولى - ان يأتي المرء الى قبر نبي او ولي او ما يعتقد انه قبر نبي او
رجل صالح ويسأله حاجته في ما لا يتدر عليه الا الله ، فهذا شرك
صحيح يجب ان يستتاب صاحبه . فان تاب ، والا قتل .

الثانية - ان يطلب المرء من النبي او الولي او الشيخ الصالح ان
يدعوه له كما يقول للحَي : ادع لي كما كان الصحابة يطلبون من النبي الدعاء .
هذا مشروع في الحلي لا في الميت من الانبياء والصالحين . دليل ذلك ان

الناس في زمن عمر استغاثوا بالعباس عم النبي ولم يبحثوا قبر النبي مستغيثين به . وقد قال النبي لا تتخذوا قبوري عيداً ، وصلوا عليّ حينما كنتم فأن صلواتكم تبلغني ^(١) .

الثالثة - ان يقول المرء : اللهم بجاه فلان عبدك او ببركة فلان ، او بجرمة فلان ، اسألك كذا وكذا . هذا شائع بين الناس ولكن لم ينقل عن احد من الصحابة انهم كانوا يدعون بمثل هذا الدعاء . وانهم اذا اجازوا التوسل بحق احد الصالحين او بشفاعته فيجب ان يكون ذلك في حياته وحضوره .

هذي هي درجات التوسل الثلاث ، ومنها واحدة فقط فيها الشرك الصحيح فيحلل ابن تيمية وابن عبد الوهاب قتل صاحبه ان لم يتب . اما الدرجتان الثانية والثالثة فالذنب فيها شبه بالخطيئة العرضية عند المسيحيين ، ولا يجوز قتل من عدو توسله منها .

(١) ليس في المذهب الوهابي او الحنبلي ما يمنع المسلم عن الحج او يوجب هدم قبر النبي ولكن الحنابلة والوهابيين يختلفون عن سواهم من المسلمين في انهم يزورون القبور للسلام كما قلت والدعاء لا للتوسل والاستغاثة . وقد كانت الصحابة اذا زاروا قبر النبي يسلمون عليه فاذا ارادوا الدعاء ينصرفون عنه ويستقبلون القبلة ويدعون الله وحده . وكانوا ينهون عن التمسح بالقبر والتقبيل . قال ابن تيمية . « ليس في الدنيا من الجادات ما يشرع تقبيها الا الحجر الاسود . وقد ثبت في الصحيحين ان عمر رضي الله عنه قال والله اني لاعلم انك حجر لا نضر ولا تنفع ولولا اني رايت رسول الله يقبلك ما قبلتك .

النبتة الثالثة

آل سعود

منذ نشأتهم الى حين استيلاء محمد بن الرشيد على نجد

١١٥٧ - ١٣٠٩ هـ

١٧٤٤ - ١٨٩١ م

امراء آل سعود

سعود بن محمد بن مقرن	توفي	هـ ١١٤٠	م ١٧٢٧
محمد بن سعود	تولى الامارة بعد ابيه	توفي	هـ ١١٧٩
عبد العزيز بن محمد	تولى الامارة	توفي	هـ ١٢١٨
سعود بن عبد العزيز	تولى الامارة	توفي	هـ ١٢٢٩
عبد الله بن سعود	تولى الامارة	توفي	هـ ١٢٣٤

فترة الاستيلاء المصري .

محمد بن مشاري بن معمر | تنازعا الامارة نحو سنة ونصف سنة
ومشاري بن سعود

تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود	تولى الامارة	توفي	هـ ١٢٣٦
			م ١٨٢٠

مشاري بن عبد الله بن حسن بن مشاري بن سعود حكم ٤٠ يوماً

فيصل بن تركي (الدور الاول)	تولى الامارة	تتول	هـ ١٢٤٦
			م ١٨٣٠

هـ ١٢٥٥

م ١٨٣٩

خالد بن سعود بن عبد العزيز تولى الامارة } هـ ١٢٥٥ م ١٨٣٩
توفي } هـ ١٢٥٧ م ١٨٤١

عبد الله بن ثنيان بن سعود تولى الامارة } هـ ١٢٥٧ م ١٨٤١
توفي } هـ ١٢٥٨ م ١٨٤٢

فيصل بن تركي (الدور الثاني) تولى الامارة } هـ ١٢٥٨ م ١٨٤٢
توفي } هـ ١٢٨٢ م ١٨٦٥

عبد الله وسعود ابنا فيصل
تنازعا الامارة تسع سنوات
من } هـ ١٢٨٢ م ١٨٦٥
الى } هـ ١٢٩١ م ١٨٧٤

عبد الله بن فيصل تولى الامارة } هـ ١٢٩١ م ١٨٧٤
تنزل } هـ ١٣٠٢ م ١٨٨٤

محمد بن الرشيد تولى على نجد من } هـ ١٣٠٢ م ١٨٨٤
الى } هـ ١٣٠٧ م ١٨٨٩

عبد الرحمن بن فيصل حكم نحو سنة

فترة الاستيلاء الرشيدى نحو عشر سنوات

الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن تولى الحكم } هـ ١٣١٩ م ١٩٠١
توفي } هـ ١٣٧٢ م ١٩٥٣

الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود تولى الملك
- هـ ١٣٧٢ م ١٩٥٣

آل سعود

الدور الاول - الفتوحات

في عهد السلطان احمد الثالث { ١١١٥ - ١١٤٣ هـ } وقبله ، ايام كانت بلاد الشام تنق من مظالم الولاة وفضائع الانكشارية ، لم يكن للدولة العثمانية اثر يذكر او يشكر في شبه جزيرة العرب . ولكن شبه الجزيرة نفسها لم تكن في حال تغبطها عليه جارثاها الشام والعراق . فقد كان الاشراف يحكمون في الحجاز وعسير ، والسادة العلويون يحكمون اليمن . وكان الامراء وشيوخ القبائل كل في قطره ، وفي قبيلته ، بحكم مستقلاً عن الامراء الاخرين ومعادياً لهم في اكثر الاحايين .

وكانت بلاد نجد والاحساء من الشعري الى قطر والكويت ومن الافلاج الى جبل شمر ، مقطعة الاوصال ، مشتتة الاحوال لا صلة لقبيلة باخرى تشر خيراً او تدوم ، ولا بين الخواضر المستقلة بعضها عن بعض صلات ولاء الا نادراً .

لم يكن والحق يقال غير السيف فاصلاً واصلاً ، ولم يكن غير الغزو سبيلاً الى الاستيلاء ، وسبيلاً رجياً الى الرزق والثراء .
اجل قد كان القتل طبعاً بالاستيلاء من الامور المألوفة . وهناك بيت من الشعر طالما سمعت امراء العرب يتمثلون به :

بسفك الدما يا جارقي تحتن الدما وبالقتل تنجو كل نفس من القتل
هذا اذا استقام الامر لامير واحد فيحكم في الجميع حكماً ابوياً
ركناء المساواة والحكمة . اما العدل فامراء العرب على الاجمال يعرفونه ويعززونه غالباً في احكامهم . ولكن القتل عندهم لا يكون دائماً دون الحرمة والنفس ، ولا يكون دائماً من اجل المساواة والعدل . قد كان

القتل على الأجمال الطريق الأقرب والأسهل إلى الاستيلاء والسيادة . أنا صاحب الرياض وانت صاحب الدرعية ، فاما ان أقتلك أو أغلبك ثم أجعلك عن البلاد واستولي عليها واما ان تفعل انت ذلك فيكون لك في ما أريده فيك . السابق إلى القتل الفائز .

ولم يكن القسم الجنوبي من نجد الذي يدعى بالعارض ليخرج عن هذه القاعدة . فقد كانت بلدانه في حوزة امراء من بنيوت وقبائل شتى يتوالون ويتغازون عملاً بمصلحة ، أو طمعاً بكسب أو دفعاً لحنة أو خطر . هذي هي البامة وهي في عزلة عن المنفوحة . وهذي هي المنفوحة وهي تابعة للرياض اليوم وحصن الرياض غداً . وهذي هي الرياض وهي مستقلة عن الدرعية ، والدرعية وهي لا تقر بالسيادة لا للعينة ولا للرياض ، وقس على ذلك . اما المسافة بين أقصى البلدين من هذه البلدان فلا تتجاوز الخمسة والسبعين ميلاً .

ومن أولئك الامراء حكام ذلك الزمان مقرن بن مرخان الذي يمت بنسبه إلى بكر بن وائل ، فجديلة ، فربيعة^(١) . ومن كبار اجداد مقرن الاولين الامير مانع الذي بسط سيادته على الاحساء وقطر والقطيف . هو جرد الموانعة الاسرة المعروفة في نجد ، ومؤسس الدرعية . ولكنه ملكه الذي تجاوز حدود نجد لم يدم طويلاً ، ولم يكن ملك ابنائه ليختلف كثيراً عن ملك سواهم من الامراء ، فما استل على غير بلدين أو ثلاثة والقرى التابعة لها . هي حال بني مقرن في طليعة القرن الثاني عشر للهجرة ، فقد كان محمد بن سعود بن محمد بن مقرن اميراً على الدرعية ، وهو على ولاء وابن معمر امير العينة وابن دواس امير الرياض . وفي عهده ظهر محمد بن عبد الوهاب مجدد المذهب الحنبلي ورسول التوحيد ،

(١) كل من انقلب إلى بكر بن وائل ومثله ينسب إلى ربيعة بن نزار يجتمع مع النبي في نزار بن معد بن عدنان .

فقتد بينها العهد الذي جاء ذكره في النبذة السابقة ، وكان
 امير الدرعية واخوانه ثنيان ومشاري وفرحان اول من
 باشر الجهاد في سبيل الدعوة الوهابية .

اما اول من قاوم المجاهدين فهو كما اسلفت القول دھام بن دواس او
 دباس صاحب الرياض ، قد حدثت المناوشات الاولى في المنفوحة ، التي
 حمل عليها دھام لان بعض اهلها غزبوا بالمذهب الجديد فبادر ابن سعود
 الى الدفاع عنهم وعن بلدتهم . هذي هي فاتحة الحرب المدنية السياسية
 بين صاحب الدرعية وصاحب الرياض ، ثم بين صاحب نجد واصحاب
 الاقطار العربية الاخرى .

وقد انتصر اهل التوحيد انتصارهم الاولى في البلدان المجاورة لهم
 بوادي حنيفة ، اي في العيينة والجبيلة وحريلة وقرها . ثم استمروا
 غازين متقدمين حتى وصلوا شمالاً الى الزلفى وجنوباً الى الخرج . على
 ان المناوشين في وسط البلاد « في الوشم وسدير ، ظلوا يقاومونهم اكثر
 من عشرين سنة وهم يحالفون اعداءهم الكبار مثل الدواس والعريعر عليهم .
 قد كان سعود الاول اذا اخذ بلداً يولي عليه احد ابناؤه ، اي ابناؤه
 ذاك البلد المتوجهين ، كما فعل في العيينة التي كان عثمان بن معمر متولياً
 الامارة فيها لصاحب الحساء . فقد تذبذب عثمان وتودد بين صاحبه وبين
 الموحدين ، فقتل في المسجد بالدرعية ، فولى سعود ابنه مشاري بن
 معمر مكانه . وذلك برايه كما يقول ابن بشر « لا برأي الناس الذين
 ارادوا انقراض بيت معمر » . وهذه الحطة التي اتخذها سعود الاول هي
 حطة الملك عبد العزيز .

قلت ان اهل الوشم وسدير لم يقبلوا في اول الامر التوحيد بل ظلوا
 يقاومون اهل الله ، ويعيشون في بلادهم ، فيغرونهم على الودة . لولا ذلك لما
 تمكن ابن دواس من محاربة آل سعود ثلاثين سنة ، فكان اذا ضاق

في الجنوب ذرعاً يشغلهم بالدسائس في الشمال .
ولم تكن الوقعات في بادئ الامر كبيرة . - واشتد القتال في
وقعة دلقه في قلب الرياض امام القصر فقتل من الفريقين عشرون رجلاً .
ولم تكن الغارات كلها ويلاً وثبوراً . - شن ابن سعود ورجاله الغارة
على دهام في قصره بالرياض فرموه بالرصاص في عليته وخرجوا سالمين .
كانهم خرجوا الى الصيد . وان هي الا نزهة في بعض الاحايين .

الا انها حروب في تأثيرها بالناس وفي اعم نتائجها ، حرب منقطعة
طويلة العهد . وقد كانت الوقعات تزداد شدة والقتلى يزدادون عدداً كلما
توسعت سيادة ابن سعود . بيداً انه لم يقتل في مدة ثلاثين سنة غير اربعة
الاف من العرب ، الف وسبعمئة من الموحدين والقات ثلاثمئة من
اعدائهم ، اي مئة وثلاثة وثلاثون رجلاً كل سنة . وقد لا يتجاوز حتى هذا
العدد من المبالغة ، خصوصاً اذا كانت الوقعات او اكثرها مثل التي
يصفها ابن بشر في قوله :

« وفي هذه السنة سار المسلمون واميرهم عبد العزيز الى الرياض
وجرت وقعة عظيمة على اهل الرياض تسمى وقعة ام العاصيف قتل
فيها اربعة من اهل الضلال ولم يقتل من المسلمين غير واحد . ثم
انقلب المسلمون الى بلادهم ، بعد تحصيل مرادهم . »

« وقعة عظيمة » قتل فيها « اربعة من اهل الضلال » . هذا الذي
يحملني على الاعجاب بابن بشر . فهو المؤرخ العربي الوحيد ، على ما اظن ،
الذي لا تصعد ارقامه في عد الجيوش والقتلى الى الالاف ، الا في
الفتوحات الكبرى التي سيجي ذكرها .

بعد محمد بن سعود واخوانه الانصار ظهر عبد العزيز بن محمد الذي شرع
في عهد ابيه بشن الغارات ، فحمل رايات التوحيد الى اقصى الاقطار العربية
وزرع بذور السيادة السعودية في البوادي والحضر . ولكنه على تعدد

غزواته واتساع مجال جولاته ، لم يكن غير مهد السبيل لابنه سعود الفاتح الاول الاكبر .

وصل عبد العزيز في غزواته الغربية الجنوبية الى وادي ١١٧٨ هـ
الدواسر ، فخرج عليه اهل نجران ، فتقهقر الى بلاد ١١٧٩ هـ
الحرج فتبعوه . وقد اصطدم الجيشان في حائر سبيع فكانت الغلبة لاهل نجران الذين قتلوا اربعة من الموحدين . اما الفاجعة الاخرى في هذه الواقعة فهي ان دھام بن دواس الذي كان قد حالف آل سعود خذلهم بل خائنهم فانضم بجيشه الى اهل نجران . ولما رجع عبد العزيز من هذه الواقعة الكبيرة عزاه الشيخ محمد بن عبد الوهاب قائلًا : لا تهينوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين .

وفي السنة التالية لواقعة حائر سبيع توفي الامير محمد فبويع على الامامة ابنه عبد العزيز الذي ظل يغزو الغزوة تلو الاخرى واكثرها على الرياض حتى تمكن من فتحها بعد خمس سنوات من امامته ، اي في السنة السابعة والثمانين والمئة والالف ، ففر ابن الدواس هاربًا .

ولم يأت بعد ذلك بحركة تزعم اهل التوحيد او غيرهم من اهل نجد . مات دھام في الدلم ، على حاشية الربع الخالي المحرقة ، وهو بعد هذه السنين الطوال يستحق الرحمة فقد كان ، رحمه الله ، ثابتًا في النضال والضلال ، ثابتًا في تصلبيه وتقلبه .

بعد فتح الرياض بسنتين اجتاز عبد العزيز برجاله النفود ١١٨٩ هـ
فوصل الى القصيم ووقف امام بريدة فحاصرها ثم دخلها ١١٩٠ هـ
ظافراً . وكان قبل ذلك قد دحر مراراً اعداء التوحيد الاخرين اي عريعر بن دجين وابنه سعدون وعربانهم الحسويين والعراقيين ، وغنم مدافعهم التركية التي جاءوا بها من الحسا محملة على الجمال . ولم ترخه هذه الانتصارات في بلاده فخرج يتبع العريعر فغزا الاحساء التي كانت

يومئذ لبني خالد وعاد منها ظافراً بغنائم كثيرة .

ولكنه في غزوانه وفتوحاته لم يقلق الدولة ويزعج المسلمين الا عندما

دخل ابنه سعود كربلاء ، محط رجال الشيعة ، ونقطة

الدائرة في شفاعة الاولياء ، فالتحت رجاله باهلها ، وبعد

مذبحة هائلة في الاسواق هدم الموحدون القبة التي قيل انها كانت فوق

قبر الحسين * ونهبوا البلد . ثم زحفوا الى المشهد (النجف) ، وخارج

سورها مدينة اخرى هي مدينة القبور ذي القباب ، فردم عنها يومئذ

بحرها ١٦١ .

اما غزوة كربلاء التي ضج لها المسلمون ، خصوصاً الشيعة منهم ،

فقد ادت الى اغتيال الامام عبد العزيز وهو يصلي العصر في الجامع

بالدوعية . قتله في شهر رجب من هذه السنة رجل شيعي جاء من العراق

مشكراً كندرويش . وقيل ان الرجل كردي من اهل

العمادية قرب الموصل . ولكن الرواية الاولى هي اقرب

الى الصواب .

وكان قبل وفاته بخمس عشرة سنة قد عين ابنه سعوداً خلفاً له ، فبايعه

الناس . اذ ذلك على الامامة عملاً برأي الشيخ محمد بن عبد الوهاب . ولا

عجب اذا اعتزل عبد العزيز العمل في شيخوخته ، وهو الذي قضى اكثر

من اربعين سنة من حياته في الغزو والحروب ، فلا كل ولا مل ، ولا

قعد بعد هزيمة ، ولا لها بعد انتصار . فقد كان يزحف برجاله من اقصى

البلاد الى اقصاها في يومى البؤس والنعيم ، فيهب يوماً على حواشي الربع

الحالي ويوماً في القصيم ، ويوماً في الحساء ، ويوماً في السماوة بالعراق ،

واتخر في وادي الدواسر ، كانه من العناصر كالظفر او السوم . وقد

(١) كان بحر النجف تهوراً مثل الاهوار التي تكثر عند ملتقى الزابدين وحول
البحرة ولم يبق منه اليوم غير ارضه المنجوفة الجافة .

كان مطراً للموحدين وسجماً لأعدائهم ، يغزو في بعض السنين ست غزوات ويعود بالغنائم الى الدرعية فيقسمها على السواء بين رجاله .

اما ابنه سعود فكان قد باشر الغزو قبل ان يبيع على الامارة والامامة ، فظهرت فيه قوى التوحيد ، توحيد الدين وتوحيد السيادة العربية ، بأروع مظاهرها وأقمتها . هذا بالرغم من تظاهر عليه من الأعداء الأشرار ، وقوة كل واحد الحربية تفوق قوتي العربي والدواس معاً . كيف لا وهم من ولاية الدولة العثمانية او من خلفائها بعضهم وقدمهم بالسلاح والرجال ، وبالذخيرة والمال .

ومن هؤلاء الأعداء الشريف غالب بن مساعد شريف مكة في ذلك الزمان . فقد كان على ما يظهر حائراً في بداية امره لا يريد ان يعادي ابن سعود او يواليه . ولكنه اظهر في الموالاة ميلاً مريباً عندما كتب الى عبد العزيز ابني سعود يسأله ان يرسل اليه عالماً من علماء نجد ليفهمه دعوة ابن عبد الوهاب . فارسل الامام احد قضاة نجد يحمل كتاباً من الشيخ الى العلماء الاعلام في بلد الله الحرام . ولكن اولئك العلماء لم يرغبوا في مناظرة القاضي النجدي ، ولا كانوا مع الشريف في ما اظهر من حب المسالة والولاء ، وقد يكون هو المصانع وهم خدام قصده الحقيقي ، اذ انه شمر منذ ذاك الحين ، وهذي هي الحقيقة التي لا ريب فيها ، عن ساعد العداوة لاهل نجد ، فارسل اخاه الشريف عبد العزيز بجيش من عرب الحجاز ، وقد انضم اليه كثيرون من عربان شمر ومطير وقحطان ليهاجوا الدرعية . ولكنهم توقفوا في وادي السر ، فحاصروا قصرًا من قصوره دون طائل . ثم جاء الشريف غالب نفسه بنجد اخاه ، وعادوا بعد اربعة اشهر الى الحجاز دون ان يصيبوا مغنيًا .

على انه قد كان لهذه الغزوة نتيجة سياسية ظهرت في قيام عرب شمر

ومطير على الموحدين ، ففرضهم سعود في وقعة العدو (١) ضربة شنتت
شملهم ثم غزا جبل شمر فادخل اهله في دين التوحيد .

ومن أعدائه سليمان باشا والي العراق الذي لم يكن في قصده مخاتلاً .
فقد سير العساكر الى الاحساء لمحاربة اهل نجد فيها ، وكان ابن سعود قد
احتل المحفوف والمبرز ، فعادت عساكر الدولة مدحورة .

اما تويني بن عبدالله الذي كان عاملاً في المنتفق والبصرة ، والذي
انهزم مراراً في حملاته على اهل نجد ، فامرّه عقيب . عندما عزله والي
بغداد لجأ الى عدوه الامير عبد العزيز في الدرعية فاكرمه واغدق عليه .
ثم عاد فلجأ الى والي سيان عندما كان يجهز حملة جديدة على آل سعود .
جاء تويني متندماً ، ثم جاء متبجحاً - انا الذي يجمع الاموال ، ويقتل
الرجال ، وينتصر في كل حال . نخدع والي ثانية وامرؤه على الجيش
فجاء بالمدافع الضخمة يحاصر بريدة فحاصرها ، وترك مثل غريب مدافعه
وكثيرين من رجاله تحت اسوارها .

لم نهزم لسعود راية في غزواته كلها وفتوحاته ، ولا حالت دونها
اوعار شبه الجزيرة واهوال بواديا . فقد اجتازت جيوشه حتى الحرة . قال
ابن بشر : « سار بالمسلمين يعتسف من الفيا في السهل والصعاب ، ويطوي
من اديم الارض كل موحشة يباب ، لا يسمع فيها غير اصوات العرج
والذباب ، يضل فيها التظا ، وبحير الحريت في مهاهبها ، لا يرى بقفرها
أنيس ، ولا يبصر في رحبها اثر العيس . مظباء يحاكي لون ادنيا زرقه
السماء ، مغيرة الافق والارحاء ، يحس الساري بنا للجن فيها من الغمغة
والززمة . وبعد انضاء الاعوجيات ، وارقال المهرجات (٢) وسبابس
الفلاة تبين له سواد الحرة » .

(١) من مزارع شمر قرب حائل

(٢) الارقال نوع من السير والمهرجات نوع من الابل تنسب الى مهره اسم قبيلة .

الحرة ! تلك المغارة البوكانية وهي في حصاها المسنة وحجارتها التي كالسياخ اكثر احوالاً مما وصف ، وكان في وصفه صادقاً . اني التخيّل ابن سعود ورجاله يرددون دائماً بيت ابن ثعلبه :

ولا تجهمني ليل ولا بلد ولا تكأئدني عن حاجتي سفر
رفعوا رايات التوحيد في ما وراء الحرة ، وفي جبال شمر وعُمان ،
وشيد سعود قصرًا للحامية في البرية على حدود مسقط الف قدم فوق
البحر^(١) ووصل الى رأس الحيمة على الخليج ، وزحف الى توبه فاحترب
والشريف غالب فيها فكسره . ثم بايعه اهل البلد « وديشوا »^(٢) فكانت
فاتحة المأساة الحجازية التي ختمت بنصر ابن سعود ثانية في
العقد الثاني من القرن العشرين .

قيل والقول سديد ، ان توبه مفتاح الطائف ، والطائف مفتاح مكة .
ومن مدهشات التاريخ في ما يعيده من اخباره ما سأقص الان . كاث
للشريف غالب وزير من بيت المضايفي اسمه عثمان بن عبد الرحمن^(٣) ولم
يكن على ما يظهر مداجياً فوقع بينه وبين الشريف خلاف ، فطرده من
مكة ، فجاء المضايفي الى ابن سعود يبايعه . ثم جمع له من اهل البادية
والحاضرة ، من بدشة ورنية وتوبه وقراها جيشاً كبيراً لمحاربة الشريف .
فزحفت الجيوش الى الطائف وكان الشريف غالب فيها ففر مهزوماً الى
مكة ، فتتفاه سعود والمضايفي بالجنود . وكان وقت الحج فيهم^(٤)
الحجاج بمقاتلة الفاتحين ولكنهم تخاذلوا وعاد كثير منهم الى
اوطانهم . دخل سعود مكة ظافراً ، وكان الشريف غالب وعساكره

(١) قد زار الدكتور زويمر Zwemer بركة سنة ١٩٠١ فوجد الناس هناك
مقيمين على دين التوحيد مع انهم من رعايا صاحب مسقط .

(٢) يقول اهل نجد « دين » اي دخل في دين التوحيد .

(٣) من حنات امراء العرب والاشراف انهم يحافظون على البيوتات التي تقلص
لهم الخدمة . فقد عرفت واحداً من بيت المضايفي في خدمة الشريف علي ملك الحجاز السابق .

واقبائه قد رحلوا الى جده ، فاعطى اهلها الامان . ثم شرع ورجائه يهدمون القباب التي بنيت فوق القبور (١) .

وقد كتب سعود كتاباً الى السلطان سليم الثالث هذا معناه :

« من سعود الى سليم : اما بعد فقد دخلت مكة في الرابع من محرم سنة ١٢١٨ وامننت اهلها على ارواحهم واموالهم بعد ان هدمت ما هناك من اشياء الوثنية ، والغيث الضرائب الا ما كان منها حقاً . وثبت القاضي الذي وليته انت طبقاً للشرع فعليك ان تمنع والي دمشق ووالي القاهرة من المجيء بالمحمل والطبول والزمر الى هذا البلد المقدس فان ذلك ليس من الدين في شيء وعليك رحمة الله وبركاته » .

بعد فتح مكة بسنتين استولى الوهابيون على المدينة ، وكانت الدعوة اثناء ذلك اي دعوة التوحيد ديناً وسياسة تنتشر في عسير واليمن حتى كادت تعم تامة بأسرها . وكان الزعيان عبد الرحمن ابو نقطه وطامي بن شعيب من اكبر حلفاء سعود هناك ، فبايعه اللحية ثم الحديدية وبيت الفقيه ، وكانت قد بايعته اسد القبائل بأماً ، منها رجال الماع في عسير وعرب الياح في نجران .

بعد فتح المدينة اتجهت انظار اهل نجد الى الشمال فوصلوا ٥١٢٢٠ هـ ١٨٠٥ م في غزوهم الى الجوف والبتراء ، واجتازوها الى حوران والكرك ، فوقفوا منتصرين عند ابواب الشام وفلسطين . وقد ارسل

(١) خذ النسخة الثانية لهذه الصفحة وقد كتبت بعد مئة وعشرين سنة . الشريف خالد بن لؤي هو تسيب الملك حسين السابق ، وقد كان بين الاثنين خلاف تأصل فاحرج خالداً واحرجه . خرج علي الشريف حسين فجمع العربان من تربه والحرمه وورثيه وفرأها وانضم الى الاخوان جيش ابن سعود في حملته على الحجاز ، فاكسحت الجيوش الطائفت وقد كان فيا الشريف علي فتقهر الى مكة . ثم دخلوا مكة محررين يوم كان الملك حسين المخلوع وابنه الملك علي والجنود والانباغ قد انسحبوا الى جده .

الامام سعود كتباً الى الولاة هناك يدعوهم فيها الى دين الله . ولكنه في طموحه الى بلاد الشام لم يكن ذلك الرجل الذي دوّخ البلاد العربية كلها فدانت له العرب حتى على حواشي الربع الخالي في نجران وُعثمان . ومع انه حاول ان يتخذ له انصاراً من اولياء الامر في سورية جرياً على طريقته في الاستيلاء فان منعه للحج ومعاملة رجاله للحجاج افسدا الامر عليه . قال محمد كرد علي في كتابه خطط الشام :

« خرج عبدالله باشا العظم (والي الشام يومئذ ١٢٢٠ هـ) بالحمل فحدثت بينه وبين الوهابيين امور عظيمة ، فهلك عسكره وانتهب الخاسر » وفي السنة التالية منع الامام سعود الحجاج غير الموحد من الحج وخرج من مكة من كان فيها من الترك . اصف الى ذلك انه لم يؤمن الاوروبيين الذين كانوا في جده ، فخرجوا منها سنة دخوله الى مكة ، وكانوا في مجرد عملهم ذلك خجعة على حكيمه .

اما الدولة العثمانية ، وقد اصبح العدو على ابواب اغنى ولاياتها واجملها ، فلم تستطع في فساد احوالها ان تقوم مباشرة بعمل خطير . ولكنها بعد ان كسر الوهابيون الجيوش التي ارسلها عليهم ولائها في العراق والشام ادارت بنظرها الى مصر ، فطلبت من محمد علي باشا ان يتولى بنفسه انتفاذ الحرمين واخراج اهل نجد من الحجاز .

تردد محمد علي في بادى الامر لا لانه لم يكن ليؤرب فيه او يستطيعه بل لان المالك كانوا يومئذ مسيطرين وكان يخشى ان يتروك البلاد وشؤونها في ايديهم . اعاد الباب العالي الطلب مراراً وقد هدد الباشا اذا كان لا يذعن للامر ، والباشا راغب فيه ، الا انه كان يتحين الفرص . وقد رأى في الادعاء ثلاث فوائد كبرى لنفسه : الاولى انه يبعد جيشه الالباني الغير المنظم الكثير التمرد فيتمكن اثناء غيابه من تنظيم جيش مدرب على الطريقة الغربية . والثانية انه يأخذ من الدولة الاموال التي كان في

حاجة اليها بحجة لزومها لتفقات الحرب المقدسة . والثالثة ان هذه الحرب تجمع عواطف المسلمين في العالم على حبه وولائه بصفته منقذ الحرمين ومعيد مناسك الحج .

وفي هذه الاثناء كان الامام سعود يحج ورجاله كل عام ويكسو الكعبة « بالقليلان الفاخر » . وكأنه تصالح والشريف غالب فاذنه بالعودة الى مكة ، وكان الاثنان يتزاوران وينبادلان الهدايا . اما المؤرخ ابن بشر فهو لا يحسن الظن بالشريف ، وقد قال في هذه المهادة : « واعطاء غالب مثل ذلك خدعة والمؤمن غر كريمة » هي كلمة لا تخلو من حق ، فقد كان الشريف غالب مستمراً في سعيه الحثي لاجراج سعود وجماعته من الحجاز .

في خريف هذه السنة بعد قتل المالك وانجاز اسطول من ١٨١١ م السفن في السويس ، لبي محمد علي طلب الباب العالي ، فارسل ابنه طوسون ، الذي كان لا يزال في السابعة عشرة من سنه ، يقود ثمانية الاف من الجنود جاءوا بحراً وبراً ^(١) الى ينبع ، ومعهم ضباط اوروبيون وعدد من المجازفين والمستوزقين الذين كانوا في عسكر بونابرت . زحف هذا الجيش من ينبع بمعداته ومدافعه ، وكان اهل نجد قد استعدوا للقاءه ، فخرج ثمانية الاف منهم بقيادة عبدالله ابن الامام سعود الى مكان يدعى الحيف بوادي الصغرى قرب المدينة . هناك التحم الجيشان في العشر الاواخر من ذي القعدة ، وكان الغلبة بعد ثلاثة ايام من القتال الشديد لاهل نجد ، فانهزم المصريون تاركين وراءهم الحيام والمدافع والذخيرة والارواق وعدداً كبيراً قيل خمسة الاف من القتلى والجرحى والشاردين ما عدا الحيل والرواحل . اما العرب فقد قتل منهم

(١) جاء ستة الاف بالسفن ، وجاء برآ الفان من الحياطة الترك والعرب يفودهم طوسون .

نحو ستمئة . واذا فرضنا المبالغة في العددين فوقعة الصفوف تظل مع ذلك اكبر ووقعات الحرب الوهابية حتى ذلك الحين .

تفكر طوسون بما تبقى من جيشه المنهزم الى ينبع ، فارسل منها يطلب النجدات .

وفي هذه السنة التي هي خاتمة المجلد لآل سعود الاولين حج الامام سعود للمرة السادسة او السابعة وكسا الكعبة على عادته بالقليلان والمديباح الاسود . ثم طاف رجاله في اسواق مكة يردعون الناس عن الجاثث ، وينهون عن المنكر ، فمن رأوا منه عملاً مخالفاً للشرع اذبه في الحال بموجب الاحكام الشرعية . وقد ادت هذه الشدة الى الردة في بعض البوادي كما سيلي .

قال ابن بشر ان الامام سعوداً ارسل النجدات الى المدينة وامر بتحسينها ثم عاد الى نجد . ولا تعلم السبب في عودته في مثل تلك الحال وهو يعلم ان طوسون مرابط في ينبع ينتظر النجدات ، وان عرب الحجاز يتذبذبون بينه وبين اهل نجد وقد ينقلبون عليهم .

جاءت النجدات المصرية في السنة التالية ، فاعاد طوسون الكورة على المدينة ، بعد ان احتل ينبع النخل ، وضم الى جيشه كثيرين من عرب جهينه وحرب . وقد كان في المدينة سبعة الاف من اهل نجد فحاصرها المصريون حصاراً شديداً دام خمسة وسبعين يوماً . وصوبوا على القلعة المدافع ، وحفروا اليها السرايب التي اشعلوا فيها تحت الاسوار البارود ، ثم قطعوا عن المدينة المياه ، وجاءت الامراض تساعدهم على المرابطين المحاصرين . بل قام الاهالي ايضاً على النجديين فامسوا بين نارين ، والوباء يساعدهم في حصادهم . مات منهم اربعة الاف ، على ما قال ابن بشر ، قبل ان انفتحت ابواب المدينة للمصريين .

قد استبشر الشريف غالب بهذا النصر فبأشر السعي جبراً
 في تحقيق المقاصد التي كان يبتغيها . ثم بدت في هذه السنة
 قرون الفتنه فانتشرت الردة في مكة والطائف ، فدخلها طوسون
 بمساعدة الشريف بدون قتال . ولكن النكبات التي توالى على التجديدين
 لم تبق حتى على عدوهم الشريف . ولم ينبج المصريون من اهوالها الطامية
 الجارفة . فقد مات منهم مئات بالوباء الذي كان حليفهم على اعدائهم ،
 وقد قدرت خسارتهم كلها في المثلين بمائة الاف من الرجال . ثم جاء
 محمد علي نفسه بنجدات جديدة . جاء يسرع بانجاز العمل الذي باشره ابنه
 وخسرفيه هذه الحسارة الجسيمة ، فوصل الى جده في ٣٠ شعبان
 (٣١ آب) من هذه السنة ، فاستقبله فيها الشريف غالب مرحباً مكرماً ،
 ثم رافقه الى مكة .

وعندما استقر محمد علي هناك جازى الشريف في ان قبض عليه وعلى
 اولاده عملاً بامر شاهاني كما ادعى وارسلهم اسرى الى مصر . ثم حجز
 جميع ما كان في خزائن غالب من الذهب والفضة ، واخرج حرمة من
 قصر جباد ، ونصب مكانه ابن اخيه الشريف يحيى بن سرور .

اما آل سعود فلم يكونوا اوفر حظاً لدى القضاء من بيت عدوهم
 الشريف . فبعد اربعة اشهر من جلائهم ، اي في ١١ وقيل في ٨ جمادى
 الاولى من السنة التاسعة والعشرين والمئتين والالف (٢ ايار سنة ١٨١٤)
 مات في الدرعية الامام سعود وهو في الثامنة والستين من عمره . مات ،
 لا بالحمى ، كما قال هو غارث نقلاً عن احد المستشرقين الذين كانوا يوسئ في
 مكة ، بل بعلة في المائة ، وقل بعلة اخرى هي نكبة اهل نجد في
 الحجاز التي عجلت ولا شك في اجله . وقد كانت ولايته احدى عشرة
 سنة اذا حسبناها من يوم وفاة والده عبد العزيز ، وسبع وعشرين سنة اذا
 عدت من يوم بويوع بالامارة في السنة الثانية والمئتين والالف .

هو يدعى بالكبير ، وقد خص بتلك السجايا او باكثرها التي تؤهل رجل التاريخ لهذا اللقب . فقد كان في عظمته متواضعاً ، وفي حركته ورعاً ، وفي عدله حليماً ، وفي سياسته جامعاً بين المرونة والمضاء . اصف الى ذلك ذكاً لم يكن عادياً ، ولم يقف به عند حد السياسة . فقد كان مولعاً بالعلم ، محباً للعلماء والطلاب ، فلم يستنكف من عقد مجالس القراءة والتدريس في قصره وتحت مشاركته عندما يكون في العاصمة . بل كان هو يتولى التعليم في بعض الاحايين فيدهش حتى العلماء بما كان يحسنه من علمي التفسير والفقه . وبالرغم من تعدد مشاغله ومشاكل ملكه البعيد الارحاء كان يزور مجالس التدريس العامة ، فيطلع على اعمال الطلبة ويجزي منهم الاذكياء المجتهدين .

وقد كان سعود كبيراً في اخلاقه مثله في اعماله ، لا ينكر الفضل على ذويه وان كانوا من اعدائه ، ولا يقف في احسانه ومكارمه عند شبهات النفس واهوائها . مثال ذلك معاملته للشريف غالب على ما كان يبطنه الشريف من الكيد والغفل . فلو كان فاتح مكة غير سعود ، لو كان محمد علي مثلاً ، لما اذن للشريف بالعود اليها بعد ان فر منها هارباً الى جدده .

اما في غزواته وفتوحاته فلم يكن ليخرج عن القواعد ان الحرب خدعة . وللعرب في ذلك اساليب ثقتون فيها السذاجة بالدهاء . فقد كان سعود اذا اراد ان يغزو الى جهة الشمال يظهر انه يريد الجنوب والغرب والعكس بالعكس . وعندما نزل الرقعة في غزوة الاحساء امر رجاله ان يوقد كل واحد منهم ناراً وان يطلقوا كلهم البنادق عند طلوع الشمس ليرهبوا اهلها . فلما اظلمت الشمس فعلوا ذلك دفعة واحدة فارتجت الارض واطلمت السماء واسقط كثير من الحوامل في الاحساء . هذه الطريقة في الحرب طريقة الارهاب والترويع مألوفة عند العرب خصوصاً

عند أهل نجد .

ولا حاجة لذكر البسالة في سعود الكبير والاقدام ، وعلو الهبة والمرام . فان في فتوحاته الشاهد الاكبر على ذلك . اما حكمه فقد كان له مزيقان كبيرتان رائعتان هما الامن والعدل . الامن وكان اساسه العقاب الشديد السريع بموجب الاحكام الشرعية ، والعدل وكان اساسه الامن المساواة وعدم المحاباة . بيد انه لم يكن على شيء من الادارة ، ولا كان النظام ، ما عدا بعض قواعد اساسية تتعلق بالجيش ، معلوماً . فلم يكن ليربط النواحي القصية بعضها ببعض غير كلمة الامير ، ولم يكن ليحفظها وثيقة العري غير جملته فاذا ذهبت الصولة ذهب الملك .

آل سعود

الدور الثاني - الفوضى

لم يكن طوسون الشاب قوي البنية او الارادة ، ولا كان على شيء من الحزم كبير ، فأعيتة حرب الحجاز واخنته . ولولا عرب الحجاز لما عقد له النصر في حملته الثانية على عرب نجد . بيد انه كان مثل ابيه واخيه ابراهيم متساهلاً في دينه ، عاملاً بتساهله في امور شتى سياسية وغير سياسية . وكان يميل خصوصاً الى الاوربيين ويجب الانتفاع بعلومهم واختراعاتهم . قد اشرت الى اولئك المجازفين منهم والمستورقين الذين كانوا في الجيش المصري . ومن اغرب امورهم ، بما يدل على التساهل الذي ذكرت ، ان احدهم وهو اسكتلندي اسمه توماس كيث تولى برهة حكم المدينة المنورة .

على انه لم يكن بينهم اديب عالم يدون حوادث تلك الايام ، او ينقل الينا شيئاً من معلوماته هنالك . ولا اظن ان احداً منهم دخل مكة ولو خلسة عندما استولى طوسون عليها ، لانه لم تكن لهم العقلية العلمية التي تحمل صاحبها على الاستكشاف والاستطلاع ، الا احداً ذكره هو غارث وقال ان ما كتب بعد قافياً .

على ان هناك ثلاثة لم يحيثوا الحجاز محاربين ، ولا جاءوا مع المصريين ، وهم جديرون بالذكر لانهم من العلماء المستشرقين المستعربين الذين دخلوا مكة يوم كانت الوهابيون مستولون عليها ، فرأوهم عن كتب وكتبوا عنهم بدون تحيز او تحامل .

اول هؤلاء رجل اسباني اسمه دومينغو باديا اي بلبلخ^(١) انتحل اسماً

ونسباً ودينياً عربياً وجاء من قادش عن طريق الجزائر الى الحجاز . هو علي بك العباسي الامير المكرم ، والعالم المحترم ، والحاج الورع الموقر ، رسول بونابرت الى البلاد العربية . اجل قد جاء حاجاً ، مستكشفاً ، فنزل في جده تحف به الخدم والحشم ، وسار الى مكة المكرمة محرماً ، مثل من جاءوها من اهل نجد ، فدخلها في ٢٣ يناير سنة ١٨٠٧ (١٤ ذي القعدة ١٢٢١) . وقد شاهد جموع الوهابيين ، وحج معهم واعتبر . ^(١) سمع العج ، وحضر الشج وكان في ظاهره عربياً حقاً ، ومسلماً حقاً ، لاتعبيه كلمة يقولها ولا تخونه فعلة او اشارة ، فما شك احد في دينه او في نسبه . وقد اجتمع علي بك بالشريف غالب فقال انه في العقد الرابع من العمر وانه على جهله ذو حصافة ودهاء . رآه لأول مرة في مجلسه وهو يدخن النارجيلة التي كانت محبوبة خوفاً من الوهابيين . فلم ير السائح الاوربي غير التبريج الذي كان يتصل من خرق في الحائط بالنارجيلة وراءه في الغرفة المجاورة للمجلس .

والعباسي هذا كان دائماً يحمل في حقائبه ادوات للرحل والمساخة ، فاستخدمها في مكة وجوارها دون ان يعترضه احد من الناس . بل كان محترمه الجميع . وقد حاز فوق ذلك شرفاً لم يحزه سواه من المستشرقين ولا يجوزاه الا الافراد القلائل من المسلمين . الا وهو شرف كناسة الكعبة . ولكنه على ما يظهر لم يفلح حتى النهاية في تنكبه . فعندما قصد الى المدينة زائراً صده عنها الوهابيون فعاد الى ينبع ومنها الى مصر فباريس حيث اجتمع بنابليون وعين في حاشية اخيه يوسف بونابرت . وقد عاد علي بك الى الشرق في سنة ١٨١٨ م فسافر الى دمشق ليروحل رحلة ثانية الى البلاد العربية ، ولكنه وهو لا يزال في اول الطريق

(١) كان الامير سعود وابو قطه يتقدمان الى عرفات الحجاج وهم خمسة واربعون

الفا ، ومعهم علي بك

اصيب بالديزنتاريا فمات في المزارب .

إذا صرفنا النظر عن مهمة علي بك السياسية فانه كعالم صادق الرواية . وهو اول اوروبي شاهد الوهابيين في مكة وقضى ايامهم مناسك الحج . وصفهم وهم يتزاحمون عند الحجر الاسود ويتسابقون اليه فقال (الجزء الاول صفحة ٧٢) انهم مُرهبون ولكنهم :

« لا يسلبون الا ما كان حلالاً في مذهبهم اي مال العدو والكفار . وهم اذا اشتروا شيئاً يدفعون عنه كما انهم يدفعون اجرة من يخدمونهم ، فلا يصادرون ولا يسفرون . ومنهم الفقراء الذين كانوا يدفعون رسوم زمزم والكعبة من البارود والرصاص الذي كان معهم . وبما انهم يطيعون اميرهم طاعة عمياء فهم يجهلون من اجله كل شدة ساكتين صابرين ، ويسبرون اذا امرهم الى اقصى اطراف الارض » .

من فضل الوهابيين في فتحهم الحجاز انهم لفتوا نظر العالم الى البلاد العربية ، ونبهوا العلماء المستشرقين الى تكشيف احوالها ، فجازفوا بحياتهم وفادى اكثر من واحد بها ، طلباً للعلم .

ومن هؤلاء العالم الالماني ألريخ زتسن^(١) الذي قضى عشرين سنة يدرس ويتأهب لرحلته في الشرق . فجاء سورية سنة ١٨٠٥ واقام في الشرق الادنى بضع سنين ، وكتب في رحلته كتاباً باللغة الالمانية قيساً^(٢) ثم سافر الى الحجاز في زي درويش اسمه الحاج موسى فدخل مكة حاجاً سنة ١٨١٠ ، وارتحل منها الى اليمن ، فزار صنعاء ونزل الى عدن . قد كانت في نية زتسن ان يجتاز شبه الجزيرة الى الخليج ليسوح في الشرق الاوسط ، فعاد من عدن ووجهته الجبال . ولكن عند مروره بتعز

(١) Ulrich Jaspas Seetzen (١٧٦٢ - ١٨١٩)

(٢) قد نشرت مجلة الكلية في سنتها العاشرة خمس مقالات للاستاذ هارولد تلسن عن

زتسن ورحلته في سورية ولبنان .

اعترضه بعض الناس وقد راهم امره فقتلوه . لم يكن هذا المستعرب الالمانى على ما يظهر مثل علي بك العباسى بارعاً بالتسكير ، ولكنه كان اوفر علماً وازة قصداً .

وهو الذي قابل الامام سعوداً في مكة وكان قد تربى بقيافته واسلامه . ولكن كبير الوهابيين بل كبير العرب يومئذ لم يانع العالم الاfrican في تجواله . قال هوغارت : « كان زتسن نباتياً مشهوراً في اوربه ، وهو من العلماء الافاضل ، له نظرات ثاقبة صائبة في الاشياء وفي الناس » . وان من يقرأ ما كتبه عن بعض الحكام في سوريه ، وبعض النباتات والصناعات في لبنان ، ليتأكد ذلك ويأسف جداً لان كتبه ومذكراته فقدت بعد موته في اليمن ، فحرمنا رايه في الوهابيين واميرهم الاكبر سعود .

ولكن المستشرق الثالث الذي صاح في الحجاز في العقد الثاني من القرن التاسع عشر كان اوفر حظاً من زميله الالمانى والاسباني . هو الحاج عبدالله اى السويسري المشهور بركهارت^(١) صديق محمد علي وصديق العرب والاسلام . جاء الحجاز عندما كان محمد علي هناك ، فنزل في جده في ١٥ تموز سنة ١٨١٤ ، وسار منها الى الطائف ، ثم دخل مكة المكرمة في ١٩ رمضان ١٢٣٠ (٢٤ اغسطس ١٨١٤ م) بعد استئذان صديقه العظيم ، وهو يومئذ سيد الحرمين ، فصح مع من حبوا في ذلك العام ، واقام في مكة ثلاثة اشهر . ثم سافر الى المدينة فادى الزيارة في ابريل سنة ١٨١٥ يوم كان محمد علي باشا هناك . ولكنه مرض في المدينة فعاد الى القاهرة في ربيع ذاك العام ، وتوفي فيها وهو في ربيع الشباب .

كان بركهارت في قيافته وفي اسلامه محترماً موقراً . وقد قال

يصف نعمة نجح فيها . « ما شعرت في مكان آخر بمثل الطمانينة التي كنت اشعر بها وأنا في مكة » .

ولكنه لم يحفل او يتجاهل ما اشتهر به المكيون والترك يومئذ من قبيح العادات والتقاليد ، فذكرها كلها ، وقد قال في كلامه على الوهابيين انهم حقاً جاؤا يطهرون الحجاز - ثم قال :

« وما الوهابية اذا جئنا نصفها غير الاسلام في طهارته الاولى . واذا ما جئنا بين الفرق بين الوهابيين وبين الترك مثلاً فلنا الا ان نعد الحباث التي اشتهر هؤلاء بها » .

هاك شهادة الاجانب وهي شهادة العلماء المزهين عن الاغراض الشخصية والمذهبية . « جاء الوهابيون يطهرون الحجاز » .

وجاء الترك او بالحري المصريون ينقذون الحرمين من المظهرين فالتقذوهما وجلس محمد علي في مكة يصدر الاوامر الى جيشه ٥١٢٢٩ في المدينة ليؤخف الى نجد ، وجيشه في الطائف ليحتل تربه ، وجيشه الثالث ليذهب براً وبحراً الى التنفذة فيؤدب عرب عسير المدّين ، انصار ابن سعود وزعيمهم ابن شعيب .

كان المصريون قد احتلوا التنفذة في اذار من هذه السنة فاغار العرب عليهم بعد شهرين بقيادة طامي ابن شعيب ، فهزموهم فلاد من ٥١٢٣٠ سلم منهم بالسفن . وقد غم العرب المدافع والذخيرة كلها مع ١٨١٤ عدد كبير من الخيل والجمال .

اما الحملة الاولى التي سيرها محمد علي على تربه في صيف هذا العام بقيادة ابنه طوسون فقد عادت مدحورة تشكو الحر والجوع . والحملة الثانية عادت تحدث عن بدوية^{١١} باسلة كانت في طليعة العربان تحرضهم

(١) هي غالية امرأة احد مشايخ سبيع وقد هاجمت بنفسها جيوش مصطفى بك قائد الحملة فزمتهم شر هزيمة .

على القتال . فجهز محمد علي حملة ثالثة مؤلفة من الفين جندي والفين من عرب الحجاز وخمسة خيال ، كما جاء في البلاغ الذي ارسله بعدئذ الى اهل المدينة ، الشبيه ببلاغات الدولة العلية في الحرب العظمى ، وراح هو بنفسه يتوود تلك الحملة ، فالتقى في ريسل بين الطوائف وتربى بجيش عظيم ، قدره بأربعين الف ، من اهل نجد وعسير يتوودهم فيصل بن سعود وحليفه طامي بن شعيب . التحم الجيشان هنالك وكان القتال ١٨٣١ هـ شديداً من الفجر حتى المساء ، فخر اهل نجد ستمئة من رجالهم وتشتت الباقون . ثم واحل المصريون الزحف الى ترابه فاحتلوها بدون قتال .

وقد جاء في البلاغ الذي اشرفت اليه ، المؤرخ في صفر ان قد غم الجيش الظاهر في وقعة ريسل خمسة الاف خيمة وخمسة الاف من الجمال ما عدا الارزاق الكثيرة .

استراح محمد علي قليلاً في ترابه ثم زحف الى رايه وفيها عرب سبع فسلمت . وبعد اربعة ايام ، وهو يواصل السير جنوباً بشرق ، وصل الى بيشة^(١) مفتاح اليمن الشرقي وفيها بنو سالم فقاوموا يوماً وسلموا . ومن بيشة مشى الظافر الى جبال عسير . ولكن تلك الانتصارات انهكت الجيش وافقرته لانه لم يكن في البلدان التي اكتسحوها شيء يذكر من الغنائم ، فقل الزاد ، وكثرت المشقات ، وكانت الحسائر خصوصاً في الركائب كبيرة . قيل انه مات مئة رأس من الخيل في يوم واحد . ترجل محمد علي ومشى مع الماشين وهو بعدهم بالغنائم العظيمة في اليمن . فلما صاروا في جبال زهران ، بعد خمسة عشر يوماً من السير ، التقوا بطامي الذي انهزم في وقعة ريسل ومعه بضعة الالف من العربان ، فهازلهم محمد

(١) ترابه هي على مسافة ثمانين ميلاً من الطائف شرقاً بجنوب . وبيشة بعد نحو مئة ميل عن ترابه .

علي وكان في الجولة الاولى مهزوماً . ثم عاد الكرة عليهم فأخرجهم من معاقهم في الجبال ودحرهم في القتال فشت سبلهم ، ومن غنائم هذه الواقعة ان ابن شعيب أخذ اسيراً ثم أرسل الى مصر ومنها الى الاسكندرية ، فضرب عنه بعد ان سُهر في الاسواق هنالك .

بعد هذا الفوز في عسير عاد محمد علي الى مكة فولى فيها احد رجاله . ثم سافر الى المدينة ليؤدي الزيارة ، وكان قد حج في العام السابق ، ليطلع على احوال الحجاز الشمالي . بيد انه لم يلبث طويلاً في المدينة لان الاخبار التي كانت قد جاءت انباءً بفتنة في القاهرة وبفرار نبوليون من جزيرة الباء . فسافر فجأة في شهر يونيو سنة ١٨١٥ وهو يبغي حون ملكه من الاخطار الداخلية والخارجية .

من حسنات محمد علي في الحجاز انه وزّع كثيراً من المال والارزاق على المحتاجين ، وخفض رسوم البكر في جده ، وابطل الضرائب التي كان قد ضرها الشريف غالب ، ومثّل بالاشقياء ، وعاقب بشدة كل من تعدى على الاجانب . بيد انه لم يحسن عملاً في ابقاء جنوده بعسير . اذ بعد سفره اعاد عرب الملع وغامد وزهران الكرة على اولئك الجنود في تهاجمه وفي الجبال ، فدحروهم دحرات متعددة ، وردوهم خاسرين برأ الى الطائف وبجراً الى جده .

اما طوسون فكان قد جهز حملته على نجد وزحف الى الرّس^(١) فاحتلها بالاتفاق مع اهلها ، فجاء عبدالله بن سعود بجيشه يخرجها منها . ولكن عبدالله مثل طوسون من اولئك القواد الذين يضعفون ما عندهم من قوة بما ينتصهم من زعامة واقدام . وقف الضعيفات في التقصيم وقفة المنازل الراغب في الصلح المتظاهر بعكس رغبته ، فتناوشت الجنود وتفقرت ،

(١) الرّس والقرى التابعة لها هي على مسافة مئتين وسبعين ميلاً شرقاً بشال من المدينة وخمسة وثلاثين ميلاً غرباً بجنوب من عتير .

وتغازلت ، وتقااست ، حتى سئم الحالة اولو العزم في الجانبين وقام منهم من يطالب بشيء يشفع بتردد القائدين وتذبذبها . قال اهل نجد لعبدالله : اخرج الى طوسون او اخرج عليه اي صالحه او حاربه . وقد توفق الفريقان الى عقد صلح فيه تعهد المصريون ان يخرجوا من نجد ، وتعهد النجديون ان يأذنوا بالحلج ، ويؤمنوا السبل ، ويرجعوا ما سلب من الحجرة النبوية .

عاد طوسون بجيشه الى المدينة ومعه وفد من اهل نجد يحمل معاهدة الصلح الى محمد علي ليصدق عليها . وكان محمد علي قد رحل فتبعه الوفد الى مصر : قال ابن بشر « وصل الوفد الى مصر ورجع منها وانتظم الصلح » . والقول مبسر . فقد تعاكست الاقدار على الجميع في هذه السنة فما خدمت اهل نجد ولا خدمت خصمهم . امر محمد علي ابنه طوسون بالرجوع الى بلاده . وقد مات بعد بضعة اشهر في الاسكندرية ، ٥١٢٣١ قيل من مرض غشيه في الحجاز وقيل من استرساله في الذات . وفي هذه السنة ايضاً توفي عدو النجديين الآخر الشريف غالب وهو في منفاه بسالونيك . وكان صاحب مصر قد نقض عهد الصلح الذي اقره ^(١) وجيز ابنه ابراهيم بحملة جديدة على اهل نجد .

كان ابراهيم ضلب العود ، شديد البطش ثابتاً في عزمه ومتاحده . ولكنه لم يكن ماهرآ في تعبئة الجنود ، ولا كان باهرآ في المفاجئات الحربية . انما كان جلدآ كدودآ بطيئاً منشأ الفكر ، سريع منشأ الهوى ، ارادته من حديد ، وقلبه مثل ارادته .

(١) في المسألة روايتان : قال ابن بشر ان فريقاً من عرب الرس الماديين لعبدالله سافر الى مصر ليقابل محمد علي ويفسده على وفد الصلح محله فافلح سعيه . وقال المؤرخ الافرنسي ان محمد علي لم يعد الوفد بالصلح ولا استقبله حتى يوجهه باش . بل اغتاله الكلام وختمه بقوله : « سأسير عليكم ابني ابراهيم فيهدم دياركم حتى لا يبقى فيها حجر على حجر » .

جاء وهو في السابعة والعشرين من سنه يطوي بساط الجزيرة ليصل الى قلبها الملتهب فيطفيء النار فيه ويفرغ منه الحياة . جاء بجيش لا يتجاوز الاربعة الالاف وفيهم الالباني والمغربي والسوداني وقد اضاف اليهم في مروره بالصعيد الفين من الفلاحين للاشغال والخدمة .

وكان معه مهندس لفرنسي^(١) واربعة اطباء وصيادلة ايطاليين^(٢) ومدافع ضخمة ترمي القناير التي روعت العرب^(٣) . سافر ابراهيم من القاهرة في النيل في ١٠ شوال ١٢٣١ (٣ ايلول ١٨١٦) الى قنا ، ومنها براً الى القصير على شاطئ البحر الاحمر ، ومنها بجراً الى ينبع ، فوصلها في ٨ ذي القعدة (٣٠ ايلول) . وسار منها دون مقاومة الى المدينة ، فزار قبر النبي وقبور الصحابة ، ثم نقل بجيشه الى الحناكية^(٤) وعسكر هناك . اقام ابراهيم في الحناكية ولبث يراقب كالصياد طرائده ، فكان يُغير قارة على البدو وطوراً ينتظر اغارهم عليه ، فينصب لهم شراكاً من الوعود الخلافة التي كانت تتخللها الهدايا وشيء من الذهب الوهاج . ولم يكن على ما يظهر في ما يستوجب العجلة . اقام ستة اشهر على ذاك الماء وهو ينتظر الغربان ليخون بعضهم بعضاً وينضسوا الى جيئته . وكذلك كان . جاءت حرب^(٥) وجاءت عتيبة وجاءت مطير^(٦) - والله يا ابراهيم

Vaissière (١)

Saclo و Todeschini و Gentili و Scoto. (٢)

(٣) منها مدافع افرنسية محفورة عليها هذه الكلمات : صنت في باريس في السنة الثانية من عبد الجمهورية . الحرية والاخاء والمساواة . قال ابن بشر يصف مدافع ابراهيم : كل مدفع يثور (يطلق) مرتين مرة في بطله ومرة ثور رصاصة وسط الجدار يد ما تثبت فيه فتهدمه .

(٤) الحناكية ماء معروف على مسافة تسعين ميلاً شرقي المدينة .

(٥) « غانم بن مضيان شيخ من مشايخ حرب انقم الى جيش ابراهيم بالغ من رجاله وهم مرتزقون ومسلحون » - افوار غوان

(٦) كانت مطير يومئذ مثلاً اليوم بزعامه ابن الدويش

حنّا (نحن) ما نبي (ما نبغي) اهل نجد . حنا رجالك وحياة الله ! وكانوا يقولون مثل هذا القول لابن سعود .

بعد ان اقام ستة اشهر في الحناكية يستغوي العربان ويحجدهم زحف في شتاء السنة التالية (٥ ربيع ثاني ١٢٣٢ هـ ٢٢ فبراير ١٨١٧ م) الى نجد فوصل الى الرأس التي سلمت قبلاً لاختيه طوسون وابت ان تسلم لابراهيم ، فكانت عليه حرباً عواناً . اخسرت في الهجمات الاولى ثمانية من رجاله فبعث يطلب النجدات من المدينة . وكانت اهل الرأس رجالاً ونساء يدافعون من وراء الاسوار عن بلادهم ، فيردون على قناير المصريين برصاص البنادق ، ويطلقون فحل الغامهم بالغام اخرى يحفرونها الى جانبها . جاءت النجدات من المدينة فشدد على البلدة الحصار وضاعف ضرب اسوارها . ولم يكن ابراهيم ليضن حتى برجاله . فبعد ذبحات هائلة في الجيشين طلب عبدالله بن السعود الصلح ، فطلب ابراهيم البلدة من اميرها محمد ابن مزروع فقال الامير : تعال اخذها .

استؤنف القتال . وكان ابراهيم في الهجمة الاولى على رأس الف خيال فتكروا باهل الرأس ، فذبحوا منهم اربعة مئة وتكادوا بهم . وكانوا يقطعون رؤوس الزعماء ويرفعونها على الرياح ليراها النجدون . اما عبدالله فاستمر يفاوض بالصلح ، فتمسك ابراهيم بشروطه واهمها ان يقدم اهل الرأس الفتي رأس من الخيل ، والفين من الجمال ، ومؤونة الجيش لثلاثة اشهر ، ورهينتين من اولاد عبدالله . واستؤنف القتال . واستمر الفوز فيه لاهل الرأس ، فتمازل ابراهيم اذ ذاك عن شروطه الا شرطاً واحداً هو ان يضع المحاصرون سلاحهم ، ويقسموا على الجياد فلا يعاونون ابن السعود ولا يتعرضون للجيش المصرية . فقبوا بذلك ورفع الحصار الذي استمر ثلاثة اشهر وسبعة عشر يوماً والذي خسر فيه ابراهيم ثلاثة الاف واربعة مئتي من عسكره النظامي .

وبعد ان سلمت الرأس زحف ابراهيم الى عنيزة ، وكان عبدالله قد لجأ اليها فضاخه اهلها ، وابى المرابطون في القصر الا القتال ، فاطلقت عليهم المدافع ليلاً ونهاراً فسلموا .

ثم حمل على بريدة وكان عبدالله قد رحل من عنيزة اليها فرحل اذ ذاك منها الى الدرعية . راح يستنفر اهل نجد البوادي والحضر ليجتمعوا في العاصمة للدفاع عن الوطن .

لم يدم حصار بريدة الا ثلاثة ايام . وبعد ان سلمت المدينة عاد ابراهيم بجيشه الى المذنب اخر بلدة في جنوب القصيم ، فبادر اهلها الى التسليم . ثم دخل الوشم ذلك السهل الكائن بين وادي السر ووادي حنيفة فوصل الى شقرا اعم بلدانه - أم بلدان الوشم - في ١٨ صفر ١٢٣٣ هـ . (٢٨ ديسمبر ١٨١٧ م) وحاصرها ستة ايام فدافع اهلها عنها ما استطاعوا ثم سلموا . ومما هو جدير بالذكر ان ابراهيم اسس في شقرا مستشفى للجرحى بعناية اثنين من الاطباء والصيداة الافرنج الذين كانوا معه . ولكن هذه الرحمة لم تشمل غير جرحى جيشه . فقد كان يأمر بقتل الاسرى . وقد قطع جنوده في شقرا آذان القتلى النجديين فارسلها مع رسول الى والده بمصر .

استمر الجيش الظاهر زاحفاً في الوشم فسلمت بقية بلدانه بدون قتال . ولكن عندما وصل الى حرمه ^(١) اصطدم هنالك باهلها وهم الف ومئتان فكاثروا عليه مثل اهل الرأس . نصب الباشا مدافعه وضرب البلدة فهدم سورها واباحها جنوده ، فدخلوها فاتكبن مكسحين . لم ينج حتى الحريم من سورة بل من شهوة الجنوش الهاشجة ، وقد ذبح ثمانية في البيوت والاسواق حرباً وخدعة . قال ابن بشر : « كان الروم ^(٢) يأتون اهل

(١) يافظها اهل نجد احشرمه

(٢) كان العرب يدعون المصريين والترك بالروم

البيت أو العصابة المجتمع فيقولون الامان، فيأخذون سلاحهم ويتنقلونهم .
بعد ان هب الروم ضربه وهتكوا عرض حريمها ، وذبحوا ثلثي اهلها
الباقيون هاربين ، ودمروها تدميراً وساروا الى وادي حنيقة ، فمروا
بالجبيشة ثم بالعيينة ثم اشرفوا في اواخر جمادى الاولى على الدرعية ،
وكان عبدالله بن سعود واخوه فيصل وغيرهما من آل سعود قد خرجوا
بمجموع من اهل المدينة للدفاع ، فتوزعوا في الوادي واقاموا فيه وفي
منعطفاته المتواريس .

كانت الدرعية قائمة على الاكام الى جانبي الوادي^(١) ولا يتمكن منها
الجيش القادم من الوشم او من سدير الا اذا اجتاز واديها وصعد الى
الروبة الشرقية فنصب مدافعه هنالك . ولذلك خرج اهل المدينة يصدمون
المصريين ويناجزونهم ليسنعوهم من احراز ذاك المركز الخطير .

كان جيش ابراهيم باشا عندما وصل الى الدرعية وباشر حصارها في
٢٩ جمادى الاولى ١٢٣٣ هـ . (٦ ابريل ١٨١٨ م) مؤلفاً من اربعة الاف من
المصريين والاليانين ، وخمسة من المغاربة ، وبضعة الاف من عربان
مطير وحرب وعتيبة وبني خالد ، ونحو الفين من العمال والخدم ، وعشرة
الاف من الجمال حاملة المؤن والذخيرة .

استمر الحصار خمسة اشهر وبضعة ايام فتعددت فيه الوقعات واشتدت
الحمالات ، وكانت الغلبة غالباً لآل سعود . ولكن النجدات كانت تود
متوالية على ابراهيم . فتجيشه الجنود والذخيرة من مصر ، والارزاق من
البصرة والمدينة ، والغنم والسمن من القصيم . ومع ذلك فقد شكب في
١٦ شعبان (٢١ يونيو) نكبة كادت تنضي عليه . فبعد ان انهزم يومئذ
في وقعة قتل فيها مئة وستون من رجاله هبت ريح السيوف فصلت
شرارة من نار من احدى الحيم الى مستودع الذخيرة ، فاشتعل البارود ،

(١) راجع (ملوك العرب) الفصل الرابع عشر من القسم الخامس (الجزء الثاني)

وتفجرت القنابل ، واتلف كل ما كان هنالك . بل امتدت النيران الى مستودع القمح ايضاً فاستحال في ذلك اليوم رماداً . قال ابراهيم لطيبه الافرنسي : خسرنا كل شيء ما عدا شجاعتنا وسيوفنا . والحق يقال ان لولا الشجاعة والعزم والثبات ، تلك السجيايا الكبيرة فيه ، لعاد من الدرعية بعد تلك الفاجعة مدحوراً .

ولكنه ثبت في مراكزه واستعاض عن القتال بالمناوشة والمخادعة الى ان جاءت النجدات من المدينة والذخيرة والمؤن من القصيم ، وكان قد شاع ان اياه جهز محافظ الاسكندرية بحملة ليرسله الى نجد ، وقد ولاه القيادة العامة ، فأثار هذا الخبر غضب ابراهيم وحميته ، فحمل على اهل الدرعية في متاريسهم وفي معاقلهم ، وفي ابراجهم ، وفي بيوتهم ، حملات شعواء استخدمت فيها المدافع الضخمة ، والقنوس النارية ، والبنادق والسيوف . ثم احاطت جيوشه بالمدينة واحتلت حياً من احيائها فبدأت تتزعزع عزيمته المدافعين ، فطلب فريق منهم الصلح ، فأبى ابراهيم الا ان يسلم عبدالله بن سعود .

رفض آل سعود التسليم . ونهضوا نهضة واحدة يستأنفون القتال فحملوا على الجنود المحتلين قسماً من المدينة فذبحوا عدداً كبيراً منهم واخرجوا الباقين . ذلك تمهيداً لصلح شريف . ولكن ابراهيم ادرك قصد العدو فأفرغ كل ما لديه من المدافع على الدرعية وقصورها ومعاقلها حتى وعلى المسجد الجامع فيها .

وكان ذلك في آخر الشهر الخامس من الحصار فاضطربت في المدينة النيران بعد ان هلك كثيرون من اهلها^(١) وتفرق كثيرون من المجاهدين فخرج عبدالله بن سعود الى ابراهيم باشا في اليوم الثامن من ذي القعدة (٩ سبتمبر) فاستقبله ابراهيم في خيمته ، فقال

(١) قيل انه قتل من اهل نجد في حصار الدرعية اربع وخمسة ومن المصريين اكثر من تسعة آلاف

عبدالله : « ما غلبتنا جنودك ، انما الله اراد ذلكنا » .

سلمت الدرعية ، وأرسل عبدالله ، ومعه بعض رجاله وعبيده بحفاضة اربعمئة من الجنود الى المدينة ، ومنها الى القاهرة ، فوصلها في ١٨ محرم ١٢٣٩هـ . (١٨ نوفمبر ١٨١٨م) ومثل بين يدي محمد علي ، فسأله رأييه بابه ابراهيم فقال : « هو عمل واجبه ، ونحن عملنا واجبنا ، وما شاء الله كان » .

لم يلبث عبدالله غير يومين في القاهرة ، ثم أرسل اسيراً الى الاسنانة ومعه كاتب سره ورجل آخر من رجاله كرها ان يفارقاه . وهالك عند وصولهم لطوفوا في الاسواق وتنفذ فيهم في اليوم الثالث حكم الاعدام .

اما ابراهيم فعندما دخل الدرعية امر بالقبض على بعض الزعماء والعلماء ونكل بهم تنكيلا شديداً . فمنهم من طرخوا مقيدين تحت ستابك الخيل ومنهم من وضعوا مكبلين عند فوهة المدفع فقطعهم ارباً ارباً « طير اوصاهم في الفضاء » قال ابن بشر : « وكان الشيخ العلامة القاضي احمد بن رشيد الحنبلي صاحب المدينة في الدرعية عند عبدالله فامر الباشا بضربه وتعذيبه وقطع جميع اسنانه فقلعت . » وقال المؤرخ الافرنسي « سام الشيخين احمد الحنبلي وعبد العزيز بن محمد عذاباً شديداً ولكنه ندم بعد ذلك على استرساله في غضبه » .

ولم تصكن هذه خاتمة المظالم والفظائع التي ارتكبها الظافر ناديا وانتقاماً . بل قيل ان محمد علي هو الذي امر بتدمير الدرعية . ولو سئل محمد علي لقال ان الامر جاءه من الاسنانة . فقد طالما تدرع الاب والابن بالاوامر الشاهانية في تنكيلهم بالعرب . على ان هذا الامر يشين صاحبه ايأ كان . ولا فضل للظافر في تنفيذه ، ولا نجد ، ولا فائدة . والا ما الفائدة بعد كسرة اهل نجد من تدمير عاصمتهم ؟ قد امر ابراهيم باخراج من تبقى في الدرعية من اهليها ، وكانت قد اجلي الى مصر فريقاً

كبيراً^(١) من آل سعود وآل الشيخ، ثم بتدميرها، فدمر عساكره قصورها،
 واشعلوا النار في دورها، وقطعوا النخيل في بساتينها. ثم فعلوا كذلك
 في البلدان الأخرى التي اكتسحوها أي في العارض وفي الحرج، وهدموا
 الحصون والقصور في الوشم وفي القصيم.

قال هو غارت: «لم يكن يطمع محمد علي بضم البلاد العربية إلى
 ملكه، لذلك لم يحسن معاملة أهلها. وجل ما ابتغاه أن يظفروا كما كانوا
 قبل ظهور المذهب الروائي نهب الشقاق والفوضى»

وهي الحالة التي كانوا فيها عندما انسحب إبراهيم باشا بجنوده من نجد
 في فصل الصيف من سنة ١٨١٩ بعد أن أقام سبعة أشهر في الدرعية،
 فضربت الفوضى أطنابها في البلاد، وجاءت عساكر الترك تحل محل العساكر
 المصرية، فكانت ضغماً على أباله. قال ابن بشر: «كان الناس يهجرون
 بيوتهم، فيهربون على وجوههم في البراري فراراً من التسخير والارهاق
 والقتل والتعذيب، فأنحل في البلاد نظام الجماعة، وشاعت المحرمات،
 فصرت لا ترى من ينهى عن منكر، أو يأمر بمعروف».

وفي هذه الآونة قام رجل من بيت معمر هو محمد بن مشاري يحاول
 الاستيلاء على قسم من البلاد، فأفلح بآدى ذي بدء سعيه. وقد دانت له
 الوشم والعارض وسدير، ولكنه لضعف عزمه لم يحكم سنة كاملة، ولم
 يكن في تلك الأيام الوحيد الطالب للسيادة من أي وجه كان.

وعندما وصل عسكر الترك إلى عنيزة بقيادة رجل يدعى عبوش اغا
 كتب إليه ابن معمر يقول أنه طائع للسلطان وأنه القى القبض على أبناء
 سعود الخ. فأقره عبوش في مركزه.

كان إبراهيم باشا كما أسلفت القول قد أجلى آل سعود إلى مصر.

(١) قيل أربعمئة ومعهم أربعة من أبناء سعود الكبير أخوان عبدالله هم: قب
 ومشاري وسعد وخالد. أما الأربعة الآخرون أي فيصل وإبراهيم وناصر وتوحي
 فقد قتلوا في الحرب

ولكن مشاري بن سعود الكبير عاد منها هارباً ، وتوكل بن عبدالله بن محمد كان قد لاذ بالخرج عند تسليم الدرعية . فلما عاد مشاري يطالب بالامارة قاومه ابن معمر وتمكن من القبض عليه فسلمه الى الترك فقتلوه . وكان تركي قد عاد من الخرج فنازع ابن معمر الامارة ، وحمل عليه ثم قتله انتقاماً لمشاري . وفي ذلك اليوم كان قد جاء وفود اهل سدير والحمل يبايعون مشاري ، فبايعوه في الصباح ، ثم بايعوا تركي بعد الظهر .

وفي هذه المبايعة ينقل الحكم من سليمة عبد العزيز بن محمد [٥٩٣٣٩] الى سليمة عبدالله اخي عبد العزيز ، ويستمر فيها الى اليوم . ولولا تركي لما أُنقذ في تلك الاونة بيت آل سعود . بيد انه لم يستطع في عدة اماراته ، التي استمرت عشر سنوات ، ان يعيد الى هذا البيت سالف مجده ، والى ذلك الحكم تلك الصولة التي كانت لابن عمه سعود الكبير . ولا اظن ان سعوداً نفسه كان يستطيع ذلك بعد ان توالى على نهب التكايات ، وانتشرت بين اهله الرذائل ، ففقدت اخلاق الناس ، وتلاشت فيهم القوى المعنوية والروحية .

مع ذلك فقد استطاع الامام تركي ان يستعين بما تبقى من سترات الفضيلة في قوم مغلوب ليحفظ السيادة السعودية في زمن الزعازع والفتن ، بل في زمن كانت عساكر الروم (الترك) محتلة قسماً كبيراً من البلاد . على انه مات شهيداً . فقد قتله ابن عمه مشاري بن عبد الرحمن الذي يت بنسبه الى الثالث من ابناء سعود الاول ، قتله طمعاً بالامارة ، ولكنه لم يتمتع بها اكثر من اربعين يوماً ، لان فيصل بن تركي قام يثار لايده ، فهجم رجاله على القصر بالرياض ، وادركوا مشاري فيه فقتلوه .

آل سعود الدور الثالث - الحروب الاهلية

انت في قتل مشاري قاتل الامام تركي منشأ إمارة بيت الرشيد في حائل ، فالحادث اذن جدير بالاسهاب . يوم قتل الامام كان ابنه فيصل في التظيف ومعه جنوده من قبائل شتى ، فلما جاء يثار لابيهِ ودنا من الرياض خرج اليه وفد من المدينة يطلب منه ألا يأذن بالدخول اليها غير اهلها من الجنود ، لانه اذا هجم عليها التجديون من غير الرياض قد يقاومهم الاهالي لينعومهم من احتلالها ، فيحدث قتال في المدينة ، فتولد الحنة حنة اخرى أشد منها .

وكانت مع فيصل رجل يدعى عبدالله بن الرشيد طرده من حائل امر اژها يومئذ آل علي فلاذ بال سعود ، فلما هم الجنود ابناء الرياض بالدخول الى المدينة استغزت الحية عبدالله فاستأذن فيصلا بان يكون معهم فأذن له ، فدخلوا الرياض بدون قتال لان اهلها كانوا من حزب تركي ، وهجموا على القصر الذي تحصن فيه مشاري (هو قصر الملك اليوم وقصر دهم بن دواس سابقاً) اما عبدالله بن الرشيد فقد سبق المهاجمين الى « مقتول » (برج) من مفاتيل القصر ، فرأى فيه رجلا اسمه سويد كان اميراً في جلاجل بسدير ، وكان قد جاء يسلم على الامام تركي دون ان يعلم بما حل به ، فرحب به مشاري وانزله ذاك البرج في القصر .

قال عبدالله مخاطب سويداً : وما دخلك انت بال سعود ؟ اجابه سويد : اني مغضوب . فقال عبدالله : اذا جئتكم بالامان من فيصل اترمي لنا حبلاً لتصعد الى القصر ؟ فقال سويد : اني من رجال تركي وساساعدكم على شرط ان يعطيني فيصل الامان ويهني نخل الداهنة^(١) .

(١) الداهنة هجرة من هجر الرؤفة وهم فخذ من عتيبة

فتواتق الرجالان ورمى سويد بجبل فصعد ابن الرشيد الى القصر وصعد وراءه عشرون من جنود فيصل ، فتصادموا ورجال مشاري وتجادلوا ، فصرح عبدالله في يده جرحاً بليغاً شوها ، ولكنه ورجال فيصل استولوا على القصر وحاقوا بمشاري ومن معه فقتلوه .

سُر فيصل خصوصاً بشجاعة عبدالله بن الرشيد . وعندما رأى جراحه قال له : لك مني ما تريد . فقال عبدالله : اطلب منك ان تؤمرني في حائل وان تكون الامارة لي ولعائتي بعدي . فاجاب فيصل طلبه ، فكان عبدالله هذا مؤسس امارة بيت الرشيد . وسنعود الى ذكره وذكرها في فصل آخر .

يقسم عهد فيصل الى دورين ، الاول يبتديء في توليه [١٨٣٠م] الامارة ، بعد قتل ابيه ، وهو دور الاضطرابات والفتن ، وينتهي بعد تسع سنين في تسليمه الى القائد خورشيد باشا . وكان قد عاد من مصر خالد بن سعود احد الذين اجلاهم ابراهيم باشا ، وهو حائر على ثقة محمد علي ومحبوب من المصريين . بل جاء خالد مع خورشيد ليساعده في الاستيلاء على نجد والقضاء على فيصل . فعندما قرب الجيش من الرياض رحل فيصل الى الدلم في بلاد الخرج لانه ، خلاف كان بينه وبين اهل الرياض ، لم يَر من الحكمة ان يحاصر فيها .

كان اهل الدلم اصدقاء لفصيل مخلصين فلجأ اليهم ، فتعقبه خورشيد بجيشه وحاصره هناك . وقد ثبت فيصل اربعين يوماً في الدفاع ، ولكنه عندما استند الحصار ، خصوصاً على اهل الدلم ، ظهر في مظهر من كرم الاخلاق يندر مثله في المتحاربين . اجل ، قد عرض على خورشيد ان يسلم نفسه بشرط ان يعفو القائد عن الاهالي ويؤمنهم على ارواحهم واموالهم .

قبل خورشيد ، فلم فيصل في ٢٣ رمضان من هذه السنة

٥١٢٥٤ (١٠ ذيسبر) ما كان معه من عتاد الحرب الى اهل الحرج ، ثم
 سلم نفسه الى القائد ، فبرء بوعده اذ عفا عن الاهالي . وقد احسن
 معاملته فيصل فاستصحبه الى مصر ، وولى مكانه خالد بن سعود .

وخالد هذا هو اخو عبدالله من جارية حبشية . كان متوقفاً الذهن ،
 رفيق الشعور ، مسترسلاً في اللهو واللذات . نشأ في ذرا محمد علي فتمصر ،
 وجاء يحكم في نجد حكماً عسرياً ، فغفر النجديون منه وعدوه اجنبياً . ثم
 اجتمعوا على خلعه فخلعوه بعد ان قاوموه سنتين ، فتولى الامارة بعده
 عبدالله بن ثنيان بن ابراهيم بن ثنيان بن سعود وكان مستبداً
 عادلاً . بيد انه ارهق الناس بالضرائب فلم يصبوا على حكمه
 اكثر من سنة . ولكنهم لم يخلعوه كما فعلوا بسلفه خالد . فقد صدف ان
 فيصل ، الذي اطلقه محمد علي من السجن في هذه السنة ليعيده حاكماً الى
 نجد ، وصل الى القصيم يوم كان عبدالله بن ثنيان محاصراً عنيزة ، فدعا
 للطاعة فاجابه عبدالله انه لم يحكم نجداً الا بالثيابة عنه . وكانت خدعة منه
 يتوسل بها الى القبض على خصمه .

سار فيصل مخدوعاً الى عنيزة ، ولكن القدر والا . فقبل ان يدخل
 المدينة جاءه رجل يعلمه بنية ابن ثنيان ، فأخذ للامر اهبة ، ودخل برجاله
 ليلاً وهم ينادون ان الحكم لفيصل . وضجت عنيزة لهذه المفاجأة وخذل
 اهليها ابن ثنيان ففر هارباً الى الرياض ، فتعقبه فيصل وحاصره عدة ايام ،
 ثم صفح عنه واعطاه الامان . وخرج ابن ثنيان من التصر شاكراً حامداً
 ولكنه لم يمد ذلك احسب مرض اودي بحياته .

استقام الامر لفيصل . فبايعه اهل نجد وتمتعوا بالنعم الجليلة في عهده
 الذي استمر في الدور الثاني اربعاً وعشرين سنة . حكم فيصل
 حكماً عربياً سعودياً ، مثل ابني عمه عبد العزيز وسعود ، فاقام
 العدل ، وعزز الامن ، واعاد الى نجد شيئاً من اليسر وسالف المجد . بل

الى ما وراء نجد، فقد بسط سيادته على الشطر الاكبر من شبه الجزيرة، فدانت له الاحساء والقطيف ووادي الدواسر وعسير والجليل والقصيم . فدانت له حياً لا كرها.

ولكن الدولة العلية، او بالحري الحكومة المصرية، لم تهمل امره كل الاهمال. وبما انها تكبدت الخسائر الفادحة في حملاتها السابقة على اهل نجد، رأت من الاوفر والاسلم ان تسيّر قواتها على من يدين لابن سعود في عسير. وما كانت تهامة باسوغ لقمة من نجد .

قد سير عباس الاول عشرة الاف جندي نظامي الى جبال عسير في هذه السنة ، فنازلهم هناك العربان يقودهم عائض ابن مرعي [٥١٢٦٨ م ١٨٥٢ م] رئيس آل عائض ، وهزمهم شر هزيمة ، فتهجر من سلم منهم الى تهامة. وكانت الغلبة في هذه الحرب لآل عائض وبالتالي للامام فيصل. الا ان فيصلاً كان يتحاشى ما استطاع سفك الدماء. وعندما حاصرت جنوده بريده كانت خطته العسكرية ان يمدد الحصار فيحصل الاهالي على التسليم بدون قتال . وقد استنجد اهل القصيم يومئذ بالامير طلال بن الرشيد فلم ينجدهم خوفاً من ابن سعود . ثم استنجدوا بامير مكة فابى كذلك . ثم ارسلوا يفاوضون الحكومة المصرية فتفقت يدها منهم . مما يدل على ان فيصلاً كان عزيز الجانب وهيباً .

وكان محبوباً ولا غرو. فقد جمع في سياسته بين الشدة واللين ، فكان كريم الاخلاق ، قوي الارادة ، سميحاً حليماً ، محباً للعلماء ، رؤوفاً بالناس ، محسناً اليهم ، حريصاً على مصالحهم.

جاء بلغراف^(١) نجداً في عهده فساح في الجبل والقصيم ، ونزل من بريده الى العارض عن طريق سدير ، فاقام في الرياض وضواحيها [٥١٢٧٨ م ١٨٦٢ م] خمسين يوماً ، ثم رحل الى الاحساء ومنها الى الخليج . كان

بلغراف شديد اللمجة في انتقاده الوهابية والوهابيين ، بل كان متحاملاً . وقد جاء البلاد العربية من قبل نابوليون الثالث ، كما جاء قبله بخمسين سنة باديا الاسباني (علي بك) من قبل نابوليون الاول ، مستكشفاً مستخبراً . وللاثنين غرض سياسي يتقدم الغرض العلمي . بيد ان بلغراف ، على ما كانت من الشدة والنفرة في انتقاده اهل نجد المتعصين (وهو الانكليزي اليهودي البسوعي^١ المنساهل) قد انصف الامام فيضلاً . فقد قال يصف حكمه : « ان القوافل تجتاز القصم وسدير والوشم ومقاطعات نجد الاخرى آمنة ، بفضل الحكم الوهابي ، شر البدو وتعداتهم . ويسير التجار والحجاج والفلاحون في البلاد بأمن وسلام » .

ولكن عهد فيصل السعيد لم يكن اطول عمراً من عمره . فبعد وفاته [١٢٨٢ هـ] في ٢١ رجب (١١ ديسمبر) من هذه السنة ، تنازع انجاله [١٢٨٦ هـ] الملك كما ستوى واضاعوه . وهم عبدالله ومحمد وسعود وعبد الرحمن مثلوا الدور الاخير المحزن من رواية آل سعود الملأى بانواع الحوادث التاريخية .

وبعد ان انهك الترك والمصريون اهل نجد بمحملاتهم المتعددة ، وبددوا صفوف وحدتهم القومية والدينية ، عادت الى الوجود تنكراً الجراح تلك العداوات القديمة لآل سعود اي عداوات القبائل . فانتقضت قحطان ، وعصت العجمان ، وقردت عزي ، وتقلب مطير ، وتذبذبت عتيبة ، وصال بنو مرة ، وتمصر بنو خالد . ناهيك بالآخوة وابناء العم من البيت نفسه ، وقد قام بعضهم على بعض يتنازعون السيادة ، فكانوا في

(١) ولد بلغراف عبرانياً - اسم أسرته كوهن - فصار بعدئذ مسيحياً ، ثم اباً يسوعياً ثم سياسياً ملحداً . وكان في سرورية مع الابهاء اليسوعيين يدعى الاب ميخائيل . اما رفيقه بركات وترجمانه في البلاد العربية فهو الذي ارتقى بعدئذ الى السدة البطركية الرومية الكاثوليكية فصار البطرك بطريرك الجرجيري وكان مشهوراً .

حروبهم مغتلباً لهذه القبائل النازعة الى الغزو المستورقة منه.

قامت القبائل نوالي هذا الامير ونداوى الاخضر اخاه او ابن عمه طمعاً بكسب ، او شفاء لغيليل ، او حباً بسيادة يحتقونها في انفسهم . وكان عبدالله قد حمل على العجمان لتعديهم على الحجاج فكسرهم في وقتين قرب الكويت ، فرحلوا شمالاً وتحالفوا مع رؤساء المنتفق على اهل نجد .

ثم اجلى عبدالله بعض العجمان الى وادي الدواسر . فلما قام سعود ينازع اخاه الامارة بعد موت ابيها ، لجأ الى ابن عائض في ابها فردّه خائباً لان آل عائض في تلك الايام كانوا هوائين لآل سعود . ثم عاد سعود بن فيصل من ابها الى نجران وكان العجمان هنالك ، فاجتمعوا حوله ينصرونه على اخيه ، وانضم اليهم عدد كبير من الدواسر وبني مرة . هذي هي بداية الحرب السعودية التي اشتركت فيها قبائل نجد ، فكانت يوماً لهم ويوماً عليهم - وكانت في الحالين على آل سعود . هي الحرب الاهلية التي استمرت متقطعة اكثر من ثلاثين سنة فاستثمرتها الدولة العثمانية ، وكانت في النهاية المغنم الاكبر لامراء بيت الرشيد .

ولكن ابن الرشيد كان لا يزال في بداءة الحرب يدين لابن سعود . وعندما خرج عبدالله الى وادي الدواسر غازياً سار معه الامير متمب بن الرشيد الذي قُتل بعد تلك الغزوة ، فتولى اخوه بندر الاعارة بعده وأقره فيها الامير عبدالله .

وكان محمد بن فيصل مع اخيه عبدالله على اخيه سعود ، فاحتربوا في وقعة المعتلا ، ففجرح سعود وانهزم ، ثم سار ، بعد ان داوى جروحه عند اهل مرة ، الى عمان يستنجد صاحبها فلم ينجده . وراح من عمان الى البحرين فلباه شيخها . ثم حالف العجمان في الاحساء واعاد الكرة على

١٢٨٨ هـ
١٨٧١ م
 اخويه محمد وعبدالله، فالتحمت جنود الاخوة عند ماء يسمى جوده، وكانت الغلبة لسعود. قال ابراهيم بن عيسى: «والسبب في ذلك ان بعض جنود محمد وهم سبع وخمسة خاتوه وانقلبوا على اصحابهم يهيمونهم». وقد قتل اربعة من جنود الفريقين في وقعة الجوده، وأسر محمد فاعتقل في القطيف. ثم دعا سعود اهل الحساء للمبايعة فجاؤوه على عين جوده مبايعين.

بعد وقعة الجوده احتل مدحت باشا، يومئذ والي بغداد، الحساء وذلك بمساعدة عربان الكويت الذين جاؤوا بجرأ الى العقير وبرأ الى القطيف بقيادة الشيخ مبارك الصباح. وفي احتلال الحساء في هذه السنة قطع مدحت الصلة بين نجد وعمان، ووسع ثلثة العداء بين سعود واخويه، فاطلق محمداً من سجنه في القطيف، ووعد عبدالله بان يعينه «فائتمام ولاية نجد». ولكن عبدالله خشي الخدعة - قيل ان مدحت كان ينوي التبعض عليه - ففر هارباً الى الرياض، فاستقبله اهلها مرحبين مهللين.

ولكن سروره لم يدم طويلاً. فند زحف سعود في السنة نفسها اي سنة ١٢٨٨ هـ الى الرياض، فدخلها ظافراً ونهب رجاله المدينة. ثم كتب الى رؤساء البلدان ان يقدموا اليه للمبايعة فجاؤوا يبايعون. اما عبدالله فكان قد جمع بدو قحطان وانسحب الى وادي حنيفة، فتعقبه سعود بجيش من آل مرة، والعجمان، وسبيع، والسهول، والدواسر. وبعد وقعة في البرة انهزم عبدالله وعاد الى الحساء.

قد كانت هذه السنة (١٨٧١ م) والتي تليها سنتي قحط في نجد، فبجأت المجاعة تنجد الحرب على اهلها. نعم قد نالت التكتبات وتعددت، فمن لم يمت بالسيف مات جوعاً. وكان الناس يأكلون جيف الحمير ويحرقون جلود الابل ويذوقونها، بل كانوا يذوقون حتى العظام ويأكلون مسحوقها.

لم يصف الجرح وال حال هذه حتى لسعود ، فقد قام اهل الرياض عليه في هذه الآونة فأخرجوه ، بعد ان أمثوه على حياته ، من المدينة . ثم تولى الحكم فيها عمه عبدالله بن تركي .

رحل سعود الى الدلم بالحرج ومنها الى الاحساء يستنفض العجمان وآل مرة على الترك ، فاجتمع حوله جيش من تلك البوادي وهجموا على الحساء ، فخرج الترك اليه في الحويرة وبادروه القتال فهزموه . على ان القتل لم يكن لئني هذا السعودي عن عزمه . فقد عاد يقطع الدهناء الى الافلاج ، وحل على اخيه الآخر وابناء عمه هناك ، فانتصر في وقعة الدلم التي فر منها محمد بن فيصل هارباً ، وأمر فيها عبدالله بن تركي الذي مات بعد ايام قليلة في السجن .

استمر النصر بعد ذلك حليفاً لسعود . فحارب اهل ضرمه وهزمهم ، ثم اهل حريملا فادخلهم في طاعته ، ثم اعاد الكرة على الرياض ، وكان اخوه عبدالله قد عاد اليها ، فخرج واهلها عليه ، فاحتربوا في الجزعة وكانوا مهزومين . ارتحل بعد ذلك عبدالله ومعه بعض خدامه الى ناحية الكويت ، فاقام على ماء الصبيحية هناك عند بادية فطحان . ودخل سعود الرياض ثم أمر رؤساء البلدان ثانية ان يقدموا اليه ويباعوه ففعلوا .

سنة واحدة استقام الامر فيها لسعود بن فيصل فتنفس الصعداء وقال للحرب استريحني . ولكن ابن الامام فيصل الرابع وهو عبد الرحمن قام يخطب ودها فبادرت اليه . وكان قد نهض بجلف من العجمان وآل مرة يريد اخراج الترك من الحساء ، فهجم عليهم هنالك وكاد يظفر ببقيته لولا نجدة جاء بها ابن السعدون من العراق ، فكسرت العجمان وشنت شملهم . عاد عبد الرحمن الى الرياض فالتقى سعوداً في القصر مريضاً ، وقد توفي في هذه السنة ، فتولى الامارة بعده ، وكان اخواه

١٢٩٩ هـ

١٢٧٣ هـ

١٢٩٩ هـ

١٢٧٤ هـ

عبدالله ومحمد اذ ذاك مع بادية عتيبة .

جاء محمد بجيش من عتيبة يحارب عبد الرحمن فحشد عبد الرحمن جيشاً من اهل الرياض والخرج وبوادي العجمان ومطير ليحارب محمداً . وقد التقى الجيشان في ترمداً ، فكانت هنالك وقعة تلاها صلح بين الاخوين . اما ابناء سعود فقد كانوا مع عبد الرحمن في هذه الوقعة ، ثم انقلبوا عليه ، فراح يتصد اخاه الاكبر عبدالله وهو يومئذ في بادية عتيبة ، فاكرمه وعاد واياه الى الرياض لمحاربة ابناء اخيهما الثائرين . على انه لم يدر كورهم في المدينة لانهم كانوا قد انسحبوا منها وارتحلوا الى الخرج فاقاموا هنالك . حفا الجو لعبدالله ، او بالحري صفا الجو في بيت النجال الامام فيصل ، فكان الاخوان محمد وعبد الرحمن مطيعين لاختيهما الامام . ولكن ابناء سعود ظلوا عاصين متمردين . وهنالك غيوم اخرى تتلبد في الافق الشمالي . حدثني جلالة الملك عبد العزيز قال : « لم يستقم الامر لعبدالله لثلاثة اسباب : اولاً - وجود ابناء اخيه في الخرج يحرضون القبائل عليه . ثانياً - مناصرته لآل عليان امراء القصيم السابطين على اعدائهم آل مهنا الامراء الحاكمين في ذاك الحين . وكان هذا جهلاً من عبدالله لانه في وقت ضعفه ليس من الحكمة ان يتحزب لبيت مغلوب فيضعضع نفوذه في القصيم . ثالثاً - ظهور محمد بن الرشيد الطامع بحكم نجد . فقد تحالف مع آل ابي الحيل (من آل مهنا) وكانوا كلهم يداً واحدة على ابن سعود .

النزاع الذي اشار اليه جلالة الملك يستوجب الشرح . ورأس هذا النزاع بريدة التي كانت في الماضي ماء لآل هذا ل من شيوخ عنزي . فاستراها منهم سنة ٩٥٨ هـ راشد الدريبي العنقري التميمي من آل عليان ، ثم عمرها وسكنها ومن معه من عشيرته ، فاستمرت وناستهم فيها الى ان تغلب عليهم آل مهنا من عنزي في آخر القرن الثالث عشر للهجرة . ولكن آل عليان ظلوا يدسون الدسائس لآل مهنا ويستنجدون بهذا

وذلك عليهم ، فافضى العدا الى قتل منها ابى الحيل فى عهد عبدالله ، فكتب اولاده الى الامام يشكون الامر اليه ، فلم يسمع شكايته . بل انما كمال جلاله الملك الى آل عليان ، اما آل منها فاستنجدوا ابن الرشيد الامير محمداً ، فجاء عذا بريدته ، وطفق يحفر تحت سيادة ابن سعود فيها . وعندما حدث الخلاف بين الامام عبدالله وبين اهل الجمعه فادى الى

الحرب كان محمد بن الرشيد قد اتفق مع اهل ذلك البلد على ان يكون حليفهم وحاميتهم ، وان يكونوا من رعاياه ، فاستنجدوه

عندما بلغهم خبر قدوم عبدالله بن فيصل ، فبادر الى نجاتهم بجيش مؤلف من بوادي شمر وحرب . وعندما وصل الى بريدته انضم اليه اميرها حسن آل منها ابو الحيل ومعه جند من القصيم . ثم زحفوا الى الزلفى ، وكان عبدالله ومن معه من اهل الحيل وسدير والوشم وبادية عتيبة قد عسكروا فى ضربه ، فلما علموا بتحالف ابن الرشيد وابن منها وزحفهما الى الزلفى انسحبوا من ضربه وعادوا الى الرياض .

دخل ابن الرشيد الجمعة وامر عليها احد رجاله ، فكانت بعد فوزه فى القصيم الخطوة الثانية فى استيلائه على نجد .

عاد الامام عبدالله الكرة على الجمعة فاستغاث اهليها بامير الجبل ابن الرشيد وامير بريدته ابن منها فاغاثهم ، فادى ذلك الى وقعة بينهم وبين الامام ، كانت الغلبة فيها لابن الرشيد الذي كتب بعد ذلك الى رؤساء البلدان فى الوشم وسدير يدعوم اليه فى الحماة مكان الوقعة فجاؤوه طائعين ، فعزلهم من وظائفهم وامر فى كل بلد من بلدانهم واحداً من رجاله . وكانت وقعة الحماة الخطوة الثالثة فى استيلائه على نجد .

بعد هذه الوقعة بعث الامام عبدالله باخيه محمد رسولا الى ابن الرشيد فاسكرمه وتفاوض وياه . وقد عاد محمد من حائل يحمل الى اخيه من امير الجبل هدية وتعهداً بان يترك له بلدان الوشم وسدير ، فبادر الامام

الى عزل من اراد عزله في تلك البلدان ، فزاد ذلك في الشقاق والتخاذل ،
اذ لم يستقم نفوذ ابن سعود فيها ، ولا تقلص نفوذ ابن الرشيد .

اما اولاد سعود بن فيصل الذين نزحوا الى الحرج فقد قام منهم محمد
ينصر عمه عبدالله ، فحشد جيشاً من عتبية وراح يطلب الحشم الجديد ابن
الرشيد ، فالتقى به عند ماء يسمى عروى فنازله هناك وكان مهزوماً .
هذي هي بداية العداء بين ابن الرشيد وبين اولاد سعود بن فيصل .

ولكنهم لم يكتفوا ببدأ واحدة على خصمهم . فقد قاموا في هذه
السنة على عهدهم عبدالله بمحاولون انتزاع الحكم منه ، فقبضوا عليه
والقوه في السجن ، فجاء ابن الرشيد يتقطف على عادته فثار
الخلاف . جاء فرعاً كما ادعى وكان قد كتب الى رؤساء البلدان في نجد
يشجب عمل اولاد سعود ويدعو لنصرة عهدهم عبدالله . فلبى الناس دعوته ،
ومشوا معه الى الرياض ، فخرج اليهم عندما دنوا منها وفد للمفاوضة
يرئسه عبد الرحمن بن فيصل ، فقال ابن الرشيد : ما قصدي والله غير ان
اخرج عبدالله من السجن وان تكون الولاية في بلدكم لكم يا آل سعود .
ثم عاهدهم على ذلك .

اما اولاد سعود بن فيصل فلما رأوا اتحاد الناس عليهم طلبوا من ابن
الرشيد الامان فأمنهم على دماهم واموالهم ، فعادوا الى الحرج . وبعد
ان دخل ابن الرشيد الرياض واستولى عليها ظهر في مظهر الفاتح القهار ،
اذ اطلق عبدالله من السجن وارسله واخياه عبد الرحمن وعشرة اخريين
من آل سعود اسرى الى حائل . ثم اقام سالم السبهان (بيت السبهان)
احوال بيت الرشيد (ابيراً في الرياض) .

وبعد خمسة اشهر جاء سالم وفد متظلم من الحرج الذي كان اهله قد
اختصموا مع ابناء سعود بن فيصل ، فراح سالم يحسم الخلاف هناك . وقد
حسبه حسماً فتستحيل عنده المعاودة ، اذ انه قتل ابناء سعود محمدآ

وسعداً وعبدالله^(١) أولئك الذين امنهم ابن الرشيد على حياتهم ، واجلى اهلهم الى حائل . ضج الناس وقاموا يحتجون على السبهان ، فغزله ابن الرشيد وامر مكانه فهناد بن رخيص من كبار شمر .

وفي السنة التالية مرض عبدالله بن فيصل في الجبل فاذن له ولأخيه عبدالرحمن واسريهما بان يعودوا الى الرياض . وقد عاهد عبدالله على ان يكون اميراً في بلاده . ولكنه توفي في ٢ ربيع الثاني (٢٦ ١٨٨٩ م)^[٥١٣٠٧] توفيه) من هذه السنة بعد وصوله الى الرياض ، فكتب عبد الرحمن الى ابن الرشيد يخبره بذلك ويسأله ان يعزل عامله حسب العهد المذكور ، فكان جواب ابن الرشيد ان عزل فهناد بن رخيص وعين مكانه سالم السبهان ، اي انه نكث عهده . وفي ١١ ذي الحجة من هذه السنة بلغ عبدالرحمن ان ابن السبهان قادم ليسلم عليهم سلام العيد يقتلهم . فاحتاطوا للامر . وعندما وصل السبهان امر عبد الرحمن بان يجمع آل سعود ليلقي عليهم كلاماً من ابن الرشيد ، وكان في نيته ان يقتلهم فينبجهم جميعاً . على ان السعوديين سبقوه الى شبه ما كان يظن ، فوثبوا عليه وعلى رجاله وقتلوا عدداً منهم .

وبلغ خبر هذا الحادث اهل القصيم ، وكانوا قد اختلفوا مع ابن الرشيد ، فكتبوا الى عبدالرحمن يعاهدونه على الطاعة والتعاون . وعندما مر ابن الرشيد ببلادهم وهو قادم الى الرياض ليثبت ابن السبهان في مركزه ، وقفوا له في الطريق وحدوه ، فعلمهم بالوعود - وعهد بان يعطيهم بادية مطير « واحوة » التي كانت تقرض على الحاجاج - فرضوا بذلك ونكثوا عهدهم مع ابن سعود عبدالرحمن .

رحف ابن الرشيد الى الرياض يجيشه فيحاصرها اربعين يوماً . ثم دعا اهلها للصلح فخرج اليه محمد بن فيصل والشيخ عبدالله بن عبد اللطيف

(١) لسعود ابن رابع اسمه عبد العزيز وقد كان وقتئذ مع المجلوبين في حائل .

(من آل الشيخ^(١)) ومعهما ابن عبد الرحمن عبدالعزيز الذي كان يومئذ في الحادية عشرة من سنه ، فتفاوضوا مع ابن الرشيد وتصلحوا على ان تكون الامارة في العارض لعبد الرحمن بن فيصل . الا انه كانت صلحاً بموها لان ابن الرشيد لم يتمكن في الحصار من فتح المدينة ، ولا تمكن اهلها من رده عنها .

اما اهل القصيم فعندما عاد الامير محمد الى الجبل طلبوا منه ان يبر بوعده فسوف وتردد ، فنهضوا ثانية عليه وحشدوا قواتهم للحرب . وما كان هذا الامير الشمرى يورد طالباً ، فقد استنفر قبائله وتلاقى واهل القصيم في القرعاء فتصادموا وتناوشوا في العشر الاول من جمادى الاولى من هذه السنة وكانت الغلبة لاهل القصيم ، فاقترح بعض رجال ابن الرشيد ان يخرجوا من ذاك المكان كلهم منهزمون ويسيروا الى البادية حيث لا « ضلعان » - تلال - ولا « مزابن » - اماكن يكمن فيها - فيظن العدو انهم انهزموا ، فيتفاهم ، فيقطعون ساقتهم بالحيل . قال الراوي : « واهل القصيم اناس شجاعتهم كثيرة ورايهم قليل » فلما رحل محمد بن الرشيد صاحوا: انهزم ، انهزم ! ولحقوه ، فبعثوا عن مراكزهم ومواسيهم ، فهجمت عليهم الحيل ، فاجتزت مؤخرهم . وكانت الهزيمة عظيمة . قيل انه قتل الف رجل من اهل القصيم في تلك الوقعة التي تدعى وقعة المليئة والتي كانت الخطوة الكبرى النهائية في استيلاء ابن الرشيد على نجد .

لم يتم لآل سعود قائم بعدها . فقد كان الامام عبد الرحمن خارجاً برجاله من الرياض لينجد اهل القصيم ، ولكنه عندما علم وهو في منتصف الطريق بوقعة المليدة ، عاد الى الرياض ، فأخرج حريمه واولاده منها وارتحلوا الى الحساء وكان يومئذ عاكف باشاً متصرفها .

وكان طيب الجلس شاباً لبنانياً هو الدكتور زخور عازار الذي انتدبه المتصرف ليفاوض ابن سعود، ويعرض عليه شروط الدولة. فاجتمع الدكتور زخور على عين النجا قرب المبرز في جمادى الثانية سنة ١٣٠٨ (يناير ١٨٩١ م) بالامام عبد الرحمن وكان معه ابنه الصغير عبدالعزيز. وقد عرض عليه ولاية الرياض بحكمها من قبل الدولة، اذا اعترف لقاء ذلك بسيادتها، ودفع بخانة الحراج شيئاً، الف ريال او اقل مثلاً، في السنة. فرفض الامام عبد الرحمن قائلاً ان بعد ذبح بندر بن الرشيد^١ تفلت العشائر فصارت خائفة بعضها لبعض، وللأمراء الحاكمين كذلك. وانه لا يستطيع والحال هذه ان يثق بها ويتكفل عليها.

وكان صاحب قطر قاسم بن ثاني خارجاً يومئذ على الدولة فشاع ان الدكتور زخور يسعى في عقد اتفاق بين ابن سعود وابن ثاني لخراج الترك من الحسا. فأوقف خمسة عشر يوماً في الخفوف ثم استدعي الى بغداد وكان بعد التحقيق بريئاً. ولكنه مع ذلك اتى ان يعود الى منصبه. اما الامام عبد الرحمن فبعد تلك المفاوضات رحل واولاده الى الكويت، فلتعهم الشيخ محمد الصباح الحاكم يومئذ من الدخول اليها، فعادوا الى البادية واقاموا بضعة اشهر مع العجمان. ثم أمّوا قطر فأقاموا فيها شهرين. وكانت الدولة لا تزال تبغي عقد اتفاق مع ابن سعود لتأمين حر كانه وسككاته، فأرسل متصرف الحسا يستدعيه اليه فلبى الدعوة. وقد تم بعد ذلك الاتفاق على ان تدفع الدولة الى الامام عبد الرحمن ستين ليرة مشاهرة - وقلما كانت تدفعها - وان يقيم وعائلته في الكويت. فقبل ابن الصباح اذ ذاك ان يتوطنوا بلاده.

١٨٩١ م
١٣٠٩ هـ

(١) ذبحه عمه الامير محمد وذبح اخوته الاربعة الاخرين كاسيحي في ما يلي.

سيرة

الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن

آل فيصل آل سعود

ولد في | ٢٩ ذي الحجة سنة ١٢٩٧ هـ |
| ٢ ديسمبر ١٨٨٠ م |

توفي | اثنين ربيع الاول سنة ١٣٧٣ هـ |
| ٩ نوفمبر سنة ١٩٥٣ م |

مقرن

سمود بن محمد بن مقرن بن مرخان

نیلان

محمد

مشاري

ابراهیم

سمود

عبدالعزيز

عبدالله

محمد

حسن

نیلان

سمود الكبير عبدالله

تركي

مقرن

عبد الرحمن

عبدالله

مشاري

امير عبدالله فيصل بخالد مشاري تركي سمود فيصل

فيصل

جلوي

عبد الرحمن

سمود محمد

عبدالله

فهد عبدالله

سمود

عبدالمحسن

عبدالله

(١١)

الملك عبدالعزيز

سمود محمد

خالد

محمد

فيصل

سمود

تركي (توفي)

نسب آل سمود

عدنان

سمود

تزار

مضر ربيعة

كعب

اسد

عذري جديله

وال

نكر

شيبان

فهد

مرد

هاتم

سمود

الغارث

مانع

موتس

ابراهيم

مرخان

(١) عذوف من ابجداده اكبر من (١٥) درجة

تهليل

بعض الامراء الذين كانوا سائدين في الشطر الشرقي
او في قسم منه من شبه الجزيرة يوم كان
ابن سعود منفياً في الكويت

الشيخ مبارك الصباح . امير الكويت .^(١)

كان حاد المزاج ، شديد البأس ، كثير التقلب . فيه شيء من الاعد
واشياء من الحرباء . بدوي الطبع ، حضري الذوق ، تارة يحبه الحميم
وطوراً يجهله . وكان كريماً جواداً ؛ بل كان مسرفاً . يسترسل الى
الترف والبذخ ، ويقدم بعد جبه للمجد والسيادة ، نواغم العيش ونوافله
على كل شيء سواها .

اما سيف مبارك فكان مثل سياسته ذا حدين . قتل اخويه محمداً
وجراًحاً طمعاً بالامارة ، وحباً بالمجد ؛ فكان اميراً مجيداً . هو من
اولئك الحكام المنقردين بالحكم الذين يوشقون الامة بالضرائب ليحسوا
لها حللاً من الفخر والعز باهرة .

شيد قصوراً في الكويت وهدم قصوراً في السياسة . كان يلقب
بـ « الحواقة » من حاق ومرادفاتهما مثل دارOLF ، اي ما يراد به السير
على عكس الخط المستقيم . نصف عمله سر لا يدركه سواه ، والنصف

(١) تولى الامارة ١٣١٣ هـ (١٨٩٥ م) توفي ١٣٣٤ هـ (١٩١٥ م)

الآخر خدعة باهرة ، او خدعة مضحكة ، او خدعة كثيفة مدغمة .
لأعب العشائر وغالبها ، وما كان دائماً من الفائزين . أجزل لها العطاء ،
فاخذت ماله وهداياه ، ودعت لأعدائه .

خطب الدولة العلية ولا مهر غير الحب والاخلاص - تقسم بالله
العلي العظيم اننا مخلصون للدولة ونفديها بدمنا - فكتب كتابه عليها ،
ففتحت له قلبها المخطط المضخخ بالطيب . ثم انقلبت عليه .

غازل الدولة البريطانية ، فبادرت اليه وهانة ويدها على قلبها الثقيل
بعشرة اقفال . ثم بنت لها حصناً في ظلال قصوره .

احب آل سعود فطوقهم بذراعيه - انتم اغز من اولادي - ثم
ضرب بهم غدوه ابن الرشيد .

احب العجمان ، ثم حاربهم ، - نخزكم كالخطب بالله ونحرقكم ونحرق
دياركم - ثم اشعلهم حرباً على ابن سعود .

ولكنه احب الامير خزعلآ حياً جماً ، صافياً ، فبنى له قصراً في
الكويت ، وبنى خزعل مبارك قصراً في الحمرة ، فكان الاثنان يجتمعان
على خفاف قارون او على شاطئ الخليج ليقتضيا اياماً وليالي بين سرب
من القيان والراقصات ، ولسان حالها يقول : بعداً للسياسة والحروب .
الامير محمد بن الرشيد . امير نجد .^(١)

كان امير الحاج العراقي يوم كان بندر ابن اخيه طلال متولياً الامارة .
وعندما قام بندر واخوه بدر على عمها متعب فقتلاه وحل محمد عمها الثاني
الى الرياض ، ولاذ بالامام عبدالله بن سعود ، فوفق الامام بينه وبين
ابني اخيه . وكان بندر قد تولى الامارة ، فأمن عمه محمد على حياته ،
فعاد الى حائل واستمر اميراً للحاج . ولكنه طمع بامارة اكبر منها ،
فقام بعد ثلاث سنوات يحقق مطامعه . بل قام كاقيل يثار لاختيه ووقيل

(١) تولى الامارة ١٢٨٨ هـ (١٨٧٦ م) توفي ١٣١٥ هـ (١٨٩٧ م)

أنه قام يرد السيف الذي ذبح اخاه وكان يومئذ مستلاً عليه . على ان القول الذي لا ريب فيه هو ان سيف الامير محمد تقاضى خمسة رؤوس بدل الرأس الواحد . فقد قتل بندراً واخوته الاربعة ابناء اخيه طلال يا لك من قبيرة بمصر خلا لك الجو فيضي واصفري
 حفر الامير محمد للقبائل قلبه مختارة او مكرهة ، فكسب له النصر في حروبه كلها . ولكنه قال في خطبة خطبها في ساحة حائل يور قتله ابناء اخيه .

« يا مسلمين ما قتلتم والله الا خوفاً على هذه (وضرب رقبته بيده)
 هموا يقتلي فسبقتهم ومنعتهم . وهل تظنون ان من ذبح اخي متعباً يعفو عني ؟ » .

نوفى الامير محمد الامارة فكان كبيرها ، وكبير شمر ، بل كبير العرب في ايامه . فقد استولى على بلاد نجد كلها حتى وادي الدواسر ، وكان في حكمه عادلاً بل كان حليماً حكيماً . على ان البدو كانوا يسفرون ، فقد قالوا ان الامير محمداً لا يحسن الحكم لانه لا يكثر من قطع الرؤوس . كان كبير بيت الرشيد آلى على نفسه بعد ذبحه ابناء اخيه الخمسة ألا يقطع رؤوساً الا في الحرب .

اما في السياسة فلم يختلف كثيراً عن زميله « حواقة » الكويت . ولكنه كان ابعد نظراً واسد رأياً منه ، فيقدر الناس بعقولهم ، ويعاملهم بموجب ذلك .

قد كان للامير محمد طرائق ثلاث في التغلب والاستيلاء هي الكرم ، والسيف ، والارهاب . فيستميل اليه من يستطيع اسفلتهم بالهدايا ، ويتشك الحسام على من لا تغرم هداياه ، ويمشي الى غرضه على ظهور اولئك الذين يخشون سطوته . فقد كان ولا غرو مهيباً ولكنه على الاجمال لم يكن محبوباً

الامير عبد العزيز بن متعب بن الرشيد^(١)

حدثني اعرابي من شمر قال : كان عبد العزيز جالساً للناس في القلاة يوماً من الايام فاحس بشيء يلذعه في ظهره ، فخاف ان تصكون حشرة لا تستحق الاهتمام ، فسكت وتجلد حتى انتهى من عمله ، ثم دخل الى الحيمة وطلب احد عبيده ، فرفع العبد ثياب عبد العزيز فاذا ما بين كتفيه عقرب كبير يقرص جلده . صاح العبد مذعوراً ، وخشي ان يس العقرب ، فتناوله عبد العزيز بيده ورماه خارج الحيمة . ثم امر العبد ان يذرت على مكان اللدغ رماداً حامياً ففعل ، ونام الامير بعد ذلك كأن لم يكن شيء .

قد سمعت غيرها من القصص التي تدل على ان عبد العزيز الرشيد كان جباراً ، وقد كان في الحرب فارساً مغواراً . قال فيه القائد التركي الفريق صدقي باشا : « هذا فارس كعلي » . ولكنه لم يكن كعلي في غير ذلك . ولا اخذه سميع بالبيت القائل :

« الرأي قبل شجاعة الشجعان هو اول وهي الخل الثاني »
 طمع بالاستيلاء على الكويت ، وهو يبغي منفذاً على الخليج ، فاحطدم هنالك بالشيخ مبارك ، فظهرت الصدمة عدواً آخر ، عدواً جديداً له وليته ، هو سخييه عبد العزيز بن سعود ، فيحاربه ، فتضي في الحرب ثغبه ، بعد ان خسر نصف مملكته .
 الشيخ خزعل بن دوداو . امير الحمرة سابقاً .

راجع الفصل الخامس من القسم السادس من كتاب « ملوك العرب » الجزء الثاني صفحة ١٨٦ .

الشيخ عيسى ال خليفة . امير البحويين .

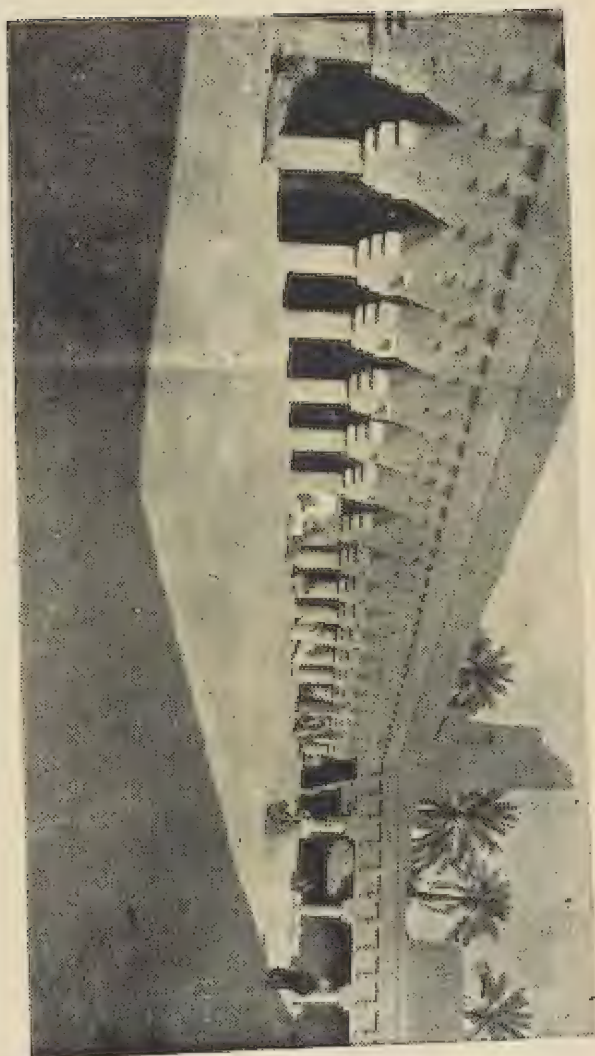
راجع الفصل السادس من القسم السابع من « ملوك العرب » الجزء الثاني

(١) تول الامارة ١٣١٥ هـ (١٨٩٧ م) توفي ١٣٣٤ هـ (١٩١٦ م)



المغفور له جلالة الملك عبد العزيز سعود

الجامع الكبير في الرياض





عبدالله بن سعود الكبير عن رسم و رسم في مصر يوم اعتقاله هناك

العرب (المدة) فوق القليب (البئر) لرفع المياه



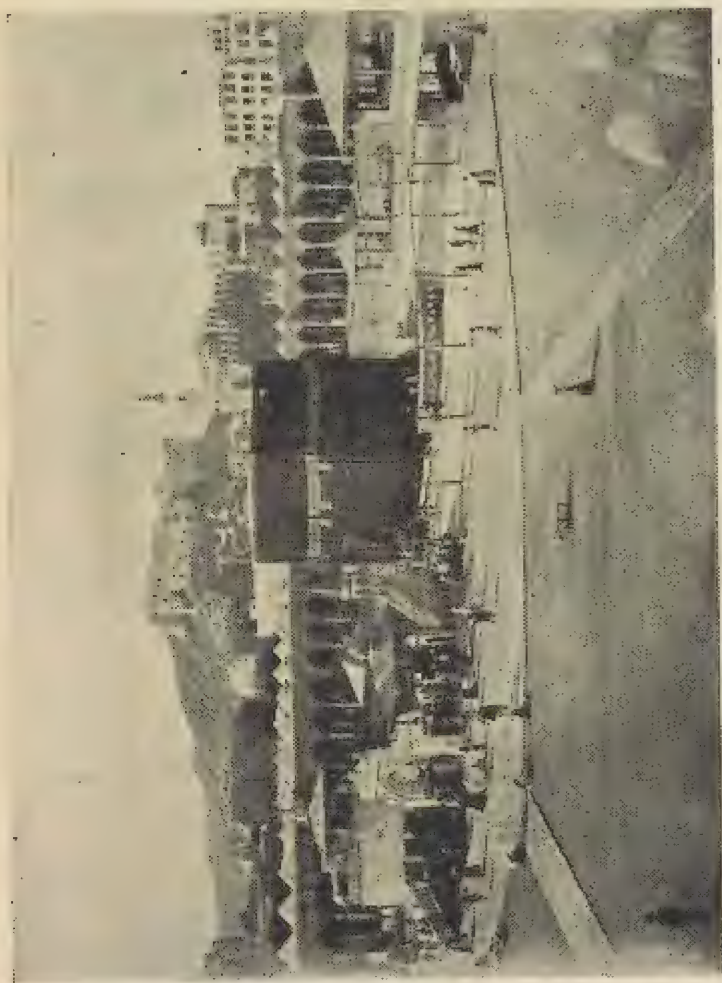


الأمير سعود بن عبد العزيز ، المالك سعيداً اليوم



سيارة المغفور له الملك عبد العزيز وعلى جنبها الحرس سنة ١٩٢٨

الحرم الشريف . والكعبة





التقاديف لتقل الحجاج الى مكة والمدينة. وقد حلت اليوم محلها السيارات

الشيخ قاسم بن ثاني . امير قطر .

ولد سنة ١٢١٦ هـ وتوفي سنة ١٣٣١ فيكون قد عاش مئة وخمس عشرة سنة ، قضى معظمها في اكثار النسل الانساني . فقد تزوج على ما قيل بتسعين امرأة وبعده من الجوارى عديد . وكان له من الاولاد والاحفاد وابناء الاحفاد ذكوراً واناثاً ما يضرب صفحاً عن عددهم فلا نتهم بالمبالغة . ولكنه كان اذا ركب يركب ستون فارساً في موكب من صلبه .

لم يكن الشيخ قاسم ، او جاسم كما تلفظ هنالك ، سيداً على غير عشيرته يوم كانت قطر تابعة لحكومة البحرين . فقام ، وكان يومئذ قد تجاوز الخمسين من سنه ، يدعو العشائر كلها الى الاستقلال فلبت دعوته . وبعده وقعت مجرية وبرة مع اهل البحرين ، وكسرات وغلبات ، حازت قطر استقلالها . وكادت تستولي على البحرين .

ومن عجائب السياسة في الخليج انه كان للانكليز يد ، ولنا ان نقول يد سلبية ، في استقلال قطر . اي ان حكومة بريطانيا العظمى ارسلت عليها سفينة من سفنها الحربية ، فضربت الزبارة عاصمتها بالمدافع ومنعت القطارنة عن التوسع والاستيلاء . ثم ارضتهم بان فصلت شبه جزيرتهم عن جزائر آل خليفة .

اما الترك فقد حاربهم ابن ثاني فكسروهم في وقعات عديدة ، وذبح عدداً كبيراً منهم ، ولكنه لم يتمكن من اخراجهم من الحساء . والحق يقال ان الحرب لم تكن من الاوليات في حياة الشيخ جاسم ، ولا همه ان يكون له صفحة ذهبية ، او بالحري قرمزية ، في التاريخ . بل كانت همه الاكبر اكثار النسل الانساني كما قلت . وهمه الآخر ان يحسن تجارة اللؤلؤ (كان له خمس وعشرون سفينة للغوص) وان يجمع المال من

هذي التجارة ويبدله في سبيل البر والاحسان .

ومن احسانه انه كان ولوعاً في جمع العبيد وعتقهم . قيل انه عتق في حياته اكثر من خمسين عبداً ، وان بمالكه الاحرار اسوا بلدة في قطر سموها السودان .

ومن دواعي احسانه الورع والتقوى . فقد كانت حنبلي المذهب ، متصبلاً فيه ، يصرف واردات اوقافه على الجوامع والخطباء بل كان هو نفسه يعلم الناس الدين ، ويخطب فيهم خطبة الجمعة .

اضف الى الورع والتقوى اذن فصاحة اللسان ، والى الفصاحة العلوم الدينية والفقهية ، والى العلوم الضمير الحي واليقين ، والى ذلك كله الثراء والجلود ، فيكون المجموع رجلاً ولا كالرجال ، عاش قرناً ويزيد في قطر ، فكان اميرها ، وخطيبها ، وقاضيا ، ومفتياً ، والمحسن الاكبر فيها .

الشاب المجهول

ولد في الرياض عاصمة ملك اجداده ، فرأى عمومته يتنازعون الملك ويتعاربون ، ورأى العدو على ابواب العاصمة وهو يطمع بالاستيلاء على نجد اجمع ، ورأى اياه يحارب في الوقعة الاخيرة ويسنسلم الى الله . ثم سمعه وهو جالس الى جنبه في الحساء يرفض شروط الدولة العلية ، فسدت امامه الابواب كلها الا الباب الى الصحراء ، فلبأ الى خيام الشعر وهو مثل اصحابها لا يملك فتوراً من الارض وليس له غير تلك الثقة الوطيدة العالية ، الثقة بالله ، التي هي كنز الاعرابي الاكبر .

ثم سكن الاب الكويت ، وصار الصبي شاباً ، فكانت الذكرى الاليمة رفيقة افكاره وسميرة احلامه . قرأ شيئاً من العلوم هنالك ، وهو يفكر في الملك المفقود . جلس امام البحر وهو لا يدري اذا ركبته الى

ابن تحمله الاقدار ، ثم نظر الى البادية وهو يجلس بالملك المفقود . عاشر
الامراء والعلماء ، وجلس ساكناً متأدباً في مجلس الشيوخ ، وهو يحلم
بالملك المفقود . ففتح الكتاب ثم القاه جانباً ، وهو يرمى السيف بنظرة
كلها شوق وامل .

عاش مجهولاً في الكويت ، مجهولاً الا في الاسم والنسب ، وفي ما
يبدو للعين المجردة . فقد كان الناس يعرفون ان ذاك الشاب القوي
البنية ، الطويل القامة ، البراق العين ، هو عبد العزيز بن عبد الرحمن بن
سعود . وما كان كبار القوم فكراً وفراصةً ليعرفون اكثر من ذلك .
بل كانوا كلهم في ظلال سور الغيب كالاطفال . جهلوا ما كان يجمله
حتى اقرب الناس الى عبدالعزيز ، حتى ابوه وامه . جهلوا ما كان يجمله
التاريخ . جهلوا ما كان يجمله الشاب المجهول نفسه . جهلوا ما لم يكن يعلم
به غير الله .

الفصل الاول وقعة الصريف

ما كاد الشيخ مبارك الصباح يجلس على العرش الملطخ بدم اخويه حتى قامت عليه الاعداء من كل جانب ، واهمهم من غير [٥١٣١٣هـ] [١٨٩٥م] الحكم خال ابناء المقتولين يوسف آل ابراهيم كبير تجار اللؤلؤ في ايامه واغناهم . فقد بذل يوسف ثروته كلها ، ووقته وجهده ، وجازف بحياته ، طالباً الانتقام . ثم سافر الى قطر والى البصرة والى حائل والى الحجاز يجرى الامراء والحكام على الشيخ مبارك ^(١) ،

وكان يومئذ الشيخ قاسم بن ثاني نائماً على مفئص الحكم في الكويت فنصح ليوسف ان يذهب الى حائل مستنجداً بابن الرشيد . وقد كتب صاحب قطر كتاباً الى الامير محمد يزين له احتلال الكويت ، ويعده بالمساعدة الحربية . على ان ابن الرشيد ، وهو يومئذ كبير العرب ، عقلاً وحكمةً واقتداراً ، لم تستغزه كلمات ابن ثاني ، ولا استغوثه اموال [٥١٣١٥هـ] [١٨٩٧م] ابن آل ابراهيم . قيل انه اوصى وهو على فراش الموت ابن اخيه عبد العزيز الذي تولى الامارة بعده الا يطيح بانظاره الى الكويت ، والا يباشر صاحبها العداء .

ولكن الامير عبد العزيز لم يحفظ وصية عمه وعندما جاءه يوسف

(١) قد رويت الحوادث وبيئت اسبابه في الفصل الثاني من القسم السادس من « ملوك العرب » وثما قلت ان القتل كان بالسيف فكتب احد ادباء الكويت مقالاً يشير فيه الى بعض الاغلاط ويصلحها ، فقال ان القتل كان بالبنادقة . تعددت الاسباب والموت واحد . ثم قال متعدي ان يوسف آل ابراهيم لم يسافر الى الاسفانة بعد حادث القتل ولكنه سافر الى الحجاز يحمل الهدايا الثمينة الى شريف مكة ليتخذ عوناً في شريك نفس السلطان على الشيخ مبارك . تعددت الاسفار والحوار واحد .

آل ابراهيم واحد الموتورين خالد بن محمد يحرضانه على مبارك نهض للامر وشرع يشن الغارات على الكويت تمهيداً للهجوم والاستيلاء .

فقد كان الشيخ مبارك عالماً بالقصد الاكبر من هذه الغارات ، وبما تقدمها من المؤامرات عليه ، فارسل رسله الى العراق مستنجداً بالدولة . ولكن يوسف آل ابراهيم كان قد سبقه الى ذلك ، فأقنع اولي الامر بما بذله من المال ، فأرسلت حملة مؤلفة من اربعة طوابير الى الزبير لتهدد صاحب الكويت . بيد أنها أبطأت جداً في السير — ظلت ستة اشهر في الطريق بين بغداد والزبير — وقيل ان الحكومة تعمدت هذا الابطاء املاً بأن يقضى الامر قبل وصول الحملة ، وطمعاً بالمزيد مما كان يبذله بدون حساب خال الموتورين .

ولكن مباركاً لم يفشل كل الفشل في العراق ، فقد حالفه سعدون باشا ابو عجيبي رئيس عشائر المنتفق وخرج معه بعدئذ على ابن الرشيد . اما حلفه الاكبر ، وان كان يومئذ قليل ذات اليد ، فهو صاحب نجد السابق الذي كان عنده في الكويت ، اعني به الامام عبد الرحمن آل سعود . فقد تعاهد الاثنان ان يكونا يداً واحدة على ابن الرشيد . وبعد ذا التعاهد خرج عبد الرحمن بجيش من الكويت وأغار على عشائر قحطان في روضة سدير .

اما الشيخ مبارك فكان قد رمى بشبكتين في بحر السياسة دفعاً للحرب واستعداداً لها ، اذ ارسل الى ابن الرشيد يقاوضه بالصلح ، وكتب الى بعض الرؤساء من اهل نجد يستنهضهم على ابن الرشيد . وكان الامام عبد الرحمن قد غزا غزواته وقتل راجعاً ، فارسل اليه يأمره بأن لا يرجع الى الكويت ، ولم يأذنه عندما قرب من المدينة بالدخول اليها ليشاهد عائلته . قد كان الشيخ مبارك في ذلك مأرب سياسي ، ولكنه عندما علم ان ابن الرشيد رفض التوسط بالسلم جهز جيوشه وخرج يقودها

بنفسه ، ومعه اخوه حمود والامام عبد الرحمن آل سعود وابنه عبد العزيز . اما ابو عجيبي السعدون فكان قد خرج بعشائره ليطارد ابن الرشيد الذي كان قد وصل في اغاراته الى اطراف العراق . والظاهر ان الغلبة في الوقعة الاولى كانت على ابي عجيبي فارسل يطلب النجدة من الشيخ مبارك الذي كان اذ ذاك في الجهرى ، فبادر الى نجدة .

وزحف الى السماوة حيث كان ابن الرشيد . ولكن حكومة البصرة مانعت في سيره عندما وصل الى ما بين الزبير والخيسية ، فاستغرب مبارك الامر ، وحلّ بمقابلة الوائى فوافقه الى قرب الزبير . وبعد المفاوضات اذن لاختيه حمود وعبد الرحمن ابن سعود ان يطاردا ابن الرشيد فلما وصلا بالجيش الى عين صيد رحل الامير الشمري من السماوة .

ولما عاد حمود وعبد الرحمن شرع مبارك بعد العدة للغزوة الكبرى غزوة نجد . فاستنفر القبائل فلبته مطير باجمعها ، ولواء العجمان وآل مرة وغيرهم من بوادي الجنوب . ثم جاء ابو عجيبي السعدون بعشائره من الشمال ، ناهيك بان بعض الزعماء من اهل نجد كانوا قد كتبوا اليه يعدونه بالمساعدة فانضم عدد منهم الى جيشه ، وفيهم آل سليم امراء عزيزة وآل مهنا امراء بريدة .

زحف هذا الجيش ، وعدده نحو عشرة آلاف ، يقوده الشيخ مبارك . ٥٣١٨ هـ فقطع الصهان ثم الدهناء ونزل على ماء دونها يعرف بالشوكة . ١٩٠٠ م وهناك اذن عبد العزيز بن عبد الرحمن ، اجابة لطلبه ، بان يسير بفرقة من هذا الجيش ، الف رجل من الياضية ، الى الرياض فيستولي عليها .

افترق الجيشان في الشوكة ، فزحف عبد العزيز سعود جنوباً بغرب الى عاصمة اجداده التي وصلها بعد يومين وكان في باكرة غزواته موفقاً . فقد احتل المدينة ما عدا الحصن الذي تحصنت فيه حامية ابن الرشيد ،

فعمزم على حفر نفق اليه ، وباشر ورجاله العمل .
واما مبارك فكان قد احتل بلدان عدة في نجد بدون قتال . بل كان
اهلها يرجون به لعلمهم ان حليفه ابن سعود . اما ابن الرشيد فكان قد
تقهقر وهو لا يريد ان ينزل جيشاً اكبر من جيشه . وظل يتقهقر حتى
جر العدو الى قلب القصيم فوقف له عند الطرفية التي تبعد خمسة عشر ميلا
من يريدة الى الشمال .

وفي جوار هذه القرية ، في مكان يدعى الصريف ، في ٢٩ ذي القعدة
من هذه السنة (١٦ فبراير سنة ١٩٠١) استبكت الجيشان وتلاحما طيلة
ذاك النهار فكانت الواقعة من اعظم وقائع العرب الحديثة ، ودارت فيها
الدوائر على ابن الصباح وحلفائه . خسر الشيخ مبارك عدداً كبيراً من
قومه ، وشيئاً كثيراً من عتاد الحرب ، فعاد ومن تبقى من الجيش
منهزمين الى الكويت .

وكان الظافر قاسياً عتياً ، فقد امر بقتل الاسرى اجمعين . ثم زحف
الى البلدان النجدية التي كانت قد سلمت الى صاحب الكويت ، فنكل
برؤسائها ، ونزع السلاح من اهلها ، وضرب عليهم الضرائب الفادحة .
اما عبد العزيز بن سعود فلها علم بوقعة الصريف اخلى الرياض ، التي
احتلها اربعة اشهر فقط ، وعاد برجاله الى الكويت ، فاستولى بعد ذلك
ابن الرشيد كل الاستيلاء على نجد اجمع . ولكن هذا الاستيلاء لم يدم
طويلا لان وقعة الصريف كانت فريدة في نتائجها وعواملها . هي وقعة
كان الظافر فيها مغلوباً . هي اول خطوة باهرة في سقوط ابن الرشيد
عبد العزيز ، كما ان حملة عبد العزيز بن سعود على الرياض هي اول ضربة
في فتوحاته .

الفصل الثاني احتلال الرياض

بعد وقعة الصريف واستتباب السيادة الرشيدية في نجد شد الظافر ثانية على ابن الصباح ، فنزل الحفر الماء المعروف الكائن في منتصف الطريق بين القصيم والكويت^١ ، وراح يوسف آل ابراهيم يشحذ بالاصفر الرنان عزم الدولة او بالحري عزم اولي الامر من رجالها في العراق .

وكانت شكوى المؤتورين ابناء اخوي الشيخ مبارك قد وصلت الى الاستانة ففتحت لها السياسة اذنها وبريطانية العظمى وقتئذ وراء الستار . قال السفير الكلمة التي طالما اصاخ لها الباب العالي فانذر صاحب الكويت . نعم ، انقلبت الدولة العلية على الشيخ مبارك ، وهو الذي ساعدها لتستولي على الحساء ، فسيروت الى الكويت باخرة حربية .

وكان ابن الرشيد قد زحف الى اطراف البلاد وهم بالهجوم على الجهمري ، تلك البلدة الكائنة وراء الخليج على ضفة الجون الغربي ، على مسافة خمسة عشر ميلاً من العاصمة . احاطت الاعداء بالشيخ مبارك ، حاقت « بالحوافة » الاخطار . ولكنه لم يفقد من عزمه ودهائه شيئاً . فعند ما رأى نفسه وبلاده في شبه الحصار فتش قلبه للدولة الاخرى الراسية بواخرها الحربية عند الشاطئ الفارسي من الخليج . ارسل الى أبي شهر يستنجد الانكايز ، فجاءه بعد ثلاثة ايام مراكب حربي ورسى في ميناء الكويت عشرين يوماً .

تلبذ جو السياسة في بغداد والبصرة ، فابتسم مبارك وهو يجهز الحملة

(١) راجع الفصل السابع عشر « الحفر » من القسم الخامس (الجزء الثاني) من « ملوك العرب »

الثانية على ابن الرشيد . بل ضحك وهو زاحف الى الجحري ، والمركب الحربي سائر في مرأى من الجيش اليها - اتبنون حصاري براً وبحراً ؟ ها اناذا جئكم بحراً وبراً بالقوات التي لا تغلب .

ولم يطلق المركب الحربي مدفعاً . الا ان الربان اذن ببعض المدافع الرشاشة فانزلت في الزوارق الى البر ومعها ضباط علموا الصكوبيتين استخدمهما . ثم خطر في بال ذاك الربان المذكي ان يرهب العربان بالاسهم النارية ، فارسلها ليلاً في القضاة وكان لها التأثير المطلوب . قيل ان ابن الرشيد ورجاله لاذوا بالفرار عندما رأوا النيران تشتعل في كبد السماء . بعد هذا الحادث وتلك الاسهم النارية ادرك الامير الشمري انه بدون مساعدة الدولة مباشرة لا يستطيع الاستيلاء على الكويت . عاد اذن بجيشه الى الحفر ، وشرع يفاوض الترك في بغداد . فلما علم الشيخ مبارك بذلك اراد ان يشغله بنجد وراء الدهناء .

وكان السعد في وجود آل سعود بالكويت خادماً مبارك . هوذا عبد العزيز وهو يأتي ان يقف في الغزو عند خيخته الاولى . هوذا عبدالعزيز وهو منذ رجوعه من الرياض يلح على والده ليستأذن من الشيخ مبارك باعادة الكرة على ابن الرشيد ، فاذن الشيخ حباً وكرامة .

ولكن الغزو يكون جماعة . والجماعة - اربعون رجلاً من عائلة آل سعود وخدامهم السابقين - حاضرون ، لا يلزمهم غير الركائب والبنادق والزاد ، وشيء من المال . اجاب الشيخ مبارك الطلب فاعطى عبدالعزيز اربعين ذلولاً ، وثلاثين بندقية ، ومئتي ريالاً ، وبعض الزاد .

كان عبدالعزيز في الواحد والعشرين من سنة عندما خرج ٥١٣١٩ هذه الشريدة من الكويت . خرج « ينصر » - يقصد

البوادي على يزيد في الاقل عدد رجاله . تحروا العجائب فتورد الرؤساء فيهم ولكن كثيرين من العامة انضموا الى غزو ابن سعود . وكذلك

آل مرة وسبيع والسهول ، فاستد ساعد عبدالعزیز . أصبح معه بدل
الاربعة ذلولاً ألف ذلول واربعمئة خيال .

هو جيش في البادية يذكر . ركب القائد الشاب على رأسه يقطع
الصمان والدهناء فوصل الى مكان يقال له العرض بنجد وغزا هناك عرب
قحطان الذين كانوا تابعين لابن الرشيد ، فاصاب منهم مغنماً كبيراً ،
وعاد الى ناحية الحساء .

عند ما علم ابن الرشيد بهذه الغزوة هجم في اطراف الكويت على
قبائل عريدار^١ ليظهر انه لا يبالي بثل هذا العدو .

ولكن ابن سعود بعد ان موثن جيشه في الحساء خرج غازياً مرة
اخرى فوصل الى سدير ، فاغار هناك في مكان يدعى 'عشيرة على قبيلة
من قحطان واخرى من مطير فاخذهما ورجع بالغنائم فنزل ثانية في
اطراف الحساء . وكان جيشه يزدد في كل غزوة حتى أصبح الف وخمسة
ذلول وستمئة خيال .

اما ابن الرشيد فعاد بجيشه الى الحفر . ولما بلغه خبر غزوات ابن
سعود الموفقة ارسل رسولاً اسمه الحازمي الى الشيخ قاسم بن ثاني يستنضه
على هذا العدو الجديد . ثم كتب الى حكومة البصرة لتوغل الى حكومة
الحسا بطرد ابن سعود من تلك النواحي وبتحريض البوادي عليه .
اجابت الحكومة طلب ابن الرشيد ، فشرذ خوقاً منها ومنه اكثر من
الف هجارت ومئة خيال من جيش ابن سعود ، فلم يبال بذلك لانه لم
يكن ليركن الا لرجال الاربعة الاولين .

غزا بما تبقى معه الغزوة الثالثة فوصل الى جنوبي نجد واغار هناك على
قبائل من الدواسر فلم يصب مغنماً كبيراً . ولكنه عاد الى ناحية الحسا .
وكان وقت الشتاء فتفرق البدو طالعين المرعى لمواشيهم . ولم يكن ليربطهم

(١) يطلق هذا الاسم على خليط من العرب لا ينتسبون الى قبيلة من القبائل

بابن سعود الاحب الكسب، فمن ابن له واحال هذه أن يكرههم على البقاء. اربعون رجلاً ظلوا اربعين بعد ان ذاقوا خلوة النصر ومر الفشل والحمران. ولم يكن لعبد العزيز الشاب ما يشد عزمهم، ويفتح لاهلهم ولو كوة من النور. استمر ابن الرشيد يحرض الترك وصاحب قطر عليه، فكتب اليه والده والشيخ مبارك يسألانه ان يرجع الى الكويت فابى. وعندما اشتد عليه ضغط الحكومة، حكومة الحسا، فرّ ورجاله هاربين جنوباً فوصلوا الى مكان بين حرّض وواحة جبرين، واقاموا هناك شهراً. وكان ابن الرشيد لا يزال في الحفر وهو يستنجد الاتراك في احتلال الكويت، ويستنهم على عدوه الجديد بل على آل سعود كلهم. فقطعت الدولة معاش كبيرهم، وسدت ابواب الحسا على صغيرهم، وهم ابن الرشيد ان يحصر هذا الصغير سميه في تلك الواحة القصية على حاشية الربع الخالي^(١)

تشتت جيش عبدالعزيز، وترعزت اماله، فنهض بائساً يضرب الضربة الاخيرة، وهو يرجو ان تكون القاضية اما عليه واما على خصمه. اعترم الهجوم ثانية على الرياض فاما ان يستولي عليها واما ان يقتل في سبيلها. وكانت قوته يومئذ ستين رجلاً لا غير، اي انه لم يبق معه من ذلك الجيش الذي بلغ عدده الفين غير عشرين مقاتلاً. وكان في الرياض قنعتان الواحدة ضمن الاخرى شيدهما ابن الرشيد واقام فيهما تسعين من رجاله يرأسهم امير اسمه عجلان.

وخرج ابن سعود والستون البلاء من مراحهم بين حرّض وجبرين في ٥ رمضان ووجهتهم الرياض، فوردوا ليلة العيد ابا جفان، وساروا منه في اليوم التالي فوصلوا في ٤ شوال الى حدود الرياض، ونزلوا في الساعة

(١) واحة جبرين هي على مسافة مئة وستين ميلاً من الحسا جنوباً ومئة وخمسة وسبعين ميلاً من الرياض شرقاً بجنوب

الثالثة عربية (التاسعة ليلاً) في ضلع يبعد ساعتين عن العاصمة .
ترك عبدالعزيز عشرين من قومه هناك كجيش احتياطي ، وتقدم
بالاربعة الآخرين ، وفيهم اخوه محمد وعبدالله بن جلوي امير الحسا
اليوم . فلما وصل الى البسانين خارج السور اقام اخاه محمداً ومعه ثلاثون
رجلاً هناك ، ومضى بالعشرة الباقين الى غرضه . ولكنه لم يتمكن من
الدخول الى الحصن الخارجي اي حصن السور الا من البيت المحاذي
وهو لفلاح يتجر بالبقر .

قرع عبدالعزيز الباب فاجابت امرأة تقول : من انت ؟
عبدالعزيز : رجل من رجال الامير عجلان اريد من رجلك ان
يشترى لنا بقرأ صباح الغد .
الامراة : نخسئت يا شبه الرجال - ما جئت تبغي البقر يا فاجر بل
جئت تبغي الفساد .

عبدالعزيز : لا والله ليس هذا قأزني . بل ابغي صاحب هذا البيت
فاذا لم يخرج الي الان فالامير يقتله صباح الغد .
سمع الرجل هذا التهديد فجاء يفتح الباب ، وكان عبدالعزيز يعرفه
من الهجوم الاول في السنة الماضية ، ويعرف حريمه وفيهن من كن
خادمات سابقاً في بيت سعود . فلما خرج امسكه بيده قائلاً : اذا
تكلمت قتلتك في الحال . فصاح النساء وقد عرفنه : حمنا ، حمنا عبدالعزيز^(١) .
عبدالعزيز : لا بأس عليك اذا سكنت . قال هذا وقد ادخلهن الى
غرفة واقفل عليهن الباب .

ثم تسلق الجدار الى البيت الاخر عند الحصن فاذا فيه شخصان نائمان
على فراش واحد ، فلفهما بالفراش وحملهما الى غرفة صغيرة ، فاودعهما
هنالك واقفل الباب .

(١) في بعض اقطار البلاد العربية كنجد والحجاز يتنادي الخادم سيده : عمي

اطمان من عبدالعزيز البال ، فارسل يطلب اخاه محمداً والباقيين فجاءوا دون ان يشعر احد بهم واجتمعوا كلهم في ذاك المكان .

وكان البيت الاخر الى جانب الحصن للامير عجلان ، وفيه احدى نسائه وهو يزورها تارة في الليل وطوراً في النهار . مشى عبد العزيز وعشرة من رجاله الى ذاك البيت ، فدخلوه وطافوا بغرفته ، فوجدوا في احداها اثنتين نائمتين على فراش واحد فذهبا عبدالعزيز الامير عجلان وامراته . دخل متسللاً ومعه رجل يحمل سراجاً . فلما دنا من الفراش رفع الغطاء فاذا هناك امرأتان ، فأيقظهما ، فاستونا جالستين دون ان يعرفوهما شيء من الخوف . وكانت الواحدة منهما امرأة عجلان والاخرى اختها امرأة اخيه .

عرفت امرأة عجلان الرجل فبادرته بالقول : انت عبدالعزيز . فأجابها : نعم . فقالت : من تبغي ؟ فأجابها : ابغي زوجك . فقالت وهي تسم بالله : اني احب ان تقتل كل من في البلد من شمر الا زوجي ، ولكنني اخشى عليك منهم ، اخشى ان يقتلوك يا عبد العزيز .

عبد العزيز : ما سألتك عن هذا الامر . اتما تريد ان نعرف متى يخرج عجلان من الحصن الداخلي .

امرأة عجلان : لا يخرج الا بعد طلوع الشمس بساعة . عبدالعزيز : هذا كل ما نبغيه منكن ، ولا بأس عليكم اذا سكتن . قال هذا وهو ورجاله يسوقون الامراتين وبقية النساء الى غرفة واحدة ، فحبسوهن فيها . ثم كسروا الباب الذي يوصل الى البيت الذي كان فيه بقية الرجال فدخلوا منه ، واجتمعوا كلهم في بيت عجلان .

وكانت الساعة الثامنة عربية (الثانية بعد نصف الليل) فاستراحوا ، واككلوا التمر ، وشربوا القهوة ، وناموا قليلاً . ثم شرعوا عند انبثاق الفجر يدبرون طريقة للهجوم على الحصن الداخلي . وبعد قليل فتح ذلك

الحصن فأخرج بعض العبيد الحيل الى الشمس. فلما رأى عبدالعزيز البوابة مفتوحة خرج عاديّاً ، فتبعه من رجاله خمسة عشر رجلاً فقط .

واتفق ان الأمير عجلان كان قد خرج من الحصن عند هجومهم عليه وهو قادم الى بيته . فلما رأهم عراه الدهش والرعب فنكص ورجاله على أعقابهم وهم يبعون الرجوع . ولكن البوابة الا الخوخة (الباب الصغير فيها) كانت قد اقفلت ، وبينما كان ورجاله يدخلون من ذلك البوابة أطلق عبدالعزيز البندقية عليه فاصابه ولم يقتله . ثم ادركه وقد صار نصفه داخل البوابة فامسكه برجليه وسجبه الى الخارج فتصارع الاثنان برهة .

واما الرجال الذين كانوا قد دخلوا الحصن فصعدوا الى احد الابراج المشرفة على السوق ، وشرعوا يطلقون النار من المصاليات على رجال ابن سعود ، فجرحوا اربعة منهم وقتلوا اثنين .

وتراجع المهاجمون الا عبدالله بن جلوي فكان اول من دخلوا الحصن ، وراح يعدو وراء عجلان الذي كان قد تقلت من عبدالعزيز ، فرماه بالرصاص فخرّ لوجهه قتيلًا .

ونادى عبدالعزيز برجاله واستفزهم فافتقوا اثر عبدالله . هجموا على الحصن هجمة واحدة ، فصاحوا بن فيه وفتكوا بهم ، فقتلوهم الا عشرين رجلاً كانوا قد تحصنوا في جهة منه . ولكن عبدالعزيز أمنهم على حياتهم فسلموا .

وبعد سقوط الحصن في الخامس من شوال ١٣١٩ (١٥ يناير سنة ١٩٠٢) والاستيلاء على الرياض باشر الأمير السعودي الشاب بناء السور الجديد القائم اليوم حول اقسام متهدمة من السور القديم ، فتم بناؤه في نحو خمسة اسابيع .

الفصل الثالث

الحرب في الخرج

لم يحدث احتلال الرياض امراً جديداً في السياسة الدولية اي بين الدولة العلية والحكومة البريطانية . فظلت الاولى مذبذبة مراوغة ، واستمرت الثانية مراقبة ومن وراء الستار حاكمة بامرها .

واما الشيخ مبارك فقد كان احتلال الرياض برداً وسلاماً على قلبه . ولم يكن عكس ذلك ظاهراً في ابن الرشيد ، فقد سمع الخبر غير مكترث به وضرب له الامثال فقال : ارنبة بحجرة واهلها مقيمون ، اي انه يستطيع اي يوم شاء ان يخرج ابن سعود من الرياض . لذلك لم يتزعزع من الخبر فاقام هناك اربعة اشهر يفاوض الترك في بغداد وهو بعزل النفس باحتلال الكويت .

وكان الترك يرجون برسلك وهدايا ، ويعودونه بالمساعدة ويتقاعسون . انت تذكر ان الحملة التي ارسلوها مرة على الشيخ مبارك ظلت ستة اشهر في الطريق من بغداد الى الزبير . وقد اشرت الى السبب بل السببين في ذلك . ناهيك بانه لم يكن للدولة آنئذ في ابن الرشيد الغرض الذي ولدته الحوادث في ما بعد . بل كانت اميل الى مبارك وهو على البحر منها الى امير في داخل البلاد العربية .

ولكن مباركاً والى الانكليز ، ودعاهم الى بلاده ، فاستحق لذلك اهمال الدولة بل تقصتها . وبما انها كانت عاجزة عن اظهار تلك التقية في مظهر من القوة يليق بعظمتها ، فقد اكتفت بان تظهر ولاءها لابن الرشيد ، وتأذن له بان يفاوضها في محاربة ابن الصباح . وقيل ان الحكومة البريطانية كانت تضغط عليها لمنعها من مساعدة ابن الرشيد

مساعدة حربية . ولا غرو ، فالسبب في ذلك - السبب المعروف - هو انها بعد ان استقرت في الكويت وتعاهدت وابن الصباح ، أصبحت حامية البلاد .

الشيخ المبارك المسعد ! قد حماه الانكليز من البحر ، وحماه ابن سعود الشاب من البر . كيف لا وهو يشغل عنه عدوه ابن الرشيد . - ولدي عبد العزيز تولاك الله ، وعافاك ، وقواك ، وجعل النصر دائماً أخاك ! ارسل مبارك يهنئ ولده ويبارك له . ثم بعث اخاه سعد بن عبد الرحمن بالنجدة التي طلبها .

ومشى عبد العزيز الى غرضه فاستولى اولاً على النواحي الجنوبية اي الحرج والحوطة والحريق والافلاج والدواسر . اما النواحي الشمالية ، مثل الشعيب والمحمل والوشم وسدير ، فظلت في حوزة ابن الرشيد مع انها كانت موالية لابن سعود .

في اوائل هذا العام اغار عبد العزيز مرتين على قبائل من قحطان كانت نازلة حليان^(١) في اطراف نجد فأخذهم . ولكنه مرض في الغزوة الثالثة وهو على ماء الحسي شمالي الرياض . ثم خرج اخوه محمد غازياً لفخذ من عتيبة يرأسهم ابن ربيعان وهم في مكان قرب الشعري^(٢) .

واما عبد العزيز بن الرشيد فلما يئس من مفاوضات الترك وبأن له من امره الاذنية المحجرة ما لم يكن ليخطر في باله ، امر بشد الرجال واسند (العرب يقولون سند) عائداً الى حائل ، فعبا جيشاً جديداً من شمر والقصيم وسدير والوشم ، وزحف به في ربيع الأول من هذا

(١) العرب يفظونها اخليان

(٢) لكي يدرك القارىء شيئاً من مشقات الغزو عند العرب يجب ان يعلم مقدار المسافات التي يقطعونها غازين . فالمسافة بين الرياض مثلاً ووادي الدواسر هي نحو ثلاثة ميل اي مسير خمسة عشر يوماً ، ومثل ذلك تقريباً بين الرياض والشعري .

العام قاصداً الرياض .

فلما علم ابن سعود بذلك ارسل الى ابيه في الكويت يقول ان الحرب قائمة ، وان الاستيلاء على الرياض يقتضي ان يكون هو اي الامام عبد الرحمن فيها . جاء الوالد مسرعاً ، ولم يمنعه الاسراع من ان يغزو في طريقه قبائل من الظفير وشبر الموالب لابن الرشيد ، وخرج عبد العزيز ورجاله فساروا مسافة ثلاثة ايام ليستقبلوا الامام الذي عاد الى الرياض عودة الظافر ، وكان قد خرج منها منذ احدى عشرة سنة مهاجراً .

ثم حدث خلاف بين الاب والابن نادر المثال . فقد ارسل عبدالعزيز من القصر الى الوالد في بيته يقول : الامارة لكم وانا جندي في خدمتكم . فجمع الوالد العلماء واعلمهم بالامر ، ثم ارسل الى ابنه الصغير يقول : اذا كان قصدك في استدعائي الى الرياض لأتولى الامارة فيها فهذا غير ممكن ، ولا اقبله مطلقاً ، ولا اقيم في المدينة اذا الحيت به .

تدخل العلماء في الامر فقالوا لعبد العزيز : على الابن ان يطيع اياه . وقالوا لعبد الرحمن : انت كوالد عبد العزيز رئيس عليه ، وبالتالي على اهل نجد . فقال عبد الرحمن : ولكن الامارة له

فقال عبدالعزيز : اني قابليها بشرط ان يكون والدي مشرفاً على اعمالني دائماً فيرشدني الى ما فيه خير البلاد ، ويردني عما يراه مضرّاً في مصالحها . كذلك تمت البيعة لعبد العزيز . وكان يومئذ سميّه ابن الرشيد نازلاً في رعيه من بلدان المحمل ، وقصده محاصرة الرياض ، فأرسل سالم السبهان بجيش من قحطان الى ضربه ليهجم عليها من الجنوب الغربي ، وأمر الخازمي مندوبه في الحسا بان يستنفض العجبان وآل مرة بمؤازرة الحكومة فيهبهموا من الشرق الجنوبي .

ولكن ابن سعود ارسل اخاه محمداً وابن عمه عبدالله جلوي الى تلك النواحي الجنوبية يستنجدان الدواسر وآل مرة ، فظفرا بهما لم يظفر

الحازمي والترك اعوانه. وقد علم ابن الرشيد أن كثيرين من كان يظنهم من اتباعه قد انضموا الى ابن سعود، فأقام شهرين في رعيه واسبوعين في الحسي، وهو يعجز عن الهجوم على الرياض. ثم رحل الى الحفر ليحول دون تكوين العدو من الكويت.

ولكل امير من امراء العرب دائرة استخبارات، وليكنهم هناك يسون الاشياء باسمائها الحقيقية. قال السلطان عبدالعزيز: « فلما علم ابن سعود من جواسيسه، أن ابن الرشيد ينوي أن يصادر الارزاق التي تجيء الى نجد من الكويت والحسا تذاكر ووالده فقدت النية على حيلة تقربه منهم فيلاحقون واباه ويتصرون عليه او في الاقل يحولون دون تنفيذ خطته ».

خرج عبد العزيز من الرياض ووجهته الجنوب، وراح شمالاً الى مناهج ابن الرشيد من اشاع ان ابن سعود خائف من خصمه وانه فر هارباً. فلما سمع ابن الرشيد ذلك شد الرجال مسرعاً ودرهم^(١) فنزل على ماء بنبان^(٢)، ولم يكن بينه وبين الرياض غير عشرين ميلاً او اقل. ثم جاء الخبر اليقين وهو ان الرياض محصنة وان ابن سعود في حائر سبيع بالحرج، فامسى في حيرة مزعجة ابت عليه التمهق وحالت دون الهجوم.

وكان لابن سعود سرية في الدلم عاصمة الحرج بقيادة احمد السديري، فأمره ان يتأهب للزحف معه الى الرياض اذا هجم ابن الرشيد عليها. اما اذا تجنبها ومشى الى الحرج فاهل الرياض يتفقونه بالسلاح وعبد العزيز يفزع الى السديري في الدلم. بعد هذا التدبير وكفل ابن جلوي بمن كان معه من الجنود فأقامهم في عليّة، وهو ضلع حصين بين الحريق والحوطة، قريب منها. ثم ارسل اخاه سعداً الى الحريق يستنجد اهلها،

(١) درهم ينرم من اضطلاحات اهل نجد والذرهام سير سريع بين الحب والفارة.

(٢) بنبان هو على مسير سبع ساعات شمالي الرياض بينها وبين الحسي.

وراح هو للغاية نفسها الى الحوطة ، فبلغه في اليوم الثاني هنالك خبر هجوم ابن الرشيد على الدلم - طاح في الشرك الذي نصب له ! فبادر ابن سعود الى ذلك المكان .

وجمع جيوشه من اهل الحوطة والحريق فبلغوا مع من كانوا في ضلع عليه الف وخمسة مقاتل . اجتمعوا في ماوان على مسافة عشر ساعات من الحرج واسمروا فوصلوا الى الدلم قبل انبثاق الفجر . وكان ابن الرشيد قد نزل في نعجان على مسير ساعتين من البلدة ، فلم يدرك بدخول ابن سعود اليها . على انه في عصر ذلك النهار ارسل سرية مستكشفة فخرجت لها خيل ابن سعود ، فتهاجم الفريقان ونطاردا ، فانهمزت خيل ابن الرشيد .

وكثيراً ما تكون الحرب عند العرب مناورات ومجاولات ، وهم قلما يسارعون الى المصلحة التي تطيح فيها الرؤوس . ولكنهم يسبغون اليها على طريقهم سير الهون ، وهم يغزون ، ويعتزون ، ويناشون ، ويتقهقرون . اما ان الحرب خدعة فكلمهم يعرفون الحديث ويؤمنون بل يعملون به . في فجر اليوم التالي راح ابن سعود يكمن لابن الرشيد ، وكان قد علم ان من عادته ان يخرج وبعض رجاله صباح كل يوم ، فيطوفون في البساتين يرعون ابلهم ويقطعون النخيل . وكان ابن الرشيد أحسن ان خصه في الدلم فلم يخرج كعادته باكراً ، فارسل ابن سعود نخيلة مستكشفين ، فعادوا يقولون انه متحصن في نعجان . ولم يكن لابن سعود ان يهجم عليه في النهار ، لان خيله قليلة ولأن الهجوم يبعده عن الحصون .

على ان الكشافة لم يصدقوا اميرهم الخبر لانهم لم يصلوا جُبناً او جهلاً الى مكان الاستكشاف . فبعد ان عاد ابن سعود الى البلدة بلغه الخبر ان ابن الرشيد قد خرج على عادته يحول في النخيل ، فبادر بقسم

من جيشه اليه .

وكانت المواجهة الاولى بين العزيزين خارج الدلم وسط النخيل .
تواجهوا واحتربا ، فكانت الواقعة شديدة ، واستمرت ست ساعات حتى
غروب الشمس . ولكنها لم تسفر عن شيء كبير . فقد اسر رجال ابن
سعود جماعة من رجال ابن الرشيد يدعون باهل لبده فحصرهم في القصر ،
ففرّوا منه في المساء . وطارد ابن سعود ابن الرشيد فتقهقر الى معسكره .
ولم تكن الذخيرة متوافرة عند ابن سعود فنفذت او كادت في تلك
الواقعة ، فارسل يطلب قسماً من الحوطة . اما ابن الرشيد فشدد في اليوم
التالي الرحال وسار جنوباً الى اسفل الحرج ، فنزل السليمية التي تبعد
ست ساعات عن الدلم ، فتفقد ابن سعود بعد وصول الذخيرة ونأزله في
السليمية فانخرجه منها .

ولكنه لم يتمكن من تعقبه فادراكه ، ثقله خيله وركائبه ، ولكتوتها
مع ابن الرشيد . فقد كان جيش الشري مؤلفاً من اربعة الاف ذلول
واربعة خيال ، على حين ان الجيش السعودي لم يكن يتجاوز الالفين
ولم يكن فيه غير اربعين من الخيل . ومع ذلك فقد انهزم ابن الرشيد
في الحرج ، وثبتت سيادة ابن سعود فيه ، بل في النواحي الجنوبية كلها .

الفصل الرابع الاستيلاء على القصيم

لم يغير فوز ابن سعود في الخرج موقف الترك تجاه ابن الرشيد وابن الصباح . فظلوا يخافون هذا ويعلمون ذاك بالعودة . ومع ذلك فقد عاد ابن الرشيد الى الحفر بعد تلك الهزيمة واستأنف الغزو ، فأغار على عريدار قرب الكويت ، وعلى سبيع في الدهناء ، وعلى عتبية قرب الارطاوية^(١) . ثم باشر محاصرة الكويت فأرسل الشيخ مبارك يعلم «ولده» عبدالعزيز بذلك ويستجده . والدهر في الناس قلب . . . فقد صار منجداً من كان بالامس مستنجداً .

وكان عبدالعزيز بعد شهر اقامه في الرياض قد غزا عرب مطير في الصمان ، وعتبية في عرق رغبة بين الوشم وجبل طويق . مما يدل على ان النزعات او المصالح بدأت تشق القبائل فصار قسم منها يدين لابن سعود ، وقسم لابن الرشيد ، فيغير هذا على عتبية مثلاً السعودية ، ويغير ذاك على عتبية الموالية لابن الرشيد .

ولم يلب عبدالعزيز دعوة الشيخ مبارك فسار فزعا الى الكويت بجيش لا يقل عن العشرة الآلاف ، وهو الذي خرج منها باربعين ذلواً اجرب منذ سنتين . فرحبت الكويت به وهلت له ، وانضم منها الى جيشه ما كان قد جنده مبارك بقيادة جابر بن الصباح . ثم خرج الاثنان جابر وعزيز غازيين طالبين ابن الرشيد .

زحف هذا الجيش الجرار المؤلف من قبائل الحساء كلها — من العجمان وآل مرة وبني خالد وبني هاجر والعوازم والمناصير وسبيع

(١) لم تكن تأسست هنالك البلدة او الهجرة التي تدعى بهذا الاسم .

والسهول - البالغ عدده أربعة عشر ألفاً ، منهم أربعة آلاف خيال ،
 ووجهتهم الحفر . ولكنهم أخبروا في الطريق ان ابن الرشيد قد عاد الى
 بلاده ، فجهزوا لذلك على مطير في الصمان ، فذبحوهم عن بكرة أبيهم ،
 وغنموا اموالهم وارزاقهم كلها - ذبحناهم واخذنا حلالهم ! (امتعتهم)
 على ان حلاوة هذا النصر لم تدم طويلاً . فقد بلغهم عندما وصلوا الى
 ماء طوال أخبر اليقين وهو ان ابن الرشيد - الذي يحسن مثلهم الخدعة
 - لم يرجع الى بلاده ، بل زحف الى الرياض يبقي محاصرتها . وقد مر
 في طريقه بعرباب من السهول فضر بهم وضهم الى جيئته ، ثم
 تقدم مسرعاً وهو ينوي ان يهاجم العاصمة بالهجوم ليلاً عليها .
 فلما دنا منها عسكر عند ضلع يدعى ابا أم خروق^{١١} دون ان يعلم بذلك
 احد من اهل المدينة . ولكنه عندما مشى اليها ، واصبح في ظلال فخيبتها ،
 شرد رجل من السهول المكرهين ودخل يصيح بائناس : العدو قرب
 منكم ! العدو عند السور !

نفض اذ ذاك الامام عبدالرحمن باهل الرياض للدفاع ، فخرجوا على
 ابن الرشيد ونازلوه خارج السور ، فردوه خائباً ، فنقل بعد ذلك
 معسكره من بخروق الى فخيلا يسعد ساعة عن المدينة ، واقام هناك
 ثلاثة ايام دون ان يأتي بحركة .

ثم بلغه ان عبدالعزيز بن سعود زاحف الى القصيم ، فشد الرجال
 مسرعاً ومشى الى الوشم عن طريق ضرمه . وكان الامام عبدالرحمن قد
 ارسل سرية^{١٢} بقيادة مساعد بن سويلم فاستولت على المحمل والشعيب ،
 ثم زحفت الى شقرا التي كان فيها امير لابن الرشيد اسمه الصويغ . فلما

(١) اهل نجد يلقونها بخروق . وهذا الضلع هو شلى مسير ساعة من الرياض
 وفيه غار يخرج اليه الملك للترمة .

(٢) السرية من مئة الى الخمسة خيال .

دنا مساعد من البلد رحل الصويغ الى ثرمدا ، فاستولى مساعد على شقرا برضى اهله . ثم هجم على ثرمدا فادرك الصويغ فيها ، فقتله ، والتقى القبض على العنقري اميرها وارسله الى الرياض .

ولم يكن ابن الرشيد بطيئاً في تعقبه ابن سويلم . فقد هجم عليه في ثرمدا فاخرجه منها ، فراح يتحصن في شقرا ، فتتفاه وحاصره فيها . واما عبدالعزيز بن سعود فقد عاد بعد غزوة مطير الى الكويت ، فجاهه وهو هناك البشير من والده يخبره بهزيمة ابن الرشيد في هجومه على الرياض ، فاطمان باله واهتم في نقل عائلته التي كانت لا تزال في الكويت فعاد بها الى نجد .

وما كاد يصل الى العاصمة حتى علم ان ابن الرشيد محاصر لشقرا وفيها مساعد بن سويلم ، فاستراح يوماً واحداً وشد للنجدة . ولما وصل عبدالعزيز الى حرملا علم ابن الرشيد بذلك ففك الحصار ورحل الى الفاظ^(١) . واستمر عبدالعزيز زاحفاً الى شقرا فاحتلها . ولكن سرية ابن الرشيد بقيادة حمد المسكر امير الجمعية كانت لا تزال في ثرمدا ، فارسل عليها عبدالله بن جلوي ، فاعطى عبدالله اهل البلد الامان ، فابوا الا القتال ، فقاتلهم ودحرهم . اما السرية فتحصنت في القصر ، فأمر عبدالله بمهاجمتها ليلاً ، فكانت النتيجة ان قُتل عدد منها ، ولأذ الاخرون بالفرار .

عندما سمعت ثرمدا الى عبدالله بن جلوي رحل الرشيد من الفاظ ورحلته القصيم . ولكنه ترك سريتين في سدير ، الواحدة في الجمعية والاخرى في الروضة ، فارسل عبدالعزيز سرية عليهما بقيادة خاله احمد السديري ، فنازلت سرية الروضة فدحرتها واستولت على البلد . ثم مشت في سدير ظافرة ، فاستولت على بقية بلدانه ما عدا الجمعية التي حافظت على سيادة ابن الرشيد فيها ، وقد دافعت عنها دفاعاً شديداً . ولكن

(١) الفاظ من بلدان سدير وهي تبعد عن اجمعة قاعدة تلك الناحية عشرين ميلاً .

عبد العزيز قنع يومئذ بما حاز من النصر فترك سريتين أخيرين ، الواحدة في الروضة والثانية في جلالجل ، وأمر السديري في شقرا ، ثم عاد الى الرياض .

كل هذه الحوادث - هذه الغزوات والغارات - حدثت في سنة واحدة بعد سقوط الرياض . فلم يكن عبد العزيز وسميه السديري ليستريحان الا قليلا في الفترات القصيرة التي هي هدنات اضطرابية .

عاد ابن سعود بعد فوزه في الوشم وسدير الى الرياض . ولم يكدم الشهر حتى جاءتته اخبار ابن الرشيد وفيها انه خرج من القصيم غازياً ، وقصده المهجوم على عتيبة وقحطان (بعد استيلاء ابن سعود على سدير والوشم أصبحت هاتان القبيلتان من قبائله) فحاصر التويم قرية من قرايا سدير .

خرج ابن سعود مسرعاً من الرياض ، وكان قد أمر اهل الوشم بان يبادروا مع احمد السديري الى انجداد سدير . فلما وصل الى ثادق علم ان ابن الرشيد لم يفر بشيء في غزوته وحصاره ، بل انه انهزم وشرق ، فنزل ماء شمال الارطاوية . اما الجمعية قاعدة سدير فكانت لا تزال في حوزته وله سرية فيها .

سار ابن سعود من ثادق الى جلالجل فاهام فيها عشرين يوماً وهو يعد القوة للحرب في القصيم . فبلغه وهو هناك ان ابن الرشيد قد عاد الى تلك الناحية ماراً بالزلفى ، فزحف بجيشه الى الجمعية ، وانفق واهلها على التسليم اذا هو استولى على القصيم .

قد كان جيش ابن سعود مؤلفاً يومئذ من سبعة الاف من المشاة واربعمئة ذلول لا غير ، فمضى به الى العاط ثم الى الزلفى ، فكتب من هناك الى الشيخ مبارك يسأله ان يرسل اليه من كان عنده من اهل القصيم ، مثل آل الحليل وآل سليم ، وما يستطيعه من المدد ، فارسل

مبارك اولئك الذين لاذوا بالكويت بعد وقعة المليدا ومعهم مئتان من الرجال فقط .

وكانت تلك السنة قليلة الامطار ، فضاقت العيش بسكاك الزلفى وبالتالي بالجيش ، فصاروا يأكلون حتى رؤوس النخل اي لبها . لم يكن بالامكان السير الى بريدة لقلّة الزاد والركائب ، ناهيك بالطريق وليس فيه بلد يأوون اليه . أضف الى ذلك ان ابن الرشيد كان مستولياً على القصيم اجمع . فماذا عسى ان يفعل ابن سعود ؟ قد كتب الى بعض الموالين له هناك يطلب منهم ان يؤلفوا سرحدات تهجم على بعض البلدان قهيداً لدخوله - تفتح له الباب - فلم يلبوه . ولما يتقن انه لا يستطيع الهجوم على القصيم ، ولا البقاء في الزلفى لشدة القحط ، وضيق العيش فيها ، عاد الى الرياض .

اما ابن الرشيد فدخل من القصيم قاصداً البطينيات على يظفر هنالك ببعض عربان ابن سعود ، فاقام على ذاك الماء عشرة ايام وارسل اربعمئة من رجاله بقيادة ماجد آل حمود بن الرشيد الى جهة غنيزه ، وثلاثمئة بقيادة حسين بن جراد الى السر . ثم اتخدر الى اطراف العراق ليستنفر شترآ هناك ويستنجد الاتراك . فلما علم ابن سعود بارتحال ابن الرشيد الى العراق شد مسرعاً من الرياض ، وواصل السير بالسري ، فالتقى في ١٨ ذي الحجة من هذا العام بحسين بن جراد في السر ، وبأدره القتال ، وقتله واكثر من معه ، وغنم اموالهم وارزاقهم كلها . تدعى هذه الوقعة بوقعة ابن جراد . وقد كان من نتائجها انها قسمت قبائل حرب المنطقة بين السر والقصيم ، والتي كانت كلها تابعة لابن الرشيد ، فانحاز قسم منها بعد الوقعة الى ابن سعود .

عاد بعد ذلك عبدالعزيز الى الرياض ، فاقام فيها شهر ذي الحجة ، ثم مشى في آخر الشهر الى الغرض الاكبر ، فارسل الى اهل القصيم في شترا

يأمرهم بأن يوافوه الى نادق لانه يريد ان ينحدر الى الكويت .
 شاع هذا الخبر ، فترك عبدالعزيز ثقيل احماله في قصر الجريفة من
 قصور الوشم ، وراح بجيشه يدرهم قاصداً ماجد بن الرشيد في القصيم .
 فلما وصل الى ماء الشريعة في وسط النفود علم بعض من كانت معه من
 البادية انه يريد ابن الرشيد فشدوا ، فلما بالى ابن سعود بذلك . بل
 استمر مسرياً ، فضل الدليل وتاهوا في النفود طيلة ذاك الليل ، ثم خرجوا
 منه فاذا بكشافه لماجد على حواشيه .

نزل ابن سعود في ذاك النهار قصر الحميدية من قصور عنيزة ، على
 مسير اربع ساعات منها ، وتقدم ساعة الغروب فوصل الى نخل من نخيل
 المدينة ، فعسكر هناك ، وامر من كان معه من اهل القصيم ، وفيهم آل
 سليم ، ان يحجموا على اهل عنيزة في تلك الليلة . قد كانت يومئذ بعض
 الزعماء فيها ، مثل آل يحيى وآل بسام ، مع ابن الرشيد وعندهم سرية
 من سراياة رئيسها فهد السبهان . اما ماجد فكان نازلاً قرب المربط
 وهو باب من ابواب المدينة .

عند ما هجم اهل القصيم على عنيزة اصطدموا بطلائع ابن الرشيد من
 اهلها ومن شمر ، فتلاحم الفريقان ، فقتل فهد السبهان وما سلمت
 رجاله ، فطلب السعديون المدد ، فارسل عبدالعزيز مئتين من رجاله
 بقيادة عبدالله بن جلوي . وكان عبدالله قد اشتهر بالبسالة والبطولة ، فلما
 سمع اهل عنيزة بالنجدة التي جاء يقودها سلموا حالاً الى آل سليم .

اما ابن سعود فركب بعد ان صلى الفجر على رأس سرية من الخيل
 و«نحر» المكان الذي كان فيه ماجد بن الرشيد . فلما رأى ماجد نخل
 ابن سعود لاذ بالفرار ، فتعقبه واستولى على مركزه ، بعد ان قتل اكثر
 قومه وفيهم اخوه عبيد .

ثم عاد ماجد ومنعه بضع وعشرون من الخيل والراكب ، وفيهم نفر

من آل سعود الذين كانوا منفين في حائل ، جاء بهم ليرد العدو المنتصر لانه اذا عرفهم ، وهم من آل سعود ، قد يمتنع عن القتال فلا يُقتل احد منهم . ولكن عبدالعزيز عند ما عرف اهلهم - قد دُعا منذ ذلك اليوم « العرايف » - ^(١) امر بعقر خيلهم ليشمكونا من خلاصهم . وكذلك كان . فقد فازوا يومئذ ، بعد عقر الخيل اثناء المعركة ، بسعود بن العزيز وسعود بن محمد وفصل بن سعد ، فخلصوهم من القتل ومن الاسر .

[١٣٢٢ هـ] وفي ٥ محرم من هذه السنة (٢٣ آذار) بعد اندحار ماجد [١٩٠٤ م] بن الرشيد وفراره الى حائل ، تم فتح عنيزة ، فدخلها ابن سعود ، واقام فيها بضعة ايام . ثم شد على بريدة فسلم اهلها . ولكن امير ابن الرشيد والحامية فيها تحصنوا بالقصر فحاصروهم ابن سعود فثبتوا شهرين في الحصار ، ثم سلموا في ١٥ ربيع اول ، قم في تسليمهم الاستيلاء السعودي على بريدة وعنيزة ، وبالتالي على القصيم اجمع .

(١) اذا خسر البدو في الغزو جاهدوا ثم استعادوها فهم يسمونها العرايف - مفردا عرافة - اي المروءة . فاطلق ابن سعود الاسم على ابناء عمه هؤلاء .

الفصل الخامس

البكيرية

ان اطول وادي في البلاد العربية هو وادي الرؤمة الذي يمتد شرقاً من حرّة خيبر الى الرّس ، ثم شرقاً بشمال الى البصرة . وهذا الوادي يخترق بلاد القصيم بين عنيزة وبريدة ، فيشطرها شطرين ، الشطر الغربي الشمالي والشرطي الجنوبي الشرقي . وفي الشطر الاول بين بريدة والرس بضعة بلدان منها البكيرية والشبيحية والحبرا التي يهنا الان ذكرها .

في ذاك المنعطف من الوادي تنازع ابن سعود وابن الرشيد السيادة في القصيم . في تلك الزاوية التي يمتد ضلعها بضعة وخمسين ميلا من الرس الى بريدة ميدان القتال المائل الذي سنروي خبره الان . هناك احترب الفريقان ومع احدهما عساكر الدولة العلية واطواها واقتتلا في وقعات عدة تعرف عند اهل نجد بوقعة البكيرية ووقعة الشنانة .

ذكرنا في الفصل السابق ان عبد العزيز الرشيد بعد توزيع قواته في نجد والقصيم سافر الى العراق ليستنفر عرب شمر هناك ويستنجد الاتراك . وكان الدولة ادركت آجلاً حقيقة الحال في نجد ، وأوجست خوفاً من امتداد سيادة ابن سعود في البلاد ، فأصاحت هذه المرة لابن الرشيد وأمدته بنجدة مؤلفة من احد عشر طابوراً ، واربعة عشر مدفعا ، وشيء كثير من الذخيرة والمونة والمال . وقد صادر ابن الرشيد جمال «العقيلات»^(١) لتحصل هذه الجيوش والمعدات الى القصيم . اضف الى ذلك ان عدداً كبيراً من بادية شمر تفرروا الى نجدته .

(١) العقيلات اسم يطلق على تجار القصيم خصوصاً من يتجرون بالجمال فيجئون بها من نجد الى بر الشام .

عندما سلمت السرية التي كانت محاصرة في قصر بريدة أمّ بن سعود رجالها على حياتهم وأذن لهم بالرجوع الى بلادهم. وقد اتفق ان ابن الرشيد كان قد وصل يومئذ بجيشه الى القصيبة ، فالتقى هناك بأولئك الرجال رجاله وهم عائدون الى حائل ، فأخبروه بما جرى وأن ابن سعود في بريدة . فاستمر ابن الرشيد سائراً ليهجم على المدينة من الجهة الغربية ، وتزل القرعا على مسافة خمسة عشر ميلاً منها .

أما ابن سعود فقد اخلى بريدة عندما علم بذلك وتزل البصر خباً من خبواب القصيم^{١١} فنقل ابن الرشيد من القرعا الى جهة من البكيرية ، ثم نقل ابن سعود الى الجهة المقابلة لها .

وفي ذاك اليوم بل في الليلة الاولى من هلال ربيع الثاني ١٣٢٢ هـ من هذه السنة اصطدمت الجيوش صدمة شديدة هائلة ، فالتحموا وتجادلوا بضع ساعات وكانت خسارة الفريقين عظيمة .

فقد تواجه في تلك الليلة عسكر الدولة ، وفيه كثيرون من السوريين^{١٢} والعراقيين ، بعسكر ابن سعود الخاص اي باهل العارض ، فأطلقت البنادق والاطواب ، ولعلت في نور الهلال الضئيل السيوف ، وكانت المذبحة هائلة . فقد قتل من جيش ابن سعود تسعة وفيهم ستة وخمسون من اهل الرياض ، وقتل من جيش الدولة نحو الف وفيهم اربعة من كبار الضباط ، وخسر اهل حائل نحو ثلاثئة وفيهم اثنان من بيت الرشيد هما ماجد بن حمود وعبد العزيز بن جبر .

وفي تلك الوقعة أصيب عبد العزيز بن سعود بشظايا قبلية في يده

(١) الحظ منخطف من الارض بين كعب من الرمال فيه ماء وتخليل

(٢) اخبرني حسين باشا القدير انه كان ضابطاً في تلك الحملة فعارب ابن سعود في وقعة البكيرية . ومن غرائب الاتفاق والتاريخ انه بعد عشرين سنة حارب ابن سعود ثانية في الحجاز . فقد كان حسين باشا قائداً للجيش الحجازي او بالحري قائد الفرقة السورية الفلسطينية التي كانت تدعى فرقة النصر - فرقة النصر التي لم تلتصر

اليسري ، ووقع ابن الرشيد من فرسه فطاحت الفرس فوقه فألمته ولم تقعه . أما أهل القصيم وعرب مطير فقد هجموا بقيادة عبد العزيز جلوي على جناح العدو فبهجموه ، ثم أغاروا على بادية شمر فغنموا أرزاقها . ولكن الشمرين كانوا قد هجموا على معسكر ابن سعود فتهبوه . واحدة واحدة . لم يفل كفة الميزان كثيراً ان في الغنائم وان في القتلى الى احدى الجهتين في هذه الواقعة الكبيرة . على ان قوات ابن الرشيد على رغم الحسارة ظلت متماسكة .

قال السلطان عبد العزيز : « رحمت أنا وعشرين من احيالة اخذ الترك خيامنا وهجم البدو على الترك فاسخذوا خيامهم وهربوا » . فسألت عظيته : « الى اين رحمت ؟ » .

فاجاب ضاحكاً : « انهزمنا — هربنا » .

على ان أهل القصيم ، عندما عادوا من اغارتهم على بادية شمر ، جاؤوا مر كز ابن سعود فوجدوا فيه المدافع وثلاثة من عساكر الترك فتواقفوا وايامهم وقتلهم ، فغنموا المدافع وظلوا في البكيرية . ولكنهم عندما طلبوا عبد العزيز ولم يجدوه هناك حملوا الاسلحة الخفيفة وعادوا الى بلادهم اي الى بريدة وعنيزة .

اشكل الامر على عبد العزيز ، فأحب ان يمتحن أهل هاتين المدينتين ليتأكد اذا كان لهم رغبة حقيقية في محاربة ابن الرشيد ، فارسل اليهم يقول : اثبتوا في مكانكم واني مستفزح أهل نجد وراجع اليكم . فكتبوا اليه وكان أهل عنيزة اشد لهبة يقولون : اذا انت رحلت فلا يستقيم امر بعدك . واذا رجعت الينا فنحن نعاهدك في السراء والضراء — نقدم انفسنا واموالنا واولادنا بين يديك . اي والله ، نحمي اوطاننا او نفوت جميعاً .

رجع ابن سعود الى عنيزة فخرج أهلها اليه يستقبلونه معترين ،

واخرجوا المخدرات فرحب به مزغردين ، ثم عززوا قوههم في ما قدموه من مال ورجال الحرب .

وعندما بلغ اهل نجد خصوصاً بوادي عتيبة ومطير هذا الخبر جاؤوا كلهم متطوعين مجاهدين ، فاجتمع لدى ابن سعود في ستة ايام اثنا عشر الف مقاتل ، فبادر بهذا الجيش الى البكيرية يهجم على ابن الرشيد فيها . ولكن ابن الرشيد كان قد رحل منها في اليوم السابق و هجم على الخبرا وفيها سرية لابن سعود .

فدافع اهل الخبرا مع الجنود الحامية دفاعاً شديداً ، وبالرغم عن المدافع التي ظلت تطلق قنابلها على البلد طيلة ذلك النهار لم يسلموا . ولكنهم وقعوا في قبضة عدو جديد فعلموا لأول مرة ماهو الهواء الاصفر (الكوليرا) وكانت قد سرى اليهم من جيش ابن الرشيد ، بعد ان تفشى فيه من اختلاطه بعسكر الدولة . وقد قيل ان الهواء الاصفر لم يكن معروفاً قبل ذاك الحين بنجد .

عندما علم ابن الرشيد بزحف ابن سعود الى البكيرية التي كانت المركز العام للجيش ، وفيها عون وذخائر كثيرة ، ارسل اليها سرباته الكبرى - الف وخمسة خيال - بقيادة سلطان بن حمود الرشيد ، فتصادموا وضالاة ابن سعود - ستمئة وخمسين - عند انبثاق الفجر قرب البكيرية ، وكانت الهزيمة على الرشيديين .

ثم دخل ابن سعود البلدة وفتك بحامية ابن الرشيد فيها ، فقتل اكثر رجالها ، وانهمز الباقون فلاحوا بالفرار . ثم طاردت خيله خيل ابن الرشيد حتى الخبرا ، فرحل ابن الرشيد منها الى الرس ، فهجموا على بواديه وغنموا عدداً كبيراً من الابل . ثم تقدموا الى الرس وكان ابن الرشيد قد نزل الشنانة على مسافة ساعة جنوباً منها .

ونصب مدافعه وشرع يضرب الرس كما ضرب ابراهيم ياسا في

طليعة القرن الماضي ، فدافع أهلها على عاداتهم حتى الرمق الأخير ، فقتل أميرهم ولم يسلموا وإقام ابن سعود ثلاثة أشهر في الرس ، منذ منتصف ربيع الثاني حتى منتصف رجب ، بينما كان ابن الرشيد في الشنافة ، وهم يتناوشون ويتهاجمون ويتطاردون كل يوم ، فلم أهل نجد هذه الحال وخافوا أن يسري الهراء الأصفر إليهم ، فرفعوا أصواتهم مندربين سأكين .

سمع ابن سعود الشكوى فأرسل رسولا من كبار بريدة اسمه فهد الرشودي إلى ابن الرشيد يدعوه للصلح ، فضحك ابن الرشيد وقال متعكبا متهدداً : من ينبغي حكم نجد لا يتضجر . وهل يصلح من بيده قوة الدولة ؟ لا والله . لا يصلح قبل أن أضرب بريدة وعنيزة والرياض ضربة لا تنساها مدى الدهر . وأنتم يا أهل القصيم لا يغرنكم ابن سعود . لا يغرنكم شاب طائش ينبغي المداوم لياخذها لامة الفقيرة .

رجع فهد الرشودي يحمل هذا الكلام إلى ابن سعود ، فالفاه في مجلسه دافع العين . ، وختمه قائلاً : « والله يا أهل نجد ما رأيت هناك الا ظالماً عتياً كفرعون ، ولا ينبغي لنا غير ما كان من فرعون لبني اسرائيل » .

وكان الرشودي رجلاً نحيفاً رصيناً يحترمه الناس ، فأثرت كلماته فيهم تأثيراً شديداً . ولكن بادية ابن سعود كانت قد تفرقت ، ولم يبق لديه غير غنقة من الحاضرة وثلاثمائة من رؤساء القبائل . اما السبب في تفرق البدو فهو أنهم كانوا قد ملوا الحالة كما اسلفنا القول ، وكان فوق ذلك وقت الربيع فذهبوا يرفعون مواشيهم . ولم يكن لابن سعود أن يكرهم على البقاء لانهم لم يكونوا من الجند ، بل من أولئك الذين يجيئون الأمير متطوعين متكشبين .

على أن هذه الحال لم تنحصر في بادية ابن سعود فقط ، بل كانت قد ظهرت كذلك في عسكر ابن الرشيد . فالت البادية تخاطبه : «هلكت مواشينا وهلكت اولادنا جوعاً ، فاما أن ترحل جميعاً فتمشي

وراءك ، واما ان نرحل نحن ونتركك وراءنا . فاجابهم ابن الرشيد :
 « وكيف نرحل ولا ركائب عندنا لعساكر الدولة » ^(١) فقال رجال شمر :
 « كل قبيلة منا تقدم الركائب لتقسم من العسكر » . فقبل ابن الرشيد
 واهم ان توزع امتعة العسكر اجمالاً على شمر . ولكن عندما اعتزموا
 الرحيل هجم ابن سعود عليهم بخيله ليحول دون ذلك ، فتصادموا
 وتقارعوا من صلاة الفجر حتى غروب الشمس . خرج ابن الرشيد مع
 ذلك من الشنانة . وكانت البادية التي ارتحلت قبله ، قد تركته وراءها ،
 فراح ابن سعود يطارده الى ان اذنت الشمس بالمغيب . نصب ابن
 الرشيد خيامه اذ ذاك خدعة للمبيت ، فخدع ابن سعود ورجع بخيله
 بعد ان اقام هناك بعض الحرس والكشافة . عندئذ شرع ابن الرشيد
 يتأهب للرحيل .

قد كانت خطة عبد العزيز الخريبة ان ينهك خصمه بالمفاجآت
 والمناوشات فيضربه بعد ذلك الضربة القاضية . عندما عاد مساء ذاك
 اليوم الى الرس جاءه وهو جالس الى العشاء احد الكشافة يقول : رحل
 ابن الرشيد فقام ورجاله عن العشاء وسارعوا الى الخيل يتتفون العدو ،
 قرأوا عندما قربوا منه سواداً ظنوه غنماً فاغاروا عليها ، فاذا بها عسكر
 الترك . وكان قد جن الليل ، فتأزلم ساعة ، دون نتيجة تذكر ، ثم
 عادوا الى الرس .

واما ابن الرشيد فكان قد نزل الجومعي ، ودفا من قصر هناك يعرف
 بقصر ابن عقيل فيه سرية لابن سعود ، فهم في صباح اليوم التالي بالمعجم
 عليه .

ولكن ابن سعود قبل رجوعه الى الرس الليلة السابقة ترك حراسه

(١) قيل ان ابن الرشيد خسر في وقعة البكيرية والمناوشات التي تبعتها نحو عشرة
 الاف من الجبال .

وكشافته حسب العادة في مكان معلوم ، ومعهم رجال من أسرته زودهم بهذه التعليمات : اذا رحل ابن الرشيد وقرب الحق (درب بين جبلي أبان) فارسلوا اخبروني وانتم تقفوه لتظفوا علمين بسيود . اما اذا مشى الى قصر ابن عقيل فعليكم انتم يا اهل سعود ان تسبقوه الى القصر لتشجعوا اهلهم وتقولوا لهم اننا مسارعون الى انجادهم . زحف ابن الرشيد الى القصر الذي لم يكن يخشى عليه الا من المدافع لانه حصن منيع ، فسبقه بنو سعود اليه ، وكانوا قد ارسلوا يخبرون عبد العزيز .

وصل ابن الرشيد فنصب في الحال مدافعه كلها وشرع يضرب القصر . وعندما علم ابن سعود بالحصار بعد ظهر ذاك النهار صاح برجاله قائلاً : « انهم ابن الرشيد وتريد ان نعمل مناورة خارج البلدة » . فاستبشروا وخرجوا للمناورة ، فكشف الثقاب اذ ذاك عن قصده الحقيقي . امرهم بالزحف الى قصر ابن عقيل ! فترددوا لانهم لم يكونوا متأهين للرحيل . لم يكن لديهم شيء من الماء والزاد . وقد كانت الساعة الاخيرة من النهار والمسافة امامهم لا تقل عن العشرين ميلاً .

خطب ابن سعود فيهم محرّضاً مستنهضاً ثم قال : « انا واحد منكم ومثلكم . انتم ماشون وانا امشي . انتم حفاة وانا والله لا اتعل . وهذا نعلي وهذا ذلولي .

قال ذلك وهو يضع النعل في الحرج ويلقي بحبل الذلول على غاربه . ثم مشى امامهم حافياً ، فمشوا وراءه متحمسين . وعندما وصلوا الى القصر قبل نصف الليل بساعة ارادوا ان يهجموا على ابن الرشيد في ذاك الحين ، فمنعهم عبد العزيز لانه كان عالماً بما حل بهم من التعب والجوع ، فدخلوا القصر واستراحوا تلك الليلة .

اما ابن الرشيد فبعد ان شغل مدافعه بضع ساعات دون طائل شد في صباح اليوم التالي للرحيل ، فتركه ابن سعود يرحل إليه ويحتمل

اطوا به . وعندما مشى هو ورجاله وعسكر الترك خرجت الخيل للمفاجأة ، ومشى الجند السعودي من القصر وراءها ، فادركوا العدو في وادي الرمة .

انطلق ابن الرشيد هناك وجمع جيوشه . ثم نصب المدافع وبني بيوت الحرب ^(١) فتهاجم الفريقان وتقارعا حتى منتصف النهار ، وكانت الغلبة اذ ذاك لابن الرشيد . ولكن ابن سعود عندما رأى جانحه الايمن متفقدراً هجم بقومه هجمة الاستبسال وهدم بيوت الحرب ، فاشتد الضرب والطعان ، فولت عساكر الترك الادبار . ثم انهزم ابن الرشيد وفر ورجاله هاربين .

واراد ابن سعود ان يتعقبهم ولكن الحملات واعمال ^(٢) البادية حالت دون ذلك فشغلوا عنهم بها . شرعوا ينهبون وظلوا كذلك حتى جن الليل . ثم عادوا في اليوم الثاني والثالث والرابع ، بل استمروا عشرة ايام يجتمعون بما ترك ابن الرشيد وعسكر الدولة في ساحة القتال من الامتعة والذخائر ، والاسلحة والمون ، والفرش والسياب ، فاهيك بالابل والغنم . وقد وجدوا بين تلك الاحمال صناديق من الذهب حملوها الى عتيبة مقر ابن سعود فوزعها مثل بقية الغنائم على رجاله ولم يأخذ منها شيئاً لنفسه . انها لغنيمة عظيمة . فقد كانت قسمة الواحد من الذهب والاحمال فقط تتراوح بين المئة والمئة والحسين ليرة عثمانية وبين العشرة والعشرين بغيراً . هذي هي وقعة الشنادة . والاخرى ان تدعى وقعة وادي الرمة (١٨ رجب ١٣٢٢ ٢٩٥٥ سبتمبر ١٩٠٤ م) وهي القسم الثاني من مذبحة البكيرية التي قضت على عساكر الدولة وأعلنت اهل نجد .

(١) بيوت الحرب هي بيوت من الشعر تنصبها القبائل لترمز عن دمارها والذود عنه

(٢) المال عند اهل البادية هو الانعام والجمال . ويطلق ايضاً على المواشي كلها .

الفصل السادس

الاتراك يفاوضون ويتفرجون

قد نكبت الدولة نكبتين في البلاد العربية في هذه السنة (١٣٢٢ هـ ١٩٠٤ م) الاولى في نجد ، والثانية في اليمن . ومن غريب التقادير ان الامام يحيى الشاب في صنعاء وابن سعود الشاب في القصيم كسرا الجيوش « المنصورة » كسرات شنيعة ، ورفعوا للسيادة العربية اعلاماً لا تزال تحقق في سماء الاستقلال . اما نكبة الدولة في صنعاء فتختلف شكلاً عن نكبتها في القصيم . هناك كان جيشها محصوراً ، وهنا تشتت ما تبقى من الجنود بعد الوقعة الاخيرة فكانت حالتهم محزنة . فقد فر بعضهم مع ابن الرشيد ، وهام الآخرون على وجوعهم في الفيافي كالسائمة ، ومنهم من لجأوا الى ابن سعود فأواهم وكسامهم واعطاهم الامان .

اما ابن الرشيد الذي فر هارباً الى الكهفة - قرية من قرى حائل - فقد ارسل يستنجد الدولة مرة اخرى . وكانت الدولة كمن خسر في المقامرة فغامر بقسم آخر من ماله املاً باسترجاع الحسارة . وقد غامرت بقسم كبير هذه المرة فارسلت احد رجالها الكبار المشير احمد فيضي باشا الذي اشتهر بشجاعته وبحسن سياسته ، وشفعته برجل آخر الفريق صدقي باشا المتصرف ببعده النظر وطول الاناة . جاء الاول بثلاثة طوابير وخمسة اطواب من بغداد ، وجاء الثاني من المدينة بطابورين ، فالتقوا وعسكروا قرب القصيم .

ولم تكن تقصد الدولة الحرب ، ولكنها وقد رغبت في المفاوضة من اجل السلم ارسلت هذه القوة من جندها لتعزيز جانبها . وكانت قد بعثت الى ابن سعود بواسطة الشيخ مبارك تقول انها تريد ان تفاوض اياه الامام

عبدالرحمن ، وطلبت ان يوافي والي البصرة الى الزبير .

اجاب الامام طلب الدولة ، فسافر الى الكويت ، ومنها والشيخ مبارك الى الزبير ، فاجتمعوا هناك بالوالي ، وبعد المفاوضات في امور نجد والقصيم قرروا ان يكون القصيم على الحياذ ، اي ان يتكون منه مقاطعة مستقلة تقوم حاجزاً بين ابن الرشيد وابن سعود ، وان يكون للدولة فيه مركز عسكري ومستشارون .

لم يوافق الامام عبدالرحمن على هذا القرار . الا انه قبل ، اكراماً للشيخ مبارك ان يعرضه على اهل نجد . ولكن اهل نجد لم يقبلوا البتة ان يكون القصيم على الحياذ ، ولا ان يكون فيه حامية للدولة .

وعند ما علم ابن سعود بعودة ابيه خرج يلاقيه الى الحسي ، فاجتمع به هناك وسار واباه الى شقرا ، فاقام الامام فيها واستمر عبدالعزيز سائراً برجاله الى القصيم ، فنزل العهاد التي تبعد خمسة وعشرين ميلاً عن بريدة الى الجنوب . وكان فيضي باشا وصديقي باشا قد اجتمعوا بابن الرشيد فتفاوضوا واختلفوا . اراد ابن الرشيد ان يضغط على اهل نجد ، وان يأخذ اهل القصيم بالسيف ، فخالفه المشير ولسان حاله يقول : الرأي قبل شجاعة الشجعان .

عاد ابن الرشيد بعسكره الى الكهفة حائقاً ، وركب المشير على رأس جنوده قاصداً القصيم ، فلما وصل الى بريدة ابى اهلها ان يدخل المدينة . ولكن واحداً منهم هو صالح الحسن من آل منها ارسل اليه رسولين هما ابن عمر ومحمد آل علي ابو الحليل يقول انه واتباعه يطلبون حماية الدولة والاستقلال .

ولكن اهل بريدة وعنيزة وتوابعهما من القرى لم يقبلوا بالسيادة او بشبه السيادة التركية ، فارسلوا الى ابن سعود يستشيرونه في المقاومة . وكان فيضي باشا قد ارسل رسولا الى الرياض يقول ان الدولة لا تبغي

محاربة أهل نجد وأنه جاء مسالماً . ثم أرسل إلى ابن سعود في العهد يؤمنه قائلاً : انني لا أريد إلا السلم ولست بحققاً مقاصد ابن الرشيد . وقد سأله ان يلزم مكانه ويرسل أباه عبدالرحمن ليوافيه إلى عنيزة للمفاوضة . فقبل عبدالعزيز بذلك ، وأمر الناس بان يخلدوا إلى السكينة ، فلا يأتون عملاً عدائياً أثناء المفاوضات .

ركب الامام عبدالرحمن من شقرا إلى عنيزة وسار فيضي باشا جنوباً فقل على مقربة منها . وقد تواجه الاثنان في المدينة ، فطلب المشير ان يكون للدولة مركزان عسكريان الواحد في بريدة والثاني في عنيزة ، وذلك موقفاً ، إلى ان يتم الصلح بين ابن سعود وابن الرشيد . ولكن أهل المدينتين ، الا صالح الحسن واتباعه ، رفضوا هذا الطلب ، فرأى الامام ان يقبلوه موقفاً ، واقنعهم بذلك .

وكادت تم المفاوضات على هذه الصورة لو لم نحل دولها حوادث صنعاء اليمن . فقد كان الامام يحيى الشاب وعربانه قد شدوا نطاق الحصار على المدينة هناك ، وفيها ستون ألف من التوكل العسكريين والمدنيين ، وليس عند الدولة قريباً من مكان النكبة أقدر واشجع من فيضي باشا تكفل إليه انجاد ابنائها المشرفين على الموت . لذلك صدر الامر إلى احمد فيضي بالاسراع إلى اليمن ، فترك القصيم ومشاكله لصديقي باشا يحلها بالنفي هي احسن .

تولى صديقي قيادة الجيش ونقل إلى الشبيحة فعسكر فيها . ولكنه لم يرد « التي هي احسن » في بيت المتنبى او في عكسه . فلا « الرأي قبل شجاعة الشجعان » ولا « الشجاعة قبل الرأي » استفزته او هزت منه جارحة للعمل .

اقام صديقي وجنوده في الشبيحة لا محاربين ولا مفاوضين ، بل اقاموا هناك متفرجين ، وقد استأنف ابن سعود وابن الرشيد القتال .

الفصل السابع

كبريات الشيخ مبارك

بعد المفاوضات في السلم واتناءها سرت الى اهل القصيم روح الشقاق والفوضى ، فكان فريق منهم مع الدولة ، وفريق مع ابن سعود ، وآخر مع ابن الرشيد ، فعاد عبد العزيز الى الرياض وظاهر امره انه نقض يده من هؤلاء الناس المتذبذبين . عاد وهو يقول انه تركهم بين عدوين يجاملانهم ويشدان النير على رقابهم .

ولكن الفريق الاكبر ارسل الى الشيخ مبارك الصباح يسأله ان يتوسط بين ابن سعود واهل القصيم الذين لا ييغون سيادة غير سيادته . وكان عبدالعزيز قد احس بانقلاب في سياسة الشيخ مبارك ، فاعتزم الشيخ هذه الفرصة ليظهر انه الصديق الذي يرعى العهود ، فكتب الى « اولدي عبدالعزيز » يشير بالعود الى القصيم ، وبالعفو عن اهله لانهم مخلصون له ، ولا ييغون في البلاد غير السيادة السعودية .

ولكن رسل الشيخ مبارك كانت يومئذ « ندرهم » الى عبدالعزيز الاخر حاملة كتب التودد والولاء التي اسفرت عن صلح بين الاميرين الصباحي والرشيدي ، عقد في آخر سنة ١٣٧٣ هـ (١٩٠٥ م) ان لهذا الصلح سببين : الاول هو ان الدولة العلية كانت قائمة على الشيخ مبارك ، وكاتب يوسف آل ابراهيم ، عدوه الألد ، مستمراً في عيادته . فعنى الشيخ في استرضاء الدولة لتنصره على يوسف ، وكان من مساعيه هذه انه صالح حليفها ابن الرشيد . اما السبب الثاني لهذا الصلح فهو ذاك الشاب الظافر « ولده » عبدالعزيز ، وكان قد بدأ يخشى امتداد سيادته في نجد ويخشى كذلك نتائجها في الكويت . كيف لا وسيد نجد ، اذا ما استولى

على القصص واجتاز الحفر ، لا يقف عند حد دون الخليج . ان عمل الشيخ مبارك اذن هو من باب الدفاع عن النفس .

ولكنه ، وهو الداهية ، و«الخوافة» وصاحب السيف ذي الحدين ، ضرب ضربات عدة صاردة ، بل كبا كبوات مضحكة . فقد كتب مرة الى سلطان بن حمود الرشيد يقول ما معناه :

« اني متكدر جداً من اعمال ابن سعود ، وقد جرت الامور في نجد على غير ما اشتحي . اما الان فانا واياكم عليه ، والكويت وحائل شقيقان ، ومصلحة البلدين واحدة ، ولكم مني ما تشاءون من المساعدة الخ » .

وكتب الى ابن سعود يقول :

« اولدي يا ولدي . انا معك في كل حال وحين . قواك الله وتولاك ، لا فتورك هذا الكلب ، فجل الشول ، ولا تدعه يستريح ، ولا تصالحه . وانا ابوك مستعد لمساعدتك في كل ما تريد » .

كذلك كان يحاول ان يضعف الاثنين في اغراء الواحد بالآخر وتحريضه على خصمه . ولكن كاتب الديوان المبارك لم يكن موفقاً في تلك الساعة ، ساعة كتب الى « الحصين » فقد ارسل كتاب ابن سعود الى ابن الرشيد ، وكتاب ابن الرشيد الى ابن سعود !^(١)

عندما استأنف الاثنان القتال جاء نجاب من الشيخ مبارك يحمل الى ابن سعود كلمة وجيزة قاسية كتبت على قصاصة من الورق ، وفيها ان سيعلم الحرب عليه اذا كان لا يعيد « منهوبات » ابن الرشيد . والمنهوبات هذه غنمها من بعض قبائل العراق رجل من الظفير اسمه علي الضويحي ،

(١) « وقد كان مبارك لهفاته يلبس لكل حال لبوساً . بل نراه وهو يحرض ابن الرشيد على ابن سعود يحرض ابن سعود ايضاً في نفس الوقت على ابن الرشيد » تاريخ الكويت : الجزء الثاني - صفحة ١٢٦

وقد كان من انصار ابن سعود، فليس للشيخ مبارك حجة في تدخله بأمره .
ولكنه بعد العثرة التي كان الكاتب سببها حاول على ما يظهر ان يصلح
الامر مع امير حائل فلم يسعفه القدر لان الامير وا اسفاه كان قد قتل
في المعركة كما سيجيء في الفصل التالي .

لله انت اينها الاقدار ! فهل تحاولين ان تغلي الشيخ مباركاً ؟ انه لا
يغلب . فقد تجاهل قتل ابن الرشيد ، وكان قد بلغه الخبر بعد كتابة
ما تقدم ، فارسل نجاباً اخر الى « اولدي عبد العزيز » يحمل كتاباً
طويلاً عريضاً جاء فيه :

« اني لك دائماً يا وليدي يا عبد العزيز ، انا ابوك وعونك ،
وعضدك . ولم اصالح ابن الرشيد الا لاقهر الترك . ولكنني مستعد
ان امدك بما تحتاج اليه من المال والرجال المال مالك ، يا وليدي
يا عبد العزيز ، والحلال حلالك » .

ولكن ابن سعود اطلع على الحقيقة في حديثه مع النجاب زيد
المعرب الذي كان من رجال جيل الشيخ مبارك .

قال عبد العزيز مخاطب النجاب : « والذي الشيخ مبارك اخبرني انه
امرك بان نكتم خبر قتل ابن الرشيد » .

فاجاب النجاب : « ما نام الشيخ والله من شدة الفرح عندما وصله
الخبر » .

وكانت ساعة في معسكر ابن سعود مضحكة ، فكتب الى « والده »
يعلمه بوصول الكتاب الاول وفيه التهديد بالحرب ، والكتاب الثاني وفيه
التمعطيات الطيبة ، ثم اخبره بذبح ابن الرشيد ، وختمه بقول الشاعر :
اذا كنت في كل الامور معاتباً صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه

الفصل الثامن

ذبحه ابن الرشيد

قد المعت في ما تقدم الى الخلاف الذي كان متصلاً في بريدة بين آل منها وآل عليان الاسرتين اللتين تنازعتا السيادة هناك . وقد ظهر هذا الخلاف في اشده يوم قتل منها ابو الحيل في اول عهد الامام عبدالله بن فيصل ، فشكا اولاد منها الامر الى الامام ، فلم ينصرهم على اعدائهم آل عليان . وظل الغل كامناً على ما يظهر في آل منها الى الوقت الذي نحن فيه من هذا التاريخ ، فتجسم في صالح الحسن الخارج على ابن سعود عبد العزيز .

وشرع صالح يتزلف الى الترك لتحقيق مآربه . بل اتخذ تلك الخطوة السياسية التي تتلون بالوان الحوادث والاحوال ، فاغضب ابن سعود وابن الرشيد معاً . وعندما ارتحل ابن سعود من القصيم ، وظاهر امره التخلي عن اعدائه ، كان قصده الحقيقي ان يدع صالحاً وشأنه ، فيكون له من خطاه وعجزه التأديب الاكبر ، فيؤكد هو واتباعه انهم لا يستطيعون الدفاع عن انفسهم اذا شعر ابن الرشيد عليهم الحرب .

وقد كان وقتئذ في قطر ثورة اعلمية ، او بالحري فتنة اثارها على الشيخ قاسم بن ثاني اخوه احمد ، وهو يعني انتزاع الملك من يده . وكان كذلك القتال محتملاً بين العجمان وآل مرّة ، فنصر الشيخ قاسم العجمان ، ونصر اخوه احمد اعداءهم ، فاشتدت الحرب بين الاخوين والقبيلتين ، فارسل الشيخ قاسم يستنجد ابن سعود ، فأجده حياً وكرامة . هي الفرصة التي اغتنمها عبد العزيز ليمهد قليلاً عن نجد ، فيخلو الجو لابن الرشيد لينتقم من اهل القصيم .

وقد صح حذسه ، فعند ما سارع الى تجدة ابن ثاني ارسل ابن الرشيد سرية يقودها صالح العذل ومعه حسين العراف الى الرّس ، فاستولت عليه ، فاجتمع بعض اهل القصيم في الشقة للدفاع ، وقد انضم اليهم عدد من العربان . ولكن ابن الرشيد فاز في هجومه عليهم فذبح اكثرهم ، وحاصر البقية في تلك القرية ، فضج القصيم وادرك صالح الحسن واتباعه ان ليس في امكانهم الدفاع عن انفسهم . بل ادركوا ان لا خلاص لهم الا بعون الله ثم بابن سعود ، فارسلوا يطلبون من الشيخ مبارك التوسط بينهم وبينه كما جاء في الفصل السابق .

اما الحرب في الحساء وقطر فقد كانت الغلبة فيها اول الامر لآل مرة واحمد بن ثاني . فلما وصل ابن سعود حمل على القبيلتين معاً حملة شعواء فتنفس الشيخ قاسم الصعداء ، وفر اخوه احمد الى البحرين . ثم بلغت ابن سعود اخبار القصيم ، فعاد مسرعاً الى نجد . وارسل اخاه محمداً على رأس سرية تغزو قبائل ابن الرشيد ، فهجمت السرية على حارب وعادت فنزلت وادي السر .

واما صالح الحسن فارسل اخاه مهنا الى اهل عنيزة يرجوهم ان يرسلوا معه احد وجهائهم ليعاونه في استرضاء ابن سعود . وقد كان هذا الوفد في الرياض يوم وصل اليها عبدالعزيز عائداً من الحساء ، فاستقبله مرحباً به ، وعفا عنه وعن اصحابه . ثم توجه الى القصيم . ولكنه لم يكن في ذلك الحين قادراً على محاربة ابن الرشيد لسببين ، اولهما الحبل في تلك السنة ، وثانيهما تفرق البادية ليهتموا بمواسمهم .

عند ما علم ابن الرشيد بقدوم ابن سعود خرج من منزله في البقيعة فاغار على الحميدان من عرب مطير واخذهم . ثم عاد فنزل القصيبة^(١) وتكررت غزواته على قبائل ابن سعود وهو يقتل من القصيبة الى

(١) القصيبة هي على مسير اثني عشرة ساعة من بريدة الى الشمال .

الاجفر^(١) ومن الاجفر الى البشوك^(٢)

اما ابن سعود فقتل راجعاً الى نجد ليستنفر العربان من عتية ومطير
الاعلين ، فجمع جيشاً منهم وعاد به الى القصيم ، فاحس عند وصوله ان
صالح ابن الحسن يسعى سرّاً في مصالحة ابن الرشيد . وقد جاء مع ذلك ،
ومعه قوم من اهل بريدة ، ينضم الى ابن سعود .

قبل ابن سعود صالحاً على علاقته ، وهو عالم بما خفي من امره ، ونزل
الاسياح بجيشه الذي اصبح مؤلفاً من البادية والحضر ، فاقام هناك عشرين
يوماً ، وقد ثبت صالح طيلة تلك المدة في ولائه . ثم وسوس في صدره
ذاك الذي وسوس في صدور الناس ، فهم بان ينسحب وقومه من
الاسياح ، فيبقى ابن سعود وعربانه وحدهم فلا يقدرّون على ابن الرشيد
اذا اغار عليهم .

ولكن ابن سعود احس بما كان يحول في صدر صالح ، فنقل من
الاسياح الى الزلفى^(٣) ليعبد عن القصيم . فلما وصل الى مكان اسمه البنجية
استأذن صالح بالرجوع الى بريدة ، فاذن له بالرغم مما بدا من خيائته .
عاد صالح الى بريدة وسار ابن سعود الى الزلفى يجمع الرجال لجيشه .
ثم رحل منها فنزل غديراً بالقرب من الارطاوية ، فانضمت اليه قبائل
مطير التي يرأسها فيصل الدويش . قد بلغه وهو هناك خبر الصلح الذي
تم بين الشيخ مبارك الصباح وابن الرشيد . ولم يكنف الشيخ مبارك
بتلك بل كتب الى صالح الحسن يحرضه على مثل عمله .

عاد ابن سعود مسرعاً الى القصيم في شهر محرم من هذا
العام ١٢٩٠ هـ ١٩٧٤ م ، ومعه جيش لا يتجاوز الالف وستمئة مقاتل ،

(١) الاجفر هو بين القصيم وحائل في منتصف الطريق .

(٢) البشوك هو شرقي حائل على مسير حمة ايام منها .

(٣) الاسياح عيون عند العروش على مسافة اربعين ميلاً من بريدة شرق بتيال
والزلفى تبعد خمسين ميلاً عن الاسياح الى الجنوب .

منهم ألف ومئتان من الحضرة وأربع مئة خيال من البادية . وكانت ابن الرشيد نازلاً في الثوير في عقلة الزلفي ، وهو مكان وعرة كثير الرمال ، فسرى اليه فلم يدركه هناك .

وكان اليوم من أيام الربيع العاصفة الماطرة التي لا يستحبها العرب في الغزو أو في الحرب . فقد يدنو المتحاربون بعضهم من بعض دون أن يشعروا بذلك ، فإذا هم فجأة في المهلكة الكبرى .

مشى ابن سعود ورجاله حتى أوصول اليوم التالي لذلك الأسراء ، فوقفوا إذ ذاك لأنهم لم يستطيعوا لشدة الأمطار والرياح أن يواصلوا السير . وكان ابن الرشيد يتراجع ليصل إلى الشقة ، فيجتمع هناك بصالح الحسن الذي جاءه مصالحاً مناصراً .

وعاد كشافة ابن سعود يخبرون بأن العدو هو على مسير ساعتين منهم وقد نزل روضة منها .

إلى الروضة أذن ! مشى عبدالعزيز ورجاله على الأقدام كي لا يشعر العدو بقدومهم . ولكن بعض كشافة ابن الرشيد رأوهم فبادروا إلى أميرهم بالخبير .

استيقظ عبدالعزيز بن الرشيد وشرع يجمع جيشه الذي كان مؤلفاً من ستمئة من الحضرة وألف ومئتين من خيالة البدو .

وصل عبدالعزيز بن سعود إلى ساحة القتال ، فهجمت رجاله على من تحفر من رجال ابن الرشيد ، فتصادم الجيشان وتواقعا تحت جناح الليل في ١٨ صفر (١٤ نيسان) من هذه السنة ، فتفقر الرشيدون ، فاحتل السعوديون مراكزهم .

وكان عبدالعزيز بن الرشيد راكباً حصانه يدور في معسكره مستنهضاً حرساً . فلما وصل إلى المكان الذي كان فيه فرقة من جنوده ظن أنها لا تزال هناك ، فصاح بجامل البيرق يحرضه على الهجوم :

« من هان يا الفريخ (اسم صاحب البيرق) من هان يا الفريخ !
واين الفريخ؟ قد تقهر وا اسفاه مع المتقهرين ، فحلّ محله بيوق ابن سعود
— « من هان يا الفريخ ! »

عرف رجال ابن سعود الصوت فصاحوا : ابن الرشيد ابن الرشيد !
ثم تكلم الرصاص .

أطلقت البنادق السعودية على الامير التائه ، فخرّ صريعاً وفيه بضعة
وعشرون رصاصة .

— « وهذا سيفه وهذا خاتمه يا لأمام » .

كان عبدالعزيز بن متعب بن الرشيد في الحسين من سنة يوم ذبح هذه
الذبيحة في روضة منها بالقرب من بريدة . وتدعى الوقعة بذبيحة ابن الرشيد .
قلت في كلمة التمهيد لهذه السيرة ان هذا الامير الرشيد كان جباراً
عتياً ، لا اثر للخوف في قلبه ، ولا شيء من الرحمة والحنان . وقد كان
فوق ذلك قطوباً عبوساً ، يشد عقاله فوق عينيه ، وكوفيته على فمه ،
فسبي العبوس الملمم . اذ قلما كان يبتسم ، بل قلما كان يكشف وجهه
للناس . ولم يكن على شيء من السجايا التي تحبب القائد الى رجاله والامير
الى رعيته .

ذكرت حادثة تدل على ما كان عليه من التجلد والتمرد . واليك
بجاذبة من الحوادث التي تدل على ظلمه وقساوته .

يوم كان يحارب اهل القصيم مرّ في طريقه برعاة من تلك الناحية يحشّون
وهم اربعون ، فأمر بالقبض عليهم ، ثم بايقافهم صفّاً الواحد جنب الآخر ، ثم
يقطع رؤوسهم اجمعين . فكان كذلك . وهذه المذبحة تدعى بمجاذبة الحواسيش .
فلا عجب اذا كانت قد فرح حتى اهل شهر ، كما فرح الشيخ مبارك
الصباح ، عندما بلغهم خبر قتله .

الفضل التاسع

الاتراك يرحلون

كان قد عزم ابن سعود ، بعد ذبحه ابن الرشيد في روضة منها ، ان يباشر الزحف الى حائل . لذلك لم يأذن لرجاله بتعقب العدو المهزم ، بل عاد بهم الى بريدة آملا ان يضاعف صفوفهم بمن ينضم اليه من اهل المدينة . ولكنهم بالرغم عن تأكيدهم قتل ابن الرشيد تقاعسوا وتذبذبوا ، وكان صالح الحسن في رأس فريق من المقاومين .

لم يكن لابن سعود القوة الكافية للزحف الى جبل شمر ولا لمحاربة من استمروا عاصين من اهل القصيم . على انه كان يحذر دائماً ان يحس الناس بضعفه يوم ضعفه او ان يدركوا يوم القوة حقيقة قوته . لذلك ترك اهل القصيم وشأنهم واغار بمن كان معه على عدو غير صالح الحسن هو ناهش الذويبي رئيس قبائل حرب المواليين لابن الرشيد ، فاذا ركوه وعربانه في مكان يدعى الرحما بين القصيم وحائل ، وذبجهم عن بكرة ابيهم . ثم اغاروا على قبائل من حرب في ابي مغير باعالي نجد ، فشتتهم وغنموا اموالهم .

اما صالح الحسن فلم تفقر له همة في المؤامرات . وقد علم ابن سعود بينما هو عائد الى بريدة بانه اتفق وصدق باشا على ان ينسحب عسكر الدولة من الشيعة ويحتل بريدة . فسارع عبد العزيز الى المدينة ، واجتمع هناك بزعمائها ، فشكوا اليه امر صالح ، وطلبوا عزله واجلاءه ، فقبض عليه ، واجلاه الى الرياض . ثم امر مكانه ابن عمه محمد آل عبد الله ابا الحليل . اما آل رشيد فقد تولى متعب الامارة بعد موت ابيه عبد العزيز ، وكان راغباً في السلم ، فتفاوض الفريقان وتم الاتفاق على ان تكون

حائل وملحقاتها وشمر لابن الرشيد ، وباقي بلاد نجد بما فيه القصيم لابن سعود . ثم اطلق الامير متعب سراح من كانوا مأسورين من آل سعود في حائل ، فجاءوا بريدة واقاموا فيها .

بعد عقد تلك المعاهدة واجلاء صالح الحسن عاد عبد العزيز الى الرياض وما كاد يستريح من الاسفار حتى جاءه مخبر يقول ان الاتراك في اطراف القصيم يحاولون استالة بعض البادية اليهم ، وان لفصيل الدويش بدأ في المسألة .

شد عبد العزيز على الدويش ، بعد ان تحقق خيانه ، فاغار على بعض قبائله واخذها . ثم عاد الى بريدة وأظعن من كان فيها من آل سعود ، اي اسرى حائل الذين مر ذكرهم ، الى الرياض ، ولم يبق معه هناك غير حاشيته ، فاطمان اهل القصيم ، خصوصاً المناوئون منهم . ولكن امراً جديداً ازعجه ، وهو ان ابن الرشيد كان يفاوض الاتراك في الشيعة ويزين لهم الانسحاب منها الى حائل ، وقصده في ذلك ان يأخذ ما كان معهم من عتاد الحرب والذخيرة . كأنه يقول اعطونا سلاحكم ان كنتم لا تحاربون .

ولا كانت الدولة راضية عن صديقي باشا وخطته - لا حرب ولا سلم ولا مفاوضات - فأمرت كبيراً اخر من كبار جيشها وساستها هو سامي باشا الفاروقي ، الذي كان يومئذ في المدينة ، بالسفر الى حائل للمفاوضة مع ابن الرشيد . جاء سامي باشا واجتمع بالامير متعب في سمير ، قرية من قرى حائل ، فاتفقوا باياه على ان يكون القصيم في حوزة الدولة . ما خسر ابن الرشيد شيئاً في هذا الاتفاق لانه وهب ملكياً لم يكن يومئذ له .

ثم جاء سامي باشا الى القصيم ليفاوض الفريق الثاني وقدخله كالاول ، فعزل صديقي باشا وتولى بنفسه قيادة الجيش في الشيعة ، وارسل الى

ابن سعود يطلب مقابلته ، فوافاه الى البكيرية ، ولكن المذاكرة كانت مذاكرة . فقد اصطدمت في الجلسة الاولى الارادتان ، والتهبت النزعتان التركية والعربية . ولم يكن الفاروقي لين العريكة ، ولا لبس للحالة لبوسها .

فقال مخاطب ابن سعود : « ولكن اهل القصيم يريدون ان نكون السيادة في بلادهم للدولة . » فاجابه ابن سعود قائلاً : « ليس لاهل القصيم رأي في الامر ، فهم من اتباعي » .

سامي : « التابعة تقتضي الحماية وانت لا تستطيع ان تحييمهم ، ولا ابن الرشيد » .

عبد العزيز : « وهل حتمهم الدولة ؟ »

اذا كنت لا تدري فتلك مصيبة وان كنت تدري فالمصيبة اعظم ومع ذلك فما زعماء القصيم في مجلسك . اسألمهم بحبوك » .

فتكلم اذ ذاك احدهم قائلاً ان صالح الحسن افترى عليهم ، وانه لا مثلهم بشي ، وانهم لا يرضون عن ابن سعود بديلا .

سامي : « انكم تجهلون حالكم وتوهمون حقوقاً ليست حقوقكم ... ما جئنا نسترضيكم ولا نستغويكم . جئنا نعلمكم الاخلاص والطاعة للدولة العلية . ولا معلم اليوم غير السيف » .

عبد العزيز : « اني آسف على ما بدا منك ، بل آسف لان الدولة تكل امورها الى مثلك . ما كان العرب يا سامي ليطيعون صاغرين ، لا وانه ولولا انك ضيف عندنا لما تركناك تقوم من مكانك » .

كذلك اجتمع القائداث التركي والعربي وافترقا . ولكن سامي باشا ارسل بعدئذ رسولا اسمه دياب ابوبكر الى ابن سعود يقول : « يسلم عليك الباشا ويقول ان الدولة تدفع لك عشرين الف ليرة » ونخصصات سنوية اذا كنت تعترف بسيادتها في القصيم » .

فلما سمع عبد العزيز هذا الكلام حمد الى سيفه قائلاً : « انتجاسر يا خيث ان تحمل الينا مثل هذه الرسالة ؟ الم يردعك شتم العرب ؟ ومتى كان ابن سعود يقبل الرشوة ، فيبيع بلاده ورعيته ممن يريدون استرقاقها ؟ لا ادنس سيفي بدمك يا خيث ولكن لا ارد عنك سيفاً بيد سواي . »
بادر الرسول الى ذلوله ، بعد استماع هذا الكلام ، وراح مدرهما .
لم يرجع الى الشيعة ليؤدي الجواب بل فرّ هارباً الى المدينة .

وفي ذاك النهار ، بعد صلاة المغرب ، ارسل ابن سعود الى الفاروقي ثلاثة من رجاله لينبئه ، فيكون متأهباً ، بانه هاجم عليه في اليوم الثاني بعد صلاة الفجر . وما كان جاداً في ما فعل . ولكنها تهويله جاءت بفائدة . فقد ارسل الباشا ثلاثة من ضباطه مع رجال ابن سعود مسترضياً ، فجاء الضباط يقولون ان الباشا وعسكره ضيوف عليكم واحسبوهم في معينكم .

صفا الجو ، او ان الرياح سكنت اكراماً لرمضان ،
فصام ابن سعود في عنيزة ، ولكنه علم يوم العيد ان
ابن الرشيد يواصل السعي في استقدام عساكر الترك الى حائل . فجهز
لحينه حملة من اهل القصيم ونزل الى البكيرية . ثم ارسل الى الفاروقي
بلاغاً - وكان هذه المرة جاداً - يخبره بواحد من امرين ، اما ان ينتقل
بجيشه في خمسة ايام الى وادي السر (فيحول بعده عن القصيم دون
المفاوضات وابن الرشيد) واما ان يرحله ابن سعود من نجد ، فيرسل
الجنود العراقية الى العراق والجنود الشامية الى المدينة . واذا رفض احد
الامرين فهو هاجم عليه لا محال .

عندما علم الجنود ، خصوصاً الضباط بهذا البلاغ ، قاموا يطلبون من
سامي باشا الاذعان ، بل طلبوا منهم ان يرحلهم الى بلادهم ، وقد هدده
البعض بالقتل اذا لم يفعل ، والبعض قالوا انهم سينضمون الى جيش ابن سعود
قبل الباشا بتحويل الجنود ، ولنه اشترط على ان يضمن عبد العزيز

سلامتهم وسلامة معداتهم في الطريق الى المدينة والى بغداد . قبل عبد العزيز بذلك ، واستوطع على ان ينقل الجنود العراقيين الى بريدة فيبقون فيها الى ان يصل سامي باشا بجنوده الى المدينة ، لانه خشي ان يسير الباشا الى حائل فينضم الى عسكو ابن الرشيد ويعيد الاثنان الكرة عليه .

وقد كان عبد العزيز صريحاً على عادته ، فقال للفاروقي : « اذا سرتهم الى المدينة رأساً رحلنا جنود العراق ، واذا حذمتهم عن الطريق ذبحناهم وسنكون عالمين بمسيركم »

ثم دعا عبد العزيز لسماط شيوخ حرب ، التي كانت قد حملت عساكر المدينة عندما جاءوا الى نجد ، وبعد الطعام خاطبهم قائلاً : « انتم جئتم بالترك من المدينة وانتم مرجعوهم ان شاء الله . وسنبقون عندنا الى ان يضلوا سالمين »

حمل عربان حرب العساكر وامتعتهم وعتادهم على الجمال وارتحلوا ، وبعد اسبوعين جاء ابن سعود نجاب يقول انهم اجتازوا الحناكية ورحلتهم المدينة ، فامر اذ ذلك ان تجهز الركائب للعساكر الذين في بريدة ، فرحلوا آمنين شاكرين الى العراق .

وبعد شهرين ارسل السلطان عبد الحميد يشكر الامير عبد العزيز بن سعود على معاملته عساكر الدولة تلك المعاملة الشريفة ، ويسأله ان يرسل احد رجاله لمقابلته . فارسل صالح العذل ومعه اثنان اخران الى الاسنانه ، فنزلوا ضيوفاً على الحضرة الشاهانية ، ومنحوا الالقاء والنياشين ، وسمعوا من الوزراء كلاماً سياسياً لم يجيبوا عليه بشيء ولا أثمر بعدئذ شيئاً للدولة .

اتضح لي الاجتماع بصالح باشا العذل يوم كنت في الرياض ، فالفيتة شيخاً جليلاً يحمل في ايام السلم عصا من الشوحط ، ومثل اكثر اهل نجد لا يكثر الكلام . اجتمع به في «بمخروقه» يوم خرج عظمة السلطان

للزهوة وكنا في معيته . وكان عظيماً قد حدثني عن ذلك الوفد فرغبت
في التعرف الى احد رجاله ، ففاجأني عندما كنا جالسين في ذلك الغار
قائلاً : « هذا صالح العذل » ثم ناداه : « يا باشا يا باشا تعال تعرف الى
الاستاذ » . جاء صالح يتسهم وجلس مثلنا على الارض فسألته اذا كان
قد سُـر في اقامته بالاستانة فاجاب موجزاً : « ما مررنا بشيء مثل سرورنا
يوم رحلونا منها » .

الفصل العاشر

ليلة الظافر

بعد ترحيل عساكر الدولة الى المدينة المنورة والى بغداد خرج على ابن سعود اثنان من رؤساء مطير هما فيصل الدويش وثايف بن هذال فتحالفا وامير بني بريدة وحائل عليه .

ولكن اهل بريدة ظلوا اجمالا مواليين . وقد كان لعبد العزيز في تلك المدينة زوجة يزورها من حين الى حين ، فلما بلغه خبر خروج ابن الدويش وابن هذال ، وهما من اتباعه ، سارع الى القصيم متحقيقاً متأهباً معاً ، وارسل عندما قرب من بريدة الى شلوب^(١) احد خدافه فيها يخبره بقدومه ذلك النهار .

وكان قد عسكر في غدير قرب الشقة^(٢) يدعى المقر فشاعت اشاعة ان ابن الرشيد هاجم عليه هناك . خرج عبد العزيز بنفسه مستكثفاً ، فلم يجد ما يشغل البال او يستحق الاهتمام ، فعاد الى معسكره يتأهب لزيارة المعزبة^(٣) ، وكان النهار قد شد للرحيل .

لبس عبد العزيز افضل ما لديه من الثياب ، فبدت خلال العباءة كلانها من نسيج الشمس الغارية . زبون (انبار) من الكشمير الثمين ، فوقه رداء من قماش آخر هندي متخرج الوانه الزاهية بعضها ببعض ، وفوق الاثنين ، بين عباءة الوبر والرداء ، « كرك » (معطف) مزر كشي بالقصب . خرج الظافر يتلألاً ويفوح طيباً ، كأنه ظفر بالشمس فسلبها بهاءها ،

(١) هو الشلوب الذي صار بعدئذ امير المال والتموين في سلطنة نجد . راجع « ملوك العرب » الجزء الثاني صفحتي ٩٤ و ٩٥ .

(٢) الشقة قرية من قرى بريدة على مسير ساعتين منها .

(٣) المعزبة ، وهي شامة في نجد ، والغازية امرأة الرجل .

وغنم ازاهر الارض فبطن بها عبايته ، فسرى تحت جناح الليل تحف به
سته من الخدم ، وعاشي منية قلبه جيش من الشوق . ولكنه عند ما دنا
من بريدة ، ولم يكن بينه وبين تلك النية التصوي غير مسير نصف
ساعة ، التقى برسول من خادمه شلهوب جاء يقول انت محمداً ابا الحيل
(امير بريدة) قد اقل القصر وهو متأهب للحرب .

وكان الليل حائف ابا الحيل ، فقص في تلك الساعة الرعد ، ولعلع
البرق في السماء ، فهطلت الامطار ، وهبت الرياح ، وامسى الظافر
حائراً باثراً ، لا يستطيع الدخول الى بريدة ، ولا الرجوع الى معسكره
وقد بعد عنه مسافة ثلاث ساعات .

وبالها من ليلة عاصفة ماطرة ، ليلة ظلمتها دامسة ، وبالها من خيبة
ليتها اشد من تلك العواصف والظلمات ! لمز الظافر فرسه وقد قفل
راجعاً ، فسمع بعد قليل كلباً ينبح ، فساقها نحو الصوت ، فاذا هناك
بيت من الشعر ، فترجل امامه يغني ملجأ من المطر الهطال .

وما كان البيت غير خيمة صغيرة طولها ستة اذرع وعرضها نصف
ذلك ، وفيها طائفة من البشر والمعزى . تكلم عبدالعزيز : « يا اهل
البيت نحن ضيوفكم » . فاجابوه ولم يعرفوه : « اهلاً ومرحباً . ولكن
البيت خيق وذا الليل يسود الوجه » .

لم يقبلوا غير واحد من الربيع ، فظل الخدم خارج الخيمة .
دخل عبد العزيز فرأى هناك عشرة انفار ، كبار وصغار ، فيهم
عجوز مريضة وسائب مجنون ، فجلس على رحل قرب الباب وقد ضم
يديه بين جنبيه ، وهو يرتعش من المطر الذي اخترق ثيابه . وكانت
الجديان ، وهو في تلك الحال ، تثب على كتفيه ، والمعزى تبول امامه ،
والظفر يصب من سقف الخيمة ، والمريضة في الزاوية ثن ، والمجنون
يصيح ، والصغار يبكون ، والكبار السالمون من علل الحياة يتصاحبون .

جلس على ذاك الكور ، في تلك الحنية ، وهو يتأمل حالتها وحالته ،
ويود لو كان ابو الحيل تحت سنابك ذاك الليل ، او في مجاري السيل ، او
في محالب العاصفة ، او تحت ذاك السقف الزارب بين العجوز المريضة
والشائب المجنون .

هي ليلة الظافر ! وعندما اسفر الفجر ركب فرسه وعاد الى الشقة
ليبس ثيابه وينظفها وقد امست ، وهي مثقلة بالماء والوحل والاقذار ،
اكره لديه من ابي الحيل . فلما وصل الى تلك القرية رأى جدران بيوتها
تنهار من شدة السيل والامطار ، فأمر بيت الامير ، وكان لا يزال يملك
غرفة ذات سقف وفيها نار مشبوبة ، فشكر الله على ذلك .

بعد ان لبس عبدالعزيز ثيابه ، وازال منها الاوحال ، ركب يقصد
بريدة ، فلما وصل الى القصر وجده مغفلاً . فرع الباب فسئل : من انت ؟
فاجاب : « انا ابن سعود » ، فلم يسع من كانوا داخلًا الا ان يفتحوا .
وعند ما واجه ابا الحيل رآه يرتعد خوفاً فسأله قائلاً : « ما بالك قبح
الله وجهك » فاجابه : « افترى الناس علي . هم يكذبون والله في ما
يقولون » . فقاطعه عبدالعزيز قائلاً : « اسكت ! ما بين امرك الا انت » .
لم يقل اكثر من ذلك . وقد اقام يوماً في بريدة مستطلعاً الاخبار
فتحقق خيانة رؤساء مطير ، وسارع الى محاربتهم ، فاضطر اثناء ذلك
ان يصلح اعدائه في بريدة ، فعفا عن زعيمهم ابي الحيل محمد .

سألت عظمة السلطان وهو يملئ عني اخبار هذه الحوادث : « وكيف
تعفو عنه بعد تلك الليلة المشؤومة ؟ » فاجاب فوراً : « مكره اخوك لا بطل »

الفضل الحادي عشر

تعددت الأعداء

حالت في حائل الأحوال ، فجرى الدم في بيت الرشيد ، ونولى الأمانة سلطان بن حمود ، أحد الإخوان الثلاثة الذين قتلوا أبناء عبد العزيز الثلاثة أي الأمير متعباً وأخويه ^(١) وقد باشر سلطان حكمه بالتحائلة ، فأرسل نجاباً إلى عبد العزيز بن سعود يطلب الصلح ، وأرسل في الوقت نفسه يخطب ود أهل نجد والتقصيم ويستنصرهم عليه .

وبينما كان نجاب السلم عند ابن سعود جاءه رسل من الزعماء في تلك النواحي ومن بعض رؤساء البادية يحملون الكتب التي كتبها إليهم أمير حائل الجديد

غضب عبد العزيز وهم بطرد النجباء ، فأوقفه والده الإمام وأشار عليه بقبول ما جاءه من أجله ، فقبل بذلك مشروطاً على سلطان الشروط التي اشترطها على سلفه متعب أي أن أمارته تنحصر في حائل والجليل وسيادة ابن سعود تعم نجد والتقصيم .

عاد رسول السلم إلى سيده ، وراعى ابن سعود غازياً بعض ١٩٠٧ القبائل المتقلبة في الجنوب . ثم جيش جيشاً من بادية مطير ١٩٠٧ ومن الحضر وزحف به إلى أطراف القصيم لأنه علم أن سلطاناً أدخل بشروط الصلح . سار عبد العزيز إلى بريدة فاجتمع هناك بعض الزعماء وفيهم أبو الحيل محمد ، فاستأروا عليه ألا يصالح ابن الرشيد . قالوا إن الحرب أولى ، وإن ابن الرشيد لا يركن إليه

وكان عبد العزيز قد تحقق ذلك من كتب سلطان إلى رؤساء أهل

(١) في الفصل الثاني والثلاثين ذكر هذه المذبحة وتفصيلها .

نجد والقصيم ، ولم يخامره الرب في اخلاص هؤلاء الزعماء وفيهم من اصدقائه السابقين شيخان من مطير هما فيصل الدويش ونايف الهذال . لذلك زحف الى حائل غازيا . ولكنه لم يتوفق في تلك الغزوة ، كما انه لم يتوفق في وضع ثقتة بالدويش والهذال ؛ اذ بعد ان علما بفشل تعاهدا واما الحيل على ان ينصرا ابن الرشيد عليه

عندما تحقق عبد العزيز ذلك - عندما ادرك ان قد تقلت مطير من يده وخرجت بريدة عليه - راح يستجد عتية عدوة شمر ومطير ، فافاج بعض سعيه . وعندما هجم سلطان على قافلة له كانت خارجة من القصيبة ، فاحذها وامن رجالها ثم قتلهم ، شد عبد العزيز عليه ، فلم يدركه لانه كان قد عاد الى حائل .

خرج ابن سعود على بريدة وارسل منها الكشافة فالتقوا في الطريق برجل رايهم امره فقتلوه ، فوجدوا معه كتاباً من محمد ابي الحليل الى سلطان الرشيد يعاهده . فيه على ابن سعود

تعددت الأعداء والحيات . ولكن خيانة فيصل الدويش اثارت في عبد العزيز اشد الغضب والحق ، فراح يدبر وسيلة للانتقام . وكان من تدبيره انه اذن لعرب عتيبة بالرحيل ليقال انهم خذلوه . ثم صالح اهل بريدة وعفا عن زعمائها كما اشرت في الفصل السابق .

ولكنه عندما اذن لبواذي عتيبة بالرحيل ضرب لهم موعداً في مكان يدعى لك الجعلة فاجتمع بهم هنالك واغاروا بغتة على الدويش في جهة سدير ، ففلاذ بالجمعة التي كان فيها يومئذ حامية لابن الرشيد فادركوه ورجاله في بساتينها وقتلوا بهم فهدمهم شر هزيمة وغنموا اموالهم كلها

بعد هذه الواقعة التي جرح الدويش فيها جاء كبار مطير مستسلمين مستغفرين فاعطاهم ابن سعود الامان . ثم عاد الى الرياض . ولم يكبد يتم الشهر هناك حتى جاءته الاخبار مثبتة خيانة ابي الحليل الذي كان قد

عقد وابن الرشيد عهد الصلح والولاء .

استنفر ابن سعود بوادي قحطان وعتيبة ، ورفض من جاء ينضم الى جيشه من مطير الثائبين واهل بريدة لانه لم يكن ليقبض بهم . اما ابن الرشيد فكان قد غزا بعض عربان ابن سعود فلم ينل منهم مغنا . بل عشي جيشه الظلم فمات عدد كبير من رواحله وخيله ، فعاد الى الجبل ونزل الكهفة .

اما ابو الحثيل فاستمر عاصياً طاعياً ، بالرغم من غزو ابن سعود وبالرغم من توسط ابن سليم امير عتيبة . وكان من رجال مطير « الثائبين » ما توقعه عبدالعزيز فانضموا وطاغية منها الى جيش ابن الرشيد ، الذي جاء الى بريدة فنزل على المياه في جوارها .

اما عربان ابن سعود ، قحطان وعتيبة ، فالتحدروا يلبونه ونزلوا العرض ، ثم اجتمعوا بن نفروا اليه من الحضر بوادي السر وزحفوا شتالاً يقصدون بريدة .

تصافت القبائل ، فكانت شمر وحرب ومطير مع ابن الرشيد وكانت عتيبة وقحطان مع ابن سعود .

وهناك اخر من الامراء انصار ابن الرشيد لا يستهان به ، الا وهو الشيخ مبارك الذي كان مخلصاً لكاتب ديوانه في الاقل فلم يعزله بعد تلك الزلّة . وقد جاء ثانية بتلها . ففي الكتب التي وصلت الى عبدالعزيز من « والده » في الكويت كتاب الى سلطان الرشيد ، ارسل خطأ الى خصه ، وفيه يحرضه على ابن سعود ويلج عليه بالاتفاق واهل القصيم . كتم عبدالعزيز الامر وتقدم بجيشه من السر الى المذنب ، فجاءه هناك رجل يدعى عبدالعزيز بن حسن من اهل القصيم ، ولكنه كان من خفية ابن سعود ، فاخبره ان الشيخ مبارك ارسل يتوسط بالصلح بين اهل القصيم وابن الرشيد . ولم يكن عبدالعزيز ليحتاج الى مثل هذه البيانات

في انقلاب « والده » ابن الصباح عليه ، وقد تعددت امثال فعلته هذه الخرابوية . ولكن عذر صاحب الكويت في ذلك انه كان ينشد دائماً التوازن في نجد ، ويسعى في تحقيقه والمحافظة عليه ، لانه اذا اختل التوازن اختلت في رأيه الشؤون كلها ، وفيها شؤون الكويت .

تقدم ابن سعود الى عنيزة فعلم ان معسكر سلطان هو خارج بريدة على مسير ساعة من قصرها ، فسرى يريد الهجوم عليه ، فعلم سلطان بذلك ، ونقل الى قرب القصر .

حتى به ابن سعود فتناوش الفريقان مراراً دون ان يتمكن بعضهم من بعض . على انه في احدي الغارات كبت فرس عبدالعزيز فوق وقع مشومة ، فكُسِرَ عظم في كتفه اليسرى وأُغْمِيَ عليه .

وكان فيصل الدويش قد جاء ابن الرشيد فرعاً فأُتِرِلَ اهله الطرفية^(١) وتقدم بخيامه ورجاله الى بريدة . فلما دنا من عسكر ابن سعود خرجت اليه سرية فنازلته وهزمت ، فقتلت عدداً من رجاله وغنمت كثيراً من الابل . ثم تقفّت من تقهقروا ، وهجمت بعد ذلك على الطرفية فذبحت اهل الدويش واستولت على البلد .

اما عبد العزيز فعاد بعد وقعته يتبع السرية التي هزمت الدويش ، فوصل العصر الى الطرفية وعسكر فيها ، ولم يشعر حتى الليل بالمل في كتفه شديد حره النوم واقعدده .

دعا قواده وهو في تلك الحال فضاظيهم قائلاً : « ابن الرشيد واهل بريدة هاجموني عليكم هذه الليلة فتأهبوا وكونوا متيقظين . بشوا الحرس والكشافة في الطرق ، وحصنوا القصر » .

وكان قد انتصف الليل عند ما جاء رجل من بريدة يقول ان ابن الرشيد ورجاله قد خرجوا وهم يريدون المهاجمة .

(١) الطرفية هي على مسير اربع ساعات ونصف ساعة من بريدة الى الشمال .

لم ير القائد الذي بلغه الخبر ان يزعم عبدالعزيز به وهو في تلك الحال ،
خصوصاً وان الجيش كان مستعداً للدفاع .

ولكن امرين افسدا ذلك الاستعداد . فقد تأخر ابن الرشيد فنامت
الجنود ، وقد سلك الى الطرفية طريقاً غير الطريق المعروفة ، فلم يشعروا
الا هو ورجاله في وسط المعسكر .

هجمت البادية من جهة عليه ، وهجم اهل بريدة من الجهة الاخرى ،
وهم يبعثون احتلال القصر . ولكن الحرس ايقظوا الحامية فصادمتهم
وصدتهم عن الدخول .

اما ابن الرشيد ورجاله فتقدموا هادئين ليباغتوا السعوديين وهم نيام .
ولكن بعضهم استيقظوا ، فتصادموا والمهاجمين ، وتضاربوا بكعصاب
البنادق ، ثم بالسيف ، فسالت الدماء وعلت الاصوات . - على
المشركين ! على الحونة !

أطلقت عندئذ البنادق فهب العسكر كله للقتال ، الذي استمر حتى
الفجر ، فبدت اذ ذاك المياه الجارية بين النخيل وقد احمرت من دم القتلى .
- « صبحناكم لا صبحتكم العافية » .

هي الكلمة التي كان يرددها السعوديون عندما تقفوا الرشيديين المنهزمين .
قتل في هذه الوقعة التي تدعى بوقعة الطرفية (٥ شعبان ١٣٢٥ -
١٩ ايلول ١٩٠٧) ثلاثون من رجال ابن سعود وثلاثمائة من رجال ابن
الرشيد . وقد كان الفضل في هذا النصر للحضر في الجيش السعودي . اما
البوادي فشرذوا ، ثم عادوا بعد بضعة ايام .

الفصل الثاني عشر

كسرة ابي الحليل

قلت في ما تقدم ان ابا الحليل من آل مهنا الذين كانوا متآمرين في بريدة ، وانهم كانوا معادين لآل سعود منذ عهد الامام عبدالله بن فيصل عم عبدالعزيز اما اهالي بريدة ، او الاكثرية فيهم ، فكانوا يشكون حكم آل مهنا ويودون التخلص منه بل كانوا متقربين متذبذبين . لم يستطيعوا ان يقاوموا اميرهم ابا الحليل ولا ان يعاونوا عدوه ، فكانوا يوماً معه ويوماً عليه باطنياً او ظاهراً شأن المستضعفين المستنصرين . وكانوا في انقلابهم وتلونهم لسرع من اميرهم واسبق ، فقد طالما خدع ابن سعود وابن الرشيد وابن مهنا نفسه بما كانوا يظهرون او يبطنون

بعد وقعة الطرفية عاد الى بريدة من سلموا من اهلها وفر ابن الرشيد وباديته الى حائل ، فرحف ابن سعود في اليوم التالي ليتنصع البويديين ، فاغارت كوكبة من الحليل على المدينة وغنمت المواشي التي كانت خارج السور . ثم نزل في الزرقاء شمالاً واباح لعدوكه القرى التي ساعدت اهل بريدة ، فجاء اهلها في اليوم التالي يطلبون العفو فعفا عنهم . اما اهل بريدة فظلوا عشرين يوماً داخل البلد كلهم في حصار ، فلم يخرجوا لا موالين ولا معادين . ولكن فريقاً منهم ارسل يخبر ابن سعود سرّاً ان ابا الحليل مستول على المدينة بمن معه من رجال ابن الرشيد ، وانه اذا انسحب من جوارها يتيح لهم ان ينهضوا على اميرهم وجيشه الشمري .

وكان هؤلاء الشريون قد عابوا سلطان الرشيد في انهزاه وفراره الى حائل ، وطلبوا منه ان يعود فعاد ودخل بريدة ليلاً . فلما علم ابن سعود

بذلك مشى الى غنيزة فنزل على مسير ساعة من بريدة ، ففاجأت خيالة ابن الرشيد رعاة له فأخذوهم . وقد حدث يومئذ قتال استوكت فيه البدو ، فقطعت الحضر ساقهم اي حمتها .

ان الحضر في الجيوش العربية كالجنود النظامية . اما البدو فبدوهم ، وامرهم عجيب ، قد اسلفت القول ان يواذي ابن سعود شردوا في وقعة الطرية ، ثم عادوا اليه . ومن عادتهم ان يحيثوا ويروحوا ، ان يحاربوا ويشردوا كما توجهي اليهم النفس او ترشدهم الحوادث .

وفي القتال امام بريدة هجم جيش الياذة فاحتاط ابن سعود للامر بان جعل الحضر في مؤخره ليمنعه من الفرار اذا احس بالهزيمة . ولكنه كان في ذلك اليوم منتصراً فتراجع قوم ابن الرشيد ودخلوا البلد .

استمر ابن سعود في سيده جنوباً فنزل غنيزة ، ثم نقل الى البكيرية ، ثم الى الرس ، يجمع اليه المقاومة من الحضر . اما سلطان الرشيد فعاد الى الجبل ، وقد ترك اخاء فيصلاً في بريدة ليصكون عوناً لابي الحيل على اهلها ، بل ليظل بعيداً عن حائل . ولكن فيصلاً اختلف وطاغية مهتاً فهجره وعاد الى الجبل فاجتمع باخيه الامير الحاكم واغضبه ، فارسله الامير مهمة الى الجوف ، وقصده الابعاد .

وكان ابن سعود قد نقل من الرس الى جبة عتيبة ، فنزل هناك في جبل يدعى سواج وهو يتربع الفرس للهجوم . فلما علم بما جرى بين فيصل واخيه سلطان سارع الى الجبل ، جبل شمر . ولكن البدو ، وهو في منتصف الطريق ، هجروه ، فاستمر مع ذلك سائراً ، ونزل بقومه على ماء سقف ، فوجدوا هناك قبائل من حرب ، فاغاروا عليهم وغنموا كثيراً من اموالهم .

لم يتوقف عبدالعزيز في زحفه الى الجبل ، فعاد الى الرياض . ثم رجع في الشهر التالي الى القصيم ، فلاقاه جاسوس من بريدة ليخبره ان اهلها

مستعدون اذا وصل اليهم ، ان يجمعوا على ابي الحليل .
 لمز ابن سعود حصانه ، وراح يبيشه مسرعاً ، فوصلوا الى المكان
 المعين للاجتماع خارج البلد فلم يجدوا احداً هناك .
 لله انتم يا اهل بريدة ! عص عبدالعزیز علی نواجهه وعاد الى عنيزة ،
 فجاءه بعد سبعة ايام رسول منهم يقول انهم متأهبون للهجوم ، فزحف
 زحفة ثانية كانت كالاولى عقيدة الفشل .

ولكنه نزل الاخضر ، على مسير ساعة ونصف ساعة من المدينة ومشى
 اليها بالجنود مرفقین لعل « الانصار » يخرجون اليه ، فلم يخرج احد منهم .
 ثم بلغه ان سلطان بن الرشيد زاحف من الحليل لينجد اهل بريدة ،
 اي الرشيديين فيها ، فشد ابن سعود وبادر اليه ، ليصده عن ذلك ، فعلم
 عندما وصل الى كهفة ان الحبر مكذوب . وكان برغش بن طوالة ،
 من رؤساء شمر ، نازلاً ماء قهق بالقراب من جبل سلمى هنالك ، فسرى
 يريد الهجوم عليه . فلما رآه ابن طوالة متنبلاً ساعة الفجر اركب الحريم
 على الحليل سافرات فجئن يلاقينه مستعطفات . ثم جاءه برغش طالباً العفو ،
 بل جاء يعاهده على الولاة واقسم بالله ان سيكون على الدوام من رعاياه
 المخلصين .

قد كان ابن طوالة رسول السلم ايضاً بين ابن سعود وابن الرشيد ،
 فجددت المعاهدة السابقة التي خرقها مرة سلطان ولم يتقيد دائماً
 سلفه متعب بشروطها . ولكن ابن سعود لم ينخدع . وما
 اراد في ذلك الحين غير حياد ابن الرشيد ، ولو الى حين ، فيستطع انصاره
 من اهل بريدة ويمكثوه من ابي الحليل .

عاد عبدالعزیز ، بعد ان صالح ابن الرشيد ، الى البكيرية ، فعسكر
 فيها وسار بنفسه الى عنيزة مستخبراً ، فأخبر عندما وصلها ان اهل بريدة
 مستعدون الاستعداد التام هذه المرة للهجوم .

بأمر عبدالعزيز إلى حصانه ، وعدا به عائداً إلى البكيرية ، فقطع
بساعتين ونصف ساعة مسافة خمس ساعات من السير ، وأمر عند وصوله ،
بالزحف السريع إلى بريدة ، فزحف الجيش في ذلك النهار ووصل إلى
المدينة عند غروب الشمس .

= وابن الرجال ؟ ابن من هم مستعدون الاستعداد التام للحرب ؟
الحق يقال ان السيادة كل السيادة كانت لمحمد أبي الحليل . ولم ينفر إلى
ابن سعود ليلتذّر الا عشرة من الانصار ، فكان الاتفاق بعض المفاوضة
السرية ان يفتحوا له باب السور وقت صلاة العشي . ولم يكلفهم اكثر
من ذلك .

أمر ابن سعود سريتين بالتقدم ثم بالدخول إلى البلد ، اذا ما فتح
الباب ، فيسيرون توجّاه إلى البيوت القريبة من القصر المقيم فيه أبو الحليل
ويحتلوها .

فتح باب السور ، وكان الناس في الصلوة ، فدخلت السريتان ،
واحتل البيوت المذكورة ثلاثاً من الفرسان .
كان ابن سعود ساعئذ واقفاً عند الباب فارسل فرقة عددها
خمسئة رجل لتحمل ابراج السور القريبة منه .

ثم خطب في الباقي من جيشه قائلاً : « اننا هاجموا على هذا البلد ،
فاحذروا ان تؤذوا من لا يعترضونكم ، او تسيئوا اليهم بشيء . حاربوا
من حاربكم ، وسالموا من سالمكم . اما البيوت فلا تدخلوها . واما
الحريم فمن اعتدى عليهن فيدي عليه » .

دخل ابن سعود على رأس جيشه يقصد من تقدمه من الفرسان .
وما كاد يخرج الناس من المساجد حتى علت في المدينة صيحات الحرب .
اشتبكت الجنود برجال أبي الحليل ، واستمر القتال طيلة ذلك الليل ،
فقتل من المهتدين عشرة ومن السعوديين خمسة لا غير . وجاء رؤساء

بريدة عندما اسفر الفجر يطلبون العفو ، فعفا الظافر عنهم بشرط ان يسلم
المقاتلون السلاح ، فسلموها قبل الضحى .

ولم يكن ابا الحليل ظل محاصراً يوماً وليلة . ثم طلب الامان فأمنته
عبد العزيز على حياته ، وتركه يذهب حيث يشاء ، فرحل الى العراق .
وفي كسرة محمد آل عبدالله ابي الحليل ، في ٢٠ ربيع الثاني من هذا
العام (٢٣ ايار) دخلت بريدة للمرة الثانية في حوزة ابن سعود .

الفصل الثالث عشر

الاقارب والعقارب

ما سلب الله على العرب غير أنفسهم . فقد طالما نكثوا العهود فراراً من تبعة أو خسارة ، وقد طالما استحلوا ، في سبيل السيادة ، دم ذوي القرى . لا نعود الى الماضي مستشهدين التاريخ ولنا في هذا الزمان الامثال والبيانات . فقد ذبح الشيخ خزعل اخاه ، والشيخ مبارك اخويه ، وبندر بن الرشيد عمه ، ومحمد بن الرشيد ابنه اخيه الاربعة ، وابناء عبيد الرشيد اولاد عمهم الثلاثة — كل ذلك طمعاً بالسيادة .

وقد قتل في هذه السنة من هذا التاريخ سعود بن عبيد الرشيد اخاه سلطاناً وتولى الامارة بعده . ثم ارسل الى عبد العزيز بن سعود يعرض عليه الصلح فصالحه على ما صالح عليه اخاه وابن اخته سافيه .

٥١٣٢٦
١٩٠٨

من نوادر الله في خلقه ان يقوم في العرب ، في زمان تعددت فيه هذه الجرائم الفظيعة ، من يسلك الى السيادة مسلك الشجاعة والشرف ، فلا يسلب عليهم غير سيف الحق ، ولا يجازي طغيانهم وخيانتهم ، اذا ما تابوا ، بغير الجلم والاحسان . وليكن تاريخ آل سعود المعروف هو ابيض الحاشية ، فلا يدنس دم ذوي الارحام .

استمرت الاضطرابات والفتن في حائل ، فشكك ابن الرشيد العهد ، وعاد البيتان الى الحرب — الى الغارات والغزوات . اما سعود ابن عبيد ،

٥١٣٢٧
١٩٠٩

الذي لم يحكم غير سنة وشهرين ، فقد قتل كما قتل هو أخاه . ثم بعث من تولى الامارة من آل سبهان ، اخوال بيت الرشيد ، بوفد الى عبدالعزيز ، فلم تسفر المفاوضات عن سلم او شبه سلم ،

فاستأنف البيتان القتال .

خرج صاحب حائل فنزل الشعيبة وأغار على قبيلة من مطير السعدية فقتل رئيسها وأصاب منها مغنا . وخرج صاحب نجد يطلب خصمه على ذلك الماء فلم يجده ، فأغار على قبائل حرب وشمر وغنم أموالهم ، ثم عاد إلى الشعيبة فأقام هناك يوماً « يحمس الاخماس » أي يقسم الغنائم .

وعلم صاحب حائل بوجود ابن سعود في الشعيبة فزحف إليه ، وعلم ابن سعود بذلك فمشى حتى وصل الغروب إلى مكان في النفود يدعى الاشعلي فنزل هناك ، وشرع يتأهب للحرب ، فأخرج البدو من المسكر ، وأبعدهم عنه . وأخرج الحضر إلى رأس النفود فتحصنوا فيها ، فأمنت الحيام خالية . ثم امر بان لا تعقل الابل التي غنموها من شمر وحرب في الغزوة الأخيرة . والقصد من ذلك ان يستغوي بها بوادي العدو . ان الطمع غريزة في البدو ، فهم اذا رأوا الأباغر شاردة يتبعونها ليغنموها ، والاباغر اذا سمعت طلق البنادق ، ولم تكن معقولة ، تفر هاربة .

انصرف الليل فهجم امير حائل على محجم امير نجد الفارغ فذهب وصاحبه سدى ، وفرت الابل فلهقتها البادية . وقد شردت كذلك تحت جناح الظلام بادية ابن سعود ، فلم يبق غير الحضر في الجيشين .

وارسل عبد العزيز سرية لمناوشة من هجموا على المحجم ثم الانسحاب ففعلت ، فظنوه معها وظنوه مهزوماً . ولكنه كاث . ورجاله كامنين في رأس النفود ، فأغاروا عند اثبات الفجر في ٥ ربيع اول (٢٩ اذار) من هذا العام عليهم . وكانت هذه المفاجأة خاتمة وقعة الاشعلي ، وكان في الحاتمة نصر لابن سعود مبين . خسر الرشيديون عدداً كبيراً من رجالهم ، وكثيراً من رواتلهم ، ما عدا ما كانوا قد غنموه في الليلة السابقة ، وتفرقوا عائدين إلى الشعيبة .

أما ابن سعود فسار يحواضره إلى قبته ، وكانت بواديه قد شردت كما

قلت ، فتبع وقعة الاشعلي هذنة كان سببها الضيق من قلة الامطار ، فلم يستطع احد من الفريقين مواصلة القتال .

ولكن ابن سعود خرج من قبه غازياً بعض عربانه العاصين في اعالي نجد ، على طريق المدينة ، وعاد الى القصيم فأمر فيه ابن عمه عبدالله بن جالوي والنحدر الى الرياض ، فلما قرب من العاصمة التقى برسول من ابيه جاءه يقول : « جنبوا جنبوا . الفتنة مشتعلة في الحريق بين الهزازنة » .

والهزازنة اي آل هزان من عنزي وهم اقارب لآل سعود - اقارب ابعادون . كان قد قتل بعضاً منهم في تلك الفتنة ، فارسل الامام عبد الرحمن سرية قبضت على القتلة واسلمتهم الى اخوان المقتولين فقتلواهم . ولم تخل الفتنة من مآرب سياسية ، فعاد الهزازنة بعد رجوع السرية ، يشعلون نارها ، فاعتدوا على آل نخلان ، فذبحوا منهم شيخين طاعنين في السن ادعوا انها اشتركا في قتل اخيهم الكبير محاس . اثار هذا الادعاء الكاذب غضب الامام عبد الرحمن ، فأمر ابنه عبدالعزيز ان يحمل عليهم في الحال . - جنبوا الى الحريق - جنبوا !

طلب عبد العزيز فرجة يومين ليزور اهله في العاصمة فكان له ذلك . وفي اليوم الثالث نزل الى الحريق ، ودعا الهزازنة لحكم الشرع فابوا ، وهم حقيقة لا يريدون الخضوع لحكم ابن سعود . ثم دخلوا حصنهم وتحصنوا فيه ، فصاصرهم شهرين وما انفك يدعوهم لحكم الشرع وهم متمردون ، وفي ذاك الحصن منيعون .

عندئذ اقدم ابن سعود على عمل يعد حتى في غير البلاد العربية كبيراً ، فأمر رجاله بحفر نفق يوصلهم الى الحصن ، فباشروا ذلك وكان طول النفق عندما تم اربعين باعاً . ثم عزم ان يشعل فيه البارود فينسف الحصن نسفاً ، ولكن نساء المحصورين واولادهم كانوا ساكنين في بيوت فوق ذلك النفق ، فارسل عبدالعزيز يذرهم ويؤمنهم على حياتهم اذا هم اخلوها .

ولكن المحاصرين ابوا، واستمروا متمردين. فأرسل اليهم رسولاً يقول: « اذا كنتم لا تخرجون حريمكم واطفالكم فانتم المسؤولون عن حياتهم امام الله » .

ظن المحاصرون في بادئ الامر ان ابن سعود هو الذي عليهم بنفق وهي ، فلما تأكدوا الحقيقة سلموا لتسلم عيالهم .

وعاد عبد العزيز الى الرياض ومعه زعماء آل هزبان الا واحداً منهم استأذن بالسفر الى حوطة بني تميم لاشغال له هنالك فأذن له بذلك. ولكن اخاه راشدا احد الذين سلموا ، كتب يشير عليه بالفرار وانه لاحق به ، فوقع الكتاب بيد عبد العزيز وكانت النتيجة ان صاحبه اصبح سجيناً ، بعد ان كان ضيفاً مكرماً ، في الرياض (١).

تضمنت سنة ١٣٢٧ بمعيان الهزازنة وهم كما قلت اقارب

٥١٣٢٨
١٩١٠

آل سعود الابدوث ، وتضمنت سنة ١٣٢٨ بخروج « العرائف » وهم اقارب آل سعود الادنون . بل هم الذين كانوا اسرى في حائل ، فجاء بهم ماجد بن الرشيد الى عنيزة ليقاتلوا اهلهم ، فخلصهم عبد العزيز من الاسر وعن القتل ، فقاموا بعدئذ يجازون عمله بالعصيان . قد يكون بين فتنة الهزازنة وخروج « العرائف » صلة سرية ، او ان الواحدة اوجت الاخرى . وجاء فوق ذلك الجذب يزيد بشدائد هذه السنة التي كانت تدعى « الساحوق » فخسر ابن سعود مبلغاً جسيماً من الاموال - الابل والمواشي - ولم يكن لديه ما يمكنه من الحرب والغزو . وعقد مجلس للمذاكرة بخصوص « العرائف » فقال احد الحضور مخاطب عبد العزيز : « ادعوهم اليك للجواب ، فاذا ابوا اضربهم » ، وقد

(١) جاء راشد بعدئذ الى الحجاز وبقي فيه حتى بعد نكبة الحسين فكان مشغولاً بحلم عبد العزيز ومكرومه . وكان ابنه عبدالله قد صاحب الملك علياً الى جده فاقام فيها اثنا عشر شهراً ثم فر الى مكة قبيل التسليم فاجتمع بابيه الذي هو اليوم قائد القوات البدوية هناك .

عقب على هذا الرأي آخرون . ولكن عبدالعزيز لم يستحسنه فقال : « اذا دعوتهم الى فقد يحدث بينكم وبينهم قتال ، فاكون ذابحاً لذوي القريب وهذا مكروه عندي . دعوهم . كفانا الله شرهم » .

رحل « العرائف » ، وهم تسعة ، ورجاجيلهم وخدمهم الى الحساء فنزلوا على العجمان اخوالمهم . وانسكن العجمان اعتدوا على بعض عشائر الكويت فنهوهم ، فهددهم الشيخ مبارك ، فالتجأوا الى ابن سعود . بل جاءه كذلك كتاب من الشيخ مبارك يسأله فيه ان يسعى في ارجاع تلك المنهوبات .

اما ابن سعود فكان قد كتب الى ابن الهذال رئيس المهارات وابن الشعلان رئيس الرولا ، والعشيرتان من عنزى ، يستجدهما على ابن الرشيد ، فاجاباه الى ذلك وضرِب الموعد للاجتماع . ولكن المشاكل تعددت في الحساء ، وهي مرتبطة بعضها ببعض ، فظن عبد العزيز ان التوسط بين مبارك والعجمان يحل مشكل « العرائف » ، فيادر الى تلك الناحية . وقد كان في عزمه ، بعد حسم ذاك الخلاف وحل ذاك المشكل ، ان يستأنف السير ليخضع بالهذال والشعلان فيسدون جميعاً على ابن الرشيد .

اما الشيخ مبارك فعندما علم بخروج آل سعود « العرائف » وانهم جاؤوا الحساء ، ارسل نجاباً الى عبدالعزيز يستأذنه بان يدعوه الى الكويت فيسعى في الصلح بينه وبينهم . قبل عبدالعزيز ولسان حاله يقول : نصلح بينه وبين العجمان فيصلح بيننا وبين العرائف . وجزاء حسنة حسنة مثلاً . اما « العرائف » فقد قبل اثنان منهما دعوة مبارك ، وجاء اثنان الى عبدالعزيز مستغفرين مستأمنين فأعطاهما الامان .

ولكن صاحب الكويت لم يقدم على ذلك العمل لقاء ما جاء ابن سعود الى الحساء من اجله . بل كان هنالك امر آخر يستوجب المعروف .

ان القاري الذي سار معنا من بداية هذا التاريخ يدرك شيئاً من غوامض الشيخ مبارك السياسية ، وهو قلما كان يقدم على عمل لا سر في شطر منه في الاقل .

اما السري في توسطه بين « العراقيين » و « ولده » عبدالعزيز سعود فهو ان رئيس عشائر المنتفق في العراق سعدون المنصور كان قد جهز حملة عليه - حملة كبيرة لا يستطيع مقاومتها ناهيك بغلبتها - فأسلف عبد العزيز المعروف ، ثم أرسل يستنجد به على السعدون -

المستجير بعنبره عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

الفصل الرابع عشر الشيخ مبارك يستغيث

أمّا وقد وصلنا الى هذا الحد من تاريخ ابن سعود عبد العزيز فلا بدّ لنا من ان نعيد شيئاً من تاريخ الانقلاب العثماني . فقد ذك حزب الاتحاد والترقي عرش عبد الحميد ، واعاد الدستور الى الامة ، واسس فيها حكومة نيابية . ولكنه بعد ان تبوأ عرش السيادة استبد واستأثر ففدا كل واحد من زعمائه عبد حميد رهيباً .

وقد اغضب الحزب العرب خصوصاً فقام منهم من أسسوا حزب الأثنايين ليطالب بالامر كربة صونا لحقوق العناصر الغير التركية . ثم قام في البصرة جماعة يرئسهم السيد طالب النقيب والشيخ خزعل والشيخ مبارك الصباح يؤسسون فرعاً لهذا الحزب . بل كان من مقاصد تلك النهضة طرد الاتحاديين واستقلال العراق فيحكمها احد اولئك الزعماء . اثار عملهم غضب الحكومة فأمرت سعدون باشا الاتحادي بتجهيز حملة من العشائر على الشيخ مبارك لانه اكبر الثلاثة ، ولانه في نظر الدولة ذو سوابق سياسية .

على ان الزملاء الذين كانوا قد وعدوا الشيخ بالمساعدة خذلوه فامسى منفرداً في الورطة ، فارسل يستنجذ ذاك الذي شب وترعرع في ظله . ارسل يستنجذ من كان يسميه « اولدي » وقد صار زعيماً للعرب كبيراً . ولكن هذا الزعيم كان يومئذ في ورطة اشد من ورطة « والده » مبارك . ومع ذلك فقد مشى الى الكويت بجيش صغير من العربان ، وفيهم بعض العجمان .

وعندما وصل عبد العزيز كان الشيخ مبارك قد جهز ما عنده من قوة

لخاربة السعدون فأشار عليه بالتربص وقال : « ليس بيننا وبين الرجل خلاف حقيقي يوجب الحرب ، وأني أرى مسأله أولى . المسألة طفيفة ، وأنا أتوسط بينكم وبين السعدون » .

شق على الشيخ مبارك أن يسمع مثل هذا الكلام ، فازدري نصيحة « ولده » الذي طالما امدّه بالنصائح وكان عوناً في الشدائد .

مبارك : « أنت أولدي وهل يقبل الولد أن يهان أبوه » .

عبد العزيز ، وقد عراه شيء من الحجل : « لا والله . ولك ما تريد . أني ملبّ الطلب إن شاء الله ولكنني أسأل والذي انت يمهلي لاستجد اهل نجد . ليس معي الآن غير مثنين من رجالي . اما العشائر فلست مركناً اليها في القتال » .

مبارك : « أني أجند من الكويت الجنود الكافية ، ولا ابغي منك غير القيادة » .

عبد العزيز : « اذا انت باشرت التجنيد فابن سعدون قريب منا وعالم بأخبارنا وامثالنا كلها . فهو اذ ذاك يتأهب لنا . ولا ريب عندي ان « شواوي » (رعاة) المنتفق كلهم يلتفون حوله . امهلي قليلاً سلمك الله . ومن رأيي ان تسيّر قوة صغيرة مع احمد انجالك فتبعد عن اطراف الكويت ، وتربص للهجوم على ابن سعدون يوم تتفرق عشائره . وسننال مرأنا منه بحول الله » .

ما راق هذا الكلام الشيخ مبارك فأصر على تجنيد الجنود وعلى خروج ابن سعود معهم ، ففعل مكرهاً . اما جيش الكويت الذي كان رئيسه جابر بن مبارك فقد كان مؤلفاً من الفين من الحضر ، واكثرهم من الشبان الناضرة وجوههم ، النادرة شجاعتهم ، واربعة الاف من البادية ، ومئة وخمسون فارساً . أضف اليه عربات ابن سعود والمثنين من رجاله فيبلغ عدده كله نحو سبعة الاف .

١٣٢٨ هـ
١٩١٠ م

لما بعد هذا الجيش مسافة يوم من الكويت جاء رجل من كبار عرب الظفير يدعى الضويحي ليسأل ابن سعود ان يتوسط بينهم وبين ابن الصباح . وقد اكده ان السعدون وعرب الظفير يقبلون بذلك . عرض عبد العزيز الامر على جابر الصباح فأجابته قائلاً : « اني لا اعهدك جباناً » . فغضب عبد العزيز وقال : « سترون غداً . غداً تظهر الجبانة فتعرفون ان هي » .

واستمروا ذلك اليوم سائرين ، فواصلوا السير بالسرى ، وكانت سعدون باشا قد علم بزحفهم فاسرى كذلك بعشائره يريد الهجوم . وقد كان عدد جيشه يوازي جيش الكويت ، بيد انه كله من عشائر المنتفق والظفير والبدور وغيرها ، واكثره من الخيالة .

نام عربان سعدون في الطريق ، ولكنهم عندما احسوا بقرب الكويتيين افاقوا وتراجعوا الى مقر القيادة كي لا ينصادموا واباهم ليلاً . ولما اصبح الصباح تكلم عبد العزيز : « اسمع يا جابر . من رأيي ان تأمر البدو بالاغارة على سعدون وجماعته ، فنبعدهم عنا ، ونشغل العدو . اني والله في ريب من امرهم . اذا سيرناهم امامنا فئامن خيانتهم » . لم يستحسن جابر هذا الرأي . واصر على ان يكون الهجوم عاماً ، فقال عبد العزيز مخاطب اخاه الاصغر سعداً : « اني لا ارى غير الهزيمة لهذا الجيش . فف معي وقومنا على حدة لنتمكن عند الحاجة من الدفاع عن انفسنا . اليوم يوم دفاع يا سعد لان هؤلاء الناس لا رأي لهم ، ولا هم يقبلون النصيحة » .

عند ما رأى جابر ان ابن سعود وقومه اعتزلوا الجيش لامهم قائلاً : « انتم اخواننا والاخوان في الحرب لا يحجمون » . ففجئ عبد العزيز وامر اخاه بالاشتراك في الهجوم .

وكانت الفاتحة للخييل ، فاغارت خيالة ابن الصباح ، وهم مئة وخمسون

على خمسة من فرسان السعدون . فكر هؤلاء عليهم كرات سريعة شديدة هائلة ، فانهزموا هزيمة شنيعة ، وانهزم معهم جابر وجيشه بدون قتال ، ولم يبق مع ابن سعود الا عشرة فقط من الحيلة رجاليه . اما البقية ففروا مع الفارين ، وقد تركوا وراءهم كثيراً من الحلال والمال - من الامتعة والابل والحيل - فكانت لجيش السعدون هدية من جيش الكويت . وقد دعيت هذه الوقعة ، التي جرت في صباح اليوم الاول من جمادى الثانية من هذا العام (١٠ حزيران ١٩١٠) بوقعة هدية .

لحق عبد العزيز بجابر وقومه المنهزمين فادر كههم في عصر ذلك النهار وقال يهون الامر عليهم : « هذه عادات الرجال والحرب سجال » . ولكن الشدة انستهم التهمك . فبينما هم سائرون خلوا الطريق ، وكان قد ادر كههم فوق الهزيمة الجوع ، ولم يكن لديهم شيء من الزاد . ثم جاءتهم رحمة الله فالتقوا باباعر شاردة من حملة ابن سعود ، وهي تحمل شعيراً ، فاطعموا الحيل احمالها ، ونحروها ليطعموا انفسهم . وقد رافقتهم الرحمة في اليوم التالي ، اذ علم فيصل الدويش بقرهم منه فجاء باهلهم يلاقيهم ، فنصب الحيام و اضافهم تلك الليلة ضيافة كبيرة ، ثم نحرهم ثانية في الصباح . ان بعد العسر يسرا . ولكنهم لم ينسوا تلك الهزيمة ، بل تلك الهدية - « هدية والله ، اخذنا للسعدون هدية » .

اما الشيخ مبارك فعند ما بلغته اخبار تلك « الهدية » خرج الى قصره « الصرة » يداوي كلومه ، فجاءه ابنه جابر و « ولده » عبد العزيز يهونان الامر عليه . ولكنه عقد النية على استنفار اهل الكويت ثانية - « سأجمع والله خمسة اضعاف هذا الجيش ، وساحرق المنتفق فلا يبقى منها غير الرماد ! » .

خطر لعبد العزيز خطاير يحو فيه كلام ذلك الغضب . كان « العرائف » قد رحلوا من الكويت - « العرائف » الذين استدعاهم

مبارك ليصلح بينهم وبين ابن سعود - فأرناى ان يُجهز أحد اولاد الشيخ بجيش صغير فيسير عبد العزيز معهم ويشاع انهم ساروا يطلبون « العرائف » ، فيبلغ سعدون الخبر ، فيسرح عربانه - « فنعيد الكرة اذ ذاك عليه ، ونحن مدركوه بحول الله » .

رفض الشيخ مبارك ثانية ان يعمل برأى عبد العزيز . وكان ابن الرشيد قد هجم يومئذ على ابن الهذال وابن الشعلان ، وهما حليفان لابن سعود كما تقدم ، فأخذهما في تَحْمِيسِه على حدود العراق ونجد . فقال عبد العزيز يستأنف الحديث : « اذا كنت تصر على تجنيد جيش كبير ، فانا اترك عندك رعاباي من عرب مطير وأعود الى بلادى لان ابن الرشيد ، بعد انتصاره على الهذال والشعلان ، لا بد ان يزحف الى القصيم . واخشى ايضاً ان يقوم « العرائف » بحركة في الرياض فيتفاقم الامر علي . ولا اظنك تريد لي ذلك » .

وكان قد أمل الشيخ مبارك ان يغلب السعدون ولو بعون ابن سعود المعنوي ، فندم لانه لم يقبل بنصيحته ، فلا يعرض به في مواقف الخطر يوم ضعفه . ندم لانه لم يحول به نهوياً على العدو ويدخل الرجل لساعة قوته في الحرب . ولكنه ، وقد ادرك هذه الحقيقة الان ، رفع الحجاب عن نفسه المتألمة عند استماعه كلمات عبدالعزيز الاخيرة - « اذا رميتني اليوم يا وليدي فليس لدي احد ينهض بي ، فيستكن مني العدو . انا والدك يا عبد العزيز ، ولي عليك حق المساعدة ، والبلد بلدك وله عليك حق الدفاع ... ابقى عندي ولا تخرج مع الجيش - ابقى عندي فاقبلى بوجودك معي » .

اجل ، قد تجلت له الحقيقة التي حجبها عنه في اول الامر الوهم والغرور ، وهذه الحقيقة هي ان مجرد وجود ابن سعود عنده مفيد . فطلب منه ذلك وكان في طلبه بليغاً ووديعاً .

« ابقى عندي ثلاثة اشهر فقط » .

قال عظمة السلطان لمؤلف هذا التاريخ : « استجيت منه بعد هذا الكلام وبقيت » .

وكان مبارك أثناء تلك الثلاثة الأشهر مطمئناً فلم يهاجمه السعدون . ولكن فوائد قوم عند قوم مصائب . فقد كان ابن سعود في قلق دائم ، لأن ابن الرشيد كما تقدم غلب حليفه المذال والشعلان ، والعجمان تأمروا و « العرائف » عليه ، و « العرائف » أسندوا عائدين الى الرياض ، ومنهم من كتبوا الى الشريف حسين في مكة يستنجذونه على عبدالعزيز . اخف الى ذلك ان القبط كان يومئذ شديداً ، فتفرقت البوادي وراحت تنشد المياه . ثم حدث حادث بينه وبين بعض عربان مطير اعتدوا على عرب من قحطات وسبيع ولاذوا بابن الرشيد ، فاراد عبد العزيز تأديبهم عندما جاؤوا الى اطراف الكويت ، فتصدى له الشيخ مبارك ، فكتب اليه يلومه قائلاً : « كان الاجدر بك ان تساعدني عليهم وهم من قبائلي العاجية » . اشتعل الغضب في صدر مبارك - وما كان اسرع اشتعاله - فخرج من الكويت الى معسكر ابنه جابر ، فاجتمع هناك بعبد العزيز ، وكانت اول كلمة منه مرادفة للاهانة والطرد . قال الشيخ « اظنك يا ابن سعود تبغي اهلك » . فأجابه بكلمة واحدة : « نعم » . وخرج من ذاك المجلس كما دخل مبارك اليه مكتئباً متغيظاً .

انها لا بام عصيبة في تاريخ عبدالعزيز ، تعددت فيها الاعداء والاختطاف ، وهجرته بواديه ، وكان جزاء معروفه الاهابة وغط الجبل . وهناك الطامة الكبرى ، هناك العسر المالي الذي ندر مثله في العشر السنوات الماضية من حياته .

المال ! قد كان في حاجة شديدة الى المال . وانه ليدهش القاريء مقدار حاجته وهو حاكم نجد وكبير العرب . حاول ان يستدين من اهل الكويت ، فاعتذروا خوفاً من مبارك . ثم ارسل الى نسيه ووكيله في البصرة عبداللطيف باشا المنديل يطلب منه الفين ليرة - الفين فقط - ويقول له ان يقبض القيمة بما تبقى عند الدولة من معاش الامام والده .

الفصل الخامس عشر

الشریف حسین یسمر الاردان

من تهم الزمان ، وقد والى المتعرد عليه من الناس ، ان يبيته في اليوم العصب بما لا ينفعه من نوافل الحياة ، بل بما يزيد في عسره وحزنه . وكان السلطان عبد الحميد قد منح الامير عبد العزيز ابن سعود لقباً ونيشاناً من اعلى درجات المجد عنده ، فصارت الجرائد في بغداد وفروغ تتعته بالنعوت الضخمة بعد ان كانت ، في ايام نصره وعزه ، تتجاهل عليه .

— غزا الامير الخطير عبد العزيز باشا سعود القبائل « المحلة براحة اهل السبيل فكسب شكر اهل الجبل » . بعد ان غزا الامير الخطير والزعيم الكبير عبد العزيز باشا سعود قبائل مطير وحرب توجه قاصداً الرياض « ليجم نفسه حيناً من الزمن لامر ذي بال »

والحقيقة اولى ان يقال . فقد عاد عبد العزيز من الكويت في اواخر هذا العام راكباً مطية الافلاس ، يخف به جيش من الغم ، وصاحب ٥١٣٢٩ بيرقه يدعى اليأس . قتضالج وابن الرشيد — مكره اخوك ١٩١١ م لا بطل — لكي يتمكن من استخدام ما تبقى لديه من قوة في مقاومة « العرائف » اقاربه . وقد ارسل اخاه سعداً الذي لم يكن يتجاوز السبع عشرة من سنه الى عتية يستنجد رجالها لهذه الغاية .

ولكن عتية ولت وجهها شطر مكة ، فانحازت الى الشريف حسين ، مضيف بعض « العرائف » ومكرهم ، اكراماً لابن سعود ! — « ليس بيننا وبين ابن سعود ، ايما التعجب ، غير ما يوجب حسن الجوار وهذا لا يخفى على نباهات كالات نجايتكم » .

لم يكن والحق يقال ، بين الحسين وابن سعود عدااء في تلك الالام

يجر الى الحرب او يقضي حتى بالغزو . ولكن الشريف كان موالياً
للالتحادين ، ساعياً في اكتساب ثقتهم ، طامعاً بالسيادة له ولانجباله .
وكانت الحكومة قد فقدت الثقة ببنت الرشيد بعد ان تعددت فيه الجرائم
العائلية السياسية ، فادارت بنظرها الى الحسين وهي ترجو ان يستميل
في الاقل ابن سعود اليها . ولا ريب ان الشريف وعدها باكثر من ذلك .

خرج الحسين من الحجاز بجيش من البدو والحضر في رجب من هذا
العام ونزل الكويعية « ديرة » عتيبة . وراح سعد « بنجر »
١٩١٢ م تلك الديرة للغاية التي ذكرت ، فلما وصل الى اطراف الكويعية
خرج اليه فصيلة من خيالة عتيبة ، فظنهم جاؤوا يلاقونه ، ويرحبون به .
ولكنه ، عندما دنوا منه ، ادرك قصدهم الحقيقي . ولم يكن معه غير
اربعة رجال فركب وعشرة منهم الخيل وقلوا راجعين ، فليحق اهل
عتيبة بهم ، وهم يؤمنونهم قائلين : « نحن خدامكم ، ففوا ولا تخافوا » .
صدقهم سعد ، ولم يصدقهم رجاله . فوقف بالرغم عن تحذيرهم ، فقبض
بنو عتيبة عليه واخذوه اسيراً الى الشريف حسين .

وكان عبد العزيز قد تأهب لمحاربة « العرائف » بالخرنق عندما اتصل
به هذا الخبر ، فترك اربعين من رجاله بقيادة فهد بن معمر في الحرج ،
وكرر راجعاً يستنجد اهل نجد ، وينقذ اخاه .

اما الشريف فبعد ان امر سعداً رحل من الكويعية شمالاً فنزل
الشعري ، ثم لحظ من الشعري شرقاً فنزل ماء قريباً من الوشم .
ولكنه عندما علم ان ابن سعود قد وصل بجيشه الى حزمه تراجع غرباً
فنزل غلى ماء يدعى العرجاء وارسل يستنجد ابن الرشيد . فكتب
وكيل الامارة زامل السبهان الى عبدالله بن جلوي امير القصيم يومئذ
يقول : « ان بيننا وبين الشريف معاهدة تضرطنا الى مساعدته » . اما
عهد الصلح بينهم وبين ابن سعود فان هو الا قصاصة من الورق .

لم يكن الشريف ليقتصد من هذه الحرب بل هذه المناورات ، غير ازعاج ابن سعود واكرامه في ما يريد . وقد كتب اليه ، وهو يفر ويكر من ماء الى ماء يؤكد ذلك . - اذا هجمت علينا تركنا لك المعسكر والحيام وعدنا باخيك سعد الى مكة فيبقى عندنا الى ان تطلب الصلح .

اما الصلح فشرطه بيد الشريف حسين . ومن غرائب الاتفاق ان خالد بن لؤي امير الحُرمة كان يومئذ الواسطة بين الاثنين . وخالد هذا واهله ، وان كانوا من اشراف الحجاز ، هم منذ القدم على ولاء وآل سعود . فقد تذهبوا بالمذهب الوهابي في ايام سعود الكبير وظلوا متمسكين به محافظين عليه .

جاء خالد الى عبدالعزيز يعرض شروط الشريف . ولم تكن غير شروط الدولة التي كانت تطلب ان يعترف بسيادتها ولو اسمياً في نجد او على الاقل في القصيم ، وطلبت فوق ذلك ان يدفع ابن سعود شيئاً من المال ، عربون التبعة ، كل سنة .

انه لامر مضحك عجيب . ابن سعود يستدين من نسيبه ووكيله في البصرة ما يسد به حاجاته ، ويحمله على الدولة ! والدولة تسعى بواسطة الشريف ان تدخل ابن سعود في تبعيتها فتتقاضاه بدل ان تدفع له المساهمات .

جاء خالد يحمل شروط الصلح . وخالد وان كان بدوياً فهو على شيء من الذكاء والدهاء . اسمعه مخاطب عبد العزيز فيقنعه .

- « اسمع يا عبدالعزيز انا اعلمك . لا غاية للشريف سيئة . لا والله . ولكنه يبي (ينبغي) يبيتض وجهه مع الترك . فاصتبه له ورقة تنفعه عند الترك ولا تضرك . وانا اتكفل بوجوع سعد ، واتكفل ان الشريف لا يتدخل في امور نجد - هذا اذا كنت لا تتجاوز الحدود . اما اذا

هو اعتدى عليك فانا خالد بن لؤي اعاهدك عهد الله عليه « فاكون معك
والله كما كان ابائي مع آبائك وكما كان اجدادك مع اجدادي » ! .

قبل عبدالعزيز بتوسط خالد وكتب له « قصاصة ورق » تنفع
الشریف عند الترك ولا تضر كاتبها . فقد تعهد فيها ان تدفع بلاد نجد
للدولة ستة الاف مجيدي كل سنة -

وما كانت غير قصاصة من ورق .

الفصل السادس عشر

الغرائب والمزازنة

يذكر القاري، أن أولاد سعود بن فيصل، الذين احتربوا وعمهم الإمام عبد الله، كانوا مقيمين في الحرج فصار لهم في تلك الناحية أشياخ وانصار. ويظهر أن التزعة إلى العصيان ظلت تنقد في صدور أولئك السعوديين الذين أسرهم يومئذ ابن الرشيد وخلصهم من الأسر ابن عمهم عبد العزيز. والآن، عندما عادوا من الكويت والاحساء، نزلوا إلى الحرج يريدون الاستيلاء عليه.

والكن أهل تلك الناحية، وأميرهم إذ ذاك فهد بن المعمر، صدوهم عن ذلك، وطردوهم في اليوم الثاني بعد وصولهم، فرحلوا إلى حيث اتقدت منذ سنتين فتنة المازانة - إلى جهات الحوطة والحريق.

أما المازانة الذين كانوا أسرى في الرياض فكان عبد العزيز قد أطلق سراحهم وأذن لهم بالرجوع إلى بلادهم، أكراماً لأمير قطر قاسم بن ثاني الذي توسل من أجلهم. فعندما جاء « الغرائب » بعد أن طردوا من الحرج، رحب المازانة بهم، وتعاهدوا وأياهم، فتوحدت القوتان والمقاصد.

وكان قد انضم إليهم أناس آخرون في الحوطة، فمشوا معهم إلى الحريق ثم هجموا على القصر، وفيه سرية لابن سعود، فحاصروه سبعة أيام واستولوا عليه.

أما ابن سعود فعندما عاد من التقصيم، بعد أن صالح الشريف حسيناً وخلص أخاه سعداً من الأسر، جاء توأ إلى ناحية الحريق الذي كانت قد استولى عليها الغرائب والمزازنة، ومعهم جمع كبير من البادية.

ان الحريق كائنه في واد بين جبلين وليس لها غير طريق واحد ،
 فاسرى فيه عبد العزيز ليدخل البلدة ليلاً على حين غرة . وعندما وصل
 في اليوم التالي الى قصر قريب منها نزل هناك وامر جيشه ، الذي لم
 يكن يومئذ غير الف ومئتين من الحضر ، ان يعسكر ويستعد لخصار
 طوبل .

ولكن خيالة العدو في جولة من الجولات اصطدمت بفصيلة من
 خيالة فكانت الشرارة التي اضرمت نار الحرب .

هجم حضر عبد العزيز هجمة واحدة على الحريق ولم يقفوا حتى
 استولوا عليها وعلى بلدة اخرى اسمها مفيجر ، فشرذ آل سعود
 « العرائف » على خيلهم ، والتجأوا الى اهل الحوطة فردوهم خائنين ،
 فرحلوا اذ ذاك الى الافلاج .

وكان في السبع هناك اخوهم فيصل ، وفي ليلا^(١) احمد السديري
 من قبل ابن سعود ، فاحترق الاثنان قليلاً قبل وصول «العرائف» .
 اما عبد العزيز فبعد انتصاره في الحريق زحف جنوباً فنزل نعام ،
 قرية في الطريق ، وراء الجيش ان يهجم على الحوطة فيكتسحها فابى
 ذلك قائلاً : « لا اسمع في خراب بلدين من بلادي في يوم واحد .
 ساقدم لاهل الحوطة الصلح واعطيهم الامان . لعل الله يهديهم سواء
 السبيل » .

اما الامان فظفروا به شكراً لعالمهم ورؤسائهم الذين خرجوا الى
 عبد العزيز وقد عقدوا المحارم في رقابهم . ولكن اهل الحوطة برابرة
 قتلة لا يضعون على الرقاب ، ولا يقهقون في العقاب ، غير السيف .
 ومع ذلك فقد صفع عبد العزيز مشروطاً ان يدخل بجيشه البلد ، فدخل
 ظافراً ، ثم زحف الى الافلاج .

(١) ليلا قاعدة الافلاج ، والسبع بلدة من بلداتها فيها مياه جارية .

وبينا هو على ماء في الطريق جاءه رسول من اميره السديري يقول ان حين وصول العرائف الى السبع علم اهل البلدة بما جرى في الطريق ففروا هاربين . وقد تركوا فيها امتعتهم واموالهم ، فغنمها السديري عند احتلاله تلك الناحية .

ولكن سعود بن عبدالله ، أحد « العرائف » وعبد العزيز الهزاني الذي فر هارباً بعد قننة الهزائنة الاولى ، ومعهم ثلاثون رجلاً ، هجموا على السبع ، بعد ان هجرها اهلها ، دون ان يعلموا بما جرى في الطريق ، فقبض السديري عليهم كلهم والقاهم في السجن .

وصل عبد العزيز ، فاطلق سراح سعود بن عبدالله ، وخيره في امرين البقاء عنده او الالتحاق باخوانه ، فاختار البقاء (هو سعود العرافة الموجود الآن في الرياض وسعود الى ذكره) ولكن الذين شردوا من العرائف ، الا واحداً كان قد سار الى الحسا ليستنهب البادية هناك ، رحلوا الى مكة ولاذوا بالشريف حسين .

واما الهزاني وجماعته المأسورون فقد عفا عبد العزيز عن راشد^(١) منهم وامر بقتل الآخرين ، هي المرة الاولى التي حلت القسوة محل الحلم في حكمه . ولاشرو ، فقد سبق منه الاحسان ، وتكررت منهم الاساءة .

ووضع الندي في موضع السيف بالعلي
مضرباً كوضع السيف في موضع الندي

الفصل السابع عشر لا نصر ولا انكسار

لم تنجح البلاد العربية بما اعتوى حكومة الاتحاديين من عوامل الضعف والفساد ، فذهبت هيئة السلطين المدنية والعسكرية ، وضعت الثقة بأولي الامر سواء من الترك كانوا ام من العرب . على ان العصبية في بعض القبائل حالت دون التفكك في الامارات والاحكام . فقد راودت حكومة المدينة عربان الحجاز ، وساومت حكومة بغداد عشائر العراق ، وشاركت حكومة الحساء رؤساء البدو المجرمين ، ولكن شمر ظلت الركن الاوطد لابن الرشيد ، ومطير العضد الاكبر لابن الدويش ، والمنفق القوة الثابتة لابن السعدون ، وظلت الظفير كتلة واحدة بيد ابن سويط .

بيد ان شيوخ هذه القبائل كانوا يوماً اطلاقاً بعضهم لبعض ويوماً اعداء . فقد تصالح مثلاً ونحارب السعدون وابن سويط مرتين في مدة قصيرة ، وكان ابن الرشيد صديق الاثنين اليوم وعدو هذا او ذاك منها غداً .

اما ابن سعود فعالمه في سنتي ١٣٢٩ و ١٣٣٠ (١٩١١ و ١٩١٢ م) حال المصارع الذي يستوي واقفاً قبل ان تلمس يده الارض . وبكلمة اخرى قد كان ، على ضعفه ، القوة الوحيدة التي لم تستطع الاخصام ان تعير هدفها او ان تلصقها بالحضيض — بل كان ، على ضعفه ، يضرب في فترات التنفّس الضربات المدوخة ، وفيها البرهان ان هناك قوة ، وان انهكت ، لا تغلب .

فقد مرّ وهو عائد من الافلاج بقبائل من الدواسر عاصين فآذتهم ،

ثم سار الى الحساء ، بعد ان استراح بضعة ايام في الرياض ، فضرب العاصيين من العجمان هناك واحسن التأديب ^(١) .

وبينا هو في جهات الحساء ، سمع الشيخ مبارك يستغيث . فقد جاءه وفد من الكويت بكتاب من « والده » مشفوع بذلولين « وجاء في الكتاب : « اني مرسل اليك ذلولي » وقد كنت اركبهما الى الغزو . وانا الآن عاجز من الركوب والمغازي ... انا والدك يا عبد العزيز ، والذلولان اللذان شهدا الغزوات والمعارك العديدة هما لك يا ولدي وهما يطلبان منك ان تأخذ بثأر والدك من ابن السعدون » .

فاجاب عبد العزيز ان مشاكله كثيرة ، وعشائره متقلبة ، فيخشى الحيات بعد ان اجتمع له الامر في بلاده . وهو يضطر واحال هذه ان يستخدم كل ما لديه من قوة في معالجة مشاكله الداخلية ومنها في ذاك الحين مسألة تركي بن سعود العرافة الذي انحدر الى الحساء من الخرج ، كما قلت في الفصل السابق ، يستنهض العجمان . وقد انضم اليه آل سفران فخذل منهم .

لم يهم الشيخ مبارك ذلك ، فرفض عذر عبد العزيز . ولكنه كان يحسن التأوه والاستغاثة ، فكتب ثانية الى « ولدي » : « انا اصيح واناديك وانت يا ولدي تعص اذنك . امثل ذلك يعامل الوالد ؟ انهجرني يوم شدي فيساعد هجر لك العدو علي ؟ استعني يا ولدي يا عبد العزيز استعني اصيح واناديك الخ ... »

سمع عبد العزيز فاستغفر عشائره ليلي النداء ، ومشى بعد ذلك بجيش مؤلف من الف وخمسة من الحضر وخمسة الاف من البدو ، يصحبه اثنان من ابناء الصباح هما سليمان الحمود وعلي الخليفة . راح ينتقم « لوالده » من ابن السعدون وابن سويط .

وكان قد اعلم الشيخ مبارك بمسيره وانه سينزل الحفر . ولكن

(١) التأديب هو العقاب والفرامة ويكون غالباً بدون حرب .

العدو اثناء ذلك انقسم قسمين ، فاحترب اهل الظفير واهل المنتفق بعد ان كانوا متعاضدين . ولذلك اسباب عربية وتركية . اما العربية فهي مألوفة وتكاد تكون طبيعية ، واما التركية فمنشأها النزاع بين الاتحاديين والأثلافيين . وقد كان هذا النزاع يمتد الى العشائر بواسطة رؤسائها ، فيستدعون به ليارب بعضهم من بعض ، ونذر فيهم من ليس له نأر على الآخر . علم الشيخ مبارك بما جرى بين عدوَيْه . وبما ان حمود بن سويط كان اميل الى الأثلافيين منه الى خصومهم ، فقد كتب اليه يخبره ان ابن سعود زاحف عليه ويحذره منه . انه لانقلاب سريع ، مدهش ، منكر . علم به عبدالعزيز آسفاً متجهلاً ، وعلم كذلك ان القصد منه ان يسترضي مبارك ابن سويط ويستعين به على الانحادي سعدون .

ولكن الخبر اشعل الحمية في رجال ابن سعود ، فنادوا بالهجوم على صاحب الكويت : « هو عدو لنا يا عبدالعزيز . بل هو عدو الله . كيف يطلب منك الهجوم على ابن سويط ثم يخبره بذلك ليكون على حذر . رخص لنا فتجري الدماء كالانهر في اسواق الكويت ! »

سكن عبدالعزيز روعهم قائلاً : « قد قمنا نحن بما علينا . اما هو فقباحة عمله عليه » .

ولكن ابن سويط لم يشأ ان يعادي ابن سعود فارسل اليه يطلب العفو ، فعفا عنه . ثم توجه الى ناحية الزبير فورد كابدة ووجد هناك اغناماً كثيرة لابن السعود فغنمها كلها . واستمر سائراً الى سفوان^(١) فلاقاه في الطريق رسول من والي البصرة ومعه وفد من اهل الزبير ، فأكرموه وقدموا له الهدايا الثمينة من الحكومة ومن الاهالي . وبكلمة اخرى جاؤوا خائفين مستعطفين ، فامر ابن سعود جيوشه بأن لا يتعدوا على احد وان لا يؤذوا احداً في اطراف الزبير والبصرة .

(١) كابدة وسفوان ماءان في الطريق الى البصرة على حدود الكويت ونجد .

ثم جاءه الى سفوان عبد العزيز الحسن من قبل الشيخ مبارك بمهمة جديدة . قد كان لمبارك عدد من « الشولوي » اي رعاية الغنم في تلك الانحاء لا يأخذ منهم ذبيحة^(١) وهم يوماً من رعايا العراق ، ويوماً من رعاياه ، فكتب الى عبد العزيز يقول : « اريد منك ان تهجم على هؤلاء الشولوي وتأخذهم او تأخذ خيولهم وسلاحهم » . لم يخف على عبدالعزيز القصد من ذلك . فقد اراد مبارك ان يسترضيه ، واراد من جهة اخرى ان يحرك عليه حكومة العراق . ولكن عبدالعزيز لم يكتفه من تحقيق قصده بل قصده .

قتل من سفوان راجعاً الى الكويت ، فرفض قومه ان يرجعوا معه : — « لا ندخلها والله غير محاربين » . ابى عبدالعزيز ذلك عليهم ، فمشوا معه طائعين حتى وصلوا الى الجهرى ، فنزلوا فيها ، وقد جاء الشيخ مبارك يسلم على « ولده » فاعتذر عما بدا منه دون اسهاب في التصريح ، وقبل عبدالعزيز العذر دون معاقبة .

ثم سار يقصد الى الحساء ، وكان قد كثرت فيها وفي جوارها الاشقياء ، قبله وهو في الطريق ان العجمان العاصين هجموا على عرب من عربان فيحل الدويس واخذوا عدداً كبيراً من الابل ملك رجل من الموصل اسمه « ذو النون » كان في ضيافة ابن سعود ، فسارع عبدالعزيز الى مقاتلة المعتدين .

ولكنه اخبر انهم على ماء قريب منه ، فراح يطلبهم هناك ، فادركهم واخذهم جميعاً . ثم علم انهم غير المذنبين ، وانهم ابرياء ، فاعاد اليهم كل ما أخذ منهم وأخلى سبيلهم .

اما المذنبون ورؤسهم تركي العرافة ، فكانوا قد التجأوا الى حكومة الترك في الحساء ، فاخبروها ان « ذا النون » من رعاياها من الموصل ، فارسلت الحكومة تحتج على ابن سعود ، وتحذره من التعرض لقبيلة العجمان . فاجاب ان في تأديبه هذه العشيرة خيراً للناس وللحكومة .

ولكنه لم يشأ يومئذ ان يغضب الترك في الحساء فتركهم وشأنهم .

(١) ويقال الذبيحة والميعة ، فالميعة من ما حة عند الامير اي شفع له . والذبيحة اي عدد من الاتنام يقدمها البدو للامير في سبيل الشفاعة .

الفصل الثامن عشر الاتراك والوحدة العربية

خبطت حكومة الاتحاديين في دياجي الاثرة خبط عشواء ، وتلطخت ايدي زعمائها بدم الابرياء ، فنشرت منها كل العناصر الغير التركية ، بل هاجت عليها فئة عاقلة من الاتراك انفسهم ، ولكنها لم تغفر بشيء يذكر . ولاظفرت الحكومة بامنية من امانيتها القومية او الوطنية . فقد حاولت تنريك العرب فباقيها الفشل ، وحاولت استرضائهم بعد ذلك فكانت كالنافخ في الرماد .

فاضت تلك السياسة الى الحرب الاولى بعد الدستور ، بل الى الحسارة ١٩٣٠ هـ الاولى من الممالك العثمانية . وانتصرت ايطالية ، وذهبت ١٩١٤ م طرابلس الغرب . ولكن الذي يهنا في هذا الصدد هو ان اميراً من امراء العرب اي السيد الادريسي كان حليف الاجانب على الاتراك ، وظل الامراء الكبار الآخرون ، ما عدا الشريف حسين ، على الحياد في تلك الحرب .

حتى ان الامام يحيى عدو الادريسي ظل ساكناً ، فلم يغتم الفرصة للفتك بالادارسة واتباعهم . وجل ما كان من « اخلاص » للدولة انه اذن لعساكرها ان تجاز بلادته لتسقط على الادريسي من الجبال فتجتز ساقه جيشه .

ثم طلبت حكومة الاتحاديين المساعدة من ابن سعود ، وتعهدت ان تقدم له كل ما يحتاج اليه من السلاح والذخيرة والمال ، فما لبى الطلب . وقد كتب الى الحكومة كتاباً يقول انه عربي فلا يحارب من اجل الدولة العرب ، وانه والادريسي على ولاء ، وان البلاد في كل حال

بعيدة عنه فلا يتمكن من محاربة أهلها .

عادت الحكومة فطلبت منه ان يختص الاحساء بعسكر عربي لحماية تلك الناحية او بالحري لحاية الترك فيها ، فرفض ذلك ايضاً .

ثم كتب اليه والي البصرة سليمان شقيق كالي باشا ، الذي كان حاكماً عسكرياً في عير (١٩٠٨ - ١٩١٢) يسأله رأيه في امراء العرب ، وفي شقاقهم وخروج بعضهم على الحكومة العثمانية . فكتب ابن سعود اليه جواباً صريحاً فيه البرهان على انه كان منذ ذاك الحين يفكر في الوحدة العربية . والى القاري خلاصة هذا الجواب . قال ابن سعود مخاطب والي البصرة :

« انكم لم تحسنوا الى العرب ، ولا عاملتموهم على الاقل بالعدل . وانا اعلم ان اسشارتكم اباي انما هي وسيلة استطلاع لنعلموا ما انطوت عليه مقاصدي . وهاكم رأيي ، ولكم ان تأملوه كما تشاؤون .

انكم لمسؤولون عما في العرب من شقاق ، فقد اكنفتم بان تحكموا وما فكنتم حتى من ذلك . قد فاتكم ان الراعي مسؤول عن رعيته ، وقد فاتكم ان صاحب السيادة لا يستقيم امره الا بالعدل والاحسان ، وقد فاتكم ان العرب لا ينامون على الضيم ولا يبالون اذا خسروا كل ما لديهم وسلمت كرامتهم . اردتم ان تحكموا العرب فقتضوا اربكم منهم فلم تتوقفوا الى شيء من هذا او ذاك . لم تنفعوهم ولا نفعتم انفسكم .

وفي كل حال انتم اليوم في حاجة الى راحة البال لتتمكنوا من النظر الصائب في اموركم الجهورية . اما ما يختص منها بالعرب فاليكم رأيي فيه : اني ارى ان تدعوا رؤساء العرب كلهم ، كبيرهم وصغيرهم ، الى مؤتمر يعقد في بلد لا سيادة ولا نفوذ فيه للحكومة العثمانية لتكون لهم حرية المذاكرة . والغرض من هذا المؤتمر التعارف والتآلف . ثم تقرير احد امرين ، اما ان تكون البلاد العربية كتلة سياسية واحدة يرأسها

حاكم واحد ، واما ان تقسموها الى ولايات ، فتحددون حدودها وتقسيمون على رأس كل ولاية رجلاً ذا كفاية من كل الوجوه ، وتربطونها بعضها ببعض بما هو عام مشترك من المصالح والمؤسسات .

وينبغي ان تكون هذه الولايات مستقلة استقلالاً ادارياً وتكونوا انتم المشارفين عليها . فاذا تم ذلك فعلى كل امير عربي ، او رئيس ولاية ، ان يتعهد بان يعضد زملاءه ويكون واباهم يداً واحدة على كل من تجاوز حدوده ، او أخل بما هو متفق عليه بيننا وبينكم .

هذي هي الطريقة التي تستقيم فيها مصالحكم ومصالح العرب ، ويكون فيها الضربة القاضية على أعدائكم .

فاستحسن والي البصرة هذا الرأي فارسل به الى الاستانة . ولكن اولى الامر هنالك لم يستحسنوه ، بل سفهوه قائلين : « يريد ابن سعود ان يجمع كلمة العرب بواسطتنا ولخير نفسه » .

وكانت سياستهم مبنية على ظنهم ، فشرعوا يقاومون فكرة الوحدة سرّاً وعلناً ، بمساعدة عمالهم مباشرة وبواسطة بعض امراء العرب . وقد كان يومئذ جمال باشا في بغداد ، والشريف حسين في مكة ، وابن الرشيد في حائل في مقدمة ما يسعون كلمة الاستانة ويطيعون .

طلق الشريف حسين بحرض على ابن سعود القبائل ومنهم عتيبة . ثم جهز جيشاً لرأسد الهزاني^(١) الذي كان قد جاء « العرائف » اليه ، وسيره على الحريق . وقد امد « العرائف » كذلك في محاربة نسيبهم صاحب نجد . فارسل عبد العزيز صالح باشا العذل الى الشريف ومعه هدية من الخيل وكتاب جاء فيه : اننا نستغرب عنكم هذا العمل وبيننا وبينكم معاهدة .

وكان جيش ابن سعود قد اغار على فخذ من عتيبة المتشيعة للعرائف ،

فغضب لذلك الشريف ورد صالح العدل خائباً ، ورد فوق ذلك الهدية .
 فخرج العرائف على ابن سعود . وقد نَحَسَّتْ هذه السنة بخيانة مطير
 ورئيسها فيصل الدويش الذي استغواه عجمي السعدون واستنهضه
 وعربانه على محاربة الظفير . أما اليد الخفية في هذه الخيانة فيد الترك ، وأما
 الصوت فصوت المتتركون يومئذ من العرب .

الفصل التاسع عشر

فتح الحساء

ان خلاصة ما تقدم في ما يختص بالترك هي انهم كانوا في عهد الدستور يناوؤون العرب، وبالاخص من حاول ان يجمع كلمتهم ويوحد سياستهم، اي ابن سعود. فقد عرضوا عليه الشريف حسين، وابن الرشيد، وابن السعدون، واستغروا كذلك عشيرة من عشائره الكبرى هي مطير، ناهيك بالعجمان في الحساء وبحرب في اطراف الحجاز.

اجل قد بلغت العداوات في بدء هذا العام اشدها، فسارع ١٩٣١ هـ عبد العزيز الى تحقيق ما كان يبغيه. خرج في شهر ربيع الاول من الرياض ورحلته الحساء، فنزل على ماء الحفص حتى آخر الشهر، واغار اثناء ذلك على عربان من بني مرة مذنبين فاخذ مواشيهم. على ان الغرض من هذه الاغارة لم يكن محصوراً بظاهره.

تقدم بعد ذلك الى الحساء، فارسل الاتراك يستطلعون خبره وقصده، فقال: « انا قصدي الامتياز » (شراء الامتعة وال زاد) والحقيقة هي انه ابتاع ما كان في حاجة اليه للجنود، وعاد الى الرياض تاركاً عسكره في الحفص.

وفي ذلك الحين وصل الى عاصمة نجد، قادماً من الشام بطريق الجوف، رجل انكليزي اسمه ليتشمين^(١) فسأله ابن سعود: « وما

(١) هو Col. Gerard Leachman الذي عين بعدئذ مستشاراً في حكومة العراق وقد كان الكولونيل ليجمن من عيشة اهل السودان في العراق اي انه كان يتقن لغة البدو ويلبس لبسهم ويركب مركبهم ويجلس جلساتهم ويفتح مضيقاً مثاهم بمعالج شؤونهم كواحد منهم ويقتضي ويقتل بشرعهم وقضائهم ولكنه كان عسكياً سريع الفضب وقصاري الامر لما اشعلت نيران الثورة كان حاكماً سياسياً في لواء الدليم وقد دعى اليه مرة الشيخ ضاري شيخ قبائل الزويج الناربة في نواحي الفلوجة الرمادي

القصد من سياحتك ؟ » فاجاب قائلاً : « اني جفرا في واريد ان تساعدني لاجتاز الربع الخالي من واحة جبرين الى عمان » .

عبد العزيز : « ان قدومك الينا على هذا الوجه خطأ ، فلا علم لنا به ولا معك توصية من الحكومة البريطانية » .

ليتشمن : « اني رجل انكليزي طالب علم ، وانتم مشهورون باكرامكم الانكليز خصوصاً العلماء منهم » .

لم يتأكد عبد العزيز حقيقة ما ادعاه الرجل ، بل ظن انه يتجسس للترك . وبما انه كان قد اعتزم الهجوم على الحساء ، وكان قد خامر الترك بعض الريب في امره ، رأى ان يستخدم هذا الجفرا في لازالة ذلك الريب فيطعن من الحصم البال ، ويسير هو مطمئناً الى غرضه .

لذلك قال : « لا يستطيع ان يجيب طلبك غير الترك في الحساء ، فاري ان تذهب الى المتصرف هنالك . واذا اكتب اليه بخصوصك » .

وبما قاله في كتابه : « ان هذا الرجل مجهول لدينا ، وهو واصل اليكم فلكم في ما ينبغي الرأي الموفق ان شاء الله » .

رجل ليتشمن ، وبعد قليل شد ابن سعود راجعاً الى مفسكرة في الحقس . فكان اول ما باشره ان سعى في ابعاد العجمان لانهم ذوو مطامع سياسية في الحساء وقد لا يوافقون على احتلالها . وبما انهم وعرب مطير قوم اعداء سيرهم الى الشمال لمحاربتهم لانهم انضموا الى عجمي السعدون .

ولواء الدليم وجرى بينها الحديث فذهبا فيه المذاهب . اختلفة وكان ابن الشيخ حاري المذكور قائلاً بين يدي ابيه . وقد اذى بها الحديث الى ان يده الكولونيل ليجمن الشيخ حاري تهديداً عديداً من اجل الثورة ولقد حنى وطلس المقال بينها فادى بالكولونيل لان يضع يده على مسدسه مهدداً متوعداً ولكن ما كانت تصل يده الكولونيل الى مقبض المسدس حتى كان رصاص ابن الشيخ الهب دماغه فخر صريعاً الى الارض وهوى . وكان ذلك في ١٢ اغسطس سنة ١٩٣٠

ثم زحف الى الحساء فالتقى في الطريق بنجاب من حكومتها يحمل كتاباً اليه من المتصرف وفيه الرجاء ان يعلمه من اية الجهات جاء الانكليزي الى الرياض. فقال ابن سعود للنجاب : وغداً ان شاء الله انا بنفسى اعلم المتصرف .

ذكرت اهم الاسباب التي حملت ابن سعود على فتح الحساء . وهنالك سبب آخر لا يقل اهمية عما تقدم منها ، فقد عجل في الاقل بنتيجتها . كان جمال باشا - جمال المشائق السورية بعينه - يومئذ والياً في بغداد وكان يحامل ابن سعود ويتظاهر بصداقته ، فوعده بالسعي في حسم الخلاف بينه وبين الشريف حسين ، وسأله ان يرسل مندوباً الى بغداد للمذاكرة في هذا الامر .

ارسل ابن سعود رجلاً من رجاله العصريين هو احمد بن ثنيان (١) . ولكن جو السياسة العربية تغير اثناء ذلك ، فسطع فيه نور ابن الرشيد وكان النور شبيهاً بوهج الاصفر الزمان . تجذب الجمال الى ابن الرشيد ، وعندما وصل ابن ثنيان الى بغداد وجده غير جميل ، وسمع كلاماً لا جمال فيه ولا حكمة .

« ابن سعود لا يعرف مقامه ، وقد غره ان صفع عنه المشير فيضي باشا . فاذا كان لا يقبل بما تطلبه الحكومة ، فان في امكاني ان اخترق بلاد نجد من الشمال الى الجنوب بطابورين - بطابورين لا غير » . عاد احمد يحمل هذا الكلام الى عبد العزيز ، فصكتب عندما استمعته كتاباً الى جمال ارسله بواسطة وكيله في البصرة عبد اللطيف باشا المنديل ، وفيه هذه الكلمة :

« قلتم انكم تستطيعون بطابورين ان تخترقوا بلاد نجد من الشمال الى الجنوب . ونحن نقول ان سنقتصر لكم الطريق ، وذلك قريب ان شاء الله »

ثم كتب الى عبد اللطيف المنديل : - « اذا سألك الترك هل انت مندوب ابن سعود فقل لهم : اني عثمانى . » وقد اشار بذلك خشية ان يلحق به ضرر بعد الهجوم على الحساء .

ولكن عبد اللطيف باشا لم يعمل بإشارة موكله ، فلم ينكر انه تجدي او وكيل ابن سعود . وقد قال للاثرانك : « قد جهلتم قدر هذا الرجل ، وها هو الان يعرفكم بنفسه . »

وصل ابن سعود الى اطراف الحساء ، ولم يكن فيها معاونون غير وكلائه ابناء القصبي ويوسف بن سويلم . فسأله ان يعلموه بالمكان المناسب للهجوم على الكوت^(١) ففعلوا ، واعلموه بما هناك من الصعوبات ، لعلو السور ، ووجود الحرس فارسل اليهم يقول : « اننا هاجمون في هذه الليلة ، وكل صعب مسهل بحول الله »

كان عبد العزيز قد نزل على عين من عيون الاحساء تبعد ميلاً واحداً من الهفوف . وفي الساعة الثالثة ليلاً (١٠ افرنجية) في ٥ جمادى الاولى من هذا العام ١٣ نيسان ١٩١٣) خرج من المعسكر بتسعمئة من رجاله وخطب فيهم قائلاً :

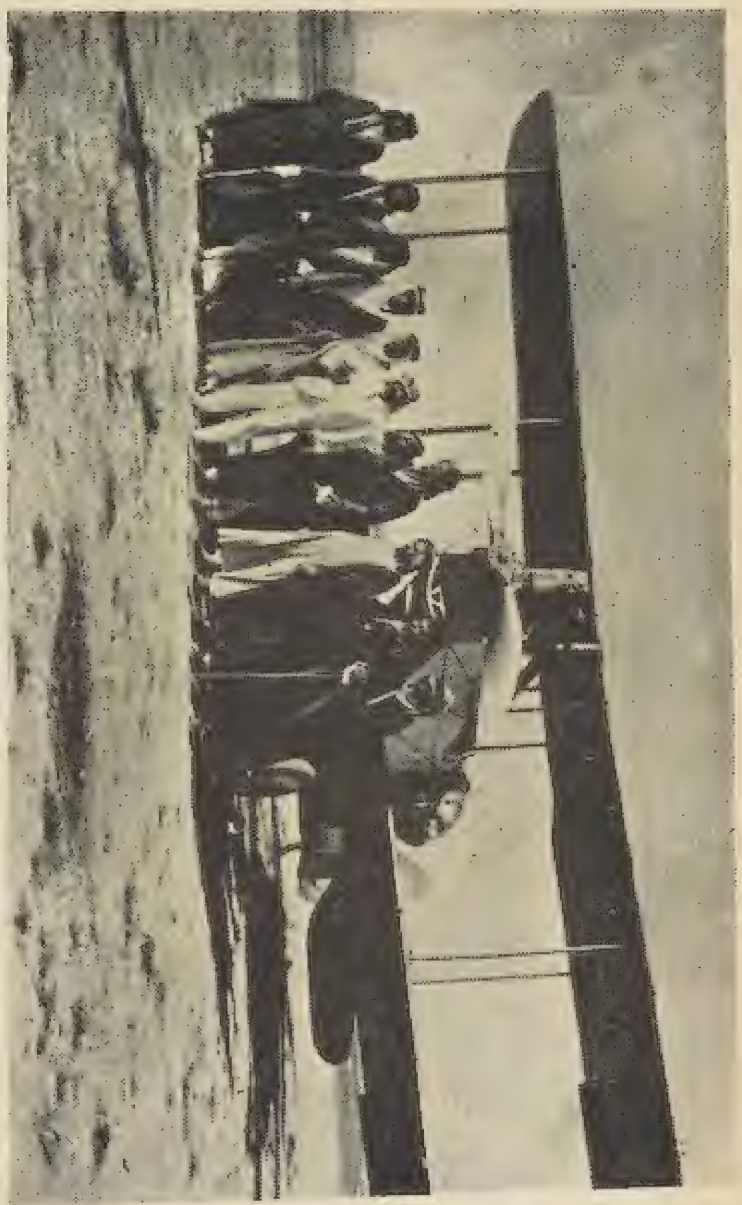
« اننا هاجمون على الترك في الكوت ، واننا منتصرون باذن الله . امشوا كأنكم بكم الى غرضكم ، ولا تضجوا . اذا كلمكم احد فلا تجيبوه . حتى وان ضربتم بالبنادق ونحن في الطريق ، فلا تضربوا . اما وقد حصرتم في الكوت فحاربوا من حاربكم ووالوا من والاكم . وايكن البيوت لا تدخلوها ، والتساء لا تدنوا منهم . »

قال ذلك ومشى امامهم . ساروا على الاقدام ، وهم يحملون جذوع النخل والحبال ، فلما وصلوا الى السور قسمهم ثلاث فرق فقال للفرقة الاولى : « انتم تسيرون الى الباب الجنوبي فتقبضون على الحرس

(١) الكوت جهة من الهفوف فيها القلعة والحامية .



احمد بنوود ابن سعود على باب قصر الامير عبدالله بن جلوي
في الحفر - الاحساء سنة ١٩٢٦



الملك عبد العزيز والى مينه الرجائي امام الطائرة في جدة سنة ١٩٢٨

استقبل الملك عبد العزيز في الرياض سنة ١٩٣٢



الشارع الرئيسي في جدة





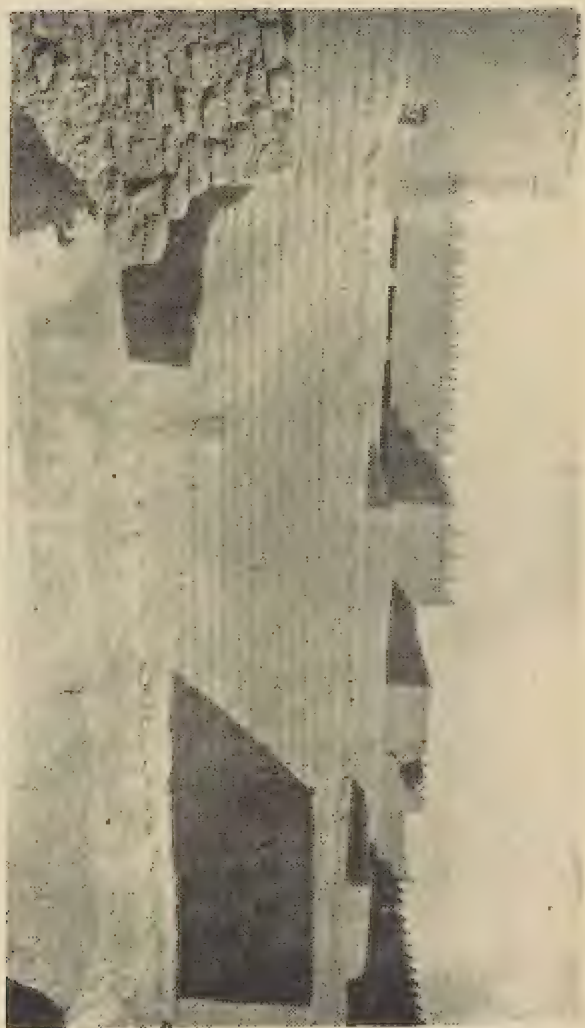
الملك حسين والبلاد العربية
صورة رمزية نشرت في أوج العهد الهاشمي في الحجاز



الامير فيصل بن عبد العزيز سعود



عند انتهاء مؤتمر العقير ، ويرى السير برسي كوكس المندوب السامي البريطاني وعلى رأسه قبعة بيضاء
من الخيلين وفي المقدمة الملك عبد العزيز على حصانه يرافقه إلى الشاطئ لوداعه



القصر الملكي في الرياض سنة ١٩٢٣

وتستولون على الباب وما يليه . والفرقة الثانية : « وانتم تسيرون الى السرايا على المتصرف فيها فتأسروه » . والفرقة الثالثة : « وانتم تنفرون في ابراج السور . هذي هي اوامري فاعملوا بها ، ولا تتعدوها » .
 باشر اناس حزم الجذوع بالحبال ، فصنعوا منها سائماً تسلقه عشرة من ذوي الشجاعة والاقدام . ثم رموا بالحبال الى العساكر فصعدوا ساكتين ونزلوا الى الكويت متسللين ، والحرس يسألون : من انتم ؟ فلا يجيبهم احد .

وكانت كل فرقة عند اكتمالها داخل السور تسيير الى الجهة المعينه لها .
 ولكن هذا العمل لم يتم دون ان يحدث ضجة في الحصون وفي المدينة . وافاقت العساكر والاهالي من النوم ، فاستولوا عليهم الخوف والذعر وهم لا يدرون من المهاجمون . وعلت الاصوات ، وأطلقت البنادق ، فامر اذ ذاك عبد العزيز احد رجاله ان يصعد الى السور ويعبر عليه منادياً : الملك لله ثم لابن سعود ، من اراد العاقبة يلزم مكانه » .

نادى المنادي بذلك فاستبشر الناس ، وكان يتف كبرارهم وصغارهم : اهلاً وسهلاً ! سمعاً وطاعة ! بل جاؤوا بالمياه الى العساكر كأنهم اخوانه وقد عادوا من سفر .

اما عبد العزيز فكان لا يزال خارج السور ، فاراد ان يتسلقه ، فابى عليه ذلك من تبقى معه من الجنود ، فهدموا جانباً منه ، فدخل ودخلوا معه . وكان الحرس قد لجأوا الى القلعة ، واهل الكويت ، بعد ان سمعوا صوت المنادي ، قد خرجوا من بيوتهم ، فجاؤوا يرحبون بابن سعود ويعاهدونه على الطاعة والولاء .

ثم جاء عندما اصبح الصباح من تبقى من الاهالي - جاؤوا يبايعون مثل من تقدمهم - فأكرم محسنهم وعفا عن مسيئتهم .

كل ذلك والاتراك تلك الليلة في حصونهم قابضون . وقد كان لهم

اربعة في المفوف وخارجها ، اثنان داخل الكوت ، وحصن الى الجنوب ، وآخر الى الشمال في المبرز . فعندما ابلغ الفجر شرعوا يطلقون البنادق والمدافع من تلك الحصون طلقات افصححت عن الذعر الذي كان مستولياً عليهم . فلا اضروا باحد ، ولا روعوا احداً .

وعند الظهر جاء جندي من جنود ابن سعود باسير من التوك وهو ضابط طاعن في السن ، فارسله عبد العزيز رسولاً الى المتصرف والى قائد الحامية .

« قل لهم يسلموا اذا كانوا يبعثون العافية ، ونحن نؤمنهم ونرحلهم الى بلادهم . اما اذا ابوا فليستعدوا للقتال سنهاجمهم في مراكزهم ساعة هاجمنا البلد الليلة البارحة » .

قبل المتصرف والقائد الامان ، ثم سلمت الحامية التي كان عددها الفا ومئتي جندي ، فاذن عبد العزيز حتى بسلاحهم قائلاً : « لا نزع من الجندي العثماني سلاحه » . اما المدافع والذخائر فظلت مكانها في الحصون . ثم جهزهم بالركائب ، ورحلهم وعائلاتهم . الف ومئتي جندي بعيالهم وامتععتهم ساروا من المفوف الى العقير وليس معهم من يخفروهم ويؤمن طريقهم غير رجل واحد من رجال ابن سعود هو احمد بن ثنيان فندوبه السابق الى جمال باشا . وعندما وصلوا الى العقير جهزهم احمد بسفن الى البحرين .

بعد احتلال المفوف ارسل عبد العزيز سرية الى القطيف بقيادة عبد الرحمن بن سويلم ، فلما وصل الى تلك الناحية بادوا اهلها الى التسليم . ولم يكن للترك في القطيف غير شذمة من الجنود ، ففروا في السفن هارين . اما العساكر الذين كانوا في الحساء فعند وصولهم الى البحرين وجدوا من يزين لهم الرجوع الى العنبر ، ويشجعهم عليه ، علمهم يسترجعون القصر » .

(١) القصر مقر الامير هو غالباً الحصن . او الحصن هو غالباً في القصر .

هنالك وقد ظفر فريق منهم بركب لآل بسام كان يحمل قرأ فركبوا فيه وعادوا الى العقير ، فوجدوا ليلاً على القصر ، فردتهم الحامية خائبين . ثم هجموا على مركزين آخرين ، كان في الواحد منها ثلاثون رجلاً فهزمهم الاتراك واحتلوا مراكزهم .

بلغ الخبر عبد العزيز وهو في الحفوف ، فشد الرجال وسارع الى العقير ، فوصلها في الساعة الثانية من الليل . ولكنه كان قد سير كوكبة من الخيل ، فوجدت عند وصولها ان السرية التي كانت في القصر قد هجمت على الترك في المركز الذي احتلوه فهزمتهم وأسرت منهم ثلاثين . اخلى عبد العزيز سبيل هؤلاء في اليوم التالي وأركبهم البحر .

ثم كتب الى الشيخ عيسى آل خليفة امير البحرين والى الوكيل السياسي لبريطانية العظمى هنالك يلومهم على ما بدا منهم فقال : « ايليق بكم تحريض العدو علينا ونحن اصدقاءكم . فاذا كنتم لا تتلافون مثل هذه الاعمال وتنعونها فالتبعة في ما قد يعقبها هي عليكم » .

جاءه الجواب دون ابطاء ، وفيه ان العساكر ركبوا السفن من البحرين فاصدق البصرة ، وقد رجعوا الى العقير دون علم من الحكومة او الوكالة .

اما الحقيقة فهي ان آل خليفة والوكيل الانكليزي خشوا ان يتقدم ابن سعود الى داخل الخليج في فتوحاته ، فاقدموها على عمل . كان التسرع فيه اظهر من العداة .

الفصل العشرون

المفاوضون يتسابقون والشيخ مبارك يتعثر

ان على الخليج الى الشرق والجنوب من البحرين رأساً من الارض محاذياً لشاطئ العقير هو قطر ، كان صاحبه الشيخ قاسم بن ثاني ، شيخ الامراء يومئذ سناً وجاهاً ، قد احتوب والتوك مراراً وحاول عبثاً ان يخرجهم من الحساء . فعندما فاز ابن سعود بذلك عراه ولا غرو هزات شتى ، منها الخوف على امارته ، وقد اصبح الفاتح جاره الادنى ، فكتب اليه في شوال (ايلول) من هذا العام كتاباً شديد المهجة يحذره ويهدده . وما كان منه غير ذا التهديد . فقد حاحره بعد اسبوع عدو الحياة الدنيا الحصار الاخير ، فسلم الشيخ قاسم حائراً ، وكان من الظافرين بالرحمة الابدية . اما خلفه فقد كان حكيماً فوالى ابن سعود .

وكان عبدالعزيز قد توجه الى القطيف ينظم شؤونه . فامر هناك عبد الرحمن بن سويعم وامر في الحساء عبدالله بن جلوي ، وجلين من كبار رجاله ، يحكمان في تينك الناحيتين .

ثم عاد في خريف هذا العام الى الرياض وقدم من البصرة عبد اللطيف باشا المتدليل منتدباً من الحكومة العثمانية للتوسط بالصلح بينها وبين فاتح الحساء ، فقبل عبدالعزيز التوسط ، واجل النظر في المسألة الى الربيع . وكان الانكباب قد بدأوا يفوضونه ايضاً ، ويطلبون منه ان يأذن بالاجتماع ، فرجع الى الحساء في ذي الحجة ، واجتمع في العقير بالوكيل السياسي للبحرين ومعه رجل آخر اسمه شيكسيير ، سعود الى ذكره . اما اجتماع العقير هذا فلم يسفر عن شيء للتاريخ ، الا انه مهد السبيل

الى مقاومة النفوذ الالمانى في تركية بعد ان تلاشى فيها النفوذ الانكليزي، ذلك النفوذ الذي كان في المقام الاول منذ حرب القرم . فخشيت انكثرت على طريق الهند ، فعندما علا نجم ابن سعود ، وظهرت شوكته ، طفت تخطب وده وتسعى في عقد اتفاق واباه ليكون لها عضداً على الخليج ، فيقف سداً منيعاً دون ذلك النفوذ الالمانى الذي كان قد خيم في العراق .

وعاد عبدالعزيز الى الرياض فبلغه خبر دسيسة في القطيف فارسل سرية اليها ، ثم سار بنفسه الى تلك الناحية ، فنزل في الجليل . ١٣٣٢ هـ وقد جاءه وهو هناك كتاب من الشيخ مبارك الصباح يخبره ان احد كبار الترك قد قدم الكويت ، ومعه هدية من انور باشا لابن سعود واجازة للتوسط في الصلح .

ثم جاء عبداللطيف المديلى ليخبر عبد العزيز ان قد تألف للمفاوضات وفد يرئسه السيد طالب النقيب وفيه باور من باورية السلطان . وتعدد الحاطبون فاضطرب « الوالد » مبارك ، فكتب الى « ولده » يطلب ان يكون الاجتماع في ظله بالكويت ليكلأه بنظره ، ويعد به ارشاده . « من حقى عليك يا ولدى ألا تقبل وساطة هؤلاء الا في بلدك الكويت » . ولكن « الولد » كان قد شبع من كلاءة « الوالد » وارشاده . ومع ذلك فقد اجاب بعض طلبه فصار الى جهة الكويت ونزل الصبيحة ، على مسير يوم من العاصمة . كتب « الوالد » ثانية يلح بالقدوم اليه ، فاجابه عبدالعزيز : « اني الآن قريب من الكويت فليتقدموا الي » .

وبينا هو في الصبيحة كتب اليه الوكيل السياسى لبريطانية العظمى في الكويت يستأذن بالمقابلة ، فضرب له موعداً في ملتح ، واجتمع به هناك . وجاء الوكيل في السيارة وجاء سائقها بكتاب من مبارك يقول : « كن صلباً معه يا ولدى (اي مع الوكيل) فلا تمكنه من شيء ولا تعطه الجواب الشافى » .

لم يرَ الولد « بأساً في بحاملة » والده « هذه المرة لانه لم يكن قد قرر خطته السياسية تجاه الترك والانكليز ، فقال للوكيل : « لا يمكن ان نقرر شيئاً اليوم . ولكن والدي مبارك الصباح ينوب عني » . عاد الوكيل غضباً الى الكويت ، وركب ابن سعود ضاحكاً فعاد الى معسكره في الصبيحة .

وفي اليوم التالي وصل وفد السيد طالب ، ووصل نجاب يحمل كتاباً من « والده » - من مبارك الخائق الحاقه ، اللائم الشتم . وقد كان ناقماً على الوفد لانه لم يُنتخب لرئاسته ، فكتب الى عبدالعزيز يحذره من « هؤلاء الكذابين المكارين الخداعين . كـن صلباً معهم بأولدي ، ولا تمكنهم من شيء ، ولا تصدق ما يقولون . انهم كذابون خداعون » .

كان الشيخ جابر بن مبارك يومئذ عند ابن سعود فاطلعه على كتاب ابيه وقال : « تراه يحذرنى من الانكليز ، ويحذرنى من الاتراك . وهل في امكاني ان احارب الاثنين ؟ . فاجاب جابر : « انظر الى ما فيه مصلحتك واترك الناس » .

عقدت جلسة المؤتمر الاولى وكان الشيخ جابر وآخرون من رجال مبارك حاضرين ، فرمى عبدالعزيز قبلة من قنبله السياسية ، زعزعت المؤتمر وكادت تبعد شمله . فقال مخاطب رجال الوفد : « الاتراك كذابون خداعون ، وانما لا اركن اليهم في المفاوضات . فاذا كنتم تبغون مصلحتي فدونيكم والدي مبارك . فهو الواسطة بيني وبينكم ، ولست قابلاً بغير ذلك » .

عقدت هذه الجلسة في الصباح ، فتبعتها جلسة اخرى في ذاك اليوم بعد العشاء . ولصكن الفترة بين الجلستين كافية لتشير بركاناً من الغضب خصوصاً في رئيس الوفد السيد طالب ، ومزاجه مزيج من البارود والكبريت . اخذه نام القيلولة ذاك اليوم ثم صلى المغرب استعادة وصبراً .

ثم ضحك ضحكة طالما أضحكه بعدئذ ذكرها .

كانت جلسة المساء خصوصية فلم يحضرها غير رجال الوفد . وقد اطلعهم عبدالعزيز قبل افتتاح الجلسة على كتاب الشيخ مبارك ، فكانت الضحكة وكان العجب . تم باشرؤا المفاوضات الولا ئية . طلب الوفد ان يكون للدولة معتمدون في التقليف وفي الحساء فأبى ابن سعود وطلب أن تكون العلاقات ولا ئية فقط ، وان تساعد الدولة لقاء هذا الولاء بالأسلحة والذخيرة والمال . بعد اللتيا والتي قبل الوفد بذلك وقرروا ان يظل هذا الاتفاق سراً الى ان يقره الباب العالي .

عاد رجال الوفد الى الكويت فاحسن الشيخ مبارك استقبالهم . وعندما سألهم عما جرى اخبروه بما قاله ابن سعود في الجلسة الاولى ، فقال : « نصحتكم فما انتصحتم . قلت لكم ان الرجل سفيه عيار^١ ولا يملك قياده احد غيري » .

وبعد يومين ادب عبد الوهاب آل قرطاس في البصرة مأدبة للوفد حضرها الوالي شقيق كجالي باشا ، والشيخ خزعل ، والشيخ مبارك . وكان الحديث في الوفد وابن سعود .

وقال الشيخ مبارك مخاطب الوالي : « ألم اقل لكم انكم لا تفلحون الا اذا انتدبتموني انا للتوسط بينكم وبين ابن سعود ؟ وما طلبت ذلك منكم والله الا لامرئ . اولاً لكي أقوم بخدمة للحكومة العثمانية . وثانياً لكي امثر على ابن سعود لأن السفه لا يعقل ما يقول » .

فاجاب الوالي : « رأيك هو الصواب ، ولكن الامر انفرط » .

ثم قال مخاطباً رئيس الوفد : « وما قولك انت يا طاب ؟ »

السيد طاب : « اقول ما قاله الشيخ مبارك . فلو كان حضرته معنا

(١) السفه الجاهل . والبار من يركب هواء ولا يزجر نفسه والنفطان شائعتان في البلاد العربية بينهما الفصيح .

لما فشننا » .

وحان بعد اسبوع حين الضحكة الاخرى التي ذبحت الشيخ ، اذ جاء من الباب العالي الى والي البصرة برفقة فيها التصديق على ما تقرر في مؤتمر الصيحية^(١) مقروناً بالشكر لابن سعود ، وبالوسام العثماني الاول .

حمل السيد طالب تلك البرقية وسارع الى الشيخ مبارك الذي كان يومئذ في القيلية ، فقال بعد السلام : « ابشر يا شيخ ابشر . قد اتفق ولدك مع الحكومة » .

مبارك مدهوشاً : « ومتى كان هذا » .

طالب متهاثراً : « الامر قضي بلبلة » .

مبارك متغيظاً : « كلها من مساعيك يا خبيث » .

طالب في لهجة السابقة : « تعلم الولد الحباثة من ابيه » .

مبارك وقد اشتعلت النقرة في عينيه : « سلط الله عليك يا خبيث ! اليك عني » .

ضحك السيد طالب وهو يعيد قراءة البرقية .

وبعد ذلك ارسل مبارك رسوله عبدالعزيز آل حسن الى ابن سعود يهنئه ويلومه لانه لم يخبره بالاتفاق ، فكتب عبدالعزيز اليه يقول :

« اني ابنك وقد اهنت نفسي في القدوم من الجليل الى الكويت .

وما ذلك الا حباً بك وعملاً بلوادتك . ولكن كيف استطيع ان ارضي

والدي وهو يأمرني بأن لا اتفق والانكاي ، وان لا اتفق والترك . فاذا

بينت في حضرة والدي الطريق الثالث اسلكه راضياً شاكراً ، ولكني اسأل

والدي الآن كيف استحسن ذاك الكلام في ولده علي مائدة ابن قريظاس .

فكتب مبارك معذراً على عادته فقال : « لا تصدق يا ولدي

اكاذيب العين طالب ، واكد يا ولدي اني اريد ان انتظر امام الاتراك

بالبعد عنك والجفاء لادرك لك الغاية التي قنشدتها » .

فاجابه عبدالعزيز : « والحمد لله ان الامور كانت على ما يرام ، فليهنأ

الوالد بعز ولده والسلام » .

(١) قد حالت الحرب العظمى دون تنفيذ هذا الاتفاق .

الفصل الحادي والعشرون هادمة المهود ومفرقة الوفود

هي الحرب العظمى ! ومع ان الذي هدمته في البلاد العربية لم يكن غير اليسير في بادية الاطلال فلا بد ، ونحن نكتب تاريخاً عربياً ، من ان نقف عنده وقوف الاثري فكشف النقاب من اجل التاريخ عن شي ، من ادقائه .

جاءت الوفود وراحت الى الحساء والكويت ، فتفاوض المتفاوضون ، وتنافس الحاطبون ود ابن سعود . على انه لم يتجسم من النتائج ما يستحق الاسم والتسجيل غير ذلك الاتفاق الذي تم في الصبيحة واقربه الباب العالي .

والغريب العجيب من امر ذلك الباب العالي هو ان عيشه — اذا اذن البيانيون بالاستعارة — لم تعلم بما كانت تعمل يسراه . او ان رجاله في العراق كانوا في واد ، ورجالهم في الحجاز في آخر ، بل كان الفريقان في عزلتين ، عزلة تبعد الزملاء بعضهم عن بعض ، وعزلة تبعدهم كلهم عن النور الاعلى ، نور ذلك الباب المشهور . فتعددت الوفود ، في باب ابن سعود ، وتعددت عهود ناسخة لمهود . ولكن الحرب العظمى ، لحسن حظ الدولة العليا ، هدمت الناسخ والممنسوخ ، ومحت بطلقة نار ، كلام الليل وكلام النهار .

وهاكم الحوادث شهوداً . قبل ان يجتمع وفد السيد طالب النقيب لابن سعود في الصبيحة اجتمع سعود بن الرشيد بوالى البصرة شقيق كالي باشا قرب الزبير وتم الاتفاق بينهما على ان تساعد الدولة في محاربة ابن سعود . وقد قدمت لابن الرشيد عشرة آلاف بندقية ، وكثيراً من

الدخائر ، وشيئاً من المال .

لم يعلم ابن سعود بهذا الاتفاق الا بعد رجوعه الى الرياض ، فكتب الى ابن الرشيد يذكره بعهد الصلح الذي بينها ، ويعيب عليه اتفاقه والأتراك . فاجاب ابن الرشيد : « اني من رجال الدولة ، ومصالحتي اياك لا تكون الا ان رضىت الدولة بها » فعد عبد العزيز ذلك خيانة منه وكتب اليه يقول : « اذا كنت مصرّاً على نكث العهد فاللقاومة اولى » .

وما خطر في باله عندما كتب هذه الكلمة ان اوربه كانت يومئذ ترددها وقد قامت الدول هناك بعضها على بعض بالسلاح .

سبب الحرب العظمى ، فسارع عبد العزيز ، عندما اتصل به خبرها ، الى مراسلة امراء العرب - الشريف حسين ، وابن الرشيد ، وابن الصباح - في الموضوع ، فارسل التجاوب يحملون كتاباً منه هذا فعواه : قد علمت ولا شك بوقوع الحرب ، فارى ان نجتمع للمذاكرة علناً نتفق فننقذ العرب من احوالها ، وتنصالف ودولة من الدول لصون حقوقنا وتعزيز مصالحنا .

بعد ان بعث الرسل بهذا الكتاب جاء السيد طالب من قبل الأتراك ثانية - جاء يسترضي ابن سعود ، فاجتمع به في القصيم .

ولكن الانكايز كانوا اثناء ذلك قد احتلوا البصرة ، فجاء الملازم شكسبير الذي كان قد اجتمع بابن سعود سابقاً في العقير ، يحمل في حقيقته تفويضات لا قيد يشيدها غير المصلحة البريطانية واقترانها بمصلحة نجد .

ثم قدم من المدينة وفد عثماني آخر يحمل الى ابن سعود عشرة الاف ليرة ويتزلف منه بواسطة صديقه محمود شكري الالوسي احد اعضاء الوفد . ثم خرج من الحجاز الامير عبدالله ابن الشريف حسين موفداً من

والده للنظر في المسألة التي كتب عبد العزيز بخصوصها ، فاجتمع على الحدود بندوب ابن سعود وافترق الاثنان كما اجتمعا دون ان يقررا شيئاً . والحقيقة ان الشريف كان يتحين الفرص للهجوم على ابن سعود تنفيذاً كما قيل لتلك المعاهدة التي وخطها الامير خالد بن لؤي في قوله : « اكتب له ورقة تنفعه عند الترك ولا تضرك » .

اما ابن الرشيد فقد جاب بصرامة يقول : « اني من رجال الدولة ، فأحارب اذا حاربت واصالح اذا صالحت » .

وكتب الشيخ مبارك يعلم « ولده » بان اللورد هاردنغ (Lord Harding) حاكم الهند قادم الى البصرة ، - « ومن رأيي يا ولدي ان تقدم انت الينا للمفاوضة » .

وذهبت الدعوة لتفاهم ادراج الرياح ، فعاد ابن سعود الى الوفود يعمل بما قضت المصلحة والاحوال ، فرد وفد الالوسي رداً حسناً . وقد قال للسيد محمود : « انها كما ترى . فلا يمكنني مقاومة الانكليز بعد احتلالهم البصرة » .

وكان السيد طالب النقيب ، بعد ذلك الاحتلال ، يخشى الرجوع الى بلده فتوسط عبد العزيز من اجله ، فاذن الانكليز . وقد عاد كما عاد الالوسي ضائب الامل . اما الضابط الانكليزي سيكسبير فبقي في البلاد العربية ، وبقي فيها ، كما سنفصح في الفصل التالي الى الابد !

الفصل الثاني والعشرون

يوم جواب

حُسر اللثام عن مقاصد الاختصاص ، فأمدَّ الترك ابن الرشيد ، وأمدَّ الانكليز ابن سعود . بل عُددَ الاول ، وقد تحالف الترك والامان ، مع الدول الوسطى ، وُعِدَّ الثاني مع الاحلاف . هي الحقيقة السياسية ، وقد كانت ذات قيمة في تلك الايام .

اما الحقيقة التاريخية فهي ان ابن سعود اقام في البدء على الحياد ، فلم يجارِب الحسين كما اراد الترك ، ولم يشترك في محاربة الترك بالعراق كما اراد الانكليز ، ولا منع رُسل الدولة من المرور بنجد وهم حاملون المال الى اخوانهم الاتراك في اليمن . هي الحقيقة كلها ، فلم يكن ليهمه يومئذ غير امير الجبل الذي نكث عهد الصلح واستعان بالدولة العثمانية على امير نجد .

وقد تاهب الاثنان في وقت قصير للحرب ، فلم يتجاوز جيش كل منهما الثلاثة الاف مقاتل . كانت مع ابن سعود نحو الف من الحضر ، اكثرهم من اهل العارض الاشداء البسلاء ، وثلاثمائة خيال من العجمان ، ما عدا البادية ، ومدفع واحد لا غير . وكان مع ابن الرشيد ستمائة من الحضر والف فارس من فرسان شمر . وقد رافق جيش ابن سعود الضابط الانكليزي شيكسبير^(١) الذي اشرت اليه في الفصل السابق .

لم يكن عبد العزيز ليستحسن ذلك ، وقد قال له : « ليس من رأيي ان غتشي معنا ، واني افضل ان تنتظرونا في الزلفى ، فتعود ان شاء الله اليك » .

فاجاب شيكسبير : « لا يجوز ان يقال ان رجلاً انكليزياً قرب من
ساحة القتال بين ابن سعود وابن الرشيد ورجع «جباناً» وخوفاً » .
الح عبد العزيز في النصيحة ، فألح شيكسبير في الاستئذان ،
وركب مع الجيش الى ساحة القتال - الى جراب .

قد كان هذا الضابط الشاب انكليزياً فحماً ، شديد التمسك بعادات
اجداده وتقاليده امته في اي مكان كان . فلم يتنازل في البلاد العربية عن
شيء منها . هو الرحالة الانكليزي الوحيد ، على ما اظن ، الذي ابى
ان يبدل برنيطته مثلاً بالكوفية والعقال ، ولا جامل العرب في داخل
البلاد بغير العباءة التي كانت تستر ثيابه الافرنجية .

ولكن البرنيطة ! - ركب في جيش ابن سعود وهو لابسها وحامل
بين اmente آلة التصوير .

شكسبير في جيش الاخوان ! وقد سمعهم يعتزون وينتخون .

اهل التوحيد ! اهل التوحيد !

اهل العوجا ! اهل العوجا !^(١)

وكانت شجرة قد اخرجت عمارياتها^(٢) الابكار الحسان ، يشجعن
الرجال ، وهم يرددون نغمة شجرة المشهورة :

سنايس ! سنايس !^(٣)

(١) العوجا اسم من اسماء العارض . والاعتزاء يصكون في تردد اسماء الاله
والاجداد او اسم القبيلة او البلد او ما يرمز الى مقبرة .

(٢) من عادات العرب التي ابطها ابن سعود ان كل قبيلة تتنخب في الحرب بنتاً
من بناتها الابكار تسمى العارية فتركب في الهودج ، او تقف فيه ، سافرة مرخية الشعر .
وتتقدم قوما الى ساحة الوغى منتخية متخبة .

(٣) سنايس جمع سنوس هي النغمة العمومية ، نعم البدو والحضر ، وهناك
نغزات اخرى خاصة باهل حائل منها : اهل ليد ، واهل ملعان ، واهل السودان .
والسود كثيرون في حائل . والملعان يدعون بصبيان الحزنة لانهم كانوا من خاصة
آل الرشيد .

سار الجيشان في فيافي القصيم يطلب الواحد الآخر ، وكان سيرهما
 في صباح اليوم السابع من ربيع الاول من هذا العام (١٢٤٣هـ)
 في شمس كانون المدفئة المنشطة ، فاصطدمت الاصوات
 في جراب قرب الظهر قبل ان تصطدم الفرسان .

اهل العوجا ! اهل العرجا !

سنا عيس ! سنا عيس !

وكان اهل العرجا ، اي اهل التوحيد ، يرددون ايضاً كلماتهم المشهورة :

هبت هبوب الجنة ! اين انت يا باغيها !

فجيبنهم العماريات الشرقيات كل بالعرورة او النخوة الخاصة بقبيلتها .

تصادمت الابطال وتقارعت ، في ظهر ذاك النهار ، وتطاردت

وتراجعت ، فكانت الغلبة في بادئ الامر لابن سمود .

هبت هبوب الجنة ! اين انت يا باغيها !

وكان رصاص اهل التوحيد يقع امام الشرقيات ، الواقفات فوق

اسنة الجمال ، فيضنن بالرجال : الى القتال ! ويهتفن هازجات :

يلئي يتمنى حربنا غويت يا غاوي الدليل

كم واحد من ضربنا دمه على الشلأى يسيل

احتدم القتال ودوت البنادق ، فاصيب شيكسيير برصاصة اودت بحياته .

وكان فرسان العجمان قد تراجعوا خيانة وهم يصيحون صيحة الانزمام ،

فاغارت اذ ذاك بادية ابن الرشيد على جناح اهل التوحيد الايسر فدحرت ،

وغنمت امواله .

اما بدو ابن سمود ، واكثرهم من مطير ، فقد اغاروا اثناء ذلك

على جيش ابن الرشيد ونحيه ، وكانوا كذلك من الفائزين الغافين .

هو يوم جراب الذي كان على اهل التوحيد واهل شمر على السواء ،

ولم يكن فيه ظافراً غير البدو من الفريقين فقد اغاروا ، فغنموا ، فشردوا .

الفصل الثالث والعشرون

العجمان

من الاغلاط السائرة بين عامة العرب ابن العجمان من العجم . وفي بلاد فارس ايضاً ، على شاطئ الخليج الجنوبي ، ممن يقولون هذا القول . اما الحقيقة فهي انهم من قبائل اليمن ، من عرب قحطان ، وهم ينتسبون الى همدان^(١) .

كان العجمان في الماضي يسكنون نجران . ثم ارتحلوا شرقاً فوصلوا في ايام الامام تركي الى الاحساء ، فاحسن اليهم واتزهم «ديرة» بني خالد هناك . وعندما تولى فيصل الامارة عاملهم مثل معاملة ابيه لهم ، فاهبطتهم النعمة واستفحل امرهم ، فصاروا يقطعون الطرق على السابلة والحجاج . هم موصوفون بالمكر والعدو . ولكنهم شديداً الشكينة وذوو عصبية يتندر مثلها في العثائر . عصوا الدولة العثمانية فتركهم وشأنهم ، وكثيراً ما كان عمالها في الاحساء يشاركون رؤساءهم الفتناء . ومع ذلك فقد كان العجماني بسلب جندي الدولة فرسه ويدخل بها الاحساء ليتعلاها .

وعصوا كذلك الشيخ مبارك الصباح ، فحاربهم ، واسترضاهم ، ولم يتسكن من كسب جاحهم ، ولا من كسب ولائهم . ولكنهم والوا ابن سعود ، ثم حالفوا ابنا عمه العرائف عليه . خانوه وحاربوه ، وغلبوه في بادئ الامر . ومع انهم اصغر القبائل عدداً ، فلا يبلغ المقاتلة فيهم اكثر من خمسة آلاف ، فقد تفوقوا عليها كلها ونازعوا حتى بني خالد السيادة . قال الشاعر :

وقد قسموا الاحساء جهلاً بزعمهم لعجمانهم شطر والبخادي شطر

(١) جدهم مذكور بن يام بن اما بن رافع بن مالك بن جشم بن اخوان بن همدان

المان العرب ا هم يدعون بهذا الاسم لشدة عصبيتهم وبأسهم وبقائهم بعضهم في سبيل بعض ، اذا سُئِلَ الواحد منهم : اتقبل الخير من الله بروحك ، يجيب قائلاً : « لا اتقبل خيراً لا يكون للعُجبان كافة » .

وقد جاءهم ابن سعود ، عدو البادية وصديق العرب ، بالخير العميم ، فرفضوه مراراً في بادئ امرهم ، بل امتشقوا الحسام عليه كما قلت ، ثم زرعوا ذاك الخير قائم في الصرّار قطب ديارهم الان . ولكنهم قبل ذلك زرعوا المكر والحيانة والعصيان . والتاريخ شاهد عليهم خصوصاً في وقعة جراب وفي الحساء .

وبعد تلك الوقعة التي لم يفر فيها غير البدو من الجيشين عاد ابن سعود الى القصيم ، وابن الرشيد الى جبل شمر . وكان من الاثنين ان ادب الواحد منهما عربات الآخر ، فغزا ابن سعود قبائل من شمر وحرب ، وغزا ابن الرشيد قبائل من مطير ، وكان التوفيق حليف الغزوتين .

على ان عبد العزيز لم يقنع بما ناله من البادية ، فراح يطلب خصمه الذي كان قد رحل مع رجال شمر الى العراق ثم عاد منه . لكن العجبان اثناء ذلك اعتدوا على عشائر ابن الصباح فنهبوا مواشيهم ، فكتب الشيخ مبارك الى عبدالعزيز يطلب منه تأديب المذنبين ورد المنهوبات ، فادركه النجاش في شقرا . واليها ايضاً جاء رسول من ابن الرشيد يطلب الصلح فجددت المعاهدة السابقة . ثم ارسل عبد العزيز ابن عمه ناصرآ الى الشيخ مبارك بكتاب هذا فخواه :

ولست يا مبارك بصديق صدوق . قد اتاني من العجبان اكثر بما انا لك . فصوت وتحمّلت . ونحن الاث في وقت القِيظ . ولا نتمكن من شدته ان نسير بجيش الى ديرة العجبان . والامر الثاني هو اني في ريب من صلح ابن الرشيد ، فاخشى نكث العهد اذا انا غادرت نجداً ودخلت في حرب والعجبان . والامر الثالث نفقات هذه

الحروب وقد تكاثرت عليّ فضاقت في سبيلها الاسباب . والامر الرابع يا حضرة الوالد هو اني اخشى ان يبلغ العجمان بعد الحرب اليك فتقلب علي كما فعلت يوم سعدون والظفير . ومن رأيت في كل حال ان تؤجل المسألة الى فصل الصيف .

فكتب مبارك الى «ولده» ان الامر لا يؤجل ، واضر على استرجاع المنهوبات ، فاجابه عبد العزيز ان العجمان لا يرجعون ما ينهبون الا مكرهين - الا بحرب - خصوصاً وانه ، اي مبارك ، مسلفهم الاساءة . ثم قال :

« فاذا عزمتم على محاربتهم تعطيني عهد الله وميثاقه ان تعينني بالمال والرجال . وان لا تسلك في سياستك معهم مسلكاً غير ملكي ، ولا تستقبلهم اذا جاءوا اليك ، ولا تتوسط بالصلح بيني وبينهم . عاهد الشيخ مبارك على ذلك - عهد الله ! فبش عبد العزيز الى الحساء بفرقة صغيرة من الحضر والبدو في صيف هذا العام ، وكان ٥١٣٣٣ م ١٩١٥ العجمان ، عندما علموا بقدومه قد رحلوا تجاه قطر . فحشد جيشاً من اهل الحساء وزحف جنوباً متقيماً اترهم .

قد كان الحر شديداً فلا يستطيع الشئ ناهيك بالقتال نهائياً . ولم يكن لديهم رواحل ، فاسروا ماشين فوصلوا الى مكان يسمى كنانان كان العدو معسكراً فيه . وكانت اشجار النخل في الليل تبدو كأنها بيوت من الشعر ، فشرعوا يطلقون عليها الرصاص . سكنت العجمان وراء ذاك النخل حتى اسرف اهل الحساء ذخيرتهم على الاشجار . ثم خرجوا من مكائهم ، فلفوا بهم وهاجمهم من وراء ، قتلوا واستمروا طيلة ذاك الليل في عراك كانت العماوة فيه شجاعة ، وكانت الفوضى اخت الهول وسيدة الظلام .

جرح عبد العزيز في تلك الليلة ، وقتل اخوه سعد ، ودارت الدائرة

على رجاله ، فعادوا منهزمين الى الحساء ، فتفقاهم العجمان ونزلوا قرب
الحفوف فحاصروها ثلاثة اشهر .

كتب عبد العزيز الى ابيه ليستنفر اهل نجد ، والى الشيخ مبارك
يستنجده . فبارع اهل نجد بالنجدة بقيادة محمد بن عبدالرحمن ومعه احد
العرفاة سعود بن عبد العزيز الذي فر سابقاً من الخرج وانضم الى ابن
الرشيذ وحارب معه في وقعة جراب . فلما رأى ابن عمه عبد العزيز في
تلك المحنة استنفرته الحجة فعاد اليه ثائباً مناصراً .

ولكن اعداء ابن سعود الآخرين تحفروا اللوئوب عندهما سمعوا بحرب
العجمان ، فتكت ابن الرشيذ عهد الصلح ، ومشى الى بريدة يريد استغلالها ،
اما الشريف حسين ، الذي كان قد اتمعن في مفاوضاته والاتكافز ليدخل
الحرب العظمى مع الاحلاف ، فلم يسره هذه المرة عمل ابن الرشيذ ،
فارسل عليه ابنه الامير عبدالله .

زحف الامير الى نجد . ولكنه علم وهو في الطريق برجوع ابن
الرشيذ من بريدة مدجوراً ، فتوقف في سيره وعاد مطمئناً الى الطجاز .
اما الشيخ مبارك فقد ابطأ في ارسال النجدة التي طلبها عبد العزيز ،
فكتب اليه ثانية يذكره بالعهد ، فيجهز اذ ذاك ابنه سالماً واثنين آخرين
من اولاده بقوة صغيرة — مئة وخمسين رجلاً من الحضر ومهتين من
البدو — فجاءوا الى الحساء وانضموا الى جيش ابن سعود .

قلت ان العجمان حاصروا الحفوف ثلاثة اشهر ، اي مدة الصيف .
والحقيقة انهم نزلوا في اماكن تكثر فيها مجاري المياه وتنخرج ، فبلا
يستطيع المهاجمون الوصول اليهم . ولصحتهم في آخر ذي القعدة رحلوا
منها ، فشد اذ ذاك عبد العزيز عليهم .

امر الحساء محمداً وسالم الصباح وجنودهما ان يبقوا في مواكزهم ،
وزحف ليلاً بفرقة من رجاله ومعهم بضعة مدافع . أسروا ماشين ، لان

أكثر الأبل كانت قد أرسلت إلى نجد ثقلة المرعى في الحساء ، فأدركوا
العُجَّان في الصباح ، واطلقوا المدافع عليهم . ثم هموا بالهجوم ، فسارع
أولئك العربات إلى ركائبهم وفروا هاربين تجاه الكويت ، فلم يتمكن
رجال ابن سعود ، ولا ركائب لديهم ، من اللحاق بهم .

عاد عبدالعزيز إلى مقرة فأمر أخاه وسالماً حليفه بطاردة العُجَّان .
فجميع الأثنان رجلاهما ومشوا كلهم طائعين متآلفين . ولكنهم ما لبثوا
أن تفرقوا .

أدركوا العُجَّان - نعم أدركهم ، فكان الانقلاب وكانت الحياة .
واتفق ابن الصباح وأولئك العشائر العاصية ، وعبر حليفه ابن سعود .
لله درك يا مبارك . قلت أن أعماله آتية في التعرج والغوض . نصفها
سر ، ونصفها خداع . فقد أرسل يستنجد ابن سعود على العُجَّان وقصده
أن يزرع العدا بينهما فيتمكن هو من الاستيلاء على الأحساء . هذا هو
السر . وقد جاء ابن سعود منجداً فعليه العُجَّان ، فاستنجد بابيه مبارك
فأرسل إليه سالماً وبقيّة أولاده - العائلة كلها - وهو يقول في نفسه :
جاءت الساعة - سيُحقق الأمل .

وتصادم ابن سعود والعُجَّان وشارك حلفاؤه المباركون في القتال ، ثم
انقلب سالم فجأة فصالح العُجَّان وأعلن حمايته عليهم . هذه هي الخدعة .
وكان مبارك قد كتب إلى ابنه عندما علم أنه اشترك في القتال مع ابن
سعود يؤنبه ويقول : « أرسلتك مراقباً لا مقاتلاً . . . إذا غلبهم ابن سعود
فنحن معهم يا ولدي . وإذا هم غلبوه فلا تردهم عنه ، ولا تساعدهم عليه » .
وقع هذا الكتاب بيد العُجَّان فكتموه . كانت الخدعة ولكن السر ظل سراً .
عندما انقلب ابن الصباح على ابن سعود أرسل محمد بن عبد الرحمن
يخبر أخاه عبدالعزيز ويستأذنه بالهجوم على العدوين العُجَّان والمباركين ،
فاجابه قائلاً : « لا تفعل . كيف نكون حلفاء في أول النهار وأعداء في

آخروه والناس لا يعرفون حقيقة الحال .

ثم كتب الى مبارك يشكو اليه خيانة سالم ويقول: « لم اقدم اكراماً لك على تأديبه . فكتب الشيخ المريد يذكره بان بينه وبين العجبان صداقة قديمة . ثم قال : « طلبت منك ان تسترجع منه وباتي من العجبان ولم اقل لك خارجهم واطردهم من ديارهم » .

قرأ عبد العزيز كتاب مبارك وهو يحتدم غيظاً ، فهتف مردهاً تلك الكلمة التي يأخذها من فاتحة القرآن اذا هو اعلن الحرب : - اياك نعبد واياك نستعين ! - صبرنا على مبارك صبراً جميلاً ، واحتملنا منه شيئاً كثيراً ، وفادينا من اجله بالمال والرجال ، وما نحن والله بصابرين الى الابد - اياك نعبد واياك نستعين !

وشد عبد العزيز الرجال وزحف منبرعاً يريد مهاجمة العجبان وابن الصباح ، وكان ذلك في محرم ١٣٣٤ (نوفمبر ١٩١٥) .

ولكنه حين وصوله الى معسكر اخيه محمد واستماعه الكلمة الاولى التي فاه بها النجباء الذي كان قد وصل من الكويت ، وقف دهشاً محزوناً . - انا لله وانا اليه راجعون . مات الشيخ مبارك !

الفصل الرابع والعشرون

الانكليز والعرب

عندما انضمت الدولة العثمانية الى الدول الوسطى في الحرب العظمى شرع الانكليز يفاوضون امراء العرب ليدخلوهم في تلك الحرب مع الاحلاف ، او ليضمنوا على الاقل حيادهم . وقد كانت المفاوضات مستمرة في سنة ١٩١٥ بين عدن وجيزان ، وبين القاهرة ومكة ، وبين ابي شهر والرياض ، والغرض الاكبر فيها هو محاربة الترك في شبه الجزيرة وحدهم عن تأليف كتلة عربية يقفون بها في وجه بريطانية العظمى هناك فيقطعون عليها طريق الهند .

وقد كان السيد محمد الادريسي اول من لبى الدعوة فعالم الانكليز في ابريل من سنة ١٩١٦ وحمل على الترك في عسير . ثم ابن السعود فعقدوا اياهم معاهدة بعد ستة اشهر اي في ديسمبر . ثم الشريف حسين الذي اتفق وحيد بريطانية العظمى في القاهرة على البنود الخمسة المشهورة^(١) وذلك بعد شهر من تاريخ المعاهدة وابن سعود ، اي في ربيع اول ١٣٣٩ (يناير ١٩١٦) .

ليس من غرضنا النظر في هذه المعاهدات التي امتدت كلها في خبر كان . ولكننا نسأل القارىء ، لقصد في ما نحن بصدده ، ان يذكر هذه التواريخ ، ويذكر خصوصاً ان الاتفاق مع الشريف حسين لم يتم الا بعد الاتفاق مع الاميرين الآخرين .

عندما علم ابن السعود بوفاة الشيخ مبارك ، وتولي ابنه جابر الحكم في الكويت ، عدل عن مهاجمة العجمان وكتب الى الشيخ جابر يعزیه

(١) المذكورة في « ملوك العرب » الجزء الاول الطبعة الثالثة ، صفحتي ٦٩ و ٧٠ .

عن أبيه ، وينصح له ألا ينهج على منواله في السياسة . وبينما هو هنالك ،
 أي في الطريق إلى الكويت ، جاء رسول من الممثل البريطاني في خليج
 فارس ، السير برسي كوكس ، (Sir Percy Cox) يرجوه أن يوافيه
 إلى القطيف للمفاوضة في أمور هامة . فتوجه عبد العزيز إلى تلك الناحية
 واجتمع بالسير برسي في جزيرة دارين هناك .

وكان هم بريطانيا يومئذ أن تخرج الترك من العراق وسورية بل من
 البلاد العربية وتؤمن لبواخرها وجنودها الخليج والبحر الأحمر .
 فاتخذت لتحقيق هذا الغرض طرائق شتى ، منها محالفة أمراء العرب
 وإمدادهم بالمال والأسلحة على العدو .

سأل السير برسي كوكس ابن سعود عما يستطيع أن يؤديه من
 المساعدة للاخلاف ، فأجاب : « إنني أساعدهم بأمرين . أعاهدهم أولاً أن
 لا يحبيسهم ضرر مني ما دامت المعاهدة بيني وبينهم مراعية الجانب ،
 وأعاهدهم ثانياً أن لا انضم إلى حلف عربي ضدهم . وإنني أؤكد لكم
 أن العرب لا يجتمعون عليكم إذا لم أكن أنا معهم . إنني أحب أن يجتمع
 أمراء على مساعدة الاخلاف ، - نعم ، وسأكتب إلى الشريف حسين بهذا
 الخصوص إذا أحببت » . ولكن ذلك الأمر لم يتم كما سنرى ، فظل بذلك
 موقف ابن سعود فوقفاً سليباً .

ومن المسائل التي كانت حكومة بريطانيا العظمى تريد أن تستلطم
 رأي أمراء العرب فيها مسألة الخلافة . فتكلم السير برسي عن انتقال
 الخلافة إلى العرب ، واتخذ الجملة سبيلاً إلى غرضه فعرض المنصب على
 ابن سعود قائلاً : « إن حكومة جلالة الملك تستحسن ذلك وتساعد
 في تحقيقه » .

لم يخف على عبد العزيز قصد المعتمد ، فقال « لا ذوق لي بالخلافة .
 وإنني لا أرى من هو أجدر بها من الشريف حسين » .

اطمان بال الوكيل المحترم ، وارناحت الوزارة الخارجية الى الخبر الذي مكنها من اطلاق يد المعتمد في مصر . فكانت الخلافة الطعم الاذ في الصنارة التي رماها على شاطئ جدة ، فالتفتها الشريف حسين وكان عظيماً في الارض - ملكاً في مكة ، خليفة في عمان ، اسيراً في قبرص ! وكان ابن سعود في الارض حكيماً .

اما وقد وثبنا وثبة في هذا الفصل لا تجوز في اصطلاح المؤرخين ، فلا بأس بوثبة اخرى ما زلنا في امر الحسين . وكلنا نذكر انه شرع يتكلم باسم العرب ، بعد ان ابرم ذلك الاتفاق والمعتمد البريطاني في القاهرة ، ويدعي انه زعيمهم الاكبر . ثم جاء يوم التسوية او بالحري المباحة فهلت جريدة القبلة وازدهت اعينها باللقب الجديد - صاحب الجلالة العظمى ملك العرب .

ليأذن القارىء ان نقف مرة اخرى مستطردين . ليس الذنب في تفريق كلمة العرب ذنب الانكليز وحدهم كما يظن الناس . وهما كالحقيقة كلها . يجيئهم احد الامراء مدعياً انه سيد العرب اجمعين ، وانهم كلهم اطوع له من بنائه ، فيسبرون الانكليز غوره ، ويتحققون صدق كلامه او كذبه ، ولكنهم يوالونه لانه على شيء من القوة .

ثم يجيئهم الآخر ودعواه اكبر من دعوى من تقدمه او مثلها ، وكذلك الآخرون ، فيضطر الانكليز ان يجددوا قوة الواحد اكراماً للآخر ، فتكون النتيجة التقسيم والتفريق .

وعندما طفت جريدة القبلة تهليل لملك العرب ، ونهت للمنقذ الاكبر ، استبشر غلاة القومية ، وزعماء النهضة العربية ، فرددوا الهتاف ولسان حالهم يقول : هوذا الزعيم الاكبر ، هوذا المنقذ الاعظم !

على انه ما كادوا يفرحون حتى جاءتهم الاخبار ان دول الاحلاف اعترفت بالحسين ملكاً على الحجاز - الحجاز فقط . فقالوا اذ ذلك :

«هي ذي أروبة عدوة النهضة . بل هي ذي انكلترة تفرقة منا لتسودنا» .
والحقيقة هي ان ابن سعود في مفاوضاته والسر برسي كوكس
بخصوص المعاهدة اشترط ان لا يتكلم الشريف باسم العرب ويدعي انه
ملك العرب . فقبل الشرط حباً وكرامة ، وكان الاعتراف بالحسين
ملك الحجاز - الحجاز فقط .

اما وقد برأنا من هذا القبيل ذمة بريطانية العظمى ، فيجب علينا ،
من اجل التاريخ ايضاً ، ان نسجل عليها فعلتها الكبرى في ابرام ذلك
الاتفاق مع الحسين ، وقد وهبته فيه البلاد العربية كلها ما عدا عدن والبصرة .
ولا نظن القارئ ، نسي التواريخ التي سألناه ان يذكرها في مطلع هذا
الفصل ، او انه يذكر في الاقل ان الاتفاق الانكليزي الحجازي أبرم
بعد عقد المعاهدتين العربيتين في جيزان ودارين . وقد اعترفت الحكومة
البريطانية فيها بسيادة الاميرين السيد محمد الادريسي والامام عبدالعزيز
آل سعود ، كل في بلاده ، وبسيادة من يتولى الحكم بعدهما من بينهما ،
ثم ضمنّت حدود البلادين ، وتعهدت بالدفاع عنها ، اذا اعتدي عليها .
ثم بعد هذه الضمانات كلها ادخلت البلدين بلدي نجد وعسير ، في دولة
عربية يرأسها الملك حسين !

ولا حاجة الى القول ان تلك المفاوضات كانت سرية اذ لو لا ذلك لما
تكنت من الخداع ، او لما كانت هي خادعة نفسها . فاما ان وكلاهما
السياسيين ومعتمديهما كانوا جاهلين بعضهم اعمال بعض ، فكانت هي
المخدوعة ، واما انها لم تهتم يومئذ لغير مصلحتها - الوقتية المحلية -
فخدعت من اجلها الجميع .

وكان ابن سعود أثناء الحرب من المحدثين . ولكنه وهو الحكيم
الذي لا يطمع الى غير ما يستطيع تحقيقه في زمن معلوم ، عقد تلك
المعاهدة التي استمرت مرعية سبع سنوات اي من بداءة سنة ١٩١٦ الى

بداية سنة ١٩٣٣ .

بعد عقد معاهدة دارين توسط السير برسي كوكس بين ابن سعود وابن الصباح في مسألة العجمان ، فقبل عبد العزيز ان يوقف حركاته الحربية على شريطة ان يطرد صاحب الكويت العجمان من بلاده . وقد عمل الشيخ جابر بنصيحة السير برسي فاجاب طلب ابن سعود :
 « أمّا » العرائف » الذين اغراهم الاعداء بنسبهم الكبير ، فقد اذركوا ان اخوالهم العجمان^(١) لم ينأصروهم الا لمآرب خصوحيه ولطامع سياسية لهم في الاحياء ، واذركوا كذلك ان ابن الرشيد والشريف حسينا في مساعدتهما لهما لانهما كالعجمان . ولكن مطامعها السياسية اكبر وعداءهما اشد . لذلك عادوا قائلين الى عبد العزيز ، وهم اليوم كلهم - سبع بيوتات - عقيمون في الرياض .

(١) اول من تزوج من العجمان جدم سعود بن فيصل .

الفصل الخامس والعشرون

هدايا وتعنيف من بلاد الشريف

بعد عقد المعاهدة في دارين عاد ابن سعود الى الرياض وارسل رسوله صالح باشا العذل الى الشريف حسين يخبره بما جرى بينه وبين الانكليز ، ويعرض عليه المؤازرة في مساندة الاخلاف . وكان الشريف ، كما اسلفت القول ، لا يزال في طور المفاوضات والعميد البريطاني في القاهرة ، فعندما علم بعقد المعاهدة وابن سعود خشي ان يتقدمه في الزعامة والنفوذ لدى الاخلاف ، فسارع الى قبول البنود الحمة ونم الاتفاق سرآ بينه وبين العميد . ولكنه لم يعلن الثورة على الترك الا بعد اربعة اشهر (شعبان ١٣٣٤ - يونيو ١٩١٦) من تاريخ ذلك الاتفاق ، لاسباب ذكر بعضها ، ولم يذكر اهمها ، وهو ان نجدة الامير فيصل كانت لا تزال في الشام فخاف عليه من جمال باشا . لذلك كتب الى جمال " يعدة بتجنيد فرقة حجازية للزحف مع جنود الدولة الى ترعة السويس ، وألح عليه في ارسال فيصل لهذه الغاية .

وقد صكمت ايضاً عن ابن سعود خبر ذلك الاتفاق ، فاعطى رسوله صالح باشا العذل جواباً نصفه شكر ، والنصف الآخر اجهام في ثوب المجاملة . ولكن تلك المفاوضات السرية ، او في الاقل مجيئ الرسل من بور سودان ورواحهم ، ايقظت في دوائر الحكومة الحجازية عيون الريب والشبهة ، فادرك الوالي غالب باشا بعض ما كان يبطنه الشريف حسين ، وعقد النية على مفاوضة ابن سعود في الامر . ولكنه موة قصده بالطريقة التي اتخذها اليه . فقد ارسل رسوله وهدية الى عبدالعزيز بواسطة الشريف الذي ابقى الهدية عنده واذن الرسول بالسفر الى نجد .

(١) ان المؤلف المرحوم ، يعرف اسم جمال استهزاء به لانه كان طاغية ظالماً سفاك دماء ، ميت الضمير .

وكان ذاك الرسول يحمل كتاباً من غالب باشا هذا معناه :
 « انك تعلم بالعمال الشريف وانا الآن ازيدك علماً . انه يفاض
 الانكليز وهو على وشك ان يخون الدولة ويفتح لاعدائها الحرمين .
 فاذا قدمت الى الحجاز اسلمك الحرم واساعدك بكل ما ادي من قوة » .
 فارسل ابن سعود اليه هدية وقال في جوابه انه والحسين يد واحدة .
 ولكن الهدية وصلت الى مكة بعد ان أعلنت الثورة فاستلمها الشريف
 حسين وابقاها عنده - « اكل الشريف الهديتين » كما قال عبد العزيز ،
 ونهض وانجأه على الترك ظمعا بالهدية الكبرى التي وعده بها الانكليز .
 وأعلنت الثورة وحلقت تتوارد الى جده من بور سودان الامدادات
 الحربية والمالية . جاء الذهب بالصاديق ليستخدمه الشريف في تجنيد
 العرب وفي اسفلة امرائهم ورؤسائهم الى النهضة . فارسل الى ابن سعود
 صرة في آخر هذا العام واتبعها في العام التالي بثلاث صرر مقدار الواحدة
 نحو خمسة آلاف ليرة . ولكنه لم يكتب اليه كلمة ٥١٣٣ هـ
١٩١٦ و ١٩١٧ بخصوصها . « كان يجيء الرسول بهذا المال فيقول -
 من جلالة الملك . ليس الا » .

ولكن عبد العزيز ، عندما تكررت تلك الهدايا المالية ، فقد مجلساً
 عالياً حضره والده الامام عبد الرحمن ورئيس قضاة نجد الشيخ عبدالله
 بن عبد اللطيف فأطلعهم على الامر وقال : « اذا كان القصد من ارسال
 هذا الذهب المساعدة في الحرب فالتقصّد محقق ، لاني امرت اهل نجد
 خصوصاً اهل القصيم وعتيبة وحرب بمساعدة الشريف ، وامرهم كذلك
 بالا يتعدى احد منهم على من اراد ان ينضم الى جيش الحجاز » .
 فقال الامام عبد الرحمن : « لو كانت الشريف يبغى المساعدة فقط
 لكتب اليها بذلك . ولست ارى في قصده غير الخوف من ان نعقم
 فرصة قيامه على الترك فتحمل عليه ، فاراد في ارسال الذهب تسكيننا » .

وقد كان رئيس القضاة من هذا الرأي ، فقال عبد العزيز : « يمكن ذلك . ولكنني سأكتب اليه فأتحقق الامر : فإذا كان ينبغي المساعدة ، وهو صادق في عمله وقوله ، ساعدناه بأكثر مما تقدم . وإذا كان له قصد آخر انتبهنا اليه » . وهاك خلاصة الكتاب كتابه :

يا حضرة والدي ، اتنا وإياك في هذه الحرب ، ونتمناها ولك . فقد مثلت عرباننا وعشارنا ، عملاً بأوامرنا ، الى مساعدتك . ولكنني أبغي أكثر من ذلك . واني مستعد ان أرسل اليك اخوتي او اولادي ليحارب مع اولادكم . وفي ذلك الفوز الأكبر ان شاء الله . . قد يكون حدث بيننا وبينكم سوء تقام في الماضي . فلا بد اذن من التفاهم والتأمينات . وذلك بان نحدد الحدود بيننا وبينكم فنزيل الشكوك وتتضاعف من اهل نجد المساعدات .

وعندما وصل هذا الكتاب الى صاحب الجلالة زيجر في جريدة القبلة ، وفي الديوان الهاشمي ، فسمع صوته في نجد . قال عظمة السلطان : « لا اذكر من جوابه غير هذه الكلمات : اما انك سكران يا ابن سعود ، واما انك مجنون . افلا تعلم لاي امر قمنا واي غرض نبغي » ؟

كتب عبد العزيز الى الوكيل البريطاني في البصرة يطلب الاجتماع به في القريب العاجل ، فاجتمعوا في العقير . وبعد ان اطلع السر برسي كوكس على كتاب الحسين قال : « لا تكثرت به . نحن ضامنون استقلالك وتتعهد بان لا يتعدى عليك الشريف او غيره . وانت تعلم ان اية حركة على الشريف اليوم هي علينا ومساعدة لاعداً واعدائكم » . وقد الح عليه في هذا الاجتماع ان يعطيه جواباً قاطعاً ان لا يكون بينه وبين الشريف محاربة ، فوعده بذلك على شرطين ، اولهما ان لا يتدخل الشريف في شؤون نجد ، والثاني ان لا يتكلم باسم العرب ويدعو نفسه ملك العرب . تعهد السر برسي بذلك ، ثم دعا عبد العزيز لزيارة البصرة ، فلبى الدعوة ، وعرض في طريقه على الكويت ليعزي آل حياح بوفاة كبيوهم الشيخ مبارك .

الفضل السادس والعشرون

وفود الانكليز والعرب

في سنتي الحرب الاخيرتين بُلي الانكليز في البلاد العربية بأمرين خطيرين الاول سياسي في الحجاز ، والثاني حربي في العراق ، فسعوا في معالجتها واذلالها بما استطاعوا سياسياً ومالياً .

وقد كانت مقاصدهم الحربية ثلاثة : اولاً ، ان يعقدوا حبل الولا بين الامراء احلافهم . ثانياً ، ان يحكموا نطاق الحصار ويشددوه على العدو من الجهات العربية كلها . ثالثاً ان يستخدما ما عند كل امير من قوى القتال ، ويضيفوا ما امكنهم اليها ، في سبيل النصر .

وقد امدوا الملك حسين بالاسلحة والذخائر والمال لتحقيق المقصد الاخير ، ولكنهم في انكاملهم عليه كل الاتكال ايقظوا فيه روح الاثرة وشجعوها ، فنجح عنهما العداء لامراء العرب كلهم خصوصاً لابن سعود . وبكلمة اخرى ان الانكليز في تعزيزهم المقصد الثالث افسدوا على انفسهم المقصد الاول ، فاصبحوا عاجزين عن تحقيق المقصد الثاني .

ولم يكن الملك حسين ليساعدهم في التغلب على الصعوبات ، ولا اذن بتنفيذ تلك الخطة التي اتخذوها الى غرضهم الاكبر . فعندما جاء المستر ستورس ورفيقه المستر هوغرث^١ الى جدة ، ليسافرا من قبل المعتبد البريطاني في القاهرة الى الرياض عن طريق الحجاز ، لم يأذن الملك بذلك لان الامن كما ادعى كان مفقوداً .

والحقيقة هي انه كان يخشى ان ترجح كفة النفوذ في الرياض ، بل

(١) Ronald Storrs وقد عين بعدئذ حاكم القدس العسكري
D. G. Hogarth . مؤلف كتاب « التغلغل في البلاد العربية »

كان يخشى ان يكون اتفاق الانكليز وابن سعود مضرًا بمصالحه ، او محققًا باتفاقه وايامهم . لذلك لم يرض بأي اتفاق بينهم وبين غيره من امراء العرب الا اذا تم ذلك بالاتفاق بواسطته .

« اتروكوالي ابن سعود - انا اعاجله - اقول - انا اعاجله لخبركم وخير العرب »

وقد كان ابن سعود مثل الحسين من هذا القبيل ، اي انه حافظ على عهده مع بريطانيا العظمى ، ولكنه كان يظن ان بينها وبين خصمه اتفاقاً سرياً ، ملحقاً للمهادنة ، يضرُّ به ومصالحه . ولا نستغرب هذه الظنون عندما نذكر ما تقدم في الفصل الخامس والعشرين . فهل يصلح رسل التوفيق ما افسده عاقدو المعاهدات ؟

وعندما اقبلت في وجه وفد القاهرة ابواب الحجاز جاء الى الرياض في طليعة هذا العام الهجري (نوفمبر ١٩١٧) وفد من الكويت ١٣٣٦ هـ ١٩١٧ م وعن البحرين ، مؤلف من الوكيل السياسي الكولونل هاملتون والمستر فلي والكولونل أوران^(١) ليفاوضوا ابن سعود في الامرين السياسي والحربي اللذين تقدم ذكرهما ، اي ليوفقوا بينه وبين الحسين ، وليستنهبوه على ابن الرشيد وعلى اخلافه من عشائر العراق .

وكان عبد العزيز قد علم بتوقيف وفد القاهرة في جده ، فطلب المستر فلي ان يتوسط في الامر وتعهد اذا اذن له بالسفر الى الحجاز ان يعود عاجلاً ومعه المعتمد البريطاني ، اذن له عبد العزيز بالسفر ، وارفقه برهط من رجاله .

وقد كان للمستر فلي قصد آخر في رحلته هذه ، وهو يلحق اليه في كتابه . فلا بأس اذن ، بخصوصاً ان تلك الحوادث اصبحت في ذمة

(١) Col. R. E. A. Hamilton يوفد الوكيل السياسي في الكويت
H St. John Philby مؤلف كتاب « قلب البلاد العربية »
Col. Cunliffe Owen

التاريخ ، بالافصاح عنه في كتابنا . من المعلوم ان الطريق الى نجد برآ من الحجاز هي اقصر جداً من الطريق البحرية الهندية ، وقد كانت رغم ادعاء الملك حسين أأمن منها في تلك الايام . ومما لا يعلمه الناس ان المال الذي كان يُبذل في شبه الجزيرة كما يجيء عن طريق مصر ، وان الحكومة الانكليزية في الخليج الفارسي كانت في حاجة الى قسم كبير ليصرف في اطراف العراق ونجد .

وعاد الكولونل هامثن والكولونل أورن الى الكويت ، وسافر المستر فلي في الشهر الاول من عام ١٩١٨ الى الحجاز ، وهو متأكد انه سيعود في الطريق نفسها ومعه في الاقل المال الذي كان متوقفاً في جده . قد ارسل معه ابن سعود كتاباً الى الملك حسين مديحياً بيراع اللطف والولاء . ولكن الحسين ، وهو المشهور بتصلبه ، تغلب على اللطف فيه وحتى كل المواربة ، فتجههم المستر فلي ، ولم يلبس غيظه شيئاً من زخرف الكلام او الابتسام - « الرجوع الى نجد يا حضرة النجيب هو غير ممكن الان - غير ممكن » .

اما رجال ابن سعود فأذن لهم بالرجوع الى بلادهم ، ولم يزودهم بكلمة لطف او عنف لعبد العزيز . « لا لزوم يا اولادي للكتابة . نحن نحل مشاكلنا بيدنا » كذلك عولج المشكل السياسي خلال الحرب ، فظل مشكلاً بعدها .

اما المشكل الحربي فقد كان جله يختص بصادرة المؤن والذخائر التي كانت تصل الى الاتراك في بغداد وفي الشام عن طريق الكويت والبادية .

وكانت الكويت الباب الاكبر للتهرت نجيشتها المؤن ، الشاي مثلاً والافز والسكر ، من الهند والعجم فتباع باسعار باهظة ، وتنتسرب الى وكلاء الدولة او بالحري الى رؤساء العشائر ، فيهربونها الى الاتراك

والامان في سورية وفلسطين .

ومن اولئك الرؤساء ماجد بن عجيل شيخ العبيدة ، اكبر قبائل شمر ، وضاري بن طوالة شيخ شمر العراق ، وعجيسي السعدون رئيس المنتفق . فقد كان العدو في الشام وفي بغداد يحصل بواسطتهم ، مهما كانت الاسعار باهظة ، على كثير من الارزاق والذخائر التي كانت تجيء الى الكويت للانكلاز في جنوب العراق .

فعلى الانكلاز اذن ان يصادروا المهربين ويحكموا نطاق الحصار لمنع التهريب او تخفيفه ، فحاولوا لذلك حراسة خط يمتد من الكويت الى البصرة فالناصرية .

ولكن الكويت نفسها كانت اضعف حلقة في سلسلة الحصار ، وكان حاكم الكويت الشيخ سالم الصباح من كبار المستثمرين تجارة بلاده ، وبالتالي المستغلين عملية التهريب . ومع ان الكويت في حوزة الانكلاز فلم يتمكنوا من احكام النطاق الحربي عليها ، فاضطروا في النهاية ان يحدوها وارداها فلا تتجاوز الكمية المعروفة قبل الحرب .

ومع ذلك فقد كان يتسرب الى العدو قسم كبير منها ، فبدلوا المال في العشائر للمصادرة ، واشتروا كبار المهربين مثل ماجد بن عجيل وضاري بن طوالة .

وانك لتري ان البحث يجرنا الى مهمة المستر فلي الثانية . فقد عاد عن طريق الهند والبصرة في ربيع ١٩١٨ ، وخرج الى البادية ينشد المصادر ، وفي قافلته جمال تحمل اكياساً من الفضة . وكان ضاري بن طوالة قد انخرط في السلك الانكليزي لقاء مشاهرات معلومة ، ووظيفته مصادرة البضائع التي كانت تصل الى الشام بواسطة ابن الرشيد في حائل . ولكن ضاري شيخ من مشايخ شمر وشمر هي ظهر ابن الرشيد . فهل يلام اذا حادر اعداده فقط ؟

جاءه فليبي وهو في الحفر - جاءه بحمل النقود ، عاقدة العمود والناقضة لها . فشكا ضاري اليه ضيق الحال ، وفقر الرجال - والحاجة يا فليبي شديدة الى المال . اناخ فليبي جماله ، جعل الله حاله ، فابتسم الضاري وقال : « والله يا فليبي نخار رجالك » فقال فليبي « قوموا اذن وارحلوا معي الى ابن سعود » . فامتثل ضاري الامر ، وشد الرجال ، فركب في مركبه ستون من رجاله . جاؤوا والمستر فليبي يتوددون الى ابن سعود ويقطعون له العمود . فاجتمعوا به على غدير يدعى الشوكي ، واتفقوا ان تكون المصادرة عامة بدون تمييز . واقسم ضاري ميمناً مغلظة ان شمر العراق تكون دائماً ابداً مخلصه للانكليز ولابن السعود . ثم ارسل ماجد بن عجيل شيخ العشيرة رسوله الى عبد العزيز يطلب الصلح فقال له : « اني اندركم يا اهل شمر . فاذا كنتم مخلصين لنا تعالوا اقبوا في كبدي . واما اذا كنتم تفاوضون الانكليز وتساعدون الترك فانا عدوكم والله وقاهركم ان شاء الله »

-- « اما حائل يا مستر فليبي فاذا تركتم امرها لي فانا اعالجه بالسياسة . واذا الحتم فعليكم بالمدد » .

لم يكن المدد المقصود المال ، بل الاسلحة والذخيرة ، وهي يومئذ قليلة عزيزة : ثم قال عبد العزيز : « حائل في فكرنا دائماً . ولكن حائل جدار ونار . ترى الصحيح . ان ابن الرشيد محصن فيها وراء الجدران والمدافع » .

عاد المستر فليبي مع ابن سعود الى الرياض ، وكانت المفاوضات والمباحثات متواصلة . قال عبد العزيز : « اني قادر ان امنع ابن الرشيد عن مجاربة الشريف وهذا جل ما تبغونه الآن . ولكن العهد الذي بيني وبين شمر بوجب التبرص . فما استقاموا اليكم فاستقيموا لهم . فاذا رجع ابن الرشيد وكان حليفاً لنا ، فذلك خير . تتحقق المقاصد بدون قتال .

والافتحار به .

أما العهد الذي أشار اليه فهو ابن عبد العزيز ، بعد سفر فليبي الى الحجاز ، شد على ابن الرشيد الذي كان يومئذ على الحجر عند الترك . ولكن مشائخ قبائله جاؤوا ابن سعود يعاهدونه على الطاعة والولاء . ودليل صدقهم كما قالوا هو ان ابن الرشيد طلب منهم ان يجاربوا مع الترك الشريف فأبوا . وقد تعاهدوا وابن سعود انهم يندرون ابن الرشيد . « فاذا قدم من الحجر وكان معك يداً واحدة فتحن عشائره وعشائرك ، واذا رفض الرجوع فتحن معك عليه » .

ولبت عبد العزيز ينتظر الجواب من مشايخ شمر . ولم ير ان يبقى المستر فليبي اثناء ذلك عنده في الرياض ، فصارحه في الامر ، فرغب فليبي في رحلة علمية الى وادي الدواسر . اذن عبد العزيز بذلك ، ورحلته مصحوباً برهط من المحافظة في شهر رمضان ، فعاد الى الرياض في الشهر التالي (صيف ١٩١٨) .

وكان قد جاء الجواب من ابن الرشيد يرفض مطالب رؤساء شمر ، فشد عبد العزيز يريد الزحف الى حائل ، وكان المستر فليبي مرافقاً للجيش . ولكنه لم يكن مثل مواطنه المأسوف عليه شيكبير الذي حضر معركة جراب وشارك في القتال - وفي الضحية .

وتخلف فليبي في القصيم ، وتقدم عبد العزيز بجيشه الى حائل . بيد انه لم يكن القصد يومئذ غير ان يشغل ابن الرشيد فيمنعه عن مناوشات العرب الذين كانوا يجاربون مع الاحلاف في شرقي الاردن . فلما وصل الى ماء ياطب في اطراف حائل ، رأى جموعاً كبيرة من العربان وقد حالوا دون امنيته . ولكنه هاجهم ، فاصاب منهم مغنياً ، وعاد فزول على ماء آخر قريب من المدينة ، فخرج ابن الرشيد في آخر النهار يريد الهجوم عليه ليلاً . ثم عدل عن قصده وقفل راجعاً بدون قتال .

وكان الجنرال آلكنبي قد بدأ في الهجوم العام على الترك في فلسطين وشرقي الاردن ، وكان الترك يستنجدون ابن الرشيد ، فعدل عن محاربة ابن سعود . من المألوف في مثل هذا الحال ان ينهض الجيش المهاجم فيتأثر الجيش المنتهقر ويحترق ساقته . ولكن ابن سعود لم يفعل ذلك . بل عاد في اليوم التالي الى القصيم وقصده ان يجمع قوة اكبر من تلك التي كانت معه فيقسمها الى قسمين ، قسم لئزالة عريان شتين وقسم لمهاجمة حائل . ولكنه مثل خصمه عدل ايضاً عن قصده . والسبب في الحالين هو ما أحرزه جيوش الاحلاف والعرب في هذا الشهر (ذي القعدة - ايلول) من النصر في فلسطين وسورية ، فوصل الحيو كالبرق الى البلاد العربية .

ودخل العرب الشام ظافرين ! وفرّ الترك منهزمين ! فاز الاحلاف الفوز المبين سلم الالمان - عقد الصلح ! وما بال العرب لا يتعظون ويتصالحون !

انعظ العرب . فقد توقف في ذاك الحين ابن الرشيد وابن سعود عن القتال وعقدا فوق ذلك - مثل الاحلاف والالمان في فرساي - صلحاً صغيراً .

الفصل السابع والعشرون

وقعة تربة ومقدماتها

بعد ان سلّمت المدينة ^(١) كتب الامير عبد الله ابن الملك حسين الى امراء العرب يخبرهم بذلك وارسل الى ابن سعود الكتاب الآتي :

« الى حضرة المحترم المكرم الامير عبد العزيز بن سعود الفيصل .

وبعد فأني احمد الله اليك الذي لا اله الا هو . واحيي واسلم على خاتم الانبياء والمرسلين سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين . ثم اخبرك بان الله فتح لنا ابواب مدينة خير البوية ، وان حاميتها قد أمرت ، واستولينا على جميع ما فيها من السلاح الثقيل والخفيف ، وجميع الاملاك والالات والادوات العائدة للحكومة الغابرة . كما ان فخري باشا ^(٢) قد اعتقل في بشر درويش . واما العساكر فبادرنا بنقلهم الى بلادهم . ولا يخفى على مدارككم بانه لم يبق واحالة هذه شاغل ما يشغل حكومة صاحب الجلالة ، ادام الله وايده ، عن الالتفات لاصلاح داخليتها وشؤونها والتنكيل بمن يسعى للافساد والتخريب من العشائر التابعة لها . والسلام عليكم ورحمة الله . »

في ١٣ ربيع الآخر ١٣٣٧ قائد الجيوش الشرقية

الحكم الامير

قال الي

عبد الله

(١) استمر حصار المدينة ثلاث سنوات ولم يسلم فخري باشا الا بعد اعلان الهدنة

بشهرين أي في ١١ ربيع الثاني ١٣٣٧ (١٥ يناير ١٩١٩)

(٢) عينه بمدنذ الجمهورية التركية سفيراً لها في القناتان

وقد كتب ابن سعود اليه كتاب تهنئة دعاه فيه للتفاهم بخصوص العثائر وأكد له انه لا ينبغي غير السلم اذا كان هو من المسلمين . فجاءه الجواب الآتي :

« الى جناب سامي الرحاب الشهم الاوحد والهيام الابد ،
الامير عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود سلمه الله . »
وبعد الديباجة المفعمة بالتودد والتبجيل يقول :

« اني منكف (راجع) ان شاء الله تعالى الى الوطن في الاسبوع
القادم لآكون بخدمة صاحب الجلالة الهاشمية ادام الله نصره . واني
ارجوكم ان تبلغوا سلامي الى معالي والدكم الجليل والانجبال
والاخوان الكرام . ومن لدينا حضرة صاحب السمو الملكي سيدي
الامير علي نصره الله يهديكم جزيل السلام . »

في ٣ جمادى الثانية ١٣٣٧ قائد الجيش الشرقي الهاشمي
الختم الامير

ومع هذا الكتاب كتاب مثله لهجة من جلالة الحسين ، و « ملحق
خير » من سمو الامير فيه ما يأتي :

« اني اخوكم الصادق ومستعد لمساعدتكم بما تأمرون . ولا يجوز
ان يفرق بينكم وبين والدي امور البادية التي لا اهمية لها . . .
وكيف يمكن ان يحدث خلاف بين رجلين كبيرين بخصوص تربة
والحرمة والبادية ؟ ها انا متوجه الى مكة فارجوكم ان ترسلوا احد
رجالكم وان اترأيت ان يكون احد انجالكم فذلك اولى ، وانا
كفيل النجاح بحسم الخلاف والاتفاق مع سيدي الوالد . »

ولكن احد العقيلات^(١) الذين كانوا في الحجاز جاء يخبر عبد العزيز

(١) العقيلات (راجع الشرح في صفحة ١٤٠) نجار من النصارى وقد كان منهم
عدد في جيش الامير عبد الله

ان الامير عبد الله يتأهب للزحف الى تربة . ثم جاءه آخر يقول ان
الامير خرج من المدينة ووجهته تربة . فكتب عبد العزيز الى حكومة
بريطانية العظمى بواسطة مندوبها في العراق يخبرها بقاصد الملك حسين
وقائد جيشه ابنه عبد الله . فجاءه الجواب ان ذلك من الاساعات التي لا
صحته لها .

وكتب ابن سعود ثانياً يقول ما معناه : اني متحقق ما اخبرتمكم به
وما اخبرتمكم خوفاً او شكاً بل لتكونوا عالمين بالحوادث وما قد
يعقبها . وكتب ثالثاً يخبر المندوب السامي ان الامير عبدالله مشى
بجيشه من المدينة ووجهته تربة . فلم يجبه جواب الكتاب الاخير .

وكان قد جهز سرية مؤلفة من الف ومئتي هجان بقيادة سلطان بن
بجاد امير القطيف فامرها اذ ذاك بالسير الى الحرمة وتربة للمحافظة على
اهالي تلك الناحية ، وامر ابن بجاد والعالم المرافق السرية بان تكون خطتها
الدفاع لا غير .

ثم ارسل بعض العقيلات متجسسين ، وامرهم بان يخبروه خصوصاً بما
يفعله الامير عندما يصل الى عشيرة . فاذا ترك عسكره هناك ودخل
مكة كان في ما كتب صادقاً ، واذا استمر سائراً كان جوابه خدعة .

زحف الامير عبدالله بجيشه من المدينة جنوباً الى عشيرة^(١) فوافاه
اليها جلالة الملك والده . وبعد المفاوضة عاد الحسين الى مكة واستأنف
عبدالله السير جنوباً ، فخرج في شعب يدعى البديع في جبل حضن .

وحدثني سمو الامير قال : « لم يكن من رأبي مهاجمة تربة . وقد
حاولت ان اتقع جلالة الوالد بالعدول عن عزمه ، ولكنني كقائد للجيش
الهاشمي مطيع لاوامر مولاي . حتى اني كتبت اليه بعد ان تذاكرنا في
عشيرة . ولبثت في البديع انتظر جوابه فلم يكن غير الامر بالزحف » .

(١) هي على مسافة نحو مئتي ميل جنوبي المدينة وخمسة وسبعين ميلاً شرقي مكة

وكان قد كتب الامير عبدالله في اوائل شهر رجب الى ابن عمه
الامير عبدالله بن محمد وهو يومئذ في الحُرمة او في جوارها الكتاب
الآتي :

« بعد السلام ورحمة الله وبركاته كتابكم وفق عائض بن جويز وصل
وعلم مضمونه وعيال مهزي الصغار نوتخوا البارح علي صاحب الجلالة
واخبرونا بالكون (الاغارة) عليهم وبكسرة الوهابية . ولا شك ان
العرب اذا صدقوا اللقاء كسروا المغير عليهم . هذا امر ثابت . وحسب
الرغبة امر صاحب الجلالة بانقاذ ابن مهزي فاخترنا مشين من الجمدة مع
غالب بن عزيز بمشون غداً او بعده ان شاء الله . . . (كلمة مبهمه) امير
الحُرمة السيد غازي اطارت من السطوة في البلاد الآن . فبعد وصولي
بالقوة الكافية اليكم نردها بما تستحقه والتوفيق بيد الله . هذا ما لزم
ودمتم ونحن على مشي في هذين اليومين . »

الامير القائد

عبدالله

في ٣ رجب ١٣٣٧

مشي بعد كتابة هذا الكتاب من عشيرة الى جبل حصن فخم في
البديع . وجاء ابن سعود في اواخر هذا الشهر او في اوائل شعبان احد
عقبائه يخبره بذلك فكتب الى الامير كتاباً في ١٠ شعبان قال فيه :
« قد تحقق عندي خلاف ما اخبرتني به سابقاً اي انك عائد الى مكة
المكربة ، والظاهر انك مهاجم تربة والحُرمة . وذلك بخلاف لما
ابديتموه للعالم الاسلامي عموماً ، والعربي خصوصاً . واعلم رعاك الله
ان اهل نجد لا يخذلون اخوانهم وان الحياة في سبيل الدفاع عنهم ليست
بشيء . نعم وان عاقبة البقي وخيبة . خير لك اذن ان تعود الى
عشيرة . وانا ارسل اليك احد اولادي او اخوتي للمفاوضة فتم الامور
على ما يرغب به الفريقان ان شاء الله . »

الكتاب طويل تدرك مباحثه من جواب الامير الذي فيه كل الخبر

وهو في عنوانه يعود الى لهجة الكتاب الاول الرسمية .

« من عبدالله ابن امير المؤمنين الحسين بن علي الى حضرة امير نجد ورئيس عشائرها عبد العزيز سعود دامت كرامته .

وصلي خط الجنب الموقر المؤرخ ١٠ شعبان فتلوته وفهمته ، فلم اجد فيه ما استغربته واستعذبت . تقول اني بينا اكتب اليك مسالماً اجر الاطواب على المسلمين ، وان مظهري هذا اثار ثائر الناس علينا . وانك ، دامت مدتك ، خرجت فرعاً الى ان ياتيك مني الجواب . واليك به وهو ينطق بلسان صاحب الشوكة والدي وحكومته .

اولاً - اظن ان صاحب الشوكة سيد الجميع يرحب بكل من يطلب كتاب الله وسنة رسوله (ص) ويحيي ما احيا الكتاب والسنة ويميت ما اماته الكتاب والسنة لان هذا دأبه ودأب اجداده منه الى صفوة الخلق عليهم سلام الله .

ثانياً - لا اذكر ان احداً منا وقع على كتاب ذكر فيه انك او احد آل مقرون من الحوارج . او انكم لستم من ملة الرسول .

ثالثاً - كل من شق عصا الطاعة من رعايا صاحب الشوكة وعاث في الارض فساداً يستحق التأديب شرعاً ، شخصاً واحداً كان او الف شخص .

رابعاً - اعلم وتيقن ان نيتنا نحوك ونحو اهل نجد نية خير وسلام .

خامساً - اما قولك ان الناس نفروا جميعاً لحربنا اناهم قبل رجالهم فاذكرك بقول الله تعالى ... فان جاؤونا (اي عرب بركة والروقة الذين اندرهم) بنية حسنة فنحن لهم وهم لنا يا عبد العزيز قبل ان ينزل اجدادك بنجد . وان بقوا فلكل باغ مصرع وان الله مع الصابرين .

سادساً - تأمرني بالرجوع الى ديرتي من ارض هي لاني وجدتي . ومتى كنت تمنع الناس عن ديرتهم ؟ جزيت خيراً . ولكن هل تذكر ان رجلاً من قريش ، ثم من بني عبد مناف ، ثم من بني هاشم ، جده الرسول

وعلي ابن ابي طالب ، يقع له بالشنان^{١١} ويروى بمثل هذه الاقاويل ؟
 سابعاً - تقول اني لو التمس رجلاً في نجد يرجع الحياة على الموت
 في سبيل الله لما اجدته . فكان الاوفق لهم اذن ان يأتوا ويجاهدوا الاثراك
 معنا عن بيت الله ومسجد رسوله حتى ينال الشهادة منهم من كتب له .
 ثم بعد ذلك تردون بمنأ النظر .

ثامناً - اخبرتك في كتابي بفتح المدينة المنورة بانني متوجه الى
 الوطن لتأديب العصاة ، وسألتك هل انت على عهدي بك ام تغيرت
 نياتك فجاءتني نجاجيك بجواب منك فيه الميل الى التقرب والمسالمة
 فخرجت خيراً وعزرتة بالجواب الثاني . فجاء ثاني كتابك لي ومثله
 لوالدي ولاخي ملؤها المودة المؤكدة باليمين وكل ذلك محفوظ . فما
 حلتك الآن على تغيير لهجتك ؟ آمن اجل اننا نؤدب رعايانا ونصلح ما
 فسد في قبائلنا ؟

تاسعاً - ان كنت تنوي الخير للمسلمين كما زعمت فاردد الذين امرتهم
 ببيع مواشيهم ، وبنيت لهم الدور (يريد المجر) واخبر انك مكانك
 الذي وصلت اليه وانخر (عد الى) دبرتك واسك علي ألا امس احداً
 من اهل نجد بسوء .

اني مرسل اليك كتابي هذا مع احد نجاجيك وهو القسائي وابقيت
 الآخر ليأتيك بخطاب صاحب الشوكة والدي والسلام .

في ٢٣ شعبان ١٣٣٧ القائد العام للجيش الشرقية الهاشمية
 الامير الحتم

تربة والحرمه ! لا بد عند هذا الحد من كلمة في هاتين البلدين وقد
 اثارنا الحرب بين نجد والحجاز . الحرمه هي على مسافه خمسين ميلاً من
 حصن الى الشرق ، وتربة هي على مسافه خمسة وسبعين ميلاً منه الى

الجنوب . وجبيل حصّن هذا هو في التقاليد الحد الفاصل بين نجد والحجاز . فقد جاء في الحديث : من رأى حصناً فقد أنجد .

من هذه الوجهة أذن تكون البلدتان في نجد . ولكن أصحاب السيادة فيها من اشراف الحجاز ، فادعى الملك حسين رعابتهم . ومن الوجهة الأخرى ان الأهالي من بدو وحضر وفيهم الاشراف تذهبوا في الزمن الغابر بالمذهب الوهابي ، فلهذا السبب أيضاً يدعى ابن سعود أنهم من رعاباه . وكلهم بدو وحضر لا يتجاوزون خمسة والعشرين الف نفس .

تعلو الحرمه الكائنة في وادي سبيع ثلاثة الاف وخمسة قدم عن البحر وعدد سكانها خمسة الاف ، ثلثهم من العبيد المعتوقين ، والثلث الآخر من عرب سبيع^(١) اما الاشراف فلا يتجاوزون الثلاثمئة نفس . ولكن اهميتها لا تقاس بعدد سكانها لانها كائنة في طريق التجارة بين نجد والحجاز ، بل هي محطة تجارية لتجار الوشم والقصيم .

اما امير الحرمه الشريف خالد بن منصور فهو من بني لؤي اي من اقارب الملك حسين . ولكنه من المتصلين في الوهابية . لذلك لم تصف الصلات بين الشريفين . بل اثرت خالد تأربن ، فقد حدث خلاف بينهما في سنة ١٣٣٦ حمل جلالة الملك على حبس خالد ، فاشتعل في صدره التأو الاول . ولكنه غطاء حين برماد النسيان ، وراح يساعد الامير عبد الله في حصار المدينة .

وهناك حدث خلاف بينه وبين الامير ، وتكررت الاساءة التي لا مجال لذكرها ، فتكلم خالد منذواً ، فغضب الامير وصفعه بيده ، فسقى الرماد عن التأو الاول والتهب مقروناً بالتأو الثاني .

(١) كانت سبيع تقطن جهات الحجاز فطردتها عتية ، فزحمت الالبقية منهمام سكان الحرمه ورتبة الى جنوبي نجد واقامت وحلفاءها السبول في حائر التي تدعى هناك حائر سبيع .

جاء خالد الى الرياض في آخر سنة ١٣٣٦ يبحر ابن سعود من مساعي الحسين ونجده عبد الله ويستنجد عليهما . وقد حدث في السنة التالية (١٩١٨ م) ما حقق قوله لان الامير ارسل اربع حملات على الحُرمة بقيادة الشريف شاكر وكان نصيبها كلها القتل .

اما تربة فسكانها من عرب البقوم ، وفيها مثل الحُرمة عدد من الاشراف يملكون اكثر ارضها ، وكلهم بدو وحضر وعبيد من اتباع ابن سعود منذ ايام سعود الاول . بيد ان قسماً منهم انضموا الى جيش الحجاز في الحرب العظمى ، ثم انقلبوا على الحسين لاسباب دينية ومالية فألّى على نفسه تأديتهم ، ولم يتسكن من ذلك الا بعد ان انتهت الحرب . ومع ان تربة قرية لا يتجاوز عدد سكانها الثلاثة الاف فهي ذات اهمية لانها في الطريق الى الطائف . هي باب الطائف من الوجهة التجديدية ، وحصن الطائف من الوجهة الحجازية . وينبع تربة « سهل شرقي » الى الشمال الشرقي من مستنقعات البقوم وعدد سكانها ثلاثة الاف من البادية وحول هاتين القريتين السبيع والبقوم وقراهم تسرح وتترح قبيلة عتيبة الكبيرة .

ونعود الآن الى الجيش الزاحف الى تربة ، فقد بالغ الرواة في تقديره فقال بعضهم انه كان مؤلفاً من سبعة الاف من النظام وثمانية الاف من البدو . اما الحقيقة فهي انه لم يتجاوز كله السبعة الاف ، منهم الفان من النظام والباقي من البدو .

ولم يكنه كان كافياً لغرض الامير . فقد دخل تربة بدون قتال ٥١٣٣٧ يذكر ، دخلها في ٢٤ شعبان اي بعد يوم واحد من الكتابة ١٩١٩ م الى ابن سعود . والذي يمكنه من ذلك هو انه كان قد استخدم بعض عربان البقوم في جبل حَضَن ليدخلوا البلدة مدعين انهم جاؤوا يبحرون اهلهما من الامير ويستنهضونهم على محاربته . بل قالوا

للمدافعين أنهم جاؤوا يحاربون معهم ، فاتزلوهم في الحصون مع من تحصنوا فيها ، فلما لبثوا ان انقلبوا عليهم فاستولوا على اسباب الدفاع وصاحوا بالناس : الملك للشريف !

وفي تلك الساعة في صباح الرابع والعشرين من شعبان (٢٤ مايو ١٩١٩) دخل الامير بجيشه فصادف لاول الامر بعض المقاومة ، فأمر بإطلاق المدافع والرشاشات على المقاومين فتشتتوا ثم فروا هاربين الى الحرّة جنوبي البلد .

دخل الامير ظاهراً فوزع جيشه في جوار تربة وحولها ، وكانت ساعة لرجال إباضية قهروا البلدة وافسدوا فيها ما شاءت الشهوات والاهواء . وقد امر في ذاك اليوم بقتل بعض المشايخ واثنين من التجار التعديين وبمصادرة اموالهم . ثم كتب من محبته في الجهة الغربية الى رؤساء البادية في تلك النواحي خصوصاً في ركية ، يخبرهم بان حل بتوبة ، ويهددهم بمثل ذلك اذا كانوا لا يحيثونه طائعين صاغرين . ومن هذه الكتب الكتاب التالي :

ه قيادة الجيوش العربية
الشرقية

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالله ابن امير المؤمنين الحسين بن عون الى المكرم فيحات
بن صامل

اما بعد فاني احمد الله اليكم ثم اخبرك بانا وفقنا البارئ سبحانه وتعالى فأطفأنا نار الحارجه التي في تربة ومزقناها كل ممزق وضربنا اعناق ارباب الزيف والتفاق ومن جملتهم الطعامة وابن مسيئب نزيل قريتم . وان هذه الفتنة التي اثارها خالد بن منصور بلا لازم ينهاء ، او حق يطلبه ، وادخلكم فيها ، نأمركم بتركها والاسراع

بالركوب اليها وكف كافة سبيع اهل رنية بدو وحضر عن الاستمرار فيها . ونامرم بجلب شيوخ الزكور (قبيلة من القبائل) معكم اليها في ست ليال للاستئذان من سطوتنا . وان لم تفعلوا فساميل مينة البيروق المنصور عليكم مستعيناً بالله تعالى مستنجداً عظيم قدرته . ولا نكنم انذارى هذا عن كل صغير وكبير لاني سأسألك عنه حين لا تفعلك الندامة والسلام على من اتبع الهدى » .

القائد العام للجيش

في ٢٤ شعبان ١٣٣٧

الشرقية الهاشمية

الحتم

وفي كتاب الى ماضي بن قاعد ومحمد ابرق نقيش يقول :
« ما خفي عليكم ما حل بتربة من ذبح الرجال ، وتدمير المال ، بعد ان طغى اهلها وبغوا . وانتم يا اهل رنية بدو وحضر ان ما كفيتم طوارقكم وركبتهم الي في ست ليال مع شريفكم والا حزمكم حزم السلم وطرديكم طرد غرائب البلى (ابل) وعاقلكم يعلم جاهلكم . ولولا مشارى بن ناصر وغازي بن محمد لكان صباحي يسبق كتابي اليكم . والسلام على من اتبع الهدى » .

واستقر الامير ذلك النهار في الخيم المنصور ، وبعد ارساله كتب التهديد الى رؤساء القبائل اذن لنجباء ابن سعود ان يعود بالجواب الذي ذكر . وكان قد علم بان السرية التي جاءت الى الحرمة اي جيش ابن بجاد وخالد - قد مشت منها الى مكان يدعى القرنين ، وهو على مسير اربع ساعات من تربة ، فزود النجباء برسالة شفاهية ايضاً .

« اخبر الخوارج ومن النّف حولهم في القرنين بما جرى . قل لهم اننا سنكفيهم مؤنة القدوم الى تربة - قل لهم ما جئنا تربة من اجل تربة والحرمة فقط . سنصوم في الحرمة ان شاء الله وسنعيد عيد الاضحى في الحساء » .

وركب النجاشي الظهر ، فوصل الى القرنين بعد صلاة العصر ، فلاحظ به الاخوان مستخبرين . شق النجاشي جيبه واخبرهم بما جرى ، وبما فاد به الشريف ، فاكاد يتم كلامه حتى صاحوا صيحة واحدة : اياك نعبد واياك نستعين ! وهم يريدون الهجوم . فسكن العالم والقائد روعهم . قال ابن بجاد : « كيف تتجاوز امر صاحب الامر ، فهو لم يأمرنا بغير الدفاع » . ولكنه كان قد نسي كتاباً جاء من ابن سعود وفيه ما معناه : اذا جاءكم الخبر بسير الشريف الى مكة فالزموا مساكنكم الى ان ياتيكم مني امر آخر . واذا علمتم بانه تجاوز حدود تربة فاني اذنكم ان تقضوا كتابه وتقرؤنه فترون فيه وايعكم .

ما كانوا في حاجة الى استماع كتاب الامير وقد سمعوا كلامه من فم النجاشي . ولكن العالم عمل بالامر العالي ، فصاحوا ، وهو يتلو الكتاب عليهم ، اياك نعبد واياك نستعين ! وشدوا في تلك الساعة الرحال . « هبت هبوب الجنة ! ابن انت يا باغيها ! »

مشوا قبل صلاة المغرب بساعة وهم مع من انضم اليهم الف وخمسة مقاتل .

قال الراوي وهو من اهل الحجاز : « جاء الامير عبدالله في ذلك اليوم رجلاً من البادية يقول : تحذر يا شريف . المتدنية في الحرمة هاجون عليكم . فغضب الامير وامن بقطع عنقه » . وفي رواية اخرى انه امر دُخْناً كبير غيظه بضربه ، فضربه حتى الموت .

في كلا الحالتين نام الامير تلك الليلة خالي البال مطمئناً . وكان الاخوان قد علموا من رسول ابن سعود كبقية توزيع جيش الامير ، فانقسموا الى ثلاث فرق قبل ان يصلوا الى تخيل تربة ، اي فرقة الحيلة ، وفرقة خالد ، وفرقة ابن بجاد . وعندما وصلوا البلد في منتصف ليلة ٢٥ شعبان (٢٥ مايو) هجموا هجمة كبرى واحدة ساكنين مستهدين .

تقدم خالد ورجاله ، وفيهم من شردوا من تربة ، فدخلوا الباطن وقصدوا الاستيلاء على مخيم الامير . مشوا وسلاحهم الابيض يلوح في ظلام شفاف فاصطدموا بالسرية الاولى من الجيش الحجازي وذبحوا رجالها كلهم . وكذلك الثانية . ثم هجموا على السرايا المقيمة عند مخيم الامير ففتكوا بها فتكا ذريعاً .



وهجم ابن بجاد ورجاله ، وكلهم من اهل القطيف ، على الجنود النظامية وراء المنارييس والاطواب فكانت السيوف تشتغل كالقناصل ، وكان ابن

الغسل يثب على المدفع فيذبح الضابط المقيد وراءه بالحديد . ولكن هول القوضى والظلام كان افطع من التدبيح ، فبطش الجنود بعضهم ببعض ويظنون انهم يبطشون بالاخوان .

اما فرقة الحيل فقد قطعت خط الرجعى خصوصاً على حرس الامير فلم ينج منهم غير الامير نفسه وبعض الضباط ، ونجاب ابن سعود الثاني . فر الامير عبدالله قبل ان يصل خالد ورجاله الى سرايا الحيم ، فثبت بعضهم في النضال ليردوا العدو عن تعقبه ، وسقط من حاول الفرار ضرباً بين سنانك الحيل .

واما الذين نجوا من الذبح تلك الليلة ولم يستطيعوا الفرار فقد التجأوا الى حصن من حصون البلد ، فهجم الاخوان عليهم في اليوم التالي ، وجعلوا خاتمة المذبحة كالوفاة ، فتراكت الجثث بعضها فوق بعض . وكان من اللاجئين الى ذلك الحصن الشريف شاكر فكُتِب له النجاة ، ونجا معه شاب من الاشراف اسمه عون بن هاشم اجتمعت به في جده ، في رحلتي الثالثة اليها ، وهو يومذاك في العشرين من سنة . فقد كان عمره يوم شهد تربة خمس عشرة سنة . قال الشريف عون بن هاشم يحدثني عن هول ذاك اليوم : « رأيت الدم في تربة مجري كالنهر بين النضيل ، وبقيت سنتين عندما ارى الماء الجارية اظنها والله حرام . ورأيت القتلى في الحصن متراكمة قبل ان طلعت من الشباك . ومن اعجب ما رأيت يا استاذ رأيت الاخوان اثناء المعركة يدخلون الجامع ليصلوا ثم يعودون الى القتال » . لم ينج من جيش الامير النظامي غير ستة ضباط واثنين عشر جندياً . ولم ينج من البدو غير من سلموا او انضموا الى جنود خالد ، واكثرهم من عتبية ، وعددهم لا يتجاوز الالف . فيكون الموت قد تقاضى خمسة الاف نفس بشرية جزاء جهل الانسان وغروره . بل خمسة الاف وخمسة ، لان الاخوان دفعوا قسماً من الضريبة ، فقد خسروا اربعمئة

من رجال الغطف ومئة من اهل تربة والخرمة .

قال الامير عبدالله في كتابه الاول الى ابن سعود يُنبئه بتسليم المدينة : « واستولينا على جميع ما فيها من السلاح الثقيل والخفيف وجميع الاملاك والآلات والادوات العائدة للحكومة الغابرة » - استولى عليها في ربيع الثاني ، ثم خسرها بعد اربعة اشهر فاستولى عليها ابن سعود ! ولكن ابن سعود لم يعلم بذلك الا بعد الوقعة بخمسة ايام . فقد كان قادماً من نجد بجيش عدده اثنا عشر الف مقاتل ، فالتقى وهو في الطريق بين ماء القنصلية والخرمة بالنجباء الشارد فقص عليه الخبر .

واستمر عبد العزيز سائراً الى الخرمة ومنها الى تربة ، فبكى عندما شاهد فيها حصاد الموت . وعندما صاح جنود خالد وابن بجاد : الى الطائف ! رخص لنا بالطائف . منعهم قائلاً : « كفى الباغي جزاء بغيه » . اقام عبد العزيز خمسة عشر يوماً في تربة . وقد جاءه في اليوم العاشر برقية من الحكومة البريطانية في لندن بواسطة وكيلها السياسي بجدة تسأله فيها ألا يتقدم الى الطائف . فعلت ذلك اكراماً للملك حسين واجابة لطلبه ، وكان ابن سعود في نظرها كريماً .

الفصل الثامن والعشرون

البدو والهجر

قد شاهدنا المرة الاولى ، في وقعة تربة ، روحاً جديدة في القتال ، روحاً مجدية دينية مجسدة في الاخوان ، روحاً قهاراً ، هي بنت الهول والاستشهاد ، قلما تغلب او ترد . وفي كلمة كتبها الامير عبدالله الى ابن سعود سر هذه القوة . قال الامير : « فاردت الذين امرتهم ببيع مواشيهم وبنيت لهم البدور » .

هي اول اشارة في هذا التاريخ الى الهجر . والهجر مهد الاخوان ، والاخوان جيش ابن سعود الديني القومي ، جيش التوحيد .

وما هي الهجر ، وكيف أسست ، وما الذي دعا لتأسيسها ؟ ومن هم البدو ومن هم الاخوان ؟ سنبدأ بحيين على هذه الاسئلة بكلمة على البدو ، فتطرق الى الهجر واهلها . البدو منذ القدم غزاة ، عصاة ، عتاة ولهم غريزة دينية غدتها اخراجات ، ومطامع تكاد تنحصر بالاقوات . فهم يسارعون الى القتال في سبيل الله كلما نفر النافر وضاق بهم العيش .

ولكنهم في طاعتهم واخلاصهم ، وفي جهادهم وولائهم ، لا يجتملون فوق طاقتهم ، وقلما يفادون بشيء من اسيانهم . يحاربون ، ويشردون ، ويخونون . وهم وان غالوا في دينهم ، لا يثبتون ، بل انهم في الردة سرعون .

وقد رأى الرؤساء منذ القدم ، نظراً لعزيزتهم الدينية وان تلونت ، ان يستلوا عليهم سيف الالهية قبل السيف الذي يرى . دعاهم مسيئله فلبوه ، ثم دعاهم الشيخ طاهر القرمطي فحاربوا معه كالبنيان المرصوص . ثم تشقنوا بعد كسرة القرامطة ، فجاءتهم من البصرة والنجف عقائد في

الدين جددت في جمع شملهم وتعزيت املهم ، فبنوا القباب فوق القبور ،
وعلقوا الرفاع على الاشجار - سبحان من هو صديق للواحد القهار .
ثم جاء ابن عبد الوهاب يعلمهم ان التسبيح لا يجوز لغير الله الواحد
القهار ، جاء يعلمهم التوحيد واستعان على ذلك بسيف ابن سعود ، فقاموا
يحاربونه مع ابن الدؤاس ، وابن العريعر ، وكانوا مدحورين . جمعهم
ابن سعود تحت علم التوحيد ، فوحسدوا الله واقسموا ان لا شريك له .
ولكنهم في كل اطوارهم بدو ، والبدو مثل ذي الاجنحة طيارون .
او ان لهم مزنة الزئبق ، فيجتمعون ويفترقون ، واثت تلو الفاتحة .
لا يحملون شيئاً في جيوبهم ، ولا في قلوبهم ، بل لا جيوب لهم ولا قلوب ،
رفاقت في الطريق اليوم ، واعدائك غداً . ولا اظنهم لولا الجنة والحر ،
يخضعون لرب الكائنات . قد اكون مخطئاً بهذا وهم يكثر من ذكر
الله في كل حالاتهم .

ولكن النبي نفسه اثنهم ولم ينفعهم التائب . فقد جاء في القرآن :
قالت الاعراب امنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا .
اما الدين عندهم فكالرداء يلبسونه رداً من الزمن ، فيغسلونه مرة
او مرتين ثم يلبسونه مقلوباً ، ثم يبدونه وقد تفرق نبد النواة - كيف
توخأ ونحن نبغي الماء للشرب ؟ ولم الصوم والسنة كلها عندنا رمضان ؟
ولم الصلاة وليس لله وقت ليسمعنا ؟

وكذلك كانوا في ولائهم لهذا الامير او ذاك فما الفرق وربك بين ابن
مقرن مثلاً وابن هاشم ، او بين ابن الصباح او ابن الرشيد ؟ هم كلهم عرب ،
يقيمون في بلاد العرب ، ويغزون غزو العرب ، ونحن ان حاربنا مع
هذا او ذاك عرب .

ما تغير البدو منذ ايام الرسول ، ومنذ ايام مسيلة وابي طاهر .
دينهم حاجات ، لتلك الرذات . وولاؤهم غايات ، لتلك الحيات .

وقد نبين لقارىء هذا التاريخ في ما سردناه من حوادثهم ، وسجلناه من حروبهم ، انهم لم يتغيروا حتى بداية القرن العشرين . فقد طالما ارتدوا ، وخانوا ، وعادوا ثائبين ، منذ ايام عبد العزيز الاول الى ايام عبد العزيز الثاني . وهم كما وصفناهم لا يوالون طويلاً ، ولا يعادون طويلاً . لا يثبتون ، ولا يسكنون ، ولا يستقيمون في مسراهم او في مغزاهم . البدو سيفٌ في يد الامير اليوم ، وخضجرٌ في ظهره غداً . يجاهدون اذا قيل غنائم ، ممارضون اذا قيل الجهاد . وكذلك كانوا عند ظهور عبد العزيز الثاني وفي حروبه الاولى وغزواته . كانوا يجاريون ما زالوا آمنين على اموالهم وانفسهم ، ويفرون شاربين عند اول خطر يلوح . لذلك كان ابن سعود يقدمهم في القتال ويدعمهم بالخضر ، يحمي ظهرهم ليؤمن انقلابهم وتقهرهم . فهم اذ ذاك اشداء ثابتون في النضال . وبكلمة اخرى هم شجعان اذا كان لهم ظهر . والا فالقائلة لنا والفرار علينا . جاء في امثال العرب : البدوي اذا رأى الخير تدلى واذا رأى الشر تعلى . ولكن البدوي وحده يدافع عن نفسه وبغيره حتى الموت وان كان خصمه قبيلة باسرها . اما البدوي في الجيش فقد كانت مشكل ابن سعود الاكبر .

وقد حل عبد العزيز هذا المشكل بطريقة جديدة لم يسبقه اليها احد من ملوك العرب قديماً او حديثاً . فهو من هذا القبيل المصلح الاكبر في العرب .

اجل قد حارب البدو وغلبهم كما فعل اجداده ، وادخلهم في دين التوحيد كما فعل اجداده ، ولكنه لم يقف مثلهم عند هذا الحد . قال : امسكوا الحونة ، فقاتلوا : الفلا منجى . وها هنا بحرة التجاسي . فقد تجلت لعبد العزيز الحقيقة التي خفيت على سواه . وهذه الحقيقة هي ان البدو لا يثبتون ، ولا يطيعون ، ولا يخلصون — البدو هم بدو — لانهم لا

يملكون شيئاً من الارض ، ولا يسكنون بيوتاً ثابتة . اذن ، سنعطيهم ارضاً ونساعدهم في بناء البيوت . سننقلهم من البادية الى المدينة . ستفيدهم بالارض ، ونكبلهم بسلاسل التملك فننفعهم ، واذا اذنبوا نستطيع تأديبهم .

ان هناك كذلك الفكرة الدينية ، الفكرة الاولى في الهجر - والهجر جمع هجرة - والهجرة في القاموس ترك الوطن الذي بين الكفار والانتقال الى دار الاسلام . اما وطن البدو فالبادية ، والبادية مهد الشرك ، فالهجرة منها اذن هي الهجرة الى الله والتوحيد . وهي كذلك هجرة مدنية . فمن بيوت الشعر الى بيوت من لبن وحجر ، ومن الفقر والغزو الى ارض لا تحون صاحبها اذا اعمل بها المحراث ، ومن الخوف والتحذر الى طمأنينة لا تهجره ما زال عاملاً مفيداً لنفسه وبلائه .

الداعي الى الهجرة اذن ثلاثة امور ، ابي تعليم البدو الدين ، ونفعهم بارض يحرثونها ، والاستيلاء عليهم . ليس من السهل ان يألف البدوي الزراعة وقد كان دائماً يألفها . كان سكان البادية يسمون في الماضي الى قسمين البدو والعرب . فالبدو غزاة ، والعرب رعاة ، ولا اكار بينهم ولا من يتنازل للعمل في الارض .

بأمر ابن سعود اصلاحه الكبير بالواسطة الدينية ، فكان يرسل المطاوعة الى البادية ليعلموا اهلها دين التوحيد والفرائض ، ويرزقوا لهم هجر ما هم فيه الى ايمان يستشعرون ، ويدتأوون ، وارض يحرثون . وقد استخدم في التحضير القوة المدنية ايضاً ، فكان السيف يتقدم المطروع في بعض الاحايين او يتبعه كما تقتضي الاحوال . تجاوز التطور في البدو حده الديني ، فصاروا يحجرون ما هم فيه ليس الا الله والتوحيد فقط ، بل الى الشريعة والنظام ، وطاعة الحكام ، واحترام حياة الانام .

وكان ابن سعود يعين بقعة من الأرض فيها ماء لقيية أو لفخذ منها فتزج إليها وتباشر بناية البيوت فيها . بيد أن الصعوبة الأولى التي تغلب دعاة الهجرة عليها هي الجمال . ومعلوم أن رزق البدوي اباعره ، فما زالت عنده ما زالت البادية تستغويه ، فيروح في ساعات الضجر طالباً الرزق حلالاً أو غزواً حيث كان . لذلك جبر البدو على بيع جمالهم ، كان ابن سعود يساعد مالياً في بناء البيوت الجديدة . وقد أسست في سنة ١٣٣٠ أول هجرة لعرب مطير أي الارطاوية شرقي بريدة وقرب الدهناء . اما تسميتها بالارطاوية فهو لأن الأرطى ، مرعى الابل المعروف ، يكثر في جوارها . ان هذه الهجرة لا كبر الهجر اليوم واهما . وقد تبعها كل سنة هجرة عدة لقبائل حرب وعتيبة وقحطان وغيرها ، حتى اصبح عددها سبعين هجرة .^(١)

على ان هذه الهجرة في بداءة امرها أورثت ابن سعود مشكلاتاً آخر ، وهو ان البدو بعد ان باعوا جمالهم وصاروا اخواناً يتعصبون بالعصاة البيضاء التي تميزهم عن الناس ، اقاموا في الهجرة لا يعملون شيئاً في أيام السلم غير الصلاة . غدت بيوتهم مناسك ، وقد تزلوها ابتغاء وجه الله . هجروا البادية حقيقة الى الله والتوحيد فاصبحوا عائلة على صاحب البلاد .

ولكن المصلح الكبير لا يعدم طريقة تنفذ اصلاحه من الخطر . فشجذ ذهنه واستعان على تلك الحالة بالعلماء ، فجاء العلماء بالتاريخ ، وباخبار السلف ، فسلحوا بها المطاوعة ، فراح هؤلاء يحاربون بها البطالة والكسل . راحوا يعلمون المتحضرين ان الزراعة والتجارة والصناعة لا تنافي الدين ، وان المؤمن الغني خير من المؤمن الفقير . - وهذا ابو بكر ، كرم الله وجهه ، كان يملك ثمانية الاف رأس من الابل والحيل .

(١) في الملحق لهذا التاريخ - في آخره - لائحة الهجر كلها واسماؤها وعنازلها ، وعدد سكانها ، وعدد المغالة فيها .

فهل تزدرون ، ايها الاخوان ، ما كان يرغب فيه ابو بكر ؟ وهل تشكّون في ان الله سبحانه وتعالى يفتح لكم ، اذا انتم زرعتم وتاجرتم ، ابواب الثروة والجاه ؟

قد اقلح المطاوعة في تحبيب العمل والمال الى الاخوان ، فشرعوا يزرعون الارض حول الهجر ويتاجرون . وقد نشأت بعض هذه القرى نشواً سريعاً فصارت تباري جاراتها القديمة بالزراعة والتجارة . على ان الزراعة والتجارة لم تضعف في ابناء هذه الهجر ، في الاخوان ، روح القتال . بل علمتهم فرق شجاعتهم شجاعة جديدة لا تعرف الخوف ، ولا تناب الموت . وما الشجاعة هذه غير بنت الايمان الجديد الحي القوي . فان اخوان مطير في الارطاوية مثلاً ، واخوان حرب في دُخنة ، واخوان عتيبة في الغطف ، لاشد جيوش ابن سعود بأساً ، وابسلم نضالاً ، واسبقهم الى الاستشهاد . كيف لا وقد قلدوا في تحضيرهم سيفين ، سيف الدين ، وسيف الثبات . انهم اليوم لغيرهم بالامس فلا يشردون ولا يتراجعون ، وقلمائهم مومنون . انهم يحاربون حباً بالاستشهاد والجنة ، وحباً بالمحافظة على ما يملكون . صاروا يخافون النار ، ويخشون عاقبة الفرار .

لا . لم تقتل الهجر في اهلها غريزة الغزو ، ولا اضعفتها . بل شحذتها في سبيل الله ، وقيدتها بشروط تختص بتقسيم الغنائم . على ان توحيد السيادة العربية ، السائرة البلاد نحوها ، تضيق من طبعها مجال الغزو وتزيله في النهاية تماماً . فلا نجد اذ ذاك العرب اعداء من العرب او عرباً مشركين للغزو والجهاد .

قلت مرة لعظمة السلطان : « وستكون الهجرة الثانية من الجهل الى العلم ان شاء الله ، فتؤسس المدارس ويتعلم الاخوان شيئاً من العلوم التي من شأنها ان تحسن الصناعة والتجارة والزراعة في البلاد » فاجاب

عظمته : « كل شيء يجيء في وقته » .

اما سكان المهجر الآن ، وهم الطبقة الاكثر عدداً ، فقد افروا الزراعة واستعذبوا ثمارها . وهناك الطبقتان الاخريان اي التجار والمطوعة . اما من الوجهة الحربية فالهجرة تقسم الى ثلاثة اقسام اخر لتلبية دعوات الحرب الثلاث ، اي الجهاد ، والجهاد مثنى ، والنفير . فالذين يلبنون الدعوة للجهاد هم دائماً مسلحون وعندهم مطايا وشيء من الذخيرة . والجهاد مثنى هو ضعفا الجهاد ، فيجيء كل مجاهد بآخر يردفه ذلوله . هم الذين يلبنون الدعوة الثانية والاخرى انت يسوا الرديف . اما القسم الثالث من المذكور فهم الذين يبقون في ايام الحرب في المهجر ليدأوموا اعمال التجارة والزراعة ، ولا يدعون للحرب الا اذا اضطر صاحب البلاد الى الاستنفار العام . من حقوق الامام وحده ان يدعو الى الجهاد والجهاد مثنى . اما الاستنفار العام الذي لا يكون الا للدفاع عن الوطن ، فهو حق العلماء . ولكن السلطان يكتب اليهم معلناً حاجة البلاد الى الدفاع ، فيبادرون الى استنفار الناس اجمعين ، البدو والحضر والمهاجرين .

قال عظمة السلطان محدثاً عن الاخوان : « يجيئوننا في السلم فنعطهم كل ما يحتاجون اليه من كسوة ورزق ومال . ولكنهم في ايام الحرب لا يطلبون شيئاً منا . في ايام الحرب يتوزر الواحد منهم بيت الخروطوش ، ويبادر الى البندق ، ثم يركب الذلول الى الحرب ومعه شيء من المال والتسرة . . . القليل عندنا يقوم مقام الكثير عند غيرنا . . . كنا نمشي ثلاثة ايام بدون اكل . يأخذ الواحد مناقرة من حين الى حين يوطب بها فمه . . . نعم كانت الحاضرة اثبت قدماً واشد بأساً من البادية . اما الآن فالبادية المتحضرون ، اهل المهجر هم في القتال اثبت من الحاضرة واسبقهم الى الاستشهاد » .

ولكنهم في ما ظهر من بسالتهم ، وبطشهم ، وهول استهادهم ،
اورثوا عبد العزيز مشكلاً آخر كاد يفقد مشروعه الاصلاحى العظيم .
فقد طغى الاخوان وتجبروا فضج الناس . راح الاخوان يحاربون من
لم يتحضر من البدو فيكفرون ، وينهبون ، ويقتلون .

« انت يا بدوي مشرك - والمشرک حلال الدم والمال . انت يا ابا
العقال من الكفار - انا اخو من طاع الله ، وانت اخو من طاع الشيطان » .
كذلك كان يسطو كل منعصب بالعصاة البيضاء على سواه من العرب ،
فيعيرو ، ويسب ، ويسفك الدماء . وقد انتشرت من جراء ذلك الفوضى
في البلاد ، وكاد ينقطع حبلى الامن والسلام ، ففقد الامام في سنة
١٣٣٧^{هـ} مؤتمراً في الرياض للنظر في هذه الامور ، حضره كبار الرؤساء
والعلماء ، وقرروا بعد البحث ما يأتى :

- ١ - الكفر لا يطلق على بادية المسلمين الثابتين على دينهم .
- ٢ - لا تفاوت بين لابس العقال ولابس العمامة اذا كان معتقدهما واحداً
- ٣ - لا فرق بين الحضر الاولين والمهاجرين الاخيرين .
- ٤ - لا فرق بين ذبيحة البدوي الذي في ولاية المسلمين ودربه دريهم ،
ومعتقده معتقدهم ، وبين ذبيحة الحضر الاولين والمهاجرين .
- ٥ - لا حق للمهاجرين ان يعتدوا على الناس الذين لم يهاجروا كأن
يضربوهم ، او يتهدوهم ، او يلزموهم الهجرة
- ٦ - لا حق لاحد ان يهجر احداً بدوياً كان او حضرياً بغير امر
واضح ، وكفر صريح ، وبدون اذن من ولي الامر او الحاكم
الشريعى .

(١) تدعى هذه السنة في نجد سنة الرحلة لان الواخدة الاسنبوية التي غزت العالم
بعد الحرب لم تستكن حتى البادية . فقد مات في قلب البلاد العربية الوف من الناس وفيهم
ابن السلطان البكر تركي واثنتان آخران من اولاده .

وقد ضمنت هذه القرارات منشوراً^(١) من الامام والعلماء جاء فيه ما يأتي :

« ان معتقد المسلمين بدو وحضر واحد ، واصل المعتقد كتاب الله وسنة رسوله ، وما كان عليه الصحابة ثم السلف الصالح ثم ائمة المسلمين الاربعة ، الامام مالك ، والامام الشافعي ، والامام احمد بن حنبل ، والامام ابو حنيفة ، فهؤلاء اعتقادهم واحد في الاصل قد يكون بينهم اختلاف في الفروع ، ولكنهم كلهم على حق ان شاء الله . »

وهذا الاصلاح العظيم ، اي تحضير البدو فيلكون عاجلاً او آجلاً المسلك الاوسع الذي فيه المدارس والتسدين ، لم يسبق له مثيل في شبه الجزيرة منذ ايام النبي .

(١) في الملحق نسخة من هذا المنشور كاملة .

الفصل التاسع والعشرون

صلح صغير

بعد ان تنكب الملك حسين في قربة ، فخصر جيشه باجمعه ، ففتح لابن الرشيد الشاب قلبه وخزنته ، ومستودع الذخيرة والسلاح في المدينة . فعززت جريدة القبلة اقوال الديوان الهاشمي : - عدوك عدونا يا ابني ، بل عدو العرب والاسلام . وهذا السلاح منا للحرب ، وهذا المال . اما الرجال ، فعندك شمر وفيها الاشبال .

وكان سعود بن عبد العزيز الرشيد قد عقد وعيد العزيز بن سعود ، بعد المناوشات الاخيرة قرب حائل في الشهر السابق فحدثت الحرب العظمى ، صلحاً سميناه صغيراً . والامير سعود هذا هو الذي فر به نخاله ابن السبهان الى المدينة عند ما قتل اولاده عبيد اخوته الثلاثة . الحجاز آواه صغيراً ، والحجاز يده كبيراً بالسلاح والمال لمحاربة صاحب نجد . وقد كان سعود بن عبد العزيز مثل اسمه عكس خصمه عبد العزيز سعود - عكسه في احالة الرأي وبعد النظر . فلما جاءه من جلالة الحسين السلاح والمال ، وجميل الاقوال ، قبل في الحال .

اما ابن سعود عبد العزيز فكان قد ادخل خلال الحرب العظمى اسفين التوحيد في شمر فشقها قسمين . وعند ما باشره ابن الرشيد العداء كتب الى رؤساء تلك القبيلة كلهم ، الاصدقاء والمتذبذبين والاعداء ، ينذروهم ويقول : « من كان معنا فليقدم البناء ، ومن كان مع ابن الرشيد فليرحل اليه » . فكان الجواب من اكثر المقدمين انهم مقيسون على ولائه ولئن يلبثوا دعوة ابن الرشيد .

فلما ادرك الامير سعود ان قبائل شمر ليست معه يدأ واحدة ارسل

الى عبد العزيز وقدأ يقول انه قد تسرع ، وانه آسف على ما بدامنه . بل انه راعب في تجديد الولاء . فجدد عهد الصلح ، بالرغم من ٥١٣٣٨
م ٢٠١٩١٩ اعتراض اهل نجد ، ولكنه لم يدم منذ ذلك الحين عاماً كاملاً ، ولم يكن ابن سعود المعجل في نقضه كما تدل على ذلك حوادث هذا العام . فقد كانت السيادة في الجوف يومئذ للاخير نوري الشعلان ، فانازت بعض اعماله الاهالي عليه فجاربوه وارسلوا يستجدون ابن الرشيد . انجدهم ابن الرشيد حباً وكرامة ، وهو مسرور بعذر يقدمه الملك الحسين - كانه يقول : « اضطررنا فتنة الجوف الى تأجيل الحلة على ابن سعود » - . ومسرور بفرصة سانحة للاستيلاء على تلك الناحية .

مشى سعود برجاله الى الجوف ، فاصطدم هناك بقوات لتوري يقودها ابنه نواف وعودي ابو تايه فتنازلوه وغلبوه ، فارسل يستجد شمر فلم يلبه في بادىء الامر رؤساؤها خوف بعضهم من ابن سعود ، وحفاظة من الاخرين على عهد الولاء واياه . على انهم ارسلوا اليه يستشيرونه في الامر فاجابهم : « اني على صلح وابن الرشيد فلا امانع من ارادوا ان ينجده » .

وكان ابن الشعلان الشيخ نوري قد ارسل الى ابن سعود ، عندما علم بما فعل اهل الجوف ، يستجده على ابن الرشيد ، فكتب عبد العزيز اليه يقول : « اني صديق لك ولابن الرشيد ، فليست اذن مشاركاً في هذه الحرب . ولكنني انصح لك ان تتحصن في حصون الجوف ، وتتخذ خطة الدفاع ، فلا تهاجم ابن الرشيد ولا تحاربه في الخارج . لان جنوده مدربون على القتال وهم قديرو العهد في الحروب ، وجنودك من البادية ، من اهل الببل (ابل) فلا يؤكّن اليهم ، ولا هم في القتال اقران شمر » . لم يعمل نوري بنصيحة عبد العزيز ، فكان من الخاسرين . اذ انه عند وصول نجدات شمر هجم عليهم كسروه شر كسرة ، واستولوا على الجوف .

ولكن سعود بن الرشيد ، الذي كان يومئذ في الحادي والعشرين من سنه ، لم يعيش بعد انتصاره على ابن الشعان شهراً كاملاً . فقد قُتل بعد ان عاد الى حائل . قتله ابن عمه عبدالله بن طلال ، الذي ذبح كذلك في اليوم نفسه (في الفصل الثاني والثلاثون خبر هذه الفاجعة مفصلاً) وتولى الامارة بعده عبدالله بن متعب بن عبد العزيز بن الرشيد ، فاركب الى ابن سعود رسل السلام وهو يريد تجديد عهد الصلح والولاء .

وكانت اهل نجد يعارضون في اجابة طلب ابن الرشيد المرة السابقة ، فجاء عبد العزيز هذه المرة يشدد في شروطه ويجدد فيها . قال لرسلى حائل : « اني مجيبكم في كل ما تطلبون ، ولكنني الفت نظركم الى ما بدا من امرائكم السابقين ، وهذي هي كتبهم الى الشريف ينكرون عهوداً بيننا وبينهم ويرموننا باشع التهم . يقولون اننا خوارج ، واننا .. واتنا .. انا الان على هذا : اما شؤون شمر الداخلية فلا اتدخل فيها ، واما الخارجية فيهنني امرها . فقد طالما اضررت سياستها بنجد ومصالحه . لا بد اذن من تنازلكم عن ادارة الشؤون الخارجية في شمر واعترافكم لي بذلك . وينبغي ان يكون الاعتراف خطأً لينشر فيعرفه جميع الناس . » وعاد الوفد الى حائل يحمل شروط ابن سعود الى اهلها والى اولى الامر فيها . اما اهلها واكثر المقدمين في شمر فاجمعوا على القبول . واما اولو الامر من آل السبهان والرشيد ، وبعض الزعماء مثل عقيل بن عجيل وضاري بن طوالة ، فاهيك بعبيد القصر والسيدة فاطمة السبهان جدة سعود - « سني » فاطمة الحاكمة من وراء الستار - فأبوا كلهم ان يذعنوا لابن سعود وقالوا : الحرب ! فأعلنت الحرب .

الفصل الثلاثون

الاخوان في الكويت

بعد محي الجيش الحجازي في تربة لان عود العجائب في الاحساء ،
 فبعاء مشايخ القبيلة الى امير تلك الناحية عبدالله بن جلوي يطلبون منه
 التوسط بالصلح بينهم وبين ابن سعود . وقد كتبوا كذلك الى الامام
 عبد الرحمن ، فطلب من ابنه عبد العزيز ، بعد ان تحقق اخلاصهم ، ان
 يعفو عنهم ففعل . وهم منذ ذاك الحين مقيمون على الطاعة والولاء .

اما الحرب في جبل شمر فلم تستخدم نارها الا بعد سنة من اعلانها . كان
 قد جهّز عبد العزيز ابنه سعوداً بحملة على الجبل في صيف هذا ١٩٣٧ هـ
١٩١٨ م العام ، فوصل بها الى وادي الشعبية جنوبي جبل اجا واغار
 على عربان لابن الرشيد كانوا هناك فاصاب منهم مفعماً . ولكنه ثلثة
 مرعى الركائب في الصيف في تلك النواحي وثلثة ارزاق الجيش لم
 يتقدم الى حائل .

وقد حدث في ذلك الحين حادث في نواحي الكويت شغل ابن سعود
 عن ابن الرشيد فاكتفى بارسال سريات عليه للغزو والمناوشات . اما حادث
 الكويت فله اسباب سابقة لا يد من الاطاحة بها في الرجوع الى تاريخ
 آل صباح .

بعد وفاة الشيخ مبارك تولى الامارة ابنه جابر ، فكان حقيقاً حكيماً .
 ولكنه توفي في السنة الثانية من حكمه ، فخلفه اخوه سالم تقيضه في السياسة
 والاخلاق . وقد جاء ذكره في كلامنا على النطاق الحربي في الكويت يوم
 كان يخادع الانكليز لاحقاً بالترك ، بل طبعاً بالكسب من تجارة التهريب
 ثم عادى ابن سعود لظنه انه الناصح للانكليز بتعديد كمية الوارد الى

الكويت من البضائع فطرد التجار النجديين من بلاده سنة ١٣٣٦ هـ .
وكان قد أغضب عبد العزيز سابقاً في مساعدته للعبهان . أخف الى ذلك
ان سالماً كان شديد التعصب على الوهابيين .

بعد هذا التهيد تدون الحادث الذي ادى الى وقعة الجهرى بين
الكويتيين واهل نجد .

ركب الشيخ سالم بخته ذات يوم وابحر الى مكان على الخليج بين
جيبيل والكويت يدعى بلبول ، فيه مغاص للؤلؤ ، وميناء طبيعي حصين
للسفن الشراعية . وقد كانت في نيته ان يبني قصراً هناك وبلدة ايضاً
تنافس جيبيل بالتجارة والغوص . فلما علم ابن سعود بذلك كتب الى سالم
ليستع عن العمل فاني . ثم كتب الى الوكيل السياسي البريطاني في
الكويت يخبره ان الشيخ سالماً في ما يقصد متجاوز حدوده وحقوقه لان
ذاك المكان من اراضي القطيف التابعة لنجد ، وقد طلب منه ان يحول
دون هذا التعدي . اما الشيخ سالم فكان يدعي ان بلبول ضمن حدود
الكويت . ولكنه اذعن على ما يظهر للوكيل البريطاني فعدل عن
قضده .

على ان المسألة تجاوزت هذا الحد . ان في تلك الناحية شمالاً بغرب
من بلبول ماء يدعى قريّة هو ملك قديم لعرب مطير . فنزح اليه بعض
المهاجرين - الاخوان - من هذه القبيلة واسموا هنالك هجرة لهم ،
فاحتج ابن الصباح على هذا العمل ، وارسل اليهم فرقة صغيرة ، مثنى
راجل ومئة خيال ، اكثرهم من عمر بدار^١ ، بقيادة احد ابناء الصباح
اسمه دعيج . وكان للكويت في المراعي القريبة من تلك الناحية بضعة
الاف رأس من الجمال والغنم ، وليس هناك من يستطيع حمايتها اذا
اعتمد عليها .

(١) خليط من العربات لا ينتسبون الى قبيلة من القبائل .

سار دُعيج برجاله ، فنزل في حمّص قريباً من قرية ، وارسل الى الاخوان يأمرهم بان يَخْلَوْا ذاك المكان والا - « نصبحكم ونذبحكم » . وكان الاخوان ، عندما علموا بقدوم عساكر الكويت ، قد ارسلوا الى فيصل الدويش امير الارطاوية يستنجدون ، فبادر فيصل الى تجديدهم بالفين من رجاله ، وظل سائراً حتى وصل الى حمّص ، فصبح الكويتيين هناك ولكنه لم يذبحهم كلهم . فرّ دُعيج واكثر جنوده هاربين ، وقد تركوا وراءهم ذلك التطيع الكبير من الابعار والغنم فكان للاخوان غنمية باردة . كل ذلك وابن سعود في الرياض جاهل ما حدث ، فغضب عندما بلغه الخبر وكتب الى الدويش يؤنبه ويقول : « قد تجاوزتم اوامري التي تنحصر في الدفاع » . فاجابه ان الكويتيين جاؤا اخوانه صائلين وقد وصلوا الى مكان يبعد عنهم اربع ساعات فقط .

ثم امر ابن سعود ان تُجمع الاموال التي استولوا عليها ، الابل والغنم والسلاح حتى والمواضع ، وتودع عند امير الارطاوية الى ان يحثيهم امر آخر بخصوصهم . فعزل الاخوان بالامر بعد ان ارسلوا اليه خمس الغنائم .

وكان الشيخ سالم قد عرض المسئلة على الوكيل البريطاني فاشار عليه بالتسوية السلمية ، فارسل الى ابن سعود رسولين هما عبدالله السميطة وعبد العزيز الحسن ، فاعتذر عبد العزيز عما حدث بدون امر منه . ثم قدم اليهما خمس الغنائم الذي كان عنده ، قائلاً « هذا اول الاداء . واذا اركبتم رجالاً من قبلكم الى الارطاوية فآخره يُسلم اليهم هناك » .

ثم كتب الى الشيخ سالم كتاباً قال فيه : « السبب في هذا الحادث تدخلكم في ما لا يعنيكم . اعلموا ان لا حق لكم في بلبول او في قرية واذا اري ان يقرر ذلك في عهد يعقد بيننا وبينكم فتزعه . اما ما كان لأبائكم واجدادك حقاً على آبائي واجدادي فاني معترف به » .

لم يرق هذا الكتاب سالماً ولا قبل بان تورد الغنائم اليه . بل غضب

غضبة يقتضي لتعزيزها عند العرب جيش كبير ، لم يكن عنده غير البشير منه . وفي ذاك الحين كانت المناوشات بين ابن الرشيد وابن سعود ، فكتب الشيخ سالم الى صاحب شمر يستنجد به على « خصم الجميع » فلباه بان ارسل اليه ضاري بن طوالة ، الذي كان يومئذ مخبئاً في اطراف العراق . جاء ضاري مسرعاً بقوة من شمر ونزل الجهرى ، حيث كان دعيج ورجاله ، فامرهما سالم بالهجوم ثانية على قرية .

وكان ابن سعود قد جاء الحساء فبلغه خبر مغزى ضاري ودعيج فارسل الى الدويش يأمره بانجأ اهل قرية ، فتوكل الدويش على الله ، وكان مسرعا في ذي الحجة عام ١٣٣٨ هـ (سبتمبر ١٩٢٠) ولكن الدعيج والضاري اختلفا في الطريق على القيادة فلم يهاجما احداً ، بل عادا الى الجهرى فتعقبهما الدويش ونزل الصيحية .

وعلم الشيخ سالم بذلك فسارع بنفسه الى الجهرى ومعه خمسة مقاتل من اهل الكويت .

مضى الدويش باخوانه من الصيحية وعددهم اربعة الاف ، فيهم خمسة خيال - « خيال التوحيد أخو من طاع الله » .

وكان سالم قد وزع قواته كلها ، نحو ثلاثة آلاف من الرجال والحالة ، في حصون الجهرى وبساتينها .

وجاء الاخوان من الجنوب الشرقي فاشرفوا على الجهرى في ٢٦ محرم ١٣٣٩ هـ (١١ أكتوبر) من رأس منحدر لا صخرة فيه ولا شجرة . جاؤوا على عادتهم في الصباح وانحدروا كالسيل الى البساتين تحت وابل من الرصاص ، فكانت بنادق المدافعين المحصنين تحصدهم بالعشرات والمئات وهم يتقدمون مستبسلين مستشهدين .

ساعة من هذا الهجوم تلتها ملوحة كانت على جيوش ابن الصباح موافا احمر فقر من نجا ، ودخل الاخوان الجهرى فاستولوا عليها وعلى حصونها .

اما الشيخ سالم فكان قد تقهر بقوة من جيشه الى قصر خاراج البلد شرقاً منها، فتعقبه الدويش وحاصره فيه يومين كانا شبه هدنة للمفاوضات^(١). وكان سالم في ذاك الموقف الثعلب والدويش الذئب .

قال الذئب : « تعالَ كن معنا ومنا - كن موحداً - ونظف بيتك من الشرك والمنكرات . فلك اذ ذاك ما لنا وعليك ما علينا » . فقال الثعلب : « وهل يرفض مثل هذه النعمة الا الاحق . اني والله منكم - خيال التوحيد اخو من طاع الله . ولكن في بيتي ما يقتضي رجوعي اليه قبل ان اجيكم . انتظروني في الصبيحة » .

صدق الدويش وقتل راجعاً الى الصبيحة بعد ان قتل في تلك الواقعة نحو خمسة من رجاله وثلاثئة من رجال الكويت . وما ذلك بشيء في نظره اذا « ديتت » الكويت وصاحبها .

ولكن سالمًا عند وصوله الى الكويت طلب من الانكليز ان يحموا بلاده والا فهو يقبل شروط الاخوان . فبدأت المفاوضات البرقية بين الكويت وابي شهر ، ثم بين حكومة الهند ولندن ، واستمرت ثلاثة ايام . جزع خلالها الدويش وهو ينتظر في الصبيحة ، فارسل وفدًا من قبله الى « الاخ » سالم فتراض ولم يقابله .

ثم جاء الجواب من الحكومة البريطانية ومعه ثلاثة مراكب حربية رست في مياه الكويت وشرعت ترسل في الليل الاسهم النارية نهويلاً وترويعاً . وفي اليوم التالي وصلت طيارتان من العراق .

(١) جاء في « تاريخ الكويت » لعبد العزيز بن الرشيد الذي حارب في وقعة الجهري ما يلي : « ثم قال (الشيخ سالم) مخاطباً لابن سليمان (رسول الدويش) لاذا هنا القتال يتنا وكنتا ملحون موحدون ، وامامنا عدو للدود يريد القضاء علينا جميعاً . هيا بنا نرمي الضغائن والاحقاد ونكون يدًا واحدة عليه » ثم قال المؤلف : « وقد اكثرت سالم القول هناك بما لا احب ذكره الان » (تاريخ الكويت الجزء الثاني صفحة ١٨٤) .

شقي اذ ذاك « الاخ » سالم من مرضه فقابل وفد « اخيه » الدويش في مجلس رسمي حضره الوكيل البريطاني الماجر مور ، الذي هم بمخاطبة الاخوان فسمع جواباً اقنعه في الحال ان السكوت من ذهب .
قال حضرة الوكيل : « الشيخ سالم صديق لدولة بريطانية البهية وانتم جئتم تحاربونه بدون امر من ابن سعود » .

فقال رئيس الوفد : « ما جئنا الا بأمره . وهو ايضاً صديقكم » .
سكت اذ ذاك الوكيل واعتاض عن الكلام بكتاب ارسله الى الدويش وفيه ان حكومة بريطانية العظمى باسطة على الكويت حمايتها ، وان من يحاولون الهجوم عليها يعرضون انفسهم لضرب الطيارات والمراكب الحربية .

ثم عاد الوفد الى الصبيحة يحمل كتاب الوكيل . وفي اليوم التالي طارت طائرة فوق ذاك المكان والقت بين الاخوان كتاباً آخر بمعنى الكتاب الاول .

وامر الدويش اذ ذاك بشد الرجال . ولكنه لم يشأ ان تكون الكلمة الاخيرة « للعلب » فكتب اليه الكتاب التالي :

« من فيصل بن سلطان الدويش الى سالم الصباح سلمنا الله واياه من الكذب والبهتان ، واجار المسلمين يوم الفزع الاكبر من الحزي والحذلان .

اما بعد فن يوم جاءنا ابن سليمان ^(١) يقول انك عاهدته على الاسلام والمتابعة ، لا مجرد الدعوى والانتساب ، كفقنا عن قصرك بعد ما خربت ، وامرنا برد جيش ابن سعود ، على امل ان ندرك منك المقصود . فلما علمنا انك خدعنا آمنا بالله وتوكلنا عليه . يروى عن عمر انه قال : « من خدعنا بالله اغدعنا له . فنحن ، بعض وجوهنا ، نوجو الله انت يديك ،

(١) رسول الدويش الى سالم يوم كان محاصراً في القصر .

والأيسلطانا عليك . اياه نعبد و اياه نستعين . »

مسكين سالم . لم يعيش بعد ذلك طويلاً . فبينما كان الشيخ احمد الجابر ابن اخيه والشيخ كاسب ابن الشيخ خزعل يومئذ امير المحمرة في « حفر الميج » يفاوضان ابن سعود بالصلح - اي بعد بضعة اشهر من الحين الذي نكسب سالم فيه و« دين » واحتمى بالانكليز - جاء الناعي من الكويت ينعيه رحمه الله . وبعد وفاته في ١٧ جمادى الثانية ١٣٣٩ (٢٧ فبراير سنة ١٩٢١) انتخب خلفاً له الشيخ احمد ابن اخيه جابر^(١) انتخب وهو لا يزال في الحفر فكان في غنى عن وفد يصلحه وابن سعود .

(١) في الجزء الثاني من « ملوك العرب » القسم السادس . فصل في الشيخ احمد الصباح وسياسته

الفصل الحادي والثلاثون

فتح حائل

في صيف هذا العام (١٣٣٩ هـ - ١٩٢١ م) بعد ان عُقد مؤتمر القاهرة البريطاني ، برئاسة وزير الخارجية يومئذ المستر تشرشل الذي كان سائحاً في الشرق الادنى ، وتقرر ان يكون الامير فيصل ابن الملك حسين ملكاً على العراق ، عقد مؤتمر في الرياض ، حضره العلماء والرؤساء فقرروا ان يتخذ حاكم نجد الامير عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ومن يخلفه بعده لقب سلطان . فكتب عبد العزيز كتاباً الى المفوض السامي لدولة بريطانيا العظمى في العراق يخبره بما تقرر ويرجو ان يكون ذلك مستحسناً لدى الحكومة البريطانية البهية . وبينما هذا الكتاب في الطريق كان قادماً من حضرة المندوب في بغداد كتاب الى ابن سعود يخبره فيه ان قد تقرر انتخاب الامير فيصل ملكاً على العراق ويرجو ان يكون ذلك مستحسناً لديه . فاجاب عبد العزيز انه يكون مسروراً بما يريده العراق والدولة البريطانية للامير فيصل بشرط الا يكون ذلك مجعفاً لحقوق نجد او مضرّاً بمصالحه . ثم اعترفت الحكومة البريطانية في ٢٢ اغسطس (٢٧ ذي الحجة) لابن سعود ولبن يخلفه من ذريته بلقب سلطان .

وفي هذا الشهر عاد سعود بن عبد العزيز من حصار حائل ومعه اميرها الشاب عبد الله بن متعب آل رشيد ، فبست الرياض لطلائع النصر في الحرب ، ولبشائر الفوز في السياسة . ولكن الاعتراف بملك او بسلطان هو اسهل من تحطيم التيجان . وتعارض الولاء السياسي أسلس سبيلاً من حصار المدن . فلا يتبادر للذهن اذئ ان في رجوع

سعود ومعه أمير حائل الفوز المبين . ان فيه طلائع الفوز فقط . اما
الامنية القصوى فدونها شهران من القتال لا يزدريها التاريخ .

لنعد اذن الى الحوادث التي تقدمت الحصار . فبعد المصالحة وابن
الصباح استنفر ابن سعود اهل نجد ومشى الى الجبل بعشرة آلاف مقاتل
يقود قسماً منهم اخوه محمد والقسم الآخر ابنه سعود ، وقد عهد الى
الاول في محاصرة حائل والى الثاني في مهاجمة شمر . اما هو فتخلف
في القصيم .

عندما وصل محمد الى اطراف المدينة قام اهلها يستأذنونهم بارسال
وفد من قبلهم الى عبد العزيز ، فأذن بذلك .

وقد جاء هذا الوفد يقبل بنا رُفُض منذ سنة من الشروط التي استرطها
عبد العزيز بخصوص شؤون شمر الخارجية . على ان الحوادث خلال
سنة تقوم بالممالك وتقعدها . وخلال سنة يطرأ على السياسة ما يجعل
امسها متكرراً ليومها .

لم يقبل عبد العزيز بما كان قابلاً به في السنة الماضية . وقد قال للوفد :
« اعلموا ان الرئاسة القائمة بين عبد وامرأة^(١) لا تدوم . واعلموا ان
اموركم لا تستقيم ما زلتم تحت تلك الرئاسة . وما زالت اموركم كذلك
ما زال الشقاق وما زالت الفتى . وهذا مضر بكم وبنا مضر بنجد وباهل
نجد وشمر . عليكم اذن ان تدخلوا في ما دخل فيه اهالي نجد لتتجوا من
سيادة العبيد والمرأة ، وتريجونا وتريجوا انفسكم من ويلات الحروب .
شروطي الآن اذن هي ان تسلموا الى شوكة الحرب وعائلة الرشيد .
فيكون لكم اذ ذاك ما لنا وعليكم ما علينا . واذا وفضتم ذلك فاعلموا
اني زاحف اليكم بنفسي بعد ثلاثة اشهر » .

اجاب الوفد : « سنعرض الامر على صاحب الامر ، فاذا قبل كان

(١) يشير الى نفوذ العبيد وفاقطة السببان في الامارة .

خيبراً والافانت بريء الذمة . وبعد ان عاد الوفد ورُفِضت تلك الشروط خرج ابن طوالة غازياً بعض قبائل ابن سعود في مكان قريب من حائل على مسير خمس ساعات منها ، ولكنه لم يعد من تلك الغزوة سالمًا . فقد وافاه فيها الموت .

على ان موت هذا الزعيم الشري لم يؤثر بشجاعة المحاصرين والمرابطين خارج المدينة . فقد حدث بينهم وبين جنود ابن سعود مناوشات ومصادمات كانت يوماً لهم ويوماً عليهم ، فاستدعى عبد العزيز اخاه محمداً وأمر ابنه سعوداً في محاصرة المدينة ، فحاصرها شهرين ، ولم يكن في نجاحه فوق من تقدمه لولا محيي محمد بن طلال من الجوف وفرار الامير عبد الله بن متعب .

اما ابن طلال هذا فهو اخو عبدالله الذي قتل سعود بن عبد العزيز ، واما عبدالله بن متعب فهو ابن اخي سعود . فلا عجب اذا خافه شيء من الريب في ما ادعاه ، اي انه جاء من الجوف ليسانع في الدفاع عن حائل . نعم جاء ليسانع في الدفاع بعد ان يقتفي اثر اخيه ، فيستولي على الامارة . هذا الذي كان يحشاه ابن متعب . وبما ان الحياة لديه وهو يومذاك لا يتجاوز العشرين سنة كانت اعز من الامارة فقد فر الى سعود بن عبد العزيز ، فرحب به واخذ به الى الرياض كما تقدم غنيمه باردة . وكان عبد العزيز قد عاد الى العاصمة وأمر سعوداً بالرجوع من الجبل لانه فقد هناك ، بسبب التقيظ وقلة المرعى ، عدداً كبيراً من رواحله .

وبعد فرار ابن متعب والنجاحه الى ابن سعود ، تولى الامارة محمد بن طلال آل رشيد ، وهو شاب شجاع مستهتر ، قد باشر القتال في حملة على قري حائل وكان اهلها موالي لابن سعود ، حملات شعواء ، فهدمها بعد ان قتل صبراً اغلب رجالها .

وكان ابن سعود قد أمر فيصل الدويش بالزحف الى حائل

وبحاصرتها الى ان يحميه هو بنفسه . فمضى رئيس مطير بالفيين من رجاله وتزل على ماء ياطب القريب من حائل ، فبلغه في اليوم الرابع من وصوله ان ابن طلال خارج بقواته الى الجناحية ، وهي على مسير ثلاث ساعات من المدينة ، فشد مسرعاً ومشى اليها فاحتلها قبل ان يصل ابن طلال الى النيصية القريبة المجاورة لها ، ومعه الف وخمسة مائة مقاتل من الحضر وسبعة مائة من البدو ومدفعان .

عسكر ابن طلال في النيصية المحصنة بقلال هي متاريس طبيعية ، يصعب التغلب عليها الا بقوة من الجيش كبيرة . اما الجناحية فهي في منبسط من الارض تقل فيه المكامن . ولم يتمكن الدويش من احتلال حصنها لان ابن طلال كان يضربه بمدفعيته ضرباً متواصلاً .

ومضى السلطان عبد العزيز بعد عيد الاضحى بيومين (١٦ اغسطس) بعشرة الاف مقاتل ومعهم بضعة مدافع . فلما اجتاز ام جريف الواقعة بين قبة وجراب ، بلغه خبر الدويش في الجناحية وانه وابن طلال في احترا ب . فتروك في الحال حملة الجيش وراءه وخف مسرعاً . وكان مسراه من ذلك الما قبل دخول محرم بيوم واحد ، فوصل في اليوم الرابع منه (٨ سبتمبر) الى بقعة ، قرية من قرى حائل ، فالتقى هنالك برسول من الدويش يحمل كتاباً ضمنه كتاب من ابن طلال اليه يقول فيه : « اننا جميعاً مسلمون وبيننا كتاب الله وسنة رسوله » . فقبل الدويش السريع التصديق ، وما كاد يفسى خدعة سالم الصباح ، وكتب الى ابن طلال يلبي الدعوة للحكيم ويسأله ان يرسل وفده لهذه الغاية . وقد دفعت به الثقة الطائشة الى اهمال الجانب الشمالي من معسكره فلم يستحرسه ، فاغتم امير حائل الفرصة وارسل ثلة من جنوده في الليل فاحتلوا ذاك المكان ، فاشرفوا على معسكر الدويش ، وشرعوا عند انبلاج الفجر يرمون الاخوان بالرصاص .

اركب الدويش نجاباً آخر الى السلطان يخبره بأنه وابن طلال مشتبكان في القتال ، وأنه خسر عشرة من رجاله وجرح عشرون .

وصل النجائب العصر الى مخيم السلطان فغضب لما حدث وامر ابنه سعوداً ان يركب بالخيول ويتقدمه مسرعاً . ثم وصل نجاب ثالث يخبر ان الاخوان كسروا جيش ابن طلال ، فـارسل يأمر الدويش بان يلزم مكانه ولا يأتي بحركة اخرى الى ان يصل اليه .

ومشى السلطان وهو يقصد الهجوم على ابن طلال تلك الليلة . ولكنه اضطر ان ينتظر الحملة والمدافع ، فابطأ في السير . ولم يكن من المستطاع الهجوم في النهار لان ابن طلال ورجاله كانوا في حصون حصينة ، ولأن بين الحصون والمهاجرين سهلاً لا يحميهم شيء فيه ، ولأن جبل أجا ، وهو حصن طبيعي ، قريب منهم يلوذون به ساعة الهزيمة . تقدم جيش السلطان عبد العزيز تدريجاً الى مركز الدويش ، فلم ينتبه ابن طلال الى ذلك ، ولم يكن عالماً بقدومه ناهيك بقربه منه . وعند العصر في اليوم التالي جمع السلطان قواده وتشاوروا في الامر فقرروا ان يكون الهجوم في الحزيع الثاني من الليل .

ومشى في ذلك الوقت نصف الجيش فقط ، فراح قسم منه يلف بابن طلال من جهة حائل ليقطعوا عليه خط الرجعى ، وتقدم القسم الآخر الى المسالك المعد للهجوم فانتظروا هناك طلق المدافع التي بدأت ترسل قنابلها بعد صلاة الفجر قبل ان ينجلي الليل .

ثم هجم الاخوان هجمة واحدة ، والتقابل تؤز فوق رؤوسهم ، فقتلوا عدداً من العدو وسئتوا صفوفه ، ففر ابن طلال واكثر رجاله الى جبل أجا ثم الى حائل ، ولاذ الآخرون بحصون النيصية . صوبت المدافع على الحصون فقتلت اكثر من لاذوا بها وسلم الباقون .

فقال احد الذين سلموا يخاطب السلطان : « طبعيتكم ماهرون يا مولانا »

فقال عظيسته : « لا . لا . كنا نضرب على النية في الظلام ، ولكنه توفيق من الله » .

بعد تفهق ابن طلال الى حائل ارسل السلطات الى اهالي المدينة يقول : سلموا تساموا . فجاء الجواب بالتسليم على شرط ان يؤمر عليهم ابن طلال والكتاب موحى به منه ، لانه كان لا يزال سائداً بمن ثبت معه من الجند وحزب بيت الرشيد . ولم يكن لاهل حائل زعيم يوحد كلمتهم ويعززها ، فانفذ ابن طلال فيهم سهام ارادته . على ان المغلوب لا يشترط الشروط . الى الحصار !

ان مدينة حائل كائنة بين جبلي آجا وسلمى ، لها سهل يتسع الى الغرب ويضيق الى الشمال ، فيفتح من الجهة الشمالية الشرقية طريقاً الى النجف ، ويتقلص في الجهة الشرقية وفي شطر من الجنوبية . هي اذن محاطة من جهاتها الثلاث بالجبال ، ولا يمكن الاستيلاء عليها من غير الجهة الغربية والشاطر الجنوبي الغربي الذي تمتد منه الطريق الى نجد .

في هذا الطريق جاء السلطان عبد العزيز فقل من الجثامية ، بعد ان تفهق ابن طلال الى المدينة ، ونزل بينها وبين النيصية ، فقسم هناك جيشه الى فرقتين ، فرقة بقيت معه ، والاخرى تقدمت الى جبل آجا فملك مركزاً منه حصيناً . وهناك مركز آخر يدعى عقدة غرب البلد يحسبه اهل حائل أحصن حصونهم الطبيعية . تقدم الجنود ، وهم يضربون العربان النازلين الجبل في طريقهم ، فيقتلون ويشتتون ويغنمون الغنائم ، فاستولوا في اليوم السابع على عقدة ، واستمروا زاحفين الى حائل ، وهم يمتدسون وراء اكياس من الرمل ، حتى وصلوا الى مكان بينها وبين جبل آجا فاتخذوه خطاً اولاً للدفاع . وكان المهاجرون وراءهم قد احاطوا بالمدينة من جهتيها الغربية والغربية الجنوبية .

قلت ان اهل حائل قبلوا بالتسليم على شرط ان يكون ابن طلال

اميرهم . ولكن الاكثرية فيهم نفروا من ابن طلال لظلمه وطمعانه
وكانوا يثنون من الحصار . فقد ارسلوا الى السلطان عبد العزيز غير مرة
يقولون : لا تتركنا فريسة لابن طلال . وفي الوقت نفسه كانوا يرجونه
الا يضرب بالمدافع المدينة . وعندما ادرك ابن طلال ان الامارة لا
تحييه بواسطتهم كتب الى المفوض السامي البريطانية العظمى في العراق
يسأله التوسط بينه وبين ابن سعود . قال السريبرسي كوكس في تقريره
الى حكومة جلالة الملك : « بعد ان سلم الامير عبدالله (بن متعب)
بن الرشيد تولى ابن عمه محمد بن طلال الدفاع عن حائل . وارسل اليه
مراراً يرجو في ان التوسط بينه وبين ابن سعود . ولكن ابن سعود لم
يقبل بذلك » .

دنت مدة الحصار من الشهر الثالث فكتب السلطان عبد العزيز الى
اصدقائه في حائل يقول : « قد طال الحصار » واقبل الشتاء ، فليعذرنا
الاهالي اذا انذرتهم . لهم ثلاثة ايام ليسلموا المدينة وعائلة الرشيد ، والا
فتحن الى غرضنا مسرعون بالرصاص والنار » .

فجاء الجواب وفيه ان الاهالي ينفضون ايديهم من ابن طلال ويبت
الرشيد ، ويسلمون الحصون المحيطة بالمدينة اذا جاءتهم سرايا من الجيش .
ارسل السلطان الفين من رجاله ففتحت لهم الحصون الخارجية المشرفة
على حائل . ثم امن الناس على ارواحهم واموالهم فخرجوا اليه افواجاً
وهم يشكرون الله .

اما ابن طلال ، الذي شهد له حتى الاخوان بالبسالة والاقدام ،
فعندما ادرك ان الامر تقلت من يده تحصن وحاشيته في القصر ، فارسل
السلطان عبد العزيز يؤمنه على حياته اذا هو استسلم ، ففعل .

استمر هذا الحصار خمسة وخمسين يوماً ، اي منذ وصول السلطان
في ٤ محرم الى ٢٩ صفر ١٣٤٠ (٢ نوفمبر ١٩٢١) يوم سلم ابن طلال .

ولكن حائل كانت في حال الحرب اكثر من سنة قبل ذلك وكانت القوافل من الكويت والعراق منقطعة عنها ، فشمل أهلها الضيق . وكان السلطان عالماً بشدة حالهم فجاءهم مناهياً لتخفيفها — جاء بالثون ، وجاء بالتياب وبالخال — فاجزل للناس العطاء ، ووزع الوفاً من الكياس الارز والوفاً من الكسوات . قال لي احد الذين سلموا : كنا ليلة الحصار الاخيرة على آخر رمق نرى شيخ الجماعة والموت فامسينا ليلة التسليم الاولى وكلنا شعبان ، مكسيون مطشون .

بعد ذلك شاورهم القانع في امر اميرهم : « ومن تريدون ان تؤمر عليكم ؟ » فاجابوا قائلين : « واحداً من آل سعود او من كبار رجالك » فقال عبد العزيز : « لست من رأيكم فقد كنا وياكم « قوم » (اعداء) مدة طويلة فلا يجوز ان نحكمكم الان مباشرة . وانا اعرفكم يا اهل حائل . انكم اهل قيل وقال . اصحاب فتى . ولكني لا اخشى ان اوامر عليكم واحداً منكم . واني اريد ان احافظ على كرامتكم . هذا ابراهيم السبهان فهو منكم ، وهو رجل عاقل . هو اميركم . واني واثق بالله ، وعادته معي جميلة ، فهو سبحانه وتعالى ينصني بمن يتدر او يخون . اما ابراهيم السبهان فهو الذي مهد السبيل للتسليم الحصون واتفق وابن سعود على ذلك فامر به بعدئذ على حائل .

الفصل الثاني والثلاثون

ماساة بيت الرشيد

لا بد لكل مأساة من حائق تهوي منه . لا بد من ذروة تملكها الحياة المجيدة أو السعيدة ، ثم تفقدها فتتهبط منها الى الدرك الاقصى .

ينبغي اذن ان نصل والقارئ الى ذروة بيت الرشيد قبل ان نبدأ بالمأساة فيه . ولا بد قبل التصعيد من الوقوف عند سفح الجبل . - عند الاساس - فتعرف الى المؤسس الكبير والى المشيد الاكبر .

آل رشيد من آل خليل ، وآل خليل من آل جعفر ، وهؤلاء فخذ من عبده اكبر قبائل شتر . وفي الفتوحات السعودية الاولى كان امير الجبل واحداً من هذه القبيلة يدعى الجربا ، حارب آل سعود فغلب ، وأجلى وعشيرته الى العراق . ثم امّر سعود الكبير واحداً من آل علي في حائل ، وقرب منه رجال هذا البيت ، فكان جبر اخو رشيد ، جد عبد الله ، كاتباً في ديوانه بالدرعية .

ولكنه لم يظهر في آل رشيد ، على ما نعلم ، اكبر من عبد الله الذي اختلف والاسرة الحاكمة يومئذ ، فرحل الى الرياض ، وانضم الى جيش فيصل ابن الامام تركي . وعند ما قتل تركي جاء فيصل بجيشه من الحساء ليثار لايه ، وكان عبد الله في ذلك الجيش ، بل في مقدمة من هجموا على القصر ، وقتلوا قاتل الامام ، فجازاة فيصل ، بعد ان تولى الامارة ، بأن جعله اميراً على حائل (١) .

وعبد الله بن علي بن رشيد ، مؤسس هذا البيت ، هو من اولئك

الأفراد المتقدمين بفضلهم في الناس ، أولئك الذين يسودون الناس بما يزين أعمالهم من الشجاعة ، والعدل ، والاحسان .

كان أميراً في حائل يوم جاءها المستشرق الاسوجي جورج والن سنة ١٨٤٥ ، أي بعد عودة الامام فيصل بثلاث سنوات . وقد كان محمد علي باشا غير راضٍ عن حكم فيصل فارسل هذا المستشرق الى حائل ليسبرغور بيت الرشيد علّه يجد فيهم من يصلح لمناسبة آل سعود . ولكن الامير عبدالله كان يسعى في سبيل استقلال الجبل ، في استقلاله عن الرياض وعن مصر ، وما رآه قط ان يكون سيفاً بيد محمد علي يستلّه على ابن سعود . عاد جورج والن الى مصر . ثم جاء حائل بعد سنتين للمرة الثانية ، فكانت النتيجة شديدة بالنسبة اليه . فلم يفلح العالم الاسوجي بهيمته السياسية . ولكنه كان معجباً بالامير عبدالله ، وقد قال فيه كلمة قلها هو غرث لا ارى احسن منها ، وهي من اجني ، في تقدير هذا الامير العربي . قال والن :

« لم يكن نفوذ عبدالله ناشئاً عما كان له من الثروة والسيادة فقط . بل عما امتاز به ايضاً من السجايا الشريفة كالشجاعة والعدل ، وكرم الاخلاق والوفاء ، وحُب الفقراء . فقد كان في احسانه مثله في عدله كبيراً ، ولم يُسمع عنه انه اخلف مرة بوعده . . . هذه الفضائل هي مصدر تلك القوة قوة عبدالله ، وذلك النفوذ نفوذه » .

وكان لعبدالله اسم عبيد امتاز عنه بثلاثة امور ، بغلوته في المذهب الوهابي ، وبحشونة طبعه ، وبنزعة فيه شديدة الى القتال في سبيل الله والتوحيد . كانت عبيد رسول الوهابية الاكبر في الجبل ، وكان بيته محط رحال الوهابيين في حائل ، ومرجعهم الاعلى ، والصلّة بينهم وبين الرياض .

لم يكن في اولاد عبدالله اكرم من طلال . ولكنه نكب في عقله وكان منتحراً . اما متعب اخوه فقد كان من الوسط في الناس عقلاً وخلقاً وسياسة ، ولم يحكم غير سنتين لأن بندراً وبدرًا ، ابني اخيه طلال ، طمعا بالامارة وانتزعاها منه بالسيف . قتل بندر وبدر متعباً ، وتولى الحكم بعده احدهما بندر . وكان محمد بن عبدالله يومئذ عند الامام عبدالله بن سعود الذي وفق بعد سنة ، كما اسلفت القول ، بينه وبين ابن اخيه الامير الجديد .

عاد محمد الى حائل فتولى اماره الحاج العراقي ، ثم في السنة التالية قتل بندراً بيده دفاعاً عن نفسه كما قال . وقد امر بقتل ابنا طلال الآخرين فذبحوا في القصر كلهم الا واحداً هو بدر الذي فر الى البادية ، فتأثره العبيد وقتلوه ، فغضب الامير محمد لانه امرهم بالتبض عليه فقط ، وقتل بسيفه العبد الذي قتل بندراً .

سيف الامير محمد ! قد روي عن صاحبه انه قال : « لا يُعبد سيف ابن الرشيد حتى يقتل اهل هذا البيت اجمعين » . وما كان في ما قال واحداً . فقد مشى هو نفسه الى عرش الامارة على خمسة ارواح من بيت ابيه . وكان ذاك العرش لا يزال مقيداً بشيء من ارادة آل سعود - مقيداً بخيط رفيع قطعه الامير محمد بسيفه . وظل هذا السيف مستلاً في سني امارته كلها ، فكان صاحبه فاتحاً ، وكان مستبداً ، وكان عادلاً . لكن نفسية الامير لم تخل من اثر لغدر الزمان ، ظل بادياً في خلقه حتى في ايام النصر والجد ، فكان هذا المستبد العادل مقتدياً في بعض اعماله بالزمان . كان اذا اراد محاربة البدو مثلاً يهجم عليهم في الصيف ، وهم على المياه في المضارب^(١) . ان في ذلك شيئاً من الغدر ، ترفع عنه

(١) البدو يصلحون مواشيهم في الربيع ، من شباط الى آخر ايار ، فيسرحون حاليين الحيا (المرعي) ثم في اشهر الغيط يردون المياه ويقبضون حروهاً مساكين . ثم يظعنون في الحريف وعندما تخضر الحقول في آخر الشتاء . وهذه الاشهر في الحريف والشتاء هي غالباً اشهر الغزو والحرب عندهم .

من خلفه مثلاً من بيت أبيه أي عبد العزيز بن متعب .

أما أنه كان سر أبيه في المرونة النفسية التي تلتوي ولا تنضم فيما لا ريب فيه . أن كل من قابله من السياح والمستشرقين الذين أمروا حائل والقصيم في عهده الذي هو عهد شجر الذهب قد أعجبوا به . أجل ، قد حاز الأمير محمد من السيادة في نجد ما حازه ابن سعود الكبير ، فرفع بيت الرشيد إلى الذروة التي طاح منها مجد بيت الرشيد . هي الذروة التي تبدأ عندها الأماسة موضوعنا الآن . وهذه الأماسة هي ذات أربعة فصول ، وفاتحة وخاتمة .

الفاتحة : - شمر تندب الأمير محمداً وتقلد سيده عبد العزيز ابن أخيه متعب فيخرج إلى الحرب وشمر تحذو أمامه ووراءه . وفي الوقت نفسه يخرج سمي ابن الرشيد عبد العزيز بن سعود من الكويت غازياً فيلتقي العزيزان ويحتربان سبع سنوات فيخسر العزيز الرشيد نصف الملك الذي كانت لعمه محمد . وبالرغم عن مساعدة الأتراك الأمير شمر قبل الحرب العظمى ، ومساعدة الأتراك والألمان أثناء تلك الحرب ، ومساعدة الملك حسين بعدها ، زادت شمر وهي على قمة الجبل ، فطاحت واستمرت طائفة .

الفصل الأول : يبدأ بقتل عبد العزيز في روضة مهنا وينتهي بذبح أولاده الثلاثة .

المشهد الأول : سوق في بريدة يدخله جنود ابن سعود وهم يعلنون موت عبد العزيز الرشيد وينشدون : حيا أهل العوجا مروية السنين ! (اسنة الرماح)

المشهد الثاني : في القصر بجبال ، وقد عقد مجلس حضره أولاد عبد العزيز متعب ومشعل ومحمد فوالسي متعب الإمارة .

المشهد الثالث : في قصر آخر بجبال ، قصر آل عبيد . أبناء حمود

الثلاثة وهم فيصل وسعود وسلطان يتأمرؤن .

قد ذهب يوم عبدالله وجاء يوم عبيد . هؤلاء الصبيان اولاد عبد العزيز لا يستحقون الامارة وسيتنازعونها ، فيذلونها ، ويفقدونها . علينا اذن ان ننقذها فنظل في بيت الرشيد ، علينا ان نريح الصبيان منها ونريحها منهم .

المشهد الرابع : في العراء خارج المدينة . فيصل وسعود وسلطان آل عبيد ورجلهم وعبيدهم ومعهم متعب ومشعل ومحمد أبناء عبد العزيز ، وقد دعوا اليوم صيد فلبوا الدعوة .

كوكبة من الخيل خرجت من حائل ، وكل خيال ينبغي الصيد ، ينشد الطريدة في الافاق ووراءها . الا ان طريدة آل عبيد كانت قريبة ، غافلة ، غير شاردة . طريدتهم ؟ هاكها على الخيل امامهم .

فبعد ان خفيت اسوار المدينة ، عندما غدوا في القلعة ، لمز كل من الاخوان أبناء حمود حصانه وساقه علي واحد من أبناء عبد العزيز ، فتناولوه من السرج بقرونه (شعره) وغمد خنجره في صدره . طاح الثلاثة الاخوان الى الارض مخرجين بالدماء ، ولم يحرك احد من الحاشية يده دفاعاً عنهم . وما دخل العبيد ؟ رشيد ي قتل رشيد . ولكنهم وهم عبيد آل عبيد هتقوا قائلين : والحمد لله هذه آخره آل عبدالله .

الفصل الثاني : مشهد كلي . يرفع الستار وسلطان بن حمود بن عبيد متصدر في مجلس الامارة ، والى جانبه اخوه فيصل البستام صاحب البسمة الابليسية الناعمة ، وفي مخرج وراء المجلس الاخ الثالث سعود يشهد سيفه .

لم يكن سعود العبيد على شيء عظيم من الصبر . فقد حن الى الامارة حين الحبيب الى الحبيب ، ولم يأذن لاخته سلطات بغير سبعة اشهر منها . وعندئذ - جاءت الساعة ولم يكن سعود متأهباً ، او انه سيجد

سيفه حتى انتقم، فبادر الى جبل خلق به سلطاناً، ودفنه في حفرة بالقصر،
مشهد جزئي لينصب عمال المسرح عرساً جديداً وراء الستار. ونحن
اثناء ذلك نخبّر عن ابن العزيز الرابع - الصغير - الذي فر به خاله ابن
السبهان من القصر يوم الصيد المفجع. ان هذا المشهد في سوق من اسواق
المدينة المنورة، وفيه يسير ابن السبهان وابن اخته سعود بن عبد العزيز
وحاشيتهما مسرعين، وقد اتصل بهم خبر قتل سلطان ابن حمود.

« وغداً يا وليد (ابن السبهان) مخاطب ولي العهد الشرعي لعرش
حائل (دور سعود، ثم دور فيصل. سنرجع الى حائل، الى حائل يا
وليّد - والامارة لآل عبدالله ان شاء الله ».

المشهد الثالث في حائل: ابن السبهان يدخل المدينة يجيش من العربان
فيضرمون فيها نيران الثورة. ثم يجمعون على القصر فيقبضون على سعود
بن حمود بن عبيد ويقنونه في الغرفة التي قتل فيها اخاه سلطاناً. فتصفق
حائل استحساناً: مرحى مرحى! وقتل سعود بن عبد العزيز سيف الامارة.
مشهد جزئي نختم به هذا الفصل (وقد يعترض ارباب الفن على ختم
فصل من فصول المساة بمشهد جزئي، ولكنهم يتفاضون لاهميته عن
اخلائنا باحدى قواعد الدراما).

المشهد الجزئي الذي ابغبه هو لفصل المسام، ثالث الاخوان،
الذي اجتمعت به في الرياض. ذاك الذي كانت يبسم، ويذئب، ولا
يفيظ. فقد اختلف واخاه سلطاناً، فامرّه على الجوف ليعدهه عن
العرش وكان ذلك رحمة منه. وكانت فيصل مسروراً بذي الامارة
الصغيرة وذاك البعد، خصوصاً عندما علم بقتل اخيه الاول، ثم بقتل
اخيه الثاني.

ولكنه عندما علم بوجوع آل عبدالله الى عرش الامارة لم ير السلامة

حتى في الجوف ، فبحر عرشه هناك ورحل شرقاً ، ثم جنوباً ، رحل مسرعاً ، ولم يقف في ترحاله حتى وصل الى الرياض ، ورمى بنفسه بين يدي عبد العزيز بن سعود ، فرحّب به ، واكرمه ، واتخذة لحقة في روجه خدناً ونديماً . وقد حزن عبد العزيز جداً عندما وافى الموت فيصلاً في الرياض سنة ١٣٤٢ هـ .

الفصل الثالث من مأساة بيت الرشيد يبدأ بالولد سعود بن عبد العزيز على عرش الامارة . ووراء ذلك العرش امرأة هي فاطمة السبهان جدة الامير ، وحول ذلك العرش عبيد القصر الطامعين بالسيادة . قد يكون هذا التوازن بين المرأة والعبيد السبب في دوام العرش سنوات عدة بالرغم عن العواصف التي كانت تعصف عليه من الجنوب — عواصف الاخوان .

شهد جزئي : مجلس « سني » فاطمة : صوت من وراء الحجاب فيه نبرات وغناات ، وازادة ماضية تحرك العرش ، وتحرك الجيش ، وتحرك يد العبد سعيد صاحب الخزنة . « سني » فاطمة تستقبل الناس وتفاوض الوفود ، وتشير على الامير بالحطة السياسية التي ينبغي اتباعها . كانت فاطمة السبهان فصيحة اللسان ، شديدة الشكيمة ، قضية النظر . تكره اهل نجد وآل سعود . وكانت سياسة الامارة بيدها ، وكذلك المالية بعد قتل سعود لان العبد سعيد كان قد عزل .

ومن هو العبد سعيد ؟ في ايام سعود بعد ان بلغ سن الرشد كان لبعض العبيد مقام رفيع في الديوان الرشيدي . وكان الامير خوفاً من آل سبهان يقرب منه هؤلاء العبيد المماليك ويبالغ في اكرامهم ، ومنهم خصوصاً اثنان ، سعيد الحمد ، مملوك سوداني خفي ، حمل مفتاح الخزنة منذ ايام عبد العزيز بن متعب ، وسليمان العنبر الذي كان يحمل سيف الحجابة الاول ، ويدخل على الامير برأي حتى في السياسة مسروع .

كان الطواشي سعيد وزيراً للغاية أميناً ولا شك ، وكان سليمان العنبر مستشاراً مخلصاً . ولكن نظر الاثنين في شؤون الامارة نظراً العبيد لا يتجاوز دائرة معقولهم الصغيرة .

اما « سني » فاطمة ، تلك القوة وراء الستار ، وراء الحجاب ، فلا يخلو ما قيل فيها من مجال للنقد . ويكفي ما كان من نتيجة حكمها وهو اكبر حجة على سوء الادارة فيه .

بين هاتين القوتين مشى سعود بن عبد العزيز الى عرشه ، وبين هاتين القوتين قضى ما كتب له من سني الحكم . ثم اخفى عليه الذي اخفى على اخوته . ولكنه لم يمت مثلهم في « الصيد » . مات سعود غدراً ، وكان الغادر اجبن الغادرين .

مشهد كلي في الفلاة : يجيء الامير للزفة ومعه حاشيته وعبيده . الرجاجيل يعتنون باحليل ، والعبيد يجمعون الخطب ، وبشؤون النار للقهوة ، والامير يتبارى وعبدالله بن طلال الرشيد برمي الرصاص ، او كما يقول العرب بضرب النيشان (الهدف) ولم يلزمهما غير عبد واحد من العبيد .

وقد كان هناك زايف هو القدر جاء بسدة الرصاصتين ، رصاصة الامير ورصاصة ابن طلال ، ويلحق العبد بالذهول .

اما هدف ابن طلال آل عبيد فلم يسكن الهدف المنسوب . رفع الامير سعود بندقيته ، وابن طلال وراءه والبندقية بيده مصوبة في الظاهر على « النيشان » فأطلقت الاثنتان في وقت واحد ، فاصابت رصاصة الامير كبذ الهدف ، واختارت رصاصة ابن طلال رأس الامير . وكانت العبد يمدق الى الهدف معجباً برمي سيده ، فلم ينتبه الى ما حدث الا عندما نحر للارض صريعاً . ولكنه وقد فتح فاه وعينه هوى هو ايضاً في الحال . ولم يعطه القاتل فرحة للفرار او للصياح اذ

جاءت الرضاة الثانية تبعثر دماغه فطاح كالخشبة الى جانب الامير .
 رأى احد العبيد الآخرين ما جرى فصاح باخوته وهجموا على ابن
 طلال . ثم جاء الرجاجيل ومعهم عبد الله بن متعب بن عبد العزيز ، ابن
 اخ الامير المقتول . وهذا عثرة في سبيل العرش ، وابن طلال لا يبغي
 الان غير العرش . عليه اذن ان يزيل ابن متعب ايضاً من طريقته . قد
 أسلفنا من مهارته بالرمني مثلين — وهذا الثالث ؟

شرع ابن طلال يرمي عبدالله بالرضا ، وكان العبيد يحولون دون
 مرماها ويطلقون كذلك بنادقهم ، فقتل واحد منهم ، واصيب ابن
 طلال برضاة ابعده عن العرش بل عن حطام الدنيا كلها .

الفصل الرابع : في القصر بحائل : عبدالله بن متعب جالس على عرش
 جده عبد العزيز — جالس على العرش ويده على رقبته خشية ان تحيئه
 الضربة غدرًا — جالس على العرش وقلبه يخفق جزعاً ورعباً — جالس
 على العرش وعيناه الفيتتان محمرتان ، دامعتان ، من الدم المراق على
 جوانبه . عرش نحر السوس في اركانه ، فترعزع ، فهو ي ، فامسى
 مسنداً وحصيماً في فناء الاخمجلال .

وماذا عساها تعمل « نتي » فاطمة — فاطمة شجر العظيمة — لانقاذها ؟
 وماذا عسى يعمل العبيد ، ووفاء العبيد ، وشجاعة العبيد ؟ هبت هبوب
 الجنة ! هبت من الجنوب ، من نجد ، من العارض — ولا نجاة لهذا الامير
 الصغير ، لهذه البذرة الاخيرة من شجرة شمر التي كانت تباري رواسي
 الجبال — هذه البذرة السوداء البيضاء التي تدعى عبدالله بن متعب — لا
 نجاة لها بغير التسليم ، والتسليم في الحال .

وهوذا ابن طلال الثاني محمد اخو عبدالله القاتل المقتول ، وقد جاء
 من الجوف ليدافع عن حائل . — عن حائل ؟ لا حاجة ولا سبيل الى
 اقناع عبدالله بن متعب . فقد فر ويده على رقبته ، ولاذ بابن سعود .

وهو اليوم ضيف مكرم في الرياض — آخر آل عبد الله الرشيد !
جاء ابن طلال الثاني وفي نفسه أمل بانقاذ حائل وبإعادة شيء من
المجد الى شتير . فوقف خارج المدينة ، وفي حصونها ، وعلى اسوارها ،
يدافع عنها دفاع الابطال . ولكنها وهي تابعة لعرش هوى ، لمجد تقلص
ظله ، رأت خلاصها في انفصالها عن هذا المجد وذلك العرش ، وفي التسليم
الى ابن سعود . فكان الفتح خاتمة المأساة ، مأساة شتير وبيت الرشيد .
بل كانت الخاتمة حصاراً ، ورصاصاً وناراً .

وكان محمد بن طلال بن نايف بن طلال من الذين سلموا : بل آخر
الذين سلموا ، وهو الآن ضيف مكرم في الرياض .

خاتمة المأساة : المشهد الاول : بيت في الرياض يخرج منه ابن طلال
في الليل وهو متخف في ثوب امرأة ، فيقبض اخذ الرجال عليه ويحيي
به الى السلطان عبد العزيز ، فيأمر بنقله الى القصر . وقد كان في القصر
اسيراً يوم كان المسجل لهذه المأساة في الرياض . ثم أطلق سراحه وهو اي
المسجل لا يزال هناك .

المشهد الثاني : المجلس العالي بالقصر . السلطان عبد العزيز جالس على
الدوران وعضا الشوخط بيده ، والى يمينه ويساره رجال بيت الرشيد .
وعلى الدواوين والكراسي خمسون وثيف من وجهاء الرياض وعلمائها .
يدخل العبيد ومعهم ابن طلال ، فيجلسه السلطان الى يمينه ثم يقول :
« اعلما يا اهل الرشيد انكم عندي مثل اولادي . وانتم في الرياض تعيشون
كما اعيش انا واولادي ، لا ازين ولا اسقين . ثيابكم مثل ثيابنا ، واكلكم
مثل اكلنا ، ونخيلكم مثل خيلنا وازين . ترى الصحيح — وليس في
القصر ، او في البلاد تحت يدي ما تبغونه ولا يحييكم . ترى الصحيح .
وهل منكم من يشك في ذلك . تكلموا » .

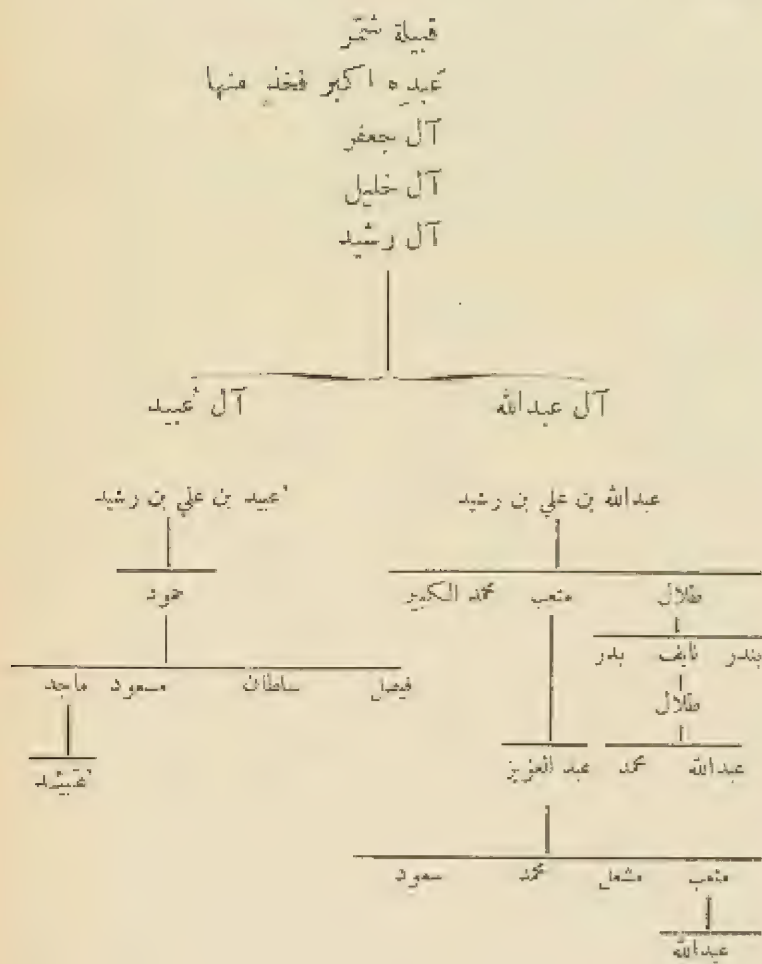
لم يفه واحد منهم بكلمة

« وانت يا محمد ، ما جر عليك الاسر غير نفسك ، غير عملك المشين .
 كن عاقلاً حكيماً . ولا تعر اذنك النساء . اني عالم بما تعمل وبما تقول .
 فاعقل لصالح نفسك . تجتنب الطرق التي فيها القال والقيـل ، والتي تؤدي
 الى الفتن . كن صادقاً مخلصاً ، تكرم كل الاكرام - تكرم مثل
 اهلك هؤلاء كلهم . والله بالله ان الضرر الذي يمسكم يا اهل الرشيد بحرك
 قلبي قبل لساني الى مساعدتكم . انت يا محمد واحد من بيتي الآن . . .
 وكل ما عندي للدفاع عن بيتي - عن العيال والحريم اقدمه اذا اقتضى
 الامر في الدفاع عنك . في الدفاع عنكم كلكم يا اهل الرشيد . »
 ها هنا وقف السلطان ، فوقف من في المجلس ، واعطى يده الى ابن
 طلال قائلاً : « اعطيك عهد الله ما زلت مخلصاً لنا » . فصافحه ابن طلال
 وهو يقول : « اذا سدت عن الطريق الذي اموت به اقطع رأسي »
 ثم قبل عظمته في انفه وفي جبينه .
 ثم صوت يهتف بالدعاء : « ادامك الله ووطد اركان ملكك » .
 هو صوت كبير بيت الرشيد يومئذ ، ثالث ابناء حمود ، اخوان
 « الصيد » الثلاثة ، صوت فيصل المباسم غفر الله ذنوبه ، وذنوب اهل
 هذا البيت اجمعين .

امراء حائل الرشيدون

- ١ - عبد الله بن علي بن رشيد. مات موتاً طبيعياً سنة ١٢٦٥هـ (١٨٤٨ م).
- ٢ - طلال بن عبد الله. انتحر في سنة ١٢٨٣هـ (١٨٦٦ م).
- ٣ - متعب اخو طلال. قتله ابناء اخيه بندر وبدر سنة ١٢٨٥هـ (١٨٦٨ م).
- ٤ - بندر بن طلال بن عبد الله. قتله عمه محمد سنة ١٢٨٨هـ (١٨٧١ م).
- ٥ - محمد بن عبد الله الذي يدعى الكبير كان عاقراً ومات موتاً طبيعياً. تولى الامارة سنة ١٢٨٨هـ (١٨٧١ م). ونوفي في ٣ رجب ١٣١٥هـ (١٨٩٧ م). استولى على نجد كله حتى وادي الدواسر.
- ٦ - عبد العزيز بن متعب بن عبد الله. قتل في المعركة في ١٨ صفر ١٣٢٤هـ (١٩٠٦ م).
- ٧ - متعب بن عبد العزيز حكم عشرة اشهر. قتله واخوه مشعلًا ومحمدًا ابناء حمود بن عبيد في ٢١ ذي القعدة سنة ١٣٢٤هـ (١٩٠٦ م).
- ٨ - سلطان بن حمود بن عبيد حكم سبعة اشهر. قتله اخوه سعود.
- ٩ - سعود بن حمود بن عبيد حكم اربعة عشر شهراً. قتل في القصر.
- ١٠ - سعود بن عبد العزيز بن متعب بن عبد الله. قتله عبد الله بن طلال سنة ١٣٣٨هـ (١٩١٩ م).
- ١١ - عبد الله بن طلال لم يحكم. قتله عبد من عبيد سعود.
- ١٢ - عبد الله بن متعب بن عبد العزيز بن متعب سلم لابن سعود في ذي الحجة ١٣٣٩هـ (١٩٢٠ م).
- ١٣ - محمد بن طلال بن نايف بن طلال. سلم لابن سعود في ٢٩ صفر ١٣٤٠هـ (٢ نوفمبر ١٩٢١).

نسب بیت الرشید



الفصل الثالث والثلاثون

آخرة آل عائض

في شبه الجزيرة جبالٌ غيرُ أجا وُسُلى ، وغير جبال اليمن وعمان ، تستحق أن تُتعت بالزمردية . هناك جبال عسير وقد كساها الاخضرار ، فضخمت فيها الاشجار ، وغزرت المياه ، وتنوعت الثمار . هي جبال عسير الممتازة بكنوزها الدفينة ، ناهيك بهوائها ، وهو في اعتداله مثل هواء الطائف ، وبماظرها وهي ارووع من مناظر اليمن . وهي احصن الجبال للدفاع ، ورجاها من صفوة العرب في اليأس والبسالة .

ولكن اهل عسير اشد العرب نفرة من الاجانب ، وابتعد العرب اليوم عن المدنية . كانوا في الماضي قبائل مستقلة بعضها عن بعض ، بل معادية بعضها لبعض . ولا يزال في الجهة الشرقية الجنوبية من اولئك الاعراب الذين يسلكون مسلك الاقدمين في الاستقلال والقتال ، فهم لا يدينون لصاحب اليمن ، ولا لصاحب عسير ، ولا لصاحب نجد والحجاز .

اما اهل الناحية التي أطلق الترك عليها اسم متصرفية عسير فقد اقبلوا في ايام آل سعود الاولين على مذهب محمد بن عبد الوهاب ، فترى مساجدهم وقد خلت من الزخرف ، وقبورهم ولا قباب فوقها . هم يوحدون الله ولا ينسولون الى سواه . وكانوا في تلك الايام يدفعون الزكاة للامام في الدرعية ، مثلما يدفعونها اليوم للسultan عبد العزيز .

اما قاعدة هذه المقاطعة أيها ، التي تعلو سبعة الاف وثلاثمئة قدم عن البحر ، فهي قائمة على رأسي وادي ضلاع ووادي شهران ، في جبل سراة بين اكام وقسم تنتصب كالجواس حولها . وهي مؤلفة من ثلاثة قري

او احياء منفصلة بعضها عن بعض ، ولا اسوار لها . انما تحوط بها ثمانية قلاع صغيرة - مفاتيح - تسع الواحدة عشرة من الجنود .

وحول أيها القبائل التي كانت في الماضي تحارب بعضها بعضاً ، وتحارب الترك ، وتحارب نجداً والحجاز . ولكنها اليوم موثقة بعري السيادة السعودية ، متأخية في التوحيد الديني والسياسي . حول ايها بنو مغيط ، وبنو دليم ، وبنو مالك ، وبنو زيد . وشمالاً منها بالأسمر وبالأحمر وبنو شهر ، وشرقاً خميس مشيط ^(١) قاعدة زهران .

وفي هذه الناحية وادي شعاف الذي يقطنه آل يزيد ، ومنهم آل عائض الذين يدعون انهم من سلالة معاوية بن ابي سفيان ، وانهم نزحوا الى عسير بعد سقوط الدولة الاموية في الشام . ولكنهم لم يكونوا قبل الفتح السعودي امرأء في عسير . وعندما امر سعود الكبير في هذه الجبال رجلاً يدعى ابن مجتل كان عائض جد الاسرة من الرعاة . ثم جاءت الجنود المصرية . وجاء محمد علي بنفسه يقود الحملة على اهل عسير ، فكان آل يزيد من المتقدمين المستبسلين في القتال ، وكان عائض بطل آل يزيد فامره ابن مجتل مكانه ، وكتب الى ابن سعود يوصيه به فائتبه في الامارة . ثم خلفه بعد وفاته ابنه محمد - محمد الفاتح - الذي بسط سيادة آل عائض في ما دون البصرة من البلدان ، فوصل شرقاً الى بيشة ، وشمالاً الى حدود الحجاز ، وجنوباً بغرب الى الخافي تهامة .

وكانت قد ترعرعت في عهده سيادة آل سعود ، وعادت الدولة العثمانية الى اليمن ، فبعثت على عسير حملة بقيادة المشير رديف باشا الذي قتل محمد بن عائض غدراً . ثم تأسست متصرفية عسير ، وظلت الدولة تحافظ على نفوذ آل عائض وتستعين به ، بل كانت تعين احد امرأه هذه

(١) خميس مشيط هي على مسافة خمسة عشر ميلاً من ايها وهي في طريق الحاج الياضي الذي يجتمع فيها بحجاج عسير ويسيرون جميعاً الى مكة .

الاسرة معاوناً للمصرف . وآخر من تولى هذه الوظيفة منهم هو حسن بن علي ، حفيد الامير محمد ، الذي عينه في سنة ١٩١٣ المتصرف سليمان شفيق كالي بامنا .

ثم شبت الحرب العظمى ، وجلال الترك عقب الحرب عن عسير ، فتولى حسن الامارة واستقل بها . بل كان مستبداً ظالماً ، فنفرت منه القبائل خصوصاً قحطان وزهران ، وارسلت وفودها شاكية الى ابن سعود . فبعث عبد العزيز اليهم بستة من علماء نجد وكتب الى الامير حسن والى رؤساء قحطان وزهران ينصحهم بالمسالمة ويدعوهم للرجوع الى ما كان عليه اجدادهم .

ولكن الامير حسناً استمر في سياسته ، فابى نوسط العلماء ، وردهم مكابراً . - « اذا كان ابن سعود يتدخل في شؤون قبائل عسير فنستشي الى بيثة النخل (قلعة بيثة) ونستولي عليها » .

عندئذ ارسل السلطان ابن عمه عبد العزيز بن مساعد بن جلوي (امير حائل والجوف اليوم) ومعه الفان من الجنود ، وامره بأن يدعو ابن عائض اولاً للسلم فيكون مع ابن سعود كما كان اجداده الاولون .

مشى ابن مساعد في شعبان سنة ١٣٣٨ (مايو ١٩٢٠) وعندما دنا من ابها في الشهر التالي كفاه ابن عائض مؤونة الدعوة للسلم فخرج اليه بجنوده وتصادموا في مكان يدعى كحجلة بين العاصمة وخميس مشيط ، فكانت الواقعة شديدة ، وكانت الهزيمة على اهل عسير .

ثم دخل جيش ابن مساعد ابها ، وواصل سيره غرباً بجنوب فاستولى على السراة وغيرها من النواحي التي تتصل بمحدود السيد الادريسي . وكان الادريسي موالياً لابن سعود فأمر بعض آل العائض الفارين^(١) ورجع حسن وابن عمه محمد الى ابن مساعد مستأمنين مستسلمين ، فأمنها

(١) اخلى بعدئذ سبيلهم اجابة لطلب السلطان عبد العزيز .

وارسلها الى الرياض حيث اقاما شهراً بضيافة السلطان ، واتفقا وابتدا على ان يكونا معه كما كان اجدادهما مع اجداده .

قال عبد العزيز : « ما نخلينا ابداً عنكم يا اهل عائض . وعند ما سأل الترك الشريف عبدالله بن عون ان يهاجمكم وينكثل بكم ، ارسل الشريف يستنجد عني الامام عبدالله فاجابه : ابن عائض رجل منا فكيف نساعدك عليه ؟ »

ثم عرض اماره عسير على حسن بالشروط التي تقيد بها اجداده فرفضها قائلاً : « قد عادينا الناس ونخشى اذا امرتنا ان نقوموا علينا . ولكننا نكون معاوين لمن يؤمرون ايدكم الله . ولا نقصروا عنا من جهة الدنيا » .

لم يقصر ابن سعود . فقد اعطاها خمسة وستين الف ريال (٦٥٠٠ ابرة ذهباً) وخصها واهلها بالمشاهرات المالية .

عاد الاميران الى بلادهم راضين مغبوطين ، فاقام محمد في أبيها عند حاكمها وكانت سيرته حسنة . اما حسن فاستأذن بأن يسافر الى حرملة ببلده ليحيى بعائلته الى العاصمة فأذن له بذلك . ولجئته عندما وصلها تمتع فيها وشرع يفسد الدسائس على ابن سعود .

ثم مشى ، بعد فتنة اثارها ، بقوة من قومه على أبيها ، فحاصر الامير فيها عشرة ايام ، واضطره الى التسليم ، فسلم ، فأسر في خميس مشيط .

وكان قبل ذلك قد جازف هذا الامير بسيادة ابن سعود في بني شهر المقربين من الديوان الهاشمي بمكة . فقد كان لابن سعود عامل في تلك الناحية ارسل مرة مع احد رجاله مالاً الى امير أبيها . فقتله بعض العربان وسلبوا المال ، فارسل الامير الى بعض الاخوان من قحطان يأمرهم بمهاجمة بني شهر . هجم الاخوان عني ادنى اولئك العربان منهم ، فاشتبكوا واباهم في القتال وكانت الغلبة عليهم . وكانت الملك حسين

يستنهض بني شهر ليكونوا وابن عائض يداً واحدة على ابن سعود ،
ويتدهم بالذخائر وبالمال ، فتفارق الامر ، واشتد الخطر على البيادة النجدية
في عسير .

استمرت هذه الحال ما يقرب من شهرين . وبعد سقوط حائل
ببضعة اشهر جهز السلطان عبد العزيز ابنه فيصلاً بحملة على عسير مؤلفة
من ستة الاف من جنود نجد ، من الاخوان ، واربعة الاف من عرب
قحطان وزهران انضموا اليهم عندهما دخلوا تلك الجبال .

مضى فيصل في الشهر العاشر من عام ١٣٤٠ (يونيو ١٩٢٢) فلما
وصل الى بيشة كان بنو شهر زاحفين اليها يريدون مهاجمتها ، فامر فيصل
بابتداء القتال ، فهجمت عليهم كتيبة من الجيش فقتلت مئتين منهم وشنت
الباقيين .

وكان محمد بن عائض مرابطاً بجيشه في خميس مشيط . فعندما علم
بدنو فيصل تقهقر الى حجة ، فتفقت سرية من الفرسان ، فتراجع وجنوده
الى ابا بدون قتال .

سألت الامير : « وهل كان في ابا عند ما دخلتموها » فقال : « ما
وجدنا فيها غير الكلاب والحريم » . فرآل عائض وقومهم ، وفر معهم
هارباً من استطاع . فارسل الامير فيصل يؤمن الناس بشرط ان يسلموا
« شوكة الحرب » فسلم فريق من الذين كانوا ثائرين ، وظل فريق مع
الامير حسن الذي لجأ الى بلدته حرمة وتحصن فيها .

وحرمة هذه هي في معقل من الجبال يستحيل ارتقاؤها الا من
منافذ معلومة لا يعرفها غير اهلها . كان آل عائض في محاربتهم الاثراك
يلجأون اليها ، وهي بلدتهم وحصنهم المنيع منذ القدم . اما الامير محمد
فقد هرب الى القنفذة ومنها سافر الى الحجاز ليستنجد الملك حينئذ ،
فانجده بحملة صغيرة يقودها الشريف عبدالله بن حمزة الفعر ومعها مئتان

من الجنود النظامية وبعض المدافع والرشاشات بقيادة الملازم حدي بك^(١).
جاءت الامير فيصل اخبار العائضين ، فارسل على حسن في معقله بحرملة
سرايا من الجيش ، الواحدة تلو الاخرى ، وبعد تذايل العقبات ، ومعركة
دامت ست ساعات ، استمر الاخوان في التصعيد حتى وصلوا حرملة
فلم يجدوا حسناً فيها ، فهدموا قصورها وحصونها وعادوا الى اباها .

وكان الامير قد ارسل قوة من الجيش الى نهاية لمحاربة القادمين
من الحجاز . ولكن نهاية كانت على الاخوان اشد في حررها واحتياها
من صخور حرملة ، فلم يعمروا فيها ، بل عادوا منهزمين - هزمتهم
الحى - الى الجبال ، فتفقد جيش الحجاز اثرهم .

اما القيادة في ذلك الجيش فقد كانت مقسومة غير متفق عليها . قال
الشریف عبدالله بن حمزة بنحطة في السير ، وقال حدي بك قائد الجنود
النظامية بنحطة اخرى . ولكن الكلمة الاخيرة كانت للشریف فشى
بالجيش في الطريق التي جذره منها حدي بك .

وكان ذلك من حظ الاخوان التامين على نهاية ، الطالبين النار من
الجيش الذي جرهم اليها ، اذ ما عشم ان وقع الشریف عبدالله في الشرك ،
فاساط به اهل نجد وكادوا يفتنون جيشه بالرصاص وبالسيوف . نجا القائدان
بقسم من رجالهما البدو والنظام ، ولاذوا ببارق ، فتعقبهم الاخوان ،
ففرروا منها منتحدين الى نهاية ، متقهقرين الى القنفذة .

وبعد فرار العائضين حسن ومحمد^(٢) وهزيمة الجيش الحجازي ، أمر
الامير فيصل في ابا ابن عفيصان^(٣) واقام فيها حامية عددها خمسة
جندي . ثم عاد بما بقي من جيشه الى الرياض ، فوصلها في ٢١ جمادى الاولى
١٣٤١ (٨ يناير ١٩٢٣) يوم كان مؤلف هذا التاريخ هناك .

(١) هو اليوم قائد الحامية في ينبع .

(٢) هما اليوم في الرياض

(٣) يظهر ان آل عفيصان عرب يقعون في الولاء لآل سعود ، مقربون منذ القدم
منهم . جاء في تاريخ البحرين ان عندما استنجد آل خليفة الامام عبد العزيز بالدرعية على
اهل الزبارة بقطر انجدهم بجيش يقوده ابن عفيصان

الفصل الرابع والثلاثون الاخوان في العراق

عندما وصل سعود الكبير سنة ١٢٠٥ هـ (١٧٩٠ م) الى الجبل والجوف في فتوحاته ، دخلت شمر الاقلياً منها في المذهب الوهابي خلوه من الزيادات في العبادات ، واملاً بالتخلص من الحكم العثماني . على ان ابنا الجبل لا يشبهون في النزعة الدينية اهل العارض ، فلم يؤثر المذهب الجديد في عصبيتهم الشمرية . ولا أثر فيها التزوح الاول الى العراق ، عندما اجلى ابن سعود « الجربا » وعشيرته من الجبل ، في العقد الاخير من القرن الثامن عشر .

ظلت شمر من اكبر قبائل العرب عداءً ، وارسخهم في القومية ، وابسلهم في القتال . وقد كانت في الشطر الثاني من القرن التاسع عشر ركن ملك ابن الرشيد ، ونار علمه ، وآية عزه ونصره .

اما الدعاوة المذهبية في الجبل ، في بداية هذا القرن ، فقد اختلفت بامرئ عما سبقها في بداية القرن الماضي ، او انها تنزهت عن امر هو ديني وتخلصت من آخر هو سياسي . لم يكن في الجبل من يكره الناس بالمذهب الوهابي الحنبلي في حملاته القضيعة على « المشركين » . ولم يكن للدولة العلية . في الرابع الذي ولى من هذا القرن ، ما كان لها من الشوكة في الممالك العثمانية ، ومن الهبة والنفوذ في العالم الاسلامي . فلم تتمكن السياسة التركية الاسلامية من مقاومة الدعاوة الوهابية ، خصوصاً لان تلك الدعاوة كانت في الاجمال سلمية . فقد مشى المطاوعة الى الجبل قبل ان يزحف اليه الاخوان .

وعندما كثرت الهجرة الى العراق ، خصوصاً من قبيلة عقيد



جيش الحجاز النظامي



حسين العويني



احمد مدانخل الرياض عاصمة ساجطان نجد



المالك عبد العزيز سعود في مؤتمر العقير

امير الزبيري في خيمته في مؤخر العسكر

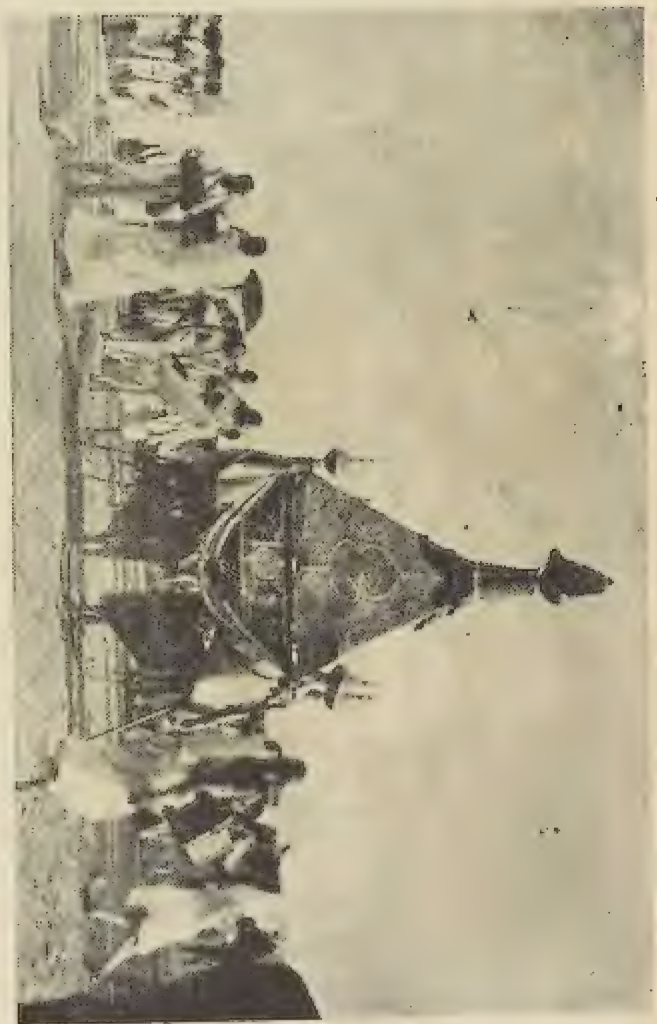




الملك علي بن الحسين في « الورشة » بجدة امام إحدى
المصنعات سنة ١٩٢٧



بيت الشيخ محمد فاضل الذي كان ينزله الملك عبد العزيز
كلما جاء الى جدة



الجمال العربي

الشهرة بسبب ما تكرر في بيت الرشيد من الجرائم السياسية الفظيعة ، تعددت عوامل التفكك في شهر ، فضعفت تلك العصبية التي كانت ركن الجبل وصيف ابن الرشيد ، ولم تحل محلها عصبية مذهبية لان اهل الجبل لا يغالون في الدين كما قلت مثل اهل العارض .

ولكن السياسة كانت تستمر ما تبقى من العصيتين . فالذين فروا من الجبل الى العراق ، قبل حصار حسائل ، دخلوا هناك في العشائر المعادية لعشائر نجد واشتركوا في الاغارات التي تكررت عليها . والحق يقال ان الفوضى اثناء الحصار ضربت على حدود العراق اطرافها . فعجزت عن مكافحتها حكومة بغداد الجديدة الضعيفة ، وشغلت حكومة نجد عنها في الحرب .

اجل ، قد تكررت الاغارات من العشائر بعضها على البعض الآخر . وكان عربان المنتفق والظفير يسطون خصوصاً على عشائر نجد ، فيكتب السلطان عبد العزيز الى حكومة العراق يستوعى نظرها للامر ، ويطلب ان يُردع الاشقياء ، وتورد المنهوبات التي سُبِّت من عشائره .

اما هذه المنهوبات فكان اكثرها عند الظفير ، وشيخها نافر من تلك الحكومة الجديدة ، بل خارج عليها ، فلم تملك قياده ولا كان لها في عربائه الامر المطاع . وقد كان ابن صويط على عداوة قديم وابن السعدون يوسف بك المنصور ، والاثنان عدوان لابن سعود ، فقامت حكومة العراق تنفر في سياستها واحداً منها اليه .

قال السير برسي كوكس^(١) في تقريره الى الحكومة البريطانية : « لم تكن العلاقات حسنة بين حكومة العراق وشيخ الظفير حمود بن صويط ،

(١) Sir Percy Z. Cox عندما اعادت الحرب العظمى انتدب السير برسي كوكس رئيساً للحكم السياسيين لفرقة D من الحملة الهندية لفتح العراق . ثم عين بعد ثورة ١٩٣٠ مندوباً سامياً لحكومة بريطانيا العظمى في العراق راجع « ملوك العرب » الجزء الثاني صفحة ٣٣٥ وما يليها .

وقد أمسكت عنه المشاهرات لانه لم يردع عشائره عن الغزو والاعتداء .
ومن سؤ الخط ان الملك فيصلاً عين في هذا الوقت يوسف بك السعدون
قائداً لفرقة المهجاة على الحدود ، وبينه وبين ابن صويط عداوة قديم ،
فاهاج ذلك خاطر شيخ الظفير الذي رحل الى الرياض . وقد كتبت الى
ابن سعود اسأله الا يستقبله لان حكومة العراق غير راضية عنه .

ولم يكن ابن سعود راضياً عن حكومة العراق ، لاث تعيين
يوسف بك السعدون قائداً لفرقة المهجاة لم يكن على ما يظهر للدفاع
فقط ، بل شملت مهمته النظر في شؤون البوادي التي تسرح وتمرح على
حدود البلدين نجد والعراق .

ولاسباب اخرى قد رجب السلطان عبد العزيز بشيخ الظفير ابن
صويط عندما جاءه مستغفراً ، واعطاه الامان على شرط ان ترد عربانه
كل ما نهبت من اهل نجد ، وان لا يشل العفو غيرهم من المذنبين . ثم
اجزل له العطاء ، وارسل معه احد رجاله عبد الرحمن بن معمر للتأمين ،
ولجمع الزكوة من اهل الظفير المستسلمين .

وفي جمادى الثانية من عام ١٣٤٠ (فبراير ١٩٢٢) نقل يوسف بك
السعدون بفرقة المهجاة الى ابي الغار ، على مسير يوم من سوق الشيوخ
غربي سكة الحديد بين البصرة والناصرية ، فزاره المتصرف هناك ، وامر
العربان بان لا يؤدوا الزكوة الى ابن سعود .

اما ابن سعود فعندما علم بمشي السعدون امر فيصل الدويش في
الارطاوية بان يمشي الى الحفر ويعسكر هناك للدفاع عن عشائر نجد .
وكان ابن صويط قد بدأ يتفقد في عربانه اوامر ابن سعود ، فقصاه
واحد من المتقدمين فيهم اسمه ابو ذراع ، وبخروج الى آل طوالة ، من
شجر العجاة ، وشرع يشن الغارات واباهم على عشائر نجد . علم الدويش
بذلك ، وهو على الحفر ، فشد على ابن طوالة وابي ذراع .

وكان يوسف بك السعدون قد زحف بهجائته على ابن حويط ومن معه من رجال ابن سعود ، فنزل ليلة ذاك النهار في مكان قريب من مناخ ابي ذراع وابن طوالة .

فهبهم الدويش على عذير الزعيمين ورجالهما فغلبهم وغنم اموالهم ، فبادرت هجاة يوسف بك الى الدفاع عن المغلوبين ، فما علموا ان صاروا مثلهم . ضربهم الدويش دفاعاً ، فانقلب الدفاع هجوماً ، لان الاخوان المنتصرين ظلوا ماشين الى ابي الغار ، فدخلوها في ١١ مارس ونهبوها . ثم تأثروا جيش السعدون فادركوه في شقراء ، التي تبعد عشرين ميلاً من ابي الغار الى الجنوب ، فضربوه ضربة ذهبت باكثر اولئك الهجاة وسقت الباقين . وقد نخم الاخوان في تلك الناحية بضعة ايام ، فضجت كربلا والنجف ، ضج العراق باجمعه .

على ان الحكومة الانكليزية فعلت بالدويش وجنوده ما فعلته سابقاً في الصبيحية بالكويت . ارسلت عليهم الطائرات ، ومن الطائرات القذائف المدمرة المبددة .

ثم تبادل المندوب السامي السريبرني كوكس والسلطان عبد العزيز رسائل الاسف . قال حضرة المندوب : « لا تؤاخذوا طياراتنا . ولكن لا مبرر لهجوم الاخوان على عشائر العراق » .

وقال عظمة السلطان : « لا تؤاخذوا الاخوان . ولكن التبعة على الحكومة التي لا تستطيع ان تكبح جماح العشائر ضمن حدودها . هذا جزء الضعف والاهمال » .

وبعد هذا الحادث عقد مؤتمر المحمرة لتسوية الخلاف بين البلدين ، فحضره احمد ابن ثنيان من قبل السلطان عبد العزيز ومندوبان من قبل الحكومة والمفوضية في بغداد . ولكن السلطان لم يصدق على ما قرر هناك ، فعقد المؤتمر الثاني بعد بضعة اشهر في العقير .

الفصل الخامس والثلاثون

مؤقر العقير

على كتيب يحدج اخليج بعينه العسليه ، الى جنوب القصر بالعقير ،
لحسن خلون من ربيع الثاني عام واحد واربعين وثلاثئة والـ (٢٨) نوفمبر
١٩٢٢) نصبت الحيام للمؤقر . فكان قسم منها ، وهي البيضاء الحرمية
المزركشة من الداخل بالآيات والرسوم ، الى الجانب الشرقي لوفد العراق
واللانكايين ، والقسم الاكبر واكثره من بيوت الشعر الى الجانب الغربي
لاهل نجد من المرافقين عظمة السلطان عبد العزيز . وكان سراق عظمته
مقابلاً لسراق الاجتاع ، في الخيم الاوروني ، وبينهما نحو مئتي متر من
الرمل . وتحت سراق الاجتاع سراق الطعام ، ووراء المطبخ ، وإلى
جانبه قافلة من الجمال وقد انشئت باحمالها .

وكانت شمس العقير فاترة لا تحفف هواء العقير . وهواء العقير ،
وهو رطب كثيف ثقيل ، لا يصلح مزاج من جاء ، ومزاجه معكر ،
ليصلح مجاري السياسة بينه وبين جيرانه .

وكان السلطان عبد العزيز قد علم في الطريق من الحسا بقدم فهد
الهدال شيخ العبارات مع المفوض السامي السريسي كوكس ، فعاظه
ذلك ، لانه لم يجيء العقير لحل مشاكل العشائر . وقد كان فوق ذلك نافماً
على الشيخ فهد ، لانه ازل عرب شمر الذين فروا من الجبل في انشاء
الحصار حائل .

فكتب اليه يذكره بأنهم من رعاياه ، وان عرب عنزي - والعبارات
منها - هم ابناء عم ابن سعود ، وانهم لا يأوون اعداءه ، ولا يساعدونهم
عليه . - بل انت يا فهد وعشائركم من رعايانا ، ولك علينا حق الحماية

المهم اذا كنت من الخالصين . ولكن فهدأ بفضل على ما يظهر الحماية الانكليزية ، وقد جاء محتجياً بالمندوب السامي لئلا يترضي السلطان عبد العزيز .

قال عظمتة المؤلف : « نحن دعونا السربسي كوكس الى العقير للنظر واياه في امرين - الاول الشريف واولاده ، والثاني الاتراك الطامعون الان بالموصل . اما مسألة العمارات والظفير فخطها لا يستوجب مجيئنا الى هذا المكان » .

ولكن السربسي اغتم هذه الفرصة ليعيد البحث في اتفاق المحمرة ، ويحدد الحدود بين نجد والكويت ، وبين العراق ونجد ، فجاء ومعه فريق من السياسيين والاختصاصيين وكتبة السر والخدم .

وصل اليخت الذي اقلهم من البحرين في مساء اليوم السابع من ربيع الثاني ، فامر السلطان بارسال الخيل الى الوصيف ، وتزل هو وحاشيته يلاقون الوفود . ثم عادوا بعد نصف ساعة الى الخيم ، فترجلوا امام سرادق الاجتماع الذي أنير بانوار « اللوكس » .

وبعد ان استقروا بالمجلس « اعتذر المندوب السامي لانه ابطأ في السفر ، فقبل السلطان العذر ، وشرع يفصح عما كان يتقد في صدره ، فجاءت الكلمة الاولى قبلة زعزعت المكان - « انا لا اخشى الا الرجل الذي لا شرف له ولا دين » . ثم قال : « لا ندرى باحضرة المندوب ما خفي من المقاصد ولكننا نرجو منها الخير . وما نعلم علم اليقين ان العشائر ، خصوصاً عشائر العراق ، لا ترتاح الى حكومة قوية ، بل لا تبغيها . لان الحكومة اذا كانت قوية تضربهم وتؤذيهم . اما اذا كانت ضعيفة فليسترضيهم كما هي الحال اليوم . العشائر باحضرة المندوب لا يفهمون الا بالسيف . فهم اذا عاملتهم بالحسنى يتحكمون بالحكومة . اشبهوا السيف برتدعوا ، يتأدبوا . اغمدوا السيف ينهبوا ، ويقتلوا ،

ويتقاضونكم فوق ذلك المشاهرات .»

فاه عظمت هذه الكلمات وهو مدير ظهوره لفهد الهدال . ثم مال بوجهه اليه وقال مبتسما : « أليس كذلك يا فهد ؟ » حنا « نعرف بعضنا فضحك كل من كان في المجلس ، الا شيخ العمارات الذي كان يحدق نظره في السجادة ، ثم يرفعه جلسة الى المندوب السامي ، كأنه يقول : لا بارك الله ساعة جئت فيها معك » (١)

هذه اول جلسة ، وان كانت غير رسمية ، من مؤتمر العقير ، تبعها جلسات خصوصية بين السلطان والمندوب السامي ، وجلسات عمومية حضرها رئيس وفد العراق صبيح بك نشئت ، والوكيل السياسي الميجر مور في الكويت ، والشيخ فهد الهدال . وكان الكتاب والمتوجهون ، والاختصاصيون من العرب في معرفة الابار والطرق والمراعي ، يؤمون خيمتي الصغيرة من حين الى حين .

اعود اذن الى مذكرياتي في تلك الايام .

في ٨ ربيع الثاني ١٣٤١ (٢٨ نوفمبر ١٩٢٢)

اجتمع صباح اليوم السلطان والمندوب السامي ، فخرج المندوب وفي جيبه تقرير طويل باللغة العربية ، سألتني عندما زرته بعد نصف ساعة في خيمته ان اترجمه له . هو تقرير يتعلق بقبيلتي العمارات والظفير كان قد اعدّه السلطان لمندوبيه في مؤتمر الحمرة ، وهو مكتوب في صورة السؤال والجواب . اذا سألك كذا وكذا ، اجب كذا وكذا . واذا الح المندوب الانكليزي في امر من الامور ، أسأله اذا كان يتكلم بلسان حكومته او بلسان حكومة العراق . فاذا كان بلسان حكومة العراق فالجواب هو اننا لا نتساهل بحقوقنا . واذا كان بلسان حكومة

(١) مقول من « ملوك العرب » . ومن شاء الزيادة فليراجع الفصلين الثامن والتاسع من القسم الخامس . الجزء الثاني .

بريطانية فجواب: اكراماً لحكومة بريطانية . هذا اذا كان من الامور
الثانوية . اما اذا كان من الامور الجوهرية ، فالجواب هو اننا لا نسلم
الا مكرهين . والحكومة البريطانية تفهم ان عاقبة الاكراه وخيبة .
قرأت ما تقدم وترجمته كلمة كلمة ، فلم يظهر السر برمي شيئاً من
الاكترات ان للسلطان عبد العزيز مفاجآت مزعجة . . .
« اذا سألك عن العبارات قل انها من عتري ، وعتري كلها من ابناء
غم ابن سعود ومن رعاياه »

السر برمي : « عتري العراق (اي العبارات) تفضل ان تكون من
رعايا العراق . اما عتري سورية^(١) فقد تفضل ان تكون من رعايا ابن
سعود . وله ما يشاء فيها » .

اضحكتني هذه الكلمة من السر برمي . فكانه يقول : الذي عندنا
هو لنا ، والذي عند غيرنا ، عند الفرنسيين ، هو لك يا عبد العزيز اذا
استطعت ان تستولي عليه .

في ٩ ربيع الثاني (٢٩ نوفمبر) .

قد زل اليوم المندوب السامي . فبعد جلسة طويلة وعظيمة السلطان
استدعى اليه عبد اللطيف باشا المنديل ، احد المستشارين يومئذ لعظمته ،
ففاوضه مفاوضة استمرت نصف ساعة ، واعطاه صورة كتابين ، كتبها
بقلم الرصاص وباللغة الانكليزية ، ليسلمها الى السلطان . فارسل عظمته
يدعوني الى القسطنطينية . وما يوسف له في مثل هذه الحال ان لا يكون
للمندوب السامي ولا للسلطان ترجمان يحسن الترجمة . فالكليزية الدكتور
عبد الله ، مثل عربية الميجر دكسون ، لا تصلح الا لهم .

ترجمت الكتابين . وكان السلطان اثناء الترجمة يتوزحزح في مجلسه
ويضرب السجادة بعصاه .

(١) اي الرولة وهي تلفظ أرولة

١ - الكتاب الاول ، الذي يسأله المندوب كتابته ، هو الى الملك فيصل جواباً على كتاب من الملك يفترض وصوله . وفي هذا الكتاب يقول : بناءً على تعهدات الحكومة البريطانية في معاهدتي وايها اقبل الاتفاق الذي عقد في مؤتمر المحمرة .

٢ - الكتاب الثاني يكتبه الى السربرسي كوكس ليخبره بالكتاب الذي كتبه الى الملك فيصل . ويزيده علماً بان واحدة من التعهدات المذكورة في ذلك الكتاب تتعلق بالمادة الثانية من المعاهدة (١) وفيها ان الكلمات « ابة دولة اجنبية » يجب ان تشمل ايضاً حكومات الحجاز والشرق العربي والعراق . اي ان الحكومة البريطانية تعهد ان تحمي بلاد نجد ، اذا ما تعدت عليها احدى هذه الحكومات الثلاث .

قال السلطان وهو يتميز غيظاً : « ومن قال للمندوب السامي ان ابن سعود يخاف الشريف واولاده - لا والله . » « حنا » في غنى عن الحماية ، اذا كان المعتدي علينا من العرب . »

وقد ساءه خصوصاً ان يقول له المندوب ، بقلم من الرصاص على قصاصة من الورق ، ماذا يجب ان يكتب الى الملك فيصل او الى الحكومة البريطانية .

دخل وانا اتوجم الكتابين بعض رجال السلطان ، فأوما اليهم ان اخرجوا ، فاستمروا ماشين في القسقاط ، وخرجوا من الباب المقابل للباب الذي دخلوه ، فاستأنف عظمتهم الحديث . ثم هتف قائلاً : « لا تخاف الا الله » .

وكان المؤذن ساعتي يؤذن صلاة الظهر ، فنهض يابى الدعوة وهو يقول : « سنصلي سنصلي » .

(١) المعاهدة المقصودة بهذا الكلام هي معاهدة دارين اي معاهدة ١٩١٥ التي التبت بمئذنة دفع مئة وستين الف ليرة لابن سعود

في ٩ ربيع الثاني (مساءً) .

رفض السلطان بتاتاً ان يكتب الكتابين اللذين اشار بكتابتهما المندوب السامي .

في ١٢ ربيع الثاني (١ ديسمبر) .

قد تم الاتفاق بين السلطان ومندوب العراق على الحدود النجدية العراقية ، وتقرررت بقعة الحياد بين البلدين ، بقعة تدعى العونية فسيت هذا قطعة بقلادة ، لانها في شكلها مربع شبيه بالمعين Rhomboid (راجع الخارطة) وفي هذا التحديد تقرر ايضاً مصير العبارات والظفير الداخلتين في ارض العراق ، المعدودتين الان من عشائره .

يظهر ان السربرسي اقنع السلطان او انه ارضاه بما يقابل تنازله عن هاتين القبيلتين قطعة بقلادة للجميع ! ومن يكبح جماح القوي اذا رد عنها الضعيف ؟ - بقعة خصبة للرعى ، وفيها آبار عديدة ، لا هي لكم يا عرب العراق ولا هي لنا . ولصكنا اذا ارتدناها مسلحين ، ولم يكن فيها ما يكفي غير مواشينا من الماء والكلاء ، فمن ذا الذي يردنا عنها ، ومن ذا الذي يستطيع ان يحرمنا ؟ .. انه اصلح صغير - مثل الذي كان يعقد في بعض الاحايين بين ابن سعود وابن الرشيد . وليت شعري هل في لوزان اليوم يعقدون صلحاً صغيراً ام كبيراً ؟

في ١٣ ربيع الثاني (٢ ديسمبر) .

وقد تم الاتفاق بين السلطان والمندوب السامي والوكيل السياسي في الكويت الميجر مور على بقعة حياد بين البلدين ، لتقي عربان الكويت وعربان نجد شرء التصادم . وهل يدري العربان بالمعاهدات ؟ وهل يحترمونها اذا ما اجذبت الارض وخرجوا كلهم « ينشدون الحيا » -

(١) مؤتمر لوزان ومؤتمر العقير عقدتا في وقت واحد . ولكن الاول استمر بضعة اشهر والثاني انتهى في خمسة ايام .

يطلبون المرعى والماء؟ هو صلح آخر صغير. وقد يدوم مع ذلك أكثر من صلح العراق... علمت ان السلطان طلب توسيع حدود الجوف لقاء تنازله عن العبارات والطفير، وان السر برسي وعده بذلك.

في ١٣ ربيع الثاني (مساء) .

من بشار الخير في هذا المؤتمر للبلاذ العربية كتاب كتبه الملك فيصل بخط يده الى السلطان عبد العزيز، الى « اخي العزيز » وارسله مع رسوله الخاص عبدالله بن مسفر جار فهد الهذال في التميم الاوروي. الكتاب مديج بارق العبارات الولائية، وفيه ما يدل على ان جلالة الملك يرغب رغبة حقيقية في الصلح ليس بين العراق ونجد فقط بل بين نجد والحجاز. فهل ينهد فيصل خطة والده؟ وهل يستطيع ان يوفق بينه وبين السلطات عبد العزيز؟ ها هنا اساس الصلح الكبير والسلم الثابت في البلاد العربية. سنبدي لك الايام ما كنت جاهلاً :

وجواب السلطان على كتاب الملك يني بالخير... عسى ان يتوفقا الى اجتماع شخصي خاص... اني متيقن ان السلطان عبد العزيز راغب في ذلك. ولكنه في الوقت الحاضر منحرف المزاج، وقد طالت اقامته في الحساء. فهو ينبغي الرجوع الى الرياض. ولا بأس اذا بحث بسر واحد من اسرار الملوك. ان هناك رغبة في الاجتماع بدون واسطة الحكومة البريطانية.

في ١٤ ربيع الثاني (٣٠ ديسمبر) .

آخر ما ترجمه لعظمة السلطان صورة برفية ارسلها السر برسي كوكس الى المستر تشبرشل (يومئذ وزير الخارجية) يقول فيها ان ابن سعود طلب ان تكون قريات الملح في الجوف تابعة لتلك الناحية وبالتالي لنجد. وهو اي السر برسي يشير بالقبول، بل يقول : اكدت لعظمته ان ذلك

يكون مقبولا لدى حكومة جلالة الملك^(١).

* * *

نأخذ من ابن سعود لتعطي العراق، ونأخذ من شرقي الاردن لتعطي
ابن سعود، ونأخذ من الحجاز (العقبة) لتعطي شرقي الاردن - ومن
نأخذ لترضي الحجاز ؟

(١) بموجب اتفاقية حذاء بين نجد والشرق العربي المبنية في الملحق قد شئت
قريات المنع الى الجوف .

الفصل السادس والثلاثون

النكاس - والذي يوسوس في صدور الناس

بعد بضعة اشهر من مؤتمر العقير نكس مريض الجزيرة ، نكس السلم ، والسبب في النكاس مكروب الغزو الذي ظن المتعاهدون انهم استأصلوه . ولكنهم بنجوه فقط . فافاق بعد اربعة اشهر ، ونشط الى العمل مباشراً في العراق ، او بالحري على حدود العراق ونجد .

قد يذكر القاريء ما قلناه في عرب شمر الذين لجأوا الى العراق بعد احتلال حائل . وقد يذكر ان في العراق من هذه القبيلة الكبيرة من نزحوا الى ذلك القطر قديماً ، وهم يعدون من اهله ، واكثرهم ينزلون ما بين النهرين قرب الموصل .

وهؤلاء العشائر ، وفي مقدمتهم آل عبده التابعون لشيخة عجيل الياور الذي تحضه الحكومة العراقية بالمشاهرات المالية ، كانوا يرحبون باخوانهم الفارين من نجد ويشاركونهم في شن الغارات على قبائل ابن سعود . قد تخلل هذه الغزوات فترة سكون عقد فيها مؤتمر العقير . ثم عادت تلك العشائر بعد اربعة اشهر ، اي في صيف عام ١٩٣٣ ، تفسد ما اصلحه المصلحون ، وتحاول في غزواتها المتتالية ان تقضي على السلم في القطرين العراقي والنجدي . فكتب عظمة السلطان الى المفوض السامي والى جلالة الملك فيصل يلفت نظرهما الى هذا الامر ويحذرهما من عواقبه . بل طلب من الحكومة مراراً ان تردع المجرمين ، وترجع ما نهبوه من اهل نجد . وقد نشر في الكتاب الاخضر النجدي اجوبة اولي الامر هناك ، وفيها ما يثبت دعوى حكومة نجد ، بل فيها الدليل على عجز حكومة العراق - عجزها يومئذ - عن تنفيذ ما رآته واجباً عليها .

قال جلالة الملك فيصل في جوابه : « قلقت كتابكم المرسى مع خادمكم الأمين عبد العزيز الرباعي فكان اعز واصل . . . اما من خصوص التفاوض فقد اجرينا اللازم واخبرنا حامله شفاهاً بما يسهل الامور » .

وقال وزير الداخلية (يومئذ عبد المحسن بك السعدون) في كتاب ارسله الى المفوض السامي :

« قد اصدرت الاوامر الى متصرف الموصل لكي يرسل رؤساء شمر نجد وخصوصاً اولئك الذين استركوا في هذه الغارات . . . وقد وعد الشيخ عجيل الياور باسترجاع الاموال المنهوبة ، وتعهد بقبول المسؤولية عن وقوع الغارات في المستقبل » .

ثم كتب معالي الوزير الى متصرف الموصل كتاباً شديد اللهجة جاء فيه : « ان التأثير الذي يتجم عن هذه الغزوات يفضى ابن سعود . فان لم تتخذ الاجراء المستعجل فأقل ما ينتظر هو حدوث غزوات جسيمة مقابلة لذلك ^(١) وما لا يطاق احتمالها اتخذ شمر العراق مركزاً لحركاتهم الحربية على ابن سعود » . فالحكومة عازمة على اتخاذ التدابير لكبح جماحهم ولطردهم اذا اقتضى الامر .

وكان قد كتب عبد المحسن بك الى المفوض السامي يسأله اذا كان في وسعه « مساعدة الحكومة العراقية بالعمليات والسيارات المدرعة اذا كانت القوات الموجودة لديها غير كافية » .

ولكن عجز الحكومة العراقية لم يكن سوى مظهر من عجز حكومة الانتداب . وفي كتاب السر يرسي كوكس ، المؤرخ في ٢٧ أغسطس ، الى عظمة السلطان ما يثبت ذلك . فقد جاء فيه انه اي المفوض السامي لم يقصر « في الاسراع الى لفت نظر الحكومة العراقية

(١) قد تحقق كلام الوزير ، بعد بضعة اشهر ، في غزوة الدويش

الى هذه الحركة السيئة من قبل رجال شمر نجد المقيمين داخل حدودها «
وانه » سينظر مع الحكومة العراقية في امر امكان وضع دوريات
منظمة في اطراف العراق لاجل منع حدوث مثل هذه الامور . .
وانه » واثق من التمكن قبل مدة طويلة من القيام بضمانات وافية
ترضي كلا الحكومتين ، ومن اتخاذ تدابير من شأنها ان تمنع العثائر
من تكرار هذه الاعمال »

ولكن « الدوريات » لم تنظم في هذه السنة ولا في السنة التالية . اما
التدابير فقد عقد في سبيلها في الاشهر الاربعة الوسطى
من هذا العام مؤتمر الكويت ، وفي خلال هذه الاشهر ،
اي من جمادى الاولى الى شعبان ، ساد شيء من السكون في البادية ،
وقامت مقام الغزوات حرب من الكلام في مدينة ابن الصباح .

كانت الحكومة الداعية ، بواسطة وكيلها في ابي شهر الصكولونل
نوكس^(١) ، الى هذا المؤتمر ، وكان الغرض منه :

١- « البحث في المواد الباقية بين نجد والعراق ومن جعلتها قباثل شمر
الملتجئين الى هذا القطر .

٢- « البحث في مسألة حدود نجد وشرق الاردن .

٣- « البحث - اذا شاء ابن سعود - في حل المشاكل التي بين نجد
والحجاز .

وقد قال الوكيل في كتابه الى عظمة السلطان « ان الحكومة
البريطانية مستعدة ان تعرض الامر على الملك حسين » وان غرضها من
عقد هذا المؤتمر « هو ازالة سوء التفاهم وحل جميع المشاكل التي بين
الممالك المتجاورة » .

قبل السلطان الدعوة على شرط ان تكون المفاوضات بين الوفد

النجدي وكل وفد آخر من الوفود على حدة . اي ان وفد العراق لا يشترك في مباحث شرقي الاردن ، ولا وفد شرقي الاردن في بحث امور العراق . قبل الوكيل هذا الشرط واعلم به الحكومات الاخرى فجاز قبولها . وقد عقدت جلسة المؤتمر الاولى في ٧ جمادى الاولى سنة ١٣٤٢ (١٧ ديسمبر ١٩٢٣) قتلها اربع جلسات ، دار فيها البحث بين وفد نجد وفد العراق ، فتم الاتفاق بينهم على بضع مواد تختص بمعاقة الذين يشنون الغارات في اطراف البلادين ، وبكيفية المعاقة ، وبطريقة المراسلة بين الحكومتين في ما يختص بالعشائر .

تم الاتفاق او كاد يتم . فان وفد العراق ، ساعة التوقيع ، طلب ان يضاف الى المعاهدة انها لا تكون نافذة ما لم يتم الاتفاق مع الحجاز ولكن الملك حسيناً رفض ان يرسل مندوباً من قبله الى المؤتمر ، وقد قال في بادئ الامر انه لا يشترك في المفاوضات ما زال ابن سعود محتلاً ببلدة واحدة من بلدان الحجاز .

وقد رفض الوفد النجدي المادة الشرحية . وجاء في بريقة رئيس المؤتمر الكولونيل نو كس الى حكومته « انه لا يمكن البت في شأن من الشؤون ما لم يوفد الحجاز مندوبه » . ثم تأجل المؤتمر الى ٨ يناير ليستمكن الوفودات من الرجوع الى بلادها ليستشيرا حكومتهما في المسائل المختلف عليها .

اما وفد شرقي الاردن فقد كان أشد لهجة وأكثر صراحة من وفد العراق ، فظهرت في خطبه اليد التي كانت تحركه ، والروح - غير روح الامير عبدالله - التي كانت مسيطرة عليه .

ان ظاهر الخلاف بين نجد وحكومة عمان هو الجوف وقربات الملح^(١)

(١) قربات الملح تتألف من فريتين كبيرتين احدهما كاف والثانية اثرى وتبنيها ثلاث مزارع . وفي اراضيها معادن ملح كبيرة يشحن اكثر منتوجها الى حوران وجبل الدروز

فبعد مؤتمر العقير، عندما علم سمو الامير بما كان من الاتفاق بين حكومة بريطانية العظمى والسلطان عبد العزيز بخصوص الحدود النجدية العراقية، ارسل قوة "احملت القربات"، فهم "السلطان باخراج تلك القوة منها، فلجأ الامير الى الحكومة البريطانية التي طلبت اذ ذاك من ابن سعود ان يتوقف في الزحف الى الجوف، ووعدت بتسوية المسألة بالوساطة السلمية. اما حادث الجوف هذا فقد كان من الاسباب التي عجلت في عقد مؤتمر الكويت.

قلت ان وفد شرقي الاردن كان اكثر صراحة وجراحة من وفد العراق، فقد استهل رئيس الوفد خطابه في اطراء صاحب الجلالة الهاشمية، والنهضة العربية، والحكومة البريطانية التي ساعدت في استقلال العرب. ثم قال: «ان شرقي الاردن هي من غار هذا الاستقلال. وان الجوف وسكاكه وما يتبعها هي لازمة له، هي ضرورة للمواصلات بين شرقي الاردن والعراق» فيجب اذن ان تكون تحت اشراف حكومة الامير.

وفي الجلسة الثانية كانت اللهجة اشد والصراحة اعجب. فقد قال المندوب الاردني ان الجوف وسكاكه ونوابعها هي من الاراضي السورية، التي تبدأ حدودها من مدائن صالح، وتنتهي عند بوكمال على نهر الفرات، وان حكومة شرقي الاردن هي من سورية، فيجب ان يكون الجوف باجمعه تحت ادارتها.

المندوب النجدي: «ان الجوف وسكاكه ووادي سرحان باجمعه كانت تتبع التطورات في نجد، بينما ان تشكيلات الاردن الادارية لم تكن سوى افضية تابعة للكرك والقدس، ولم يكن الجوف تابعاً لها ادارياً أو سياسياً»

ثم قال رئيس الوفد: «لا نوافق مطلقاً على اتصال حكومة شرقي

الأردن بالعراق . ونطلب ان تكون حكومة نجد متصلة حدودها بسورية حتى تكون تجارتها آمنة . فحفظاً لكياننا الاقتصادي ، وحماية لروحنا التجارية ، نطلب ان يكون الاتصال بسورية اساساً للاتفاق بيننا وبين شرقي الأردن .

قلنا ان ظاهر الخلاف بين القطرين هو الجوف . اما الخلاف الحقيقي الجوهرى فهو العداء المتأصل بين آل سعود والبيت الهاشمي . وقد صرح رئيس الوفد ، بعد اطرائه جلالة الملك حسين ، بما يأتي :

« اسمعوا لي ان اصرح لحضراتكم بأنه اذا لم تتدخل حكومة نجد عن الجوف ووادي سرحان باجمعه ، وعن الاراضي الحجازية التي احتلتها ، اي تربة والحرمه وخيبر وغيرها ، وتجعل تحديد الحدود بين الحجاز ونجد على ان يكون الحد الفاصل هو الصحراء القاحلة ، فلا يمكن ان يحصل بيننا اتفاق » . عندئذ قال رئيس المؤتمر الكولونل نو كس : (لا يحق لوفد العراق او وفد شرقي الأردن ان يتكلم عن الحجاز . . . لان سلطان نجد حينما قبل ان يشترك في المؤتمر اشترط شرطاً اساسياً قبلناه ، وهو ان لا يحق لحكومة من الحكومات ان تشترك في بحث ما يتعلق بالحكومات الاخرى » .

توقفت المفاوضات بين نجد وشرقي الأردن كما توقفت سابقاً بين نجد والعراق . والسبب الاول في ذلك كما تبين لنا هو الشرط الاخير الذي اشترطه وفد حكومة بغداد ، والكلام الاخير الذي فاه به وفد حكومة عمان . وقد فاز في الحالين الملك حسين .

الملك حسين ، هو يومئذ في اوج مجده ، الى ان يشترك في المؤتمر ولكنه نفذ ارادته في مثلي حكومتني تجليه ، فضالت السياسة الهاشمية دون الاتفاق وسلمان نجد .

وما كانت جلسات المؤتمر الاخرى لتغير في هذه الحال او تلطفها

فقد عاد وفد العراق يحمل قرار حكومته ، وفيه أن لا تمكنها أن تسلم شمر تجدد حالاً ، وأنها غير مسؤولة عن المنهوبات التي سبق تاريخها تنويع الملك فيصل^(١) وأنها لا تقبل مبدأً أخراج العشائر المتلججين إليها لأن ذلك « يولد ارتباكاً في الحدود العراقية مع سورية وتركيا وإيران » . ولكن مسألة العشائر هي في نظر حكومة نجد المسألة الجوهرية . فإذا كانت حكومة العراق لا تتخذ الوسائط الفعالة لتقضي على الحركات العدائية التي تقوم بها تلك العشائر المجرمة فالوفد لا يضيئ ملحقاً أو معاهدة . وما غير وفد شمر في الأردن لهيئته ، ولا تنازل عن شيء من مطالبه . وقد اقترح رئيس المؤتمر استفتاء الأهالي في القرى ، فقبل الوفد التجدي بذلك « على شرط أن يعمل بهذا المبدأ في الأماكن المتنازع عليها بين نجد والحجاز أي في تربة والحرمه »

ولم يقبل الوفد الأردني بذلك ، بل طلب أن يكون الجوف ووادي سرحان منطقة حياد بين القطرين ، فرفض الوفد التجدي ورفض المؤتمر ، أو بالجرى تأجل ، بعد اجتماعه الثاني ، إلى شهر شعبان (مارس ١٩٢٤) . ليتمكن الرئيس من مفاوضة السلطان عبد العزيز ، وقد كان يأمل أن يغير الملك حسين رأيه فيرسل من يمثله في المؤتمر .

قد غير الملك رأيه فعين نجله الأمير زيداً ممثلاً للحجاز . ولكنه لم يحضر . وبينما كان وفد العراق ، الذي عاد للمرة الثانية يستشير حكومته ، قادماً للمرة الثالثة إلى الكويت ، خرج فيصل الدويش ، وقد فرغ صبر عربانه ، غازياً في أطراف العراق ، فغضبت ولا غرو الحكومة ، وأمرت وفدها بالرجوع إلى بغداد . فلم يعقد لذلك الاجتماع الثالث .

(١) قد قدمت حكومة نجد لائحة بالمنهوبات التي نهبت بعد توقيع معاهدة العقير ؛ وفيها إجماع المتمدن والمتدي عليهم . فبلغ عدد من قتلوا من رعايا نجد سبعة وعشرين رجلاً ، وعدد ما نهب من الإبل ٤٠٠ ، وقيمة ما سلب من المال خمسة أيرة وأربعمئة ريال ، ما عدا ٥٠٠٠ حلاً من الدغين ومئة حل من الزين .

ليسمع القارئ ان يشير المؤلف ها هنا الى نفسه . قد كنت في هذه المدة على اتصال مراسلة بعظمة السلطان ، وكنت فيما كتبته الى عظيمته ساعياً في سبيل الوفاق بين البلدين ، بحيث أقعد معاهدة نجدة عراقية اوسع نطاقاً مما سبقها في العتير وفي المحمرة . وقد جاءني من عظيمته كتاب اقتطف منه ما يلي :

(اما ما ذكرته عن الاتفاق مع حكومة العراق فقد كنت ارجو به من صميم قلبي . . . ولكن حكومة العراق لا تزال تعمل ضدنا في تأليف العصابات من مجرمي العشائر لمهاجمة وعابانا الآمنين ، وقطع الطرق على القوافل . . . يعلم الله ان جل مقصدي هو ان أعيش بسلام مع جيرانني ، وان نتحد كلنا على ما فيه خير العرب . ولكن الاشراف لا يروقهـم ذلك فحسبنا الله . . .)

وفي كتاب من القصيم مؤرخ في ١٤ رمضان يقول :

« قد جئنا القصيم لأمور لا بد منها . ومنها الاستعداد للطوارئ . فقد عينا عبد العزيز بن مساعد آل جلوي أميراً في حائل ، وجعلنا المنطقة الشمالية ، بما فيه القصيم والجوف وخيبر ، تحت امرته ، وزودناه بالتعليات الكاملة ، والقوة الكافية ، والصلاحية الواسعة . وبدلنا ايضاً أمير الجوف فعينا محله عبد الله بن محمد بن عقيل ، وأصبحناه بما يلزم من القوة » .

هذا جواب عظمة السلطان على مطالب سمو الأمير عبد الله وجلالة والده . بل هذه هي نتيجة مؤتمر الكويت .

الفصل السابع والثلاثون

ذروة المجد والخطر

عندما كان السلطان عبد العزيز في الاحياء يراقب عن كنب مؤنر الكويت ، و ينتظر متيقظاً نتائجها ، كان الملك حسين في عمان ، وقد جاءها ليشرف ، كما قال ، على جميع البلاد المقدسة ، و يزور الاماكن التي فيها مراكز للحكومة ، و يوطد السيادة العربية في الشرق العربي . ولكن مسألة الخلافة ، بعد ان طرد الترك الكماليون الخليفة والاسرة السلطانية من تركيه ، شغلت العالم الاسلامي ، وكانت يومئذ تشغل امراء العرب وخصوصاً الملك حسين . فجاء عمان ليقرب من الاقطار الحية الراقية في العالم العربي ، وليجس نبضها في هذه المسألة الاسلامية الكبرى .

وعندما وصل القطار الملكي الى العاصمة في ٨ جمادى الثانية من هذا العام (١٧ يناير سنة ١٩٢٤) شاهد جلالته في المحطة مشهداً فريداً مجيداً ، خفقت له قلوب السياسة ، ورفرفت فوقه امال الملك كلها . هناك كانت الوفود والجموع في انتظاره - وفود سورية وفلسطين ، ومشايخ العربان ، من نواحي الشرق العربي ، ورجال الحكومة من عرب وانبكاز ، والصحافيون من مصر والقدس وبيروت والشام ، والجنود والجموع من بدو وحضر في الثياب العربية والافرنجية والجر كسية . هناك عندما أطل جلالته من القطار رفع الناس اصواتهم هاتفين : ليحي ملك العرب ! ليحي المنقذ الاعظم ! وقد كان الاستقبال حاراً باهراً . اصطفت جنود الجيش العربي على الطريق من المحطة الى المدينة ، وجال العربان من فرسان وحجانة ، وهم يمزجون الهازيج البدوية ، ورفع تلاميذ المدارس اصواتهم بالهتاف

والاناشيد وشاركت في الترحيب الطيارات الانكليزية التي كانت تغصم في الفضاء .

ثم صعد الخطباء والشعراء منصة البيان ، وطفقوا يخاطبون وينشدون ، مهالين مكبرين ، ومهددين الانكليز والفرنسيين ، بل الاوروبيين اجمعين .
- ليحي ملك العرب ، المتقد الاعظم ! لتحي النهضة العربية !
وليسقط كل من يسعى ضدها وضده ! ليسقط الاستعماريون والمستعبدون !
وكان جلالته يسمع الخطباء والشعراء من شرفة البيت الذي أعده له ، البيت المقابل للآثر التاريخي الجليل - الملعب الروماني المتهدم . والزمان في عزته بلاغة تعجز دونها الشعراء والخطباء .

ثم قابل جلالته الوفود فقال تكراراً انه لا يتنازل عن مبدئ واحد من المبادئ التي هي اركان النهضة : - « لا أنأزل عن حق واحد من حقوق البلاد . لا اقبل الا ان تكون فلسطين لاهلها العرب ، اقول لاهلها العرب . لا اقبل بالتجزئة ، ولا اقبل بالانتدابات . ولا اسكت وفي عروقي دم عربي عن مطالبة الحكومة البريطانية بالوفاء بالعهود التي قطعتها للعرب . اذا رفضت الحكومة البريطانية التعديل الذي اطلبه فاني ارفض المعاهدة كلها ، اقول المعاهدة كلها . لا اوقع المعاهدة قبل ان آخذ رأي الامة . اني عامل دائماً في سبيل الاتفاق وأمرء العرب . اني عامل دائماً في سبيل الوحدة العربية ، والاستقلال التام - اقول الاستقلال التام - للاقطار العربية كلها . ولا فرق عندي اذا كان مركز الحكومة العربية في الحجاز ، او في سورية ، او في العراق ، او في نجد . »

ولا عجب ، بعد هذه التصريحات المدهشة ، اذا تمت المبايعات بالخلافة . فبعد المآدب والاجتماعات العامة المتعددة ، وبعد الاجتماعات الخاصة ورؤساء الوفود ، وكبار موظفي الانكليز ، نوادي بالملك حسين بن علي خليفة المسلمين ، وامير المؤمنين ، فبايعه السوريون والفلسطينيون الذين كانوا هناك ، ورؤساء عرب الاردن ، والحجازيون الذين كانوا مع

جلالته ، وفريق من العراقيين .

* * *

وفي غرة ذي القعدة من هذا العام ، بعد ان عاد جلالة الملك حسين الى مكة وقد اضاف الى لقبه الكبيرين اللقب الثالث الاكبر ، اي خليفة المسلمين ، عقد في الرياض اجتماع عام برئاسة الامام عبد الرحمن حضره العلماء ، ورؤساء القبائل ، والسلطان عبد العزيز ، فافتتح حضرة الامام الجلسة قائلاً :

« قد جاءني كتب عديدة من الاخوان وهم يفتون الحج . وقد ارسلت هذه الكتب في حينها الى ولدنا عبد العزيز . وها هو امامكم فاسألوه عما يبدو لكم » .

السلطان عبد العزيز : « وصلني كل ما كتبتموه واحطت علماً بكل ما شكركموه . ان لكل شيء نهاية فلا تيأسوا ، وان الامور مرهونة باوقاتها » .

سلطان بن بجاد : « يا امام حنا نبغي الحج ، ولا نريد ان نصبر اكثر مما صبرنا على ترك ركن من اركان الاسلام مع قدرتنا عليه . ليست مكة ملكاً لاحد ، ولا يحق لاحد ان يمنع المسلمين او يحصد المؤمنين عن اداء فريضة الحج . نريد ان نخرج با عبد العزيز ، فاذا منعنا الشريف حسين دخلنا مكة بالقوة . واذا كنتم ترون ان من المصلحة تأجيل الحج في هذا العام فلا بد من غزو الحجاز لتخلص البيت الحرام من ايدي الظالمين والمفسدين » .

السلطان عبد العزيز : « ان مسألة الحج من المسائل التي يرجع الفصل فيها الى علمائنا . وها هم حاضرون ، فليتكلموا » .

الشيخ سعد بن عتيق : « ان الحج من اركان الاسلام ، ومسلمو نجد والحمد لله يستطيعون ان يؤدوا هذا الركن على الوجه الاتم بالرضى او

بالقوة . ولكن من اصول الشريعة النظر الى المصالح والمفاسد . فالامر الذي قد يؤدي الى ضرر او مفسدة يدفع (يؤجل من اجله الحج) فهل هناك من مفسدة او مضرة قد تنتج عن الترخيص لمسلمي نجد بالذهاب الى بيت الله ؟ ذلك ما نريد ان نقف عليه من الواقفين على السياسة . في الاعوام الخمسة الماضية كان السلطان يجيب عن هذا السؤال بالاجاب ، فيمنع اهل نجد عن الحج خوفاً ان يحدث ما لا تحمد عقباه . وقد كان يعالج مشاكل نجد والحجاز بالطرق السلمية السياسية . اما في هذا الاجتماع فقد قال عظيماً مخاطباً العلماء والاخوان :

« نحن لا نود ان نحارب من يسالنا ، ولا نمنع عن موالاة من يوالينا . ولكن شريف مكة كان دائماً ، كما تعلمون ، يزرع بذور الشقاق بين عشائرها . وهو الوارث من اسلافه بغضنا . ومع ذلك فقد بذلت كل ما في وسعي لحل المشاكل التي بيننا وبين الحجاز والتي هي احسن . وكنت كل ما دنوت من الحسين تباعد ، وكل ما كنت له تجافى . اي ورب الكعبة . ولست ارى في تطور الامور ما ينمى الامل . بل ارى الامور تزداد شدة وارتياباً . ولا يحسن الاستمرار في خطة لا تعزز حقوقنا ومصلحتنا » .

وقف السلطان عند هذه الكلمة ، فهتف الجميع : توكلنا على الله ! الى الحجاز ! الى الحجاز !

الفصل الثامن والثلاثون

الاخوان على ابواب عمان

في الشهر الاول من هذا العام (آب ٩٢٤ م) مشت جيوش نجد غرباً من الجنوب ومن الشمال . ولكن السلطان عبد العزيز لغرض حربي ، امر بغزو الشرق العربي قبل الرجوع الى الحجاز . ولم تكن هذه الغزوة بدون اسباب تدورها .

قد اسلفنا البيان في ما كان بين حكومتي نجد وشرقي الاردن من النزاع بخصوص الجوف وقرايا الملح . ولكن جنود السلطان كانت تحتل تلك القرى . فما الداعي اذن الى تجاوزها الحدود - الى الغزو ؟ ان هنالك تعديات وتعميصات ذكرت في مطالب نجد في مؤتمر الكويت . فقد اغار ولد سليمان بن حازي من شيوخ الحويطات على قافلة من تجار نجد في طريقهم الى الشام ، فقتلوا ثمانية من رجالها ونهبوا ما يزيد على السبع مئة بعير .

وكانت قد تكررت الاغارات على اهل نجد من عربان الحويطات وبني صخر - اولئك الذين كان الامير عبدالله يقرهم منه ويجزل لهم العطاء - فبلغت المنهوبات ، بموجب اللائحة التي قدمت في المؤتمر ، الف رجل واربعين رأساً من الخيل ، ما عدا الاحمال التي تقدر بثمانين الف ليرة عثمانية . (١)

لذلك طلب السلطان عبد العزيز ان تغرم قبيلة بني صخر بمئتي الف

(١) ادعى ابن سعود بتعميصات قيمتها (٨٠) الف ليرة ومن بعد احتلال الجوف تموز سنة ١٩٢٦ ، ١٨٠٠ الف ليرة . وقد نظرت المحكمة في مسألة التعميصات في شتاء ١٩٢٧ بالقدس

ليرة ضمانة لسلامة التجارة والتجار بين نجد وسورية . وبما ان حكومة عمان لم تكتفِ لهذا الطلب عند السلطان الى القوة . مشى الاخوان من اطراف وادي سرحان ، وعددهم يتراوح بين الالفين والثلاثة آلاف ، فالتقوا في طريقهم بثلة من جنود شرقي الاردن ، عددهم مع رجال الحملة خمسة وعشرون ، وهم سارثون الى قصر الازرق ، يحملون المون والذخيرة الى الحامية فيه ، فذبحوهم الا واحداً وغنموا الحملة كلها . ثم تقدموا غرباً فهجموا على الطنيب ، وام العمد ، والقسطل وبادودة ، وكادوا بعد ان اجتاز فريق منهم سكة الحديد ان يصلوا العاصمة .

كان الامير عبدالله يومئذ متغيباً ، فصدرت اوامر الحكومة بالدفاع ، فبادر العربان ، وفي مقدمتهم الصخور والحويطات ، الى محاربة اعدائهم ، فاشتبكوا وايام في معركة دامية دامت بضع ساعات . وكان بيك باشا ، القائد الانكليزي للجند النظامي ، قد ارسل الطيارات والسيارات المدرعة على الاخوان ، فعلقت الطيارات فوق العربان المتلاحين ، وشرعت ترميهم كلهم بالقذائف . كما ان السيارات اطلقت عليهم جزافاً مدافعها الرشاشة . كافي باولئك الانكليز يقولون : من اين لنا ان نعرف النجدي من الاردني ، والعرب في القباضة لا يفرقون بعضهم عن بعض . نعم ، كلهم عرب . اغض عينيكم يا ابن جان بول واضرب .

قبل مجيء الطيارات والسيارات كان قد وقع في ساحة القتال نحو مئة رجل من الفريقين . وعند تسببتهم كان عدد القتلى من الاخوان وعربان عمان قد تجاوز الاربعمئة .

وكان بعض الاسرى من المتدنية يحملون علباً من التبنك انكليزية الصنع فيها لحم مقدد ، فقال اولئك الحكماء ، دهاقة السياسة ، في الصحافة وفي الدواوين : وهل من ينكر بعد هذا ان الانكليز يساعدون ابن سعود ؟ هذا لهم المقدد يأكله الاخوان .

وما تلك العلب غير قسم من الحملة التي فتمها الاخوان ، تلك الحملة التي كانت معدة لحماية الشرق العربي في قصر الازرق . نعم ، هو لحم مقدد من بلاد الانكليز . ولكن السيارات والطباوات الانكليزية امطرت الاخوان وعرب عمان على السواء وابلاً من القذائف والرصاص . لولا هذه القوة الهائلة ، التي كانت تديرها الايدي الانكليزية ، لاكتسح النجديون الشرق العربي ، ورفعوا فوق ربي عمان علم ابن سعود . اما سمو الامير عبدالله فعندما عاد الى عاصمته شكر الله ولا شك وشكر ربه الجنود التي لا تزال تكلأ بعينها الزرقاء البيت الهاشمي . واما سيد هذا البيت الاكبر جلالة الملك حسين فقد كان في قصره بككة متوسداً وسادة الخلافة ، مطمئن البال ، واثق بما تضره الايام ، وهو يدبج المقالات لجريدة القبلة .

— نحن نشكر كالات حكومة بريطانية العظمى على ما اظهرته من الحمية في الشرق العربي . ولكننا مع ذلك لا نتنازل عن حق من حقوقنا . ان سورية جزء من البلاد العربية وان فلسطين للعرب . ولا توقع معاهدة فيها ما ينفي هذا القول بل هذا الحق ... وامن اعرف منا باليدو وبالمتدنية ؟ قبلة من مدفع تبدهم ، وطيارة واحدة تشتت شملهم ، والبرهان في الشرق العربي

وكان جلالة يومئذ يفكر في تعزيز ملكه في الشرق الاوسط ايضا فعين وزير خارجيته الشيخ فؤاد الخطيب سفيراً للحجاز في طهران .

الفصل التاسع والثلاثون

سقوط الطائف

يوم كان الملك حسين جالساً على فراش الملك والحلافة ، وهو يحلم بسيادة اعظم من السيادة العربية ، بسيادة اسلامية شاملة ، كان سلطان بن بجاد ، الملقب بسلطان الدين ، والشريف خالد بن منصور بن لؤي امير الحرمة ، زاحفين الى الطائف بجيش من الاخوان مؤلف من خمسة عشر لواءاً من الربة القطعظ والحرمة وقرية ورنية وعثبية وقصطان وبني تميم . على ان هذا الجيش ، مع من انضم اليه بعدئذ من عربان الحجاز وشرافه كالحرث وبني ثقيف ، لم يتجاوز الثلاثة الاف مقاتل . ومشى الاخوان من مركز الاجتماع في تربة ، ولم يعلم بهم احد في مكة او في الطائف قبل ان اجتازوا الحدود . لم تعلم الحكومة بهجومهم قبل ان وصلت سرايتهم في اليوم الاول من صفر ١٣٤٣ (سبتمبر ١٩٢٤) الى قرية الحوية التي تبعد بضعة اميال عن الطائف .

واستيقظت عندئذ الحكومة . فاحذر ناظر الحربية الهاشمية امير اللواء صبري باشا امره الى جنود النظام بالدفاع ، فخرجوا من الطائف ، وهم نحو اربعمئة ومعهم بعض المدافع الجبلية والرشاشة . خرجوا الى الحوية يصدون الاخوان ، فاستمرت بينهم وبين سرايا الجيش هناك معركة دامت بضع ساعات كانت الغلبة فيها للاخوان .

تقهقر النظاميون الى جهة الطائف ، فانضم اليهم جند من البدو ورابطوا معهم في الهضاب الغربية من البلد الى الشمال والشمال الغربي منه . هناك وقفوا ثانية لسرايا الجيش الزاحف ، وشرعوا يطلقون عليهم

المدافع ، فاستمروا في مناوشتهم ، دون ان يتمكنوا من ردهم ، ثلاثة ايام . اضف الى ذلك ان قسماً من البدو الذين كانوا في المراكز الامامية انضم الى الاخوان وسلم الباقون .

عندما وصلت اخبار الهزيمة الاولى الى مكة امر جلالة الملك ابنه علياً بالجهاد الجيش المدافع ، فجاء الامير مسرعاً بسرية من الخيالة واخرى من المشاة . اما النجدة التي مشت في طريق السيل فلم تصل الا بعد سقوط الطائف .

وصل الامير يوم الخميس في ٦ صفر فدخل الطائف ليلاً وخرج منها في عصر ذاك اليوم ليعسكر في الهدى ^(١)

وكان الجيش التعبدي يزداد عدداً وقوة ، فاضطر الجنود النظاميون ان يتقهقروا الى المدينة في صباح يوم الجمعة . تقدم الاخوان . وحار رحاصهم ، قرب الظهر من ذاك النهار ، يقع داخل السور ، فاستحوذ الذعر والخوف على الاهالي ، وكان الاشراف في مقدمة الهاربين .

فقد خرج في اصل يوم الجمعة امير الطائف الشريف شرف عدنان ، ووزير الحربية وجنوده النظاميون ، وسائر الامراء والموظفين . خرجوا من المدينة لانهم رأوا كما قيل انه خير لسلامتها وتسهيل استردادها ان يلحقوا بالامير علي .

وبعد خروج الاشراف والجيش بساعة او ساعتين ، في غسق ذاك اليوم ، اليوم السابع من صفر (٧ سبتمبر) دخل الاخوان الطائف كالسيل الجارف ، وهم يكبرون ويعتزون ، ويطلقون بنادقهم في الفضاء . ثم طفقوا يطلقونها في الاسواق ، وهم يطوفون في المدينة ، فقتلوا عدداً من الابرياء الذين لم يسارعوا مثل غيرهم من الاهالي الى بيوتهم مستأنفين . وكان قد تخلف في المدينة جماعات من عرب الحجاز من الطويرق

(١) الهدى هي على اربع ساعات من الطائف .

والنصور والبقوم وغيرهم ، ناهيك بمن دخل مع الجيش من البدو « نسور الجنة » رواد السلب والنهب . فاختلطت هذه المجموع في ظلمات الليل ، وكانت ساعة الهول والفتنة . راح العربان والاخوان يطرقون الابواب ويكسرونها فيدخلون البيوت اما قهراً واما بعد ان يؤمنوا اصحابها ، ثم يعملون فيها ايدي السلب . وكانوا يقتلون في سبيل السلب .^(١)

ولكنهم لم يقتلوا من النساء غير امرأة واحدة ، ولا كانوا يتعرضون لمن الا اذا آيين ان يدللتهم على الكنوز والسلاح . وهناك حقيقة اخرى يجب ان تسجل . كان بعض الاهالي يطلقون على الاخوان البنادق من شبابيك البيوت ونوافذها ، فيحملونهم على دخل تلك البيوت غرة ، وعلى الفتك جزافاً برجالها . كذلك كانت قتلهم لمقتي الشافعية الشيخ الزواوي^(٢) ولابناء الشيبي .

اما الشيخ عبد القادر الشيبى سادن الكعبة فقد نجا من الاخوان بحيلة طريفة . بكى عندما وقع بين ايديهم ، فسأله احدهم وقد استل السيف فوق رأسه ، قائلاً : « ولش تبكي يا تسافر ؟ » فاجابه الشيخ : « ابكي والله من شدة الفرح . ابكي يا اخوان لاني قضيت حياتي كلها في الشرك والكفر ، ولم يشأ الله ان اموت الا مؤمناً موحداً . الله اكبر ! لا اله الا الله » ! قد اثر هذا الكلام في الاخوان ، فبكوا لبكاء الشيخ ، ثم خلعتوا يقبلونه ويمسحونه بالاسلام .

هذي هي الحقيقة كلها في فظائع ليلة الفتح . وفي صباح يوم السبت دخل سلطان بن بجاد بكتبة الجيش فكفف الجنود عن القتل . ولكنه امر

(١) كان هذا الحادث ألم في نفس السلطان عبد العزيز ، فأمر بتأليف لجنة لتقرير الحائر والشعير على المشكوكين من الاهالي ومن الجنود الجاويين . وقد دافع نحو عشرة الاف ليرة من التعويضات حتى الان ، ولا تزال اللجنة تواصل عملها .

(٢) وقيل ان الزواوي قتل بدفع من مدافع الاشراف

بجمع السلاح وبتفليس البيوت ، فاضطر لذلك أن يخرج الاهالي منها ، فسيئوا نساء ورجالاً الى حديقة شبرا ، وجلسوا هناك ثلاثة ايام . ثم اطلق سراحهم وأذن لمن شاء منهم بالخروج من المدينة .

قلنا في مطلع هذا الفصل ان فريقاً من عرب الحجاز واشرافه انضم الى الجيش النجدي نفرة من الحسين وابتغاء ستوطه . وقد كان اشراف الحرث في مقدمة الثائرين ، فتبعهم حتى من كان في الجيش الهاشمي من العربان . على ان ذلك لم يشبط من عزم الملك ولا حوله مقدار ذرة عن مقاصده . فعندما وصل الاشراف وغيرهم من الهاريين ، وعندما علم جلالة بوصول الامير علي الى عرفات ، غضب غضبة مضرية ، وشرع يعد العدة لاعادة الكرة على الاخوان ولاسترجاع الطائف . جمع شتات الجند ، وجمع من استطاع من البدو ، فكانت التجريدة الجديدة خمسة من النظام ، ونحو ستمئة من قبائل الحجاز المواليين ، اي من هذيل وقريش وبني سفيان ، ومشتين من اهل مكة . ثم امر الامير علياً بالرجوع الى ساحة الحرب .

مضى الامير علي على رأس هذا الجيش الى الهدى . وكان الاخوان قد علموا بذلك ، فحمل نحو الفين منهم على الحجازيين ، واشتبكوا واباهم في ٢٦ صفر (٢٦ سبتمبر) في معركة استمرت من نصف الليل الى الساعة العاشرة صباحاً .

كان الامير علي يدبر هذه المعركة من قصر يبعد الف وخمسمئة متر عن ساحة القتال . وفي هذا القصر هاتف يصله ، بواسطة مركز الاوتباط في سفح جبل كرا ، بقصر جلالة والده .

« هجيم المتدنية علينا فرددناهم بخاسرين » .

« اعاد المتدنية الكرة فامطرنهم مدافعنا وابلا من الرصاص

فعادوا مدحورين » .

ولكنهم في الهجمة الثالثة ، وعلى رأسهم سلطان الدين نفسه ، ضربوا الجبهة ضربة ثلثها ، وكان في وسطها سرية من الفرسان من عرب عتبية ، فتقهقروا ، فدخل الاخوان من تلك الثلة . واول من انهزم من بدو الحجاز هذيل وسفيان ، ثم اهل مكة ، ثم جنود النظام .

وفي هذه الساعة ، عند صلاة الفجر ، سكنت بنادق الاخوان ، فهتف موظف الهاثف بمخاطب ضابط الارتباط في الكر بسفح جبل كرا ، وهذا بمخاطب الديوان الهاشمي بمكة : - « انهزم المتدنية ! سكنت بنادقهم ! »

ولكن السبب في سكوت تلك البنادق هو ان اصحابها توقفوا عن القتال ليصلوا صلاة الفجر ! ثم عادوا مسبسلين ، فتقهقر الامير علي بشرذمة من الجيش الى الكر . وعند وصوله الى سفح الجبل الساعة الثامنة صباحاً ، امر « جلالة الملك بالهاثف ان يرجع الى الهدى . - « الطاعة ولو تذبجت » . قال هذا وعاد ورجاله ادراجهم ، فما كادوا يصلون الى منتصف الطريق حتى انبال عليهم وصاص الاخوان كالمطر . وكان ضابط الارتباط في الكر قد الحفهم بنجاء يقول : « قد انقطع التفون بيننا وبين الهدى » .

قفل الامير ورجاله راجعين ، وتوقف الاخوان بعد هذا النصر في الهدى ، فلم يتعقبوا فلول الجيش الهاشمي ، ولا هاجروا مكة يومذاك اجتناباً للقتال في ظلال الحرم .

الفضل الأربعون

يوم الانقلاب

في الاسبوع الذي تلا وقعة الهدى وتقدم اليوم الاخير - يوم الانقلاب - كان جلالة الحسين لا يزال يضرم في ديوانه ، وفي حكومته ، وفي حاشية قصره ، وفي بقية حيثه ، نار الشجاعة والامل . وكان لا يزال يظن انه يستطيع ان يخرج المدينة وابن سعود من الطائف ، بل من الحجاز . وقد طالما قال ان ابن سعود من الدرجة الخامسة بين امراء العرب . غير ان احد رجال الديوان الهاشمي ، وقد غشيت الشجاعة في الساعة الاخيرة ، قال مخاطباً مولاه : « ومعنى الدرجة الخامسة بأمرنا هو ان ابن سعود صاعد الينا ، ولم يبق بينه وبيننا غير خمس درجات » .

خمس درجات ، او خمس ساعات ، او خمسة ايام - انما النتيجة واحدة . فقد جاء يوم الحجاز ، وهو المقدمة ليوم ابن سعود - جاء بعد اسبوع من وقعة الهدى ، وباسم الامة ، اذ اجتمع اعيانها في جدة ، ومنهم من فروا من الطائف ومكة ، من تجار وعلماء واشراف ، فارسلوا الى الحسين في اليوم الرابع من ربيع الاول (٣ اكتوبر) البرقية الآتية :

« بسم الله الرحمن الرحيم .

صاحب الجلالة الملك المعظم بمكة .

بما ان الشعب الحجازي باجمعه الواقع الآن في الفوضى العامة ، بعد فناء الجيش المدافع وعجز الحكومة عن صون الارواح والاموال ، وبما ان الطرمين الشريفين خاصة وعموم البلاد مستهدفة لكارثة قريبة

ساحقة ، وبما ان الحجاز بلد مقدس يعنى امره جميع المسلمين ، لذلك قررت الامة نهائياً طلب تنازل الشريف حسين وتصيب ابنه الامير علي^(١) ملكاً على الحجاز فقط ، مقيداً بدستور ومجلسين وطنيين الخ . والله الموفق لما فيه الصلاح . قد وقع هذه البرقية التي ارسلت بعد الظهر مئة واربعون من الاعيان والعلماء والتجار الحجازيين ، فجاءهم الجواب التالي :

« ادارة بركات الحكومة الهاشمية .

في ٤ ربيع الاول سنة ١٣٤٣ بواسطة قائمقام جده .
الى الهيئة الموقرة .

مع الممنونة والشكر . وهذا اساس رغبتنا التي اصرح بها منذ النهضة والى تاريخه . وقد صرحت قبله ببضع دقائق اني مستعد لذلك بكل ارتياح اذا عينتم غير علي . واني منتظر هذا بكل سرعة وارتياح .
الامضاء : حسين »

لم يرض المجلس بهذا الجواب ، فعهد الى الهائف وأتاب احد اعضائه ليكلم الملك ، فرفض جلالته الكلام . - « انت من رجال حكومتي فليكنني غيرك » . ورفض كذلك ان يكلم الثاني . ثم تناول الشيخ طاهر الدباغ الهائف فكان مسموعاً .

الدباغ : « مولاي ، بناء على المركز الحرج الذي وصلت اليه البلاد ، قررت الامة طلب تنازل جلالكم لسو الامير علي » .
الملك (مقاطعاً) : « انا وابني واحد . واذا كنت انا قد صرت عندهم » بطل « فلا بأس . ولكنني لا افهم ما القصد من هذا . لا يعني امر الملك في اي شخص كان . ولكنني لا اتنازل لولدي علي ابدآ . لاني اذا كنت انا » بطل « فولدي » بطل » .

(١) كان الامير يومئذ في جدة .

الدباغ : « كلا يا مولاي . لا ننسب لجلالتكم شيئاً من ذلك . وإنما نريد ان نسلك سياسة غير السياسة التي سرتم عليها ، عسى ان نتسكن من تخليص البلاد من مأزقها الحرج . والامة قد اجمعت على طلب ذلك من جلالتكم ، ونرجو اجابة رغبتيها . »

الملك : « يا ابني لكم ان تفعلوا ما تشاؤون . اما انا فلا اتنازل لولدي علي ابدأ . عندكم الشريف علي امير مكة السابق ، واخي ناصر ، وعندكم خديوي مصر عباس حلمي ، وعندكم الاشراف كنيرون . اختاروا اي واحد تشاؤون ، وانا مستعد للتنازل له . اما ولدي فلا يمكن لاني انا وهو شيء واحد . خيره وشيره عائدان لي . »

الدباغ : قد اجمعت الامة يا مولاي على اختيار الامير علي ولا ترغب . — الملك : « لا يمكن ان اتنازل لولدي . اقول لا يمكن قطعاً . »
الدباغ : « سأخبر الهيئة ثم نعلم جلالتكم . »

بما هو جدير بالذكر ان هذه الهيئة الشرقية التي التأمت طيلة ذاك النهار والليل ، كانت في مناقشاتهما واحمالها — واجماع رأيا غير شرقية . بل كانت في سرعة تقاريرها ، ومضاء عزمها ، من اعجب ما دُونَ في تاريخ الشرق والشرقيين . حتى انها اقبلت ابواب المدينة اثناء هذه المفاوضات ليبقى الامير علي في جده ويقبل البيعة .
بعد المحادثة بالهاتف ارسلت البرقية التالية وفيها البلاغ النهائي ، وفيها التهديد :

« صاحب الجلالة الملك المعظم بمكة . »

الحالة حرجة جداً ، وليس الوقت وقت مفاوضات . فاذا كنتم لا تتنازلون للامير علي فنسترحم بلسان الانسانية ان تتنازلوا لجلالتكم لتتمكن الامة من تشكيل حكومة موقته . واذا تأخرتم عن اجابة هذا الطلب فدماء المسلمين ملقاة على عاتقكم . »

اعاد صاحب الجلالة النظر في الامر فتحول بعد حديث الهاتف ، او بعد وصول هذه البرقية ، عن فكرته الاولى .

« مكة في ٤ ربيع الاول الساعة الرابعة (١٠ ليلاً) .

لا بأس . قد قبلنا التنازل بكل ارتياح ، اذ ليس لنا رغبة الا في سكينه البلاد وراحته وسعادتها . فالأمر عينوا لنا مأمورين هنا يستلمون البلاد بكل سرعة ، ونحن نتوجه في الحال . اذا تأخرتم ووقع حادث فانتم المسؤولون . والاشراف عندكم كثيرون (١) ارسلوا واحداً منهم او من سواهم . وعلاوة على هذا اذا قبل منكم علي الامر عينوه رأساً . الامضاء : حسين »

وفي اليوم التالي ارسل برقية اخرى الى « الهيئة الموقرة » بواسطة قائمقام جدة ، اشد لهجة من الاخيرة ، فيها يكرر انه مصمم على الاعتزال ، ويطلب تعيين من يستلم البلاد بكل سرعة . « فان الفوضى التي ذكرتموها وقعت بداعي اشهاركم رغبة تنازلي . واني لا اقبل اية مسؤولية تقع اذا لم تسرعوا اليوم في تعيين من يتولى الامر ، لأتوجه في الحال الى الجهة التي يختارها الباري عن طريق جدة . وهذا ليس هرباً من اي شيء تصورونه بل دفعاً للظنون والشبهات » .

اما الهيئة فقد اسرعت في العمل كما يظهر من تاريخ الجواب وعنوانه .

« في ٥ ربيع الاول .

صاحب الشرف الاسمي الشريف حسين المعظم .

جواب برقيتكم رقم ١٧ - بحمد الله ومساعدتي مولائي قد تمت البيعة لجلالة نجلكم المعظم ، وقد قاوض جلالاته من يازم في استلام البلاد وادارة شؤونها . فالمنتظر من مولائي مبارحتها بكل احترام تهدة للاحوال .

عن الرئيس

محمد طاهر الدباغ

(١) كانوا قد رحلوا من مكة كما رحلوا سابقاً من الطائف .

وكانت الهيئة قد كتبت الى الامير علي تقول :

« بناءً على طلب الامة قد تنازل جلالة والدكم ، بموجب بوقية رقم ١٩ المؤرخة في ٤ ربيع الاول ، وقررت الامة نهائياً البيعة لجلالتكم ملكاً دستورياً على الحجاز فقط ... وان يكون للبلاط مجلس نيابي وطني ، وقانون اساسي تضعه جمعية تأسيسية كما هو جار في الامم المتقدمة . وبما ان الوقت يضيق الان دون تأسيس المجلس الوطني النيابي ، قد قررت الامة ان تشكل هيئة مؤقتة لمراقبة اعمال الحكومة ... وانا نبايعكم على ذلك وعلى كتاب الله وسنة رسوله » .

في اليوم التالي للبيعة رجع الملك علي الى مكة . وبعد اربعة ايام ، في ليلة اليوم العاشر من هذا الشهر (٩ اكتوبر) وصلت الى جدة القافلة الحاملة لامتعة الحسين ، وفيها عشرون رجلاً تحمل اربعين صفة من صفائح البتول مملوءة ذهباً وقد قدر هذه الاحمال احد العالمين بالتخزين بمئة وستين الف ليرة .

اقام الحسين ستة ايام في جدة ، وكان يرفض ان يقابل احداً من الناس ، فانثرت هذه العزلة بلاغاً ارسله الى « فخامة رئيس وكلاء الحكومة العربية الهاشمية » وفيه محتج على الحكومة الدستورية ، ويعدد طغاوي ابن سعود ومظالم الامام يحيى بن حميد الدين .

قال الشريف : « اما الحكومة الدستورية ، سيما في الحرمين الشريفين ، فالعمل فيها ينفذ احكام كتاب الله وسنة رسوله . ان العمل في البلاد المقدسة بالقوانين البشرية لما تأباه شعائر الاسلام ، وفرائض الدين ، والاخلاق الشريفة مادة ومعنى » .

وقد قال محتجاً على حصر سلطة الحجاز بالحجاز : « لو لم يكن في هذا التجهيد الا تأملنا ما في مساعي الحضرة السعودية من الاستيلاء على حائل ، قاعدة امارة الرشيد ، والجوف مقر الشعلان ، وثبته في ضبط

الكويت ، وتعرضه في عسير لامارة آل عائض ، بل تجاوزه على مكة المكرمة ، ومساعي امام صنعاء لضم بلاد حاشد ، وتهامة الشوافع ، وحضرة الادريسي على الحديد وما حولها ... ها هنا قطع جواب الشرط على عادته ، ثم قال : « وعليه بلغوا الهيئة الموقرة احتجاجي القطعي اولاً على تحديد نفوذ الحجاز ، وثانياً على ما فيه ابدال العمل بكتاب الله . ولذا فاني احفظ حقوق اعتراضي وانكاري بالمادة والمعنى لكما ذكر » .

تحرر في ١٥ ربيع الاول سنة ١٣٤٣

وفي ليلة اليوم التالي نزل وحرره وعبيده الى البحر ، يرافقه للوداع السيد احمد السقاف ، رئيس ديوانه السابق ، وناظر الجمارك الشيخ محمد الطويل .

قال احد الذين اشتروا الحكومة الحجاز اليخت الذي اقل الشريف الى العقبة : « عندما وصلنا الى جدة نزل جلالة الملك ليفحص اليخت (الذي سماه بعدئذ الرقمتين) فقال معجباً به : « سنسافر فيه يوماً من الايام سفرة بعيدة » .

سفرة بعيدة ! اذا كان البعد في الاسفار يقاس بمدة الرجوع فهذه السفرة الاخيرة من الحجاز هي التي نظر اليها الشريف حسين بعين الغيب .

الفصل الحادي والأربعون

الشريف حسين

ان اسقوط الشريف حسين اسباباً سياسية وادارية وخلقية . اما السياسية فاهم ما فيها اغضابه الانكليز في رفضه المعاهدة الانكليزية الحجازية التي استمرت المفاوضات بشأنها ثلاث سنوات . ثم اغضابه امراء العرب ، وفي مقدمتهم ابن سعود . فقد كان في سياسته العربية يظهر غير ما يبطن ، فيقول مثلاً انه مستعد للتنازل عن عرشه ، وتسليم زمام الامور الى من يستطيع ان ينهض بالعرب ، وهو في اعماله غيره في اقواله . بل لم يكن ليروى في امراء العرب الحاكمين غير من هو في الدرجة الثالثة او الرابعة . ولم يكن ليروى في كل البلاد متقدماً سواء . هذه هي الحقيقة الناصعة . وان في هذا التاريخ من الادلة عليها ما يقتنع اشد الهاشمين نزعة واخلاصاً .

لنعد اذن الى تلك المعاهدة المشؤومة . ما تقاضى الانكليز عن الحسين بل عن الحجاز لغاية في النفس كما كان يظن بعض السياسيين في الشام وفي مصر والهند . وما اتخذت الحكومة البريطانية بعد مؤتمر الكويت موقف الحياد الا مضطرة ، لان سياستها العربية خلال الحرب العظمى وبعدها كانت تستوجب ذلك ، بل كانت تحول دون كل عمل سوى الحياد .

ومع ذلك فقد قال بعض السياسيين هناك ، وقالت جريدة التيمس الرسمية ، ان الحكومة البريطانية احسنت صنعاً بالوقوف موقف المتفرج بعد ان رفض الحسين ان يوافق على اقتراحاتها . فلو فعل ذلك لكان في الامكان ايجاد الوسائل اللازمة لتجنب الحالة الحاضرة ، اي لانقاذ الحسين .

وقد فاتهم ان يوم الطائف هو غير يوم تربة ، وانه بعد مؤتمر العقير الذي تسدد فيه الحساب بين حكومة بريطانيا العظمى وابن سعود ، وبعد مؤتمر الكويت الذي بدأ فيه عجزها عن التأليف بين ابن سعود والحسين ، لم يعد لكانتها في البلاط السعودي ذلك النفوذ المعروف . لم يعد في امكانها ان تقول لعاهل نجد : افعل هذا او امتنع عن هذا اكراماً لي . وليس في امكانها ، او في ارادتها ، ان ترسل الطائرات والسيارات المصفحة على الاخوان في الحجاز ، كما تفعل في العراق ، وكما فعلت في الشرق العربي . وهب انها امدت الحسين بالسلاح والذخيرة فهو لا يجد في البلاد من يلبيون دعوته للدفاع .

واليك بعد هذا وذاك بالبرهان القاطع . قد قبل الحسين في الساعة الاخيرة ، اي في الايام التي تخللت الاستيلاء على الطائف ووقعة الهدى ، ان يفاوض الحكومة البريطانية في تعديل مطالبه ، فجاء وفد من مكة الى دار الوكالة البريطانية بجدة يعرض ذلك على الوكيل ، وعاد خائب الامل يقول : سبق السيف العذل . هذه هي الحقيقة في موقف بريطانيا العظمى تجاه الحسين ونجاح الحجاز بعده . فهي لو شاءت ان تنقذ المتقذ الاكبر ، بعد سقوط الطائف لما استطاعت . فانخذت لذلك خطة الحياذ تحفظ بها كرامتها في مدة الملك علي القصيرة

نجي . بعد هذا على ذكر اسباب السقوط الخلقية والادارية . كان الشريف حسين الكل في الكل ، حتى في تحرير جريدة القبلة . فقد كان يظن ان مقالاته الافتتاحية تترجم الى اللغات الاوروبية فيطالعها ويهتم بها الوزراء ، وان آراءه في سياسة العالم وسياسة الحياة ، من اصغر الجزئيات الى اكبر النظريات ، هي وحي منزل ، وان تفسيره لبعض آيات القرآن هو اصح من تفاسير الائمة الكبار ، وانه في الفصاحة والبيان ، مثله في العلم ، امير اقرانه ، وفريد زمانه ، وانه اذا استصرخ

العرب يحيشونه من اقصى الجزيرة سامعين لامعين ، وانه يستطيع ، وهو في « الخلوان » (١) ان ينقذ البلاد ويؤسس الدولة العربية . بل كان يظن ان العالم الاسلامي باجمعه يتقسم لابتناسامه ، ويفضب لغضبه ، وان الذين يخدمونه يخدمون العرب والاسلام ، ولا ييغرون اجراً غير رضاه . على ان الذنب في كل ذلك لم يكن ذنبه وحده . كان الحسين حلب العود ، قوي الشكينة . وقد ولد في ظل الكعبة ، وفي اصفى فروع السليقة النبوية . بيد ان غيره من سعدوا بهذه التلائد كانوا معها حكماء ، او انهم في حياتهم سعدوا كذلك بمن يخلص لهم النصيحة ، فكانوا يسمعون وينتفعون . اما الحسين فقد كان في عنجيته فريداً ، لا يسمع غير صوت نفسه وصداها ، ولا يقرب منه الا من كان صدى اصداءه ، وصوره شمسية لما يبغيه ولما ياباه .

ان التبعة والحال هذه في جزء كبير من غرور الحسين هي على اولئك الذين كانوا نظاراً وقضاة وكتاباً وضباطاً في حكومته ، اولئك الذين زانوا الديوان الهاشمي بصورهم البهية - الناطقة بالتسبيح - فكانوا لصاحب الجلالة اعداء مدرعين ، مدرعين بالمداينة والمداينة ، بسبعون ويمجدون كلما فاه بكلمة ، مهما كانت نافية ، وكلما جاء بعمل مهما كان سخيلاً ، - اي نعم سيدي - من احسن ما يكون سيدي - وحي منزل سيدي !

وكان كل من في الديوان و « الخلوان » يعرف الحقيقة ، الا جلالة الملك الذي كان يعرف ما فوق الحقيقة ، ولا يشاء ان يعرف سواها . ادرك الديوان حقيقة البدو مثلاً ، ولم يدرك مثل جلالاته حقيقة السيادة المرتكزة على نسب نبوي . وما ضر هذه السيادة اذا نكبت وقتاً في الججاز ؟

(١) ديوان الملك الخامس .

قد اجتمعت في الحسين الاضداد ، فكان خيالياً ، وكان عملياً . بل كان روحياً ، وكان مالياً ، يتعشق قارة ما فوق الحقيقة ، يستوسل الى الاوهام ، وطوراً يتمسك تمسك البخيل بحطام الدنيا . اجل ، قد كان محباً للمال حريصاً جداً عليه ، فجاء الذهب يوازن ما تراكم من اوهامه ، وما اختل من احكامه ، وما اسود من ايامه . ولا غرو ، فقد كان هذا العربي ، في صفته شريف مكة ، من اكبر التجار . وقد كان في صفته ملكاً من اكبر الظالمين . ظلم الرعية ، وظلم نفسه ، وظلم كل من في حكمته الا المنافقين ، المختلسين امواله واموال الامة .

في اللغة التركية مثل يقول : كل من له في يأكل . وقد كان هذا المثل قاعدة الملك حسين في حكمته . ان الذي « يأكل » يشبع ، فيحسن عمله . والذي لا « يأكل » يظل جائعاً . والجائع لا يستطيع ان يقيد احداً من الناس . انها لقاعدة في الاحكام تدش حتى « مكياغلي » امام المتفلسفين بالسياسة والرياء .

ان الرجل الصادق رجل مزعج ، فهو يقترح اقتراحات لا يرتاح اليها الملوك ، وهو لا يسهل الاعمال في كل حال ، ولا يقول دائماً : اي نعم سيدي . بعداً للصادقين ، فانهم الملوك دواء مر جداً . وهم فوق ذلك يورثون صاحب الجلالة الصداق .

اما الذين يتكفنون ، ويطأطئون الرؤوس ، ويقولون دائماً : اي نعم سيدي و « يا كلون » ثم « يا كلون » - على شرط ان يكون اكلمهم من فضلات الاسد - فهؤلاء من خير الناس ، ومن اقدر الموظفين ، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

قد امتازت حكومة الحسين بعدد من هؤلاء « الاكلين » الذين خرجوا من جدة قبل خروجه وبعدده وفي حقائقهم ، او في المصارف خارج الحجاز ، ما اعدوه من الابيض والاصفر الايام السود .

ومن هؤلاء عبقرى في الاختلاس ارسله الحسين الى اوروبة ، عندما قرب المدينة من مكة ، ومعه عشرة آلاف ليرة ليشترى بها طيارات ودبابات . فراح حضرته الى مصر واشترى بالقيمة عقارات لنفسه .

ومن هؤلاء حامل ستم الوكالة الحجازية ، وتاجر الغنم ، وقيم المطوفين ، وسفارة الجبال والشقادي . كان تاجر الغنم رجلاً في مكة محترماً معززاً . ولكنه في البادية ملعوناً مذموماً . فقد كان يرهق البدو ليغني السيد الاكبر . ويريش نفسه . يشتري من البدو اغنامهم بارخص الاغان ويبيعها من الحجاج باغلاها . - الف رأس بثلاثة الاف مجيدي . بعناها اليوم يا مولانا بعشرة آلاف . هذه ثلاثة الاف لاصحاب المال ، وهذا يا مولانا الباقي .

ومن هذا الباقي يأخذ الاسد خمسة الاف او اكثر ، ويعطي الجمل الفين او اقل . ان امر هذا الجمل لغريب عجيب . فقد كان في رأس المتربين من الديوان الهاشمي ، لا لعبقريته بتجارة الغنم و « بالاكل » فقط ، بل لتقننه باخبار السوء عن نجد وابن سعود ، تلك الاخبار التي كان يتخف الملك بها .

- « السنة سنة جذب في نجد . قد جفت الآبار ، وهلك الوف من البئر (الابل) » .

- « صحيح ! سبحان الله . انت يا بني اعلم الناس باحوال نجد » .
- « ابن سعود » مضغن « سيدي ، مضروب بالرة . يقولون : السل . وهذا الداء لا يعيش صاحبه » .

- « صحيح ؟ - صحيح ؟ - سبحان الله ! لا يصدقني الخبر غيرك » .
- « وقد خرجت عليه قبائل الحسا ، وهم يقولون انهم لا يبعون غير الملك حسين » .

- « هذا الذي اقوله دائماً يا ابني . ستخرج عليه القبائل كلها . وكلها تحيثنا ان شاء الله » .

ولم تكن تجارة الغنم بتجارة الشريف الوحيدة . فقد كان يتقاضى المطوفين والحجازين والنجالة قسماً من ارباحهم . ان هناك رسوماً للحكومة يدفعها الحجاج ، وفوق تلك الرسوم كان الحسين يتقاضى المطوفين نصف ليرة عن كل حاج . جاءه احد اولئك المطوفين ذات يوم يقول : « حجاجي كلهم فقراء لا يبذلون ... ما في فلوس » وقصد المطوف ان يعنى من الضريبة الشريفة . فاجابه الشريف : « اي يا ابني كلهم اولادنا . والفقراء يساعدهم . لا تأخذ شيئاً منهم . ولا تطالبهم بشيء » . كلهم اولادنا ويجب ان نساعدهم » .

عمل المطوف بامر مولاه فأعطى حجاجه من الزادات . ولكنه بعدئذ أمر بدفع الرسم نصف ليرة عن كل حاج ، فدفع المال من كيبسه . وهناك باب آخر من ابواب هذه التجارة العجيبة . قد كان الحجاج الذين يبعثون الزبارة يدفعون خمس عشرة ليرة اجرة الجمل من مكة الى المدينة المنورة ، يدفعونها لعمال الملك ، فيدفع جلالتهم للجمال خمس او ست ليرات . اما ما تبقى فمعهظه للاسد ويسيره للاجبال .

كثيرة هي القصص التي تروى في الحجاز ، دليل حب الحسين للمال ، ودليل حرصه الشديد عليه . سألت مرة احد عبيد القصر عن الاجرة التي يتناولها فقال « قلما نقبض شيئاً من المال . ونخشى ان نطلب لان جلالة الملك لا يحبب الطلب ، ويوبخنا . قد ردني مرة بلطف ونصحتني الا احمل المال . هو يقول : المال يفسد الرجال الحسين ؟ هذا الحسين !! » .

افصح العبد عن فكره بقبضة يده ، ثم قال : ولكنه صاحب عقل والله . عقل كبير . هو يكتب في الجريدة اشياء عجيبة . . وكلها من رأسه والله . هو من الدواهي وصاحب فراسة . لا يمكنك ان تخفي شيئاً عنه . يلقي عليك نظرة ، فتعطيه سرك حالاً . واذا ما اخذ شيئاً

من لسانك ، يستنطق اهداب عينيك والله ، ولكنه » - اعاد العبد تلك الإشارة وهو يهز قبضة يده . « ومع ذلك هو يقول : المال يفسد الرجال » .

اني خاتم هذا الفصل بقصة اخرى قصها عليّ أحد عماله الكبار . بما هو معروف ان الحكومة البريطانية كانت في الحرب العظمى قد احسبت بالمال ، ويرجع العالمون بشؤون الحجاز والثورة العربية ان يحصل ما ارسلته اليه هو مليون ومئتا الف ليرة . على ان الدفوعات الاولى ، التي كانت الواحدة منها تبلغ مئة وخمسة وعشرين الف ليرة ، لم تكن حسب ادعائه كافية للتجديد . فاوفد احد وزرائه الى مصر ليقابل العميد البريطاني هناك ، يومئذ السر روجينلد ونغيت ، فيعلمه بالامر ويطلب ضعفي القيمة .

جاء الوزير ، وكان في طلبه بليغاً . فابرق العميد الى حكومته بلندن فسمعت الحكومة ، واجابت بعض الطلب ، فاضافت خمساً وسبعين الف ليرة الى القيمة التي كانت ترسل الى جدة .

ابرق الوزير الى صاحب الجلالة الهاشمية ، وهو مسرور بهذا الفوز ، لانه كان يرجو منه زيادة في راتبه القليل . وبعد ايام عاد الى جدة على ظهر مدرعة انكليزية . هي أبهة الحرب . يالها من ابهة !

وعندما وصل الى جدة استقبلته الحكومة استقبالا فخماً ، وسار في موكب عظيم الى مكة ، فوصلها قبل غروب الشمس ، فامر به صاحب الجلالة ان يبقى خارج البلد ، لتتمكن الحكومة في صباح اليوم التالي من استقباله استقبالا يليق بمقامه .

وكان صاحب الاقبال الوزير المحترم يفكر دائماً بما ستكون قسمته من الخمس وسبعين الف ليرة . واحد بالمئة فقط ؟ او زيادة قليلة في راتبه ؟ انه لراض بذلك .

دخل مكة دخول الفاتحين . وبعد ان قابل مولاه ، واستراح من
اتعاب السفر ، جاء الى زميله وزير المالية يسأله اذا كان جلالة الملك امر
بشيء . فاجابه الوزير : « قد امر بارت فحسم من حسابك راتب شهرين
مدة غيابتك .



الفصل الثاني والاربعون

الآباء يأكلون الحصرم

في الحديث الذي دار على الهاتف بين مكة وجسدة يوم الانقلاب رفض الملك حسين بناتاً ان يتنازل لابنه علي . ويذكر القاريء قوله : اذا كنت انا لا افنع فعلي لا ينفع . وقوله : خير ابني وشره عائدات لي . والاصح ان تعكس هذه الكلمة . فان خير الحسين وشره عائدان لابنائه ، وخصوصاً في هذا الموقف لملي . الآباء يأكلون الحصرم والابناء يضرسون .

اما اذا كان قد اشفق الوالد على ولده من هذا الارث المهلك الذي يدعى الملك الهاشمي فكلته ثمرة عرفان يكاد يكون وحياً ، واشفاقه زهرة احسان طيبة . انها في هذه الحال العزيزة الابوية التي قلما تخطأ في حننها .

اقام الملك علي اسبوعاً في مكة ، فادرك ان قوات الدفاع لديه لا تكفي لرد جيش نجد ناهيك بغلبته . بل رأى جنوداً مشتتين شاردين ، ولم يبق منهم غير مثنين كانوا في الدفاع متزددين .

وكان الاخوان قد وصلوا في ١٥ ربيع الاول (١٩٢٢ - ١٣٤٣ هـ)
 (اكتوبر) الى قرية الزينة التي تبعد ست ساعات عن مكة ، وهم مصممون على الحصار^(١) فانسحب الملك علي ليلة ذاك اليوم بنحو مثنين من الجنود ومثنين من الشرطة ، ووصلوا في صباح اليوم

(١) قد استفتت القيادة عملاء الرياض في ان يرم الجنود ويدخلوا مكة منكسي البنادق . فان لاقوا من صدم عن البيت قائلوه : وان لم يلقوا احداً دخلوا . ولكن العملاء منعوم عن ذلك قائلين ان دخول الحرم بقصد القتال فيه لا يجوز .

التالي ، الاربعاء ، الى سهل جدة ، يوم كان الشريف حسين يتأهب للرحيل . ولكن علياً ظل خارج المدينة فلم يجتمع بوالده ، ولا كانت من المودعين .

وفي ليلة اليوم الذي دخل فيه الى جدة ، اي في ١٧ ربيع الاول ، وصلت شرازم من الجيش النجدي الى مكة . ثم مشى في صباح اليوم التالي الشريف خالد يقود بقية الجنود ، فدخلوها محرمين ، وحافوا ، وسعوا ، واستولوا بعد ذلك الاحرام على البلد المقدس ، وهم ينادون فيه : الامان الامان !

لو استمرت يومئذ القيادة في الزحف غرباً لدخلت جدة بسرية واحدة صغيرة دون ان تلقى من الحكومة فيها او من الاهالي اقل مقاومة . ولكنها وقفت في مكة عملاً بالوامر العالية التي كانت موجهة في جدة . لذلك استحوذ على الناس وعلى الحكومة الذعر والخوف وكان الكثيرون حتى من الجنود ينتظرون الباخرة الاولى للقرار .

ولكن الباخرة الاولى التي وصلت في ١٩ ربيع الاول من العقبة كانت تحمل الى الملك علي نجدة من شرقي الاردن . جاءت « رضوى » تقل كتيبة من الجنود عددهم ثلاثمائة ، ومئة من عرب شمر النازحين الى الشرق العربي ، بقيادة امير اللواء حسين باشا الفقير ، وقد جندهم الامير عبد الله بمساعدة بعض الانصار في فلسطين . انعشت هذه النجدة امال الملك علي ، وشدت ازر جنوده المهزومين . الا انها لم تغير في نفسية المدينة ، ولا اضرمت في الاهالي شيئاً من الخاس .

— الاخوان جابون ، والجنود منهزمون ، وعلي متأهب للرحيل .

فما لنا اذن غير التسليم . وخير البر عاجله . تألف لذلك وفد ليذهب الى مكة ففاوض القائدين سلطاناً وخالداً في شروط الصلح ، وكان الملك علي عالماً بذلك . فسافر في ٢ ربيع الثاني الوفد المؤلف من عشرة وجهاء

جدة وبعضهم من المناوئين لبית الحسين . هؤلاء ، عند وصولهم الى مكة ، بايعوا ابن سعود « دينوا » . وقد عاد الوفد بحمل شروط الصلح وهي : خلع الملك علي واخراجه من البلاد ، او اجباره على الخروج من المدينة للحرب

لم يكن شيء من ذلك . ولكن القيادة النجدية انتفعت ولا ريب بتجنيء هذا الوفد ، فعلمت اشياء كانت تجهلها . ومما لا ريب فيه ان جلالة الملك كان شديد الرغبة في مصالحة ابن سعود وموالائه . فقد ارسل بعد ان بويع بالملك برقية عن طريق البحرين الى السلطان عبد العزيز جاء فيها : « ان اقضى رغبتى ان يسود السلام في الجزيرة ، وان تعود السكينة ما بين نجد والحجاز . واني باسط لك رأى في السلم ، ومقترح عليك عقد مؤتمر للرجوع الى اتمام المفاوضات التي بدأت في مؤتمر الكويت ولازالة بواعث الخلاف » .

على انه اشترط في عقد المؤتمر جلاء الجنود النجدية عن الحجاز ، فاجابه السلطان بالاجاز : « ان شروطي الاخيرة هي ان لا صلح بيننا ما دام ابناء ابيكم يتوارثون الملك في الحجاز . وانتم تعلمون ان الحجاز للعالم الاسلامي ، فلا ميزة لطائفة من المسلمين عن طائفة اخرى » .

وكان الحزب الوطني الحجازي برئاسة الشيخ محمد الطويل ، ناظر الجارلوك يومئذ ، قد اصدر بلاغاً عاماً ينيء بخلع الحسين ، وبيعة الملك علي على ان يكون ملك الحجاز فقط ، وابق الى جمعية الخلافة في الهند يقول : « قد ارسل الحجازيون كتاباً رسمياً الى الامام ابن سعود وطلبوا منه ان يرسل مندوباً لعقد الصلح . ان الحجازيين بعد نشرهم هذا الاعلان العام يلقون تبعة ما يحدث على عاتق العالم الاسلامي ، اذا كان لا يسعى لتخليص الارض المقدسة واهلها ، ويمنع جند نجد من التقدم » . اما العالم الاسلامي الذي كانت فئله يومئذ لجنة الخلافة ، حسب

دعائها ، فقد ابرق باسم رئيسها شوكت علي الى سلطان نجد يخبره
ببرقية اهل الحجاز وبلاغهم ، ثم يقول : « ان مسلمي الهند لا يوافقون
على بقاء الشريف حسين ولا ابنائه في الحجاز . وان حكومة الحجاز
يجب ان تكون حكومة ديمقراطية حرة ، خاضعة لرأي العالم الاسلامي ،
وان جمعية الخلافة لا تعترف بامارة الشريف علي » .

ولكن المجلس الاسلامي الاعلى في فلسطين ، الذي كان قد ابرق
الى السلطان عبد العزيز متوسطاً بالسلم بينه وبين الملك حسين ، لم يكن
من رأي العالم الاسلامي . وقد ارسل السلطان الى سماحة المفتي رئيس
المجلس الجواب الآتي :

« امين الحسيني ورئيس المجلس الاسلامي الاعلى بالقدس .

يجزئنا ان تكون جاءت وساطتكم في وقت متأخر . فانا منذ سبع
سنين نتوسل بجميع الوسائل لاحلال الصلح والوفاق محل الجفاء والشقاق ،
فلم تثمر مساعيها . وكنا كلنا لنا للحسين تجافى . فتصريحاته المتكررة
في شرقي الاردن التي تبرهن عن نياته الاكيدة في بلادنا ، ومنعه
رعايانا ست سنين من اداء فريضة الحج ، وحركاته المستمرة فتتها في
بلادنا من عسيرة وغيرها ، ومعاملته حجاج بيت الله كافة ، وعجزه عن
تقرير الامن في الحجاز ، بما اجبرنا ان نتخذ التدابير الفعالة لتستقر الحالة
في بلاد الحرمين وليأمن مستقبل بلادنا . وانا نرغب في وجود ادارة
في الحجاز تكفل حقوق جميع المسلمين بوجه المساواة ، وتضمن راحة
الحجاج ، وتزيل عنهم المظالم كلها » .

بعد هذه البلاغات والتوسطات والجوابات ، رأى الملك علي ان يغير
اللهجة في ما أبرقه الى ابن سعود ، خصوصاً ان نجدات اخرى صغيرة
ثلث النجدة الاولى من الشرق العربي ، فنكتب اليه هذه المرة يقول انه
مستعد للحرب ، ويمكنه اخراج جنود نجد من مكة اذا رفضت

حكومة نجد الصلح . وكان جواب السلطان واحداً وما تقدمه : « الحسين مسؤول عن الحالة . ويجب اخلاء الحجاز من اولاد الحسين ، وانتظار حكم العالم الاسلامي الذي له الحق في الفصل في امر الاماكن المقدسة وطريقة ادارتها » .

هذه الوثائق تثبت اذن ما يلي : اولاً - ان المجلس الاسلامي الاعلى في فلسطين سعى في سبيل السلم . ثانياً - ان الملك علياً عرض الصلح على السلطان عبد العزيز . ثالثاً - ان ابن سعود رفض السلم ما دام احد اولاد الحسين في الحجاز . رابعاً - ان جمعية الخلافة في الهند كانت تتكلم باسم العالم الاسلامي ، وانها كانت معادية للحسين واولاده . خامساً - ان ابن سعود ، وقد استنصرته تلك الجمعية ، شرع يتكلم كذلك باسم العالم الاسلامي الذي يطلب اخراج الحسين واولاده من الحجاز . سادساً - ان الحزب الوطني الحجازي استصرخ العالم الاسلامي ووضع تبعه الحالة في الحجاز على عاتقه . فالعالم الاسلامي ، والحال هذه ، كان ضائعاً بين الهند ونجد والحجاز . ومع ذلك فقد وضع السلطان عبد العزيز الثقة التامة به ، وركن الى احكامه ، بدليل البرقية التالية :

« البحرين في ١٦ نوفمبر ١٩٢٤

الشريف علي بن الشريف حسين .

اني احترم شخصكم احتراماً عظيماً . ولكن معاملة والدكم لاهل نجد وسائر المسلمين هي التي جعلتنا نقف هذا الموقف . فاذا كنتم تحبون السلام ، وحقن الدماء ، اخلوا الحجاز ، وانتظروا حكم العالم الاسلامي . فان اختاركم ، او اختار غيركم ، فنحن نقبل حكمه بكل اوتياح . اما اذا بقيتم في ارض الحجاز فان مسؤولية ما يقع من الحوادث تقع على عاتق غيرنا .

سلطان نجد »

الاياه يأكلون الحصرم والابناء يضرسون !

الفصل الثالث والاربعون

ورسل السلام

قد اسلفت القول ان جلالة الملك الحسين ، 'قبيل سقوط الطائف ، عين وزير خارجيته الشيخ فؤاد الخطيب سفيراً لدى حكومة ايران . فبادر السفير الجديد الى التأهب للسفر ، وهو مسرور بوظيفته هذه ، مغبوط من زملائه عليها ، وركب البحر من جدة مصحوباً بكاتب سره ، وترجمانه ، وياوره ، ومرافقه ، وعبيده . وقد لحق به آخر هو القدر فادركه في الشرق العربي . اذ ما كاد يصل الى عمان ، في طريقه الى بغداد فظهران ، حتى وصلته دفعة واحدة اخبار الحجاز كلها ، من سقوط الطائف الى تنازل الحسين !

ثم جاءه امر من الحكومة الجديدة ، حكومة الملك علي ، بالرجوع الى وظيفته السابقة ، فقبل الشيخ فؤاد قصة الجبار فيه وهو يقول : سأكون هذه المرة وزير الخارجية لا ترجمانها . وقد أوحى اليه انه بصفته هذه العالية يستطيع ، اذا استعان بصديقه مؤلف هذا التاريخ ، ان يسعى في سبيل السلم بين البلدين نجد والحجاز معياً موفقاً . لذلك ابوق الى يقول انه ينبغي مقابلي ، وانه غير مأذون بالدخول الى سورية . فهل يمكنني ان اوافيه الى عمان .

تكررت البرقيات بيننا ، فاتفقنا على الاجتماع في حيفا . وبعد المفاوضة هناك زرنا سمو الامير عبدالله في مقره بعمان ، فرغب اليّ عقب المذاكرة بالتوسط بين جلالة اخيه وعظمة السلطان . وقد اطلعني الشيخ فؤاد في اليوم التالي على بوقية جأته من الملك علي يرحب فيها برسول السلام .

قبلت المهمة لاسباب ثلاثة : اولاً - لاني على اتصال بعظمة السلطان وعالم ببعض ما يرمي اليه في سياسته العربية . ثانياً : لاني منذ البدء في رحلتي العربية رسول السلم والتضامن بين ملوك العرب . ثالثاً : لاني كنت اقترحت على عظمته اقتراحاً لحل مشكل الحجاز سلماً فجاءني منه جواب يستحسن الاقتراح ، ويشجع على السعي في سبيل تحقيقه . اضع الى ذلك ان عدداً كبيراً من وجهاء المسلمين في بيروت اجتمعوا على التوسط بين العاهلين العربيين وقرروا ان اكون رسولهم اليهما .

سافرت والشيخ فؤاد الخطيب الى السويس ، ومنها الى جدة ، فوصلناها في ٧ ربيع الثاني (٥ نوفمبر) . وكانت قد سبقنا اليها رسول آخر من رسل السلام ، هو المستعرب الانكليزي المستر فلي^(١) الذي كان سابقاً وكيل دولته السياسي في شرقي الاردن .

قد كانت الاشاعات بخصوصه عديدة ، واظهرها انه قادم بصفة رسمية او شبه رسمية من قبل الحكومة البريطانية للتوسط بين علي وابن سعود . ولكن المعتمد الانكليزي بجدة المستر بولارد^(٢) كذب هذه الاشاعة رسمياً . وقد اكد لي ان المستر فلي ، وان كان رغم اقالته من وظيفته لا يزال في سلك الموظفين ، هو متطوع للخدمة التي جاء من اجلها . وانه لا يمثل غير نفسه . وقد اثبت ذلك الملك علي اذ قال : « هو صديق لابن سعود وصديق لنا . وقد عرض خدمته بواسطة وكيل الحكومة العربية السابق بلندن فقبلناها » .

اجتمعت بزميلي بعيد وصولي ، ثم تكررت الاجتماعات والمباحثات فكننا في الموضوع متفقين - متفقين في وجوب التوسط بالسلم . بل في وجوب السلم خير العرب بين نجد والحجاز .

H. St. John Philby (١)

R. W. Bullard (٢)

ولكن الرجل الذي جئنا نفاوضه لم يكن قد وصل الى مكة ، ولا كانت مقره يومئذ معروفاً . هل هو باق في الرياض ام هو في الطريق الى الحجاز ؟ واذا كانت لا يزال في الرياض فهل هو قادم الى مكة ام لا ؟ واذا كان ينوي القدوم فمتى ياترى يتحرك من عاصمة نجد ؟

هذه سؤالات كنا نساءلها . ولم يكن في جدة ، لا في الحكومة ، ولا في دور القناصل ، ولا بين التجار ، من يستطيع ان يجيب عليها . لم يكن في جدة شخص واحد يعرف شيئاً عن ابن سعود .

وكان المستر فلبي قد كتب الى احد قائدي الجيش النجدي بمكة مستخبراً ، فلم يحظَ بجواب . وقد كتبت انا الى القائدين كليهما ، الى سلطان بن بجاد الذي يعرف اتى صديق عظمة السلطان والى الشريف خالد ؛ فلا جاء الجواب من احدهما ، ولا عاد الرسول . ثم خطر لي ان أبرق الى عظمته بواسطة وكيله في البحرين . وقد كنا تباعثنا انا والمستر فلبي في السفر براً عن طريق الطائف الى الرياض ، فنجتمع بعظمته في العاصمة او في الطريق ، وعقدنا النية على ذلك . فابرت الى القصبي في البحرين اولاً وثانياً فجاءني منه جوابان الواحد بالعربية : - « ارسلنا برفيتك الى الامام » والاخر بالانكليزية : - « قد سافر الامام الى الحجاز » . وهذه البرقية الانكليزية اول نبأ وصل الى جدة ينبيء بسفر السلطان ، فسر به الملك ، وسرت الحكومة والقناصل ، بل سرت المدينة بأسرها . كيف لا ولسان حالها وحالتها واحد - لا بد في قدوم السلطان ان تتغير الحال فيضع عظمته حداً لتلك الفظائع التي كانت تروى اخبارها في جدة . والسلطان رجل عاقل حكيم يمكننا ان نتفاهم وايه .

بتنا والحال هذه ننتظر وصول عبد العزيز . وفي ذاك الحين علمنا ان رسولاً آخر من رسل السلم هو قادم الى جدة ، وانه من كبار المسلمين . سرنا الخبر انه من المسلمين ، فيجيء موازناً لمسيحية زميلي

الانكليزية ومسيحيي العربية . والظاهر ان الفكرة هذه خطرت لجلالة الملك ، فقبل بتوسط السيد طالب النقيب الذي كان يومئذ في الاسكندرية . والسيد طالب ، الذي جاء ذكره غير مرة في هذا التاريخ ، هو صديق للسلطان عبد العزيز . وهو كذلك صديق المستر فليبي الذي عرفه في العراق يوم كان من المستشارين هناك ، وكان السيد وزيراً طالباً للعرش . فاذا كان السلطان لا يقبل بتوسط المستر فليبي ولا بتوسطي ، وهو في البلد المقدس وفي ظل الكعبة ، فلا بد ان يأذن بالزيارة في الاقل لمن اجتمع به مراراً في الكويت وفي البصرة ، وكان ضيفه في القصيم ، بل لمن توسط مرة بينه وبين الترك ، لصديقه الحميم السيد طالب النقيب .

عندما وصل السيد طالب كان خط الدفاع حول جدة ، بما فيه من الاستحكامات والمتاريس والحنادق والاسلاك الشائكة والالغام ، قد تم كله . وهو في شكل هلال طوله من البحر الى البحر نحو ستة اميال . وكان الملك علي قد استعاد شيئاً من الامل والاطمئنان ، بل كانت ثقته بالفوز ، سائماً او حرباً ، تزداد يوماً فيوماً مع ازدياد عدد الجيش النظامي وقوته ، لان الشريف والده كان يبذل المال والامير اخاه يبذل المهمة في سبيل التطوع في الشرق العربي « للدفاع عن بيت الله الحرام » . . . وهذا خط الدفاع يا عبد العزيز ، وهؤلاء اصدقائك واصدقاؤنا ورسلك السلام .

الفصل الرابع والاربعون الى مكة

في العشر الاول من ربيع الثاني سنة ١٣٤٣ ، يوم كانت جعدة ودوائر السياسة فيها تجهل مقر السلطان عبد العزيز ، وتجهل مقاصده الحربية او السلمية ، كان هو في الرياض يتأهب للسفر الى الحجاز . وقد أم العاصحة في ذلك الحين رؤساء القبائل والاعيان ليودعوه فنخطب فيهم قائلاً : « اني مسافر الى مكة لا للتسلط عليها ، بل لرفع المظالم التي ارهقت كاهل العباد . اني مسافر الى مهبط الوحي لبسط احكام الشريعة وتأييدها ... ان مكة للمسلمين كافة وسنجتمع هناك بوفود العالم الاسلامي ، فتبادل واباحم الرأي في الوسائل التي تجعل بيت الله بعيداً عن الشهوات السياسية ... وسيكون الحجاز مفتوحاً لكل من يريد عمل الخير من الافراد والجماعات » .

وقد ارسل قبل السفر الى الامام يحيى وغيره من امراء الاسلام المستقلين الكتاب الآتي : « اما بعد فقد استقبلت الطريق الى مكة غير باغ ولا آثم . فليفضل الاخ العظيم بارسال من يمثله في مؤتمر مكة حياً بنشر السلام بين امم الاسلام . سلطان نجد : عبد العزيز » . هذا فيما يختص بشؤون البلاد الخارجية . اما شؤونها الداخلية فقد جعل والده الامام عبد الرحمن مرجعها الاعلى ، وانااب مكانه في العارض ابنه سعوداً على ان يعمل بمشورة جده . ثم كتب الى اهل بريدة وعنيزة والى بعض الهجر من الاخوان ان يوافوه بألويتهم وجوعهم الى اماكن عيشها .

وفي ١٣ ربيع الثاني (١١ نوفمبر) خرج من العارض بكونية من

الفرسان ، ومجاشيته المؤلفة من كتاب السر وبعض العلماء ، وفيهم من آل الشيخ عبد الله بن حسن قاضي جيسه ، والشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف إمامه . وقد رافقته في هذه الرحلة اخواه محمد وعبد الله ، وابناه محمد وخالد ، وغيرهم من آل بيته ، ونفر من آل السبهان وآل الرشيد ، وغيرهم من وجهاء نجد . ثم انضم الى الموكب الشاعر عبد الرحمن النفيسة وراوية نجد المشهور عبد الله العجيري . وكان مع عظمتهم من المستشارين السوريين الدكتور محمود حمدي ومحمد النحاس ويوسف ياسين وجمال الغزي .

اما الاولوية التي لحقت بالموكب السلطاني في الطريق فعددتها خمس عشرة لواء ، خمسة الوية من اهل القصيم - من بريدة وعنيزة والبكيرية والمذنب والجبراء - وهؤلاء من الحضرة ، وعشرة الوية من هجر الداهنة ودثنة ونقي والشبيكية وغيرها .

ان الطرق المعروفة بين نجد والحجاز كثيرة ، اقصرها من الرياض ، بعد الخروج من وادي حنيفة ، هي الطريق الجنوبية التي تبدأ من ضربة قتمر بالركيبة ، ومسافتها الى مكة نحو خمسة ميل . ولكن السلطان اختار الطريق الشمالية التي تمر بالوشم واطراف وادي السر ، ثم بالشعرة ، وهي تزيد نحو مئة ميل على الاولى ، ويستغرق قطعها عشرين يوماً للقوافل ، ومن الخمسة والعشرين الى الثلاثين يوماً للجند . اما النجباء حامل البريد فيمكنه ان يقطع المسافة بين مكة والرياض بعشرة ايام . سار الموكب سيراً معتدلاً ، لا كالقوافل ولا كالجليش . وكانت يقف يوماً او يومين على بعض المياه القريبة من العمران ، فتجيء الوفود تسلم على الامام ، وتجيء معهم في بعض الاحايين الشكايات التي كان يستمعها ويمهد سبيل العدالة لاصحابها .

اربعة وعشرين يوماً ظل الموكب في الطريق . وكان يمشي سيراً

واسراء من الثاني ساعات الى الخمس عشرة ساعة كل يوم ، ويجشي حتى في البادية بنظام عسكري .

قد دون الاديب يوسف ياسين^(١) بعض اخبار هذه الرحلة السلطانية ، ونشرها تباعاً في جريدة « ام القرى » فذكر اسماء الاماكن التي مروا بها ، والمضارب والمياه والشعاب والادوية ، وردّها الى ما جاء من ذكرها في دواوين الشعر وكتب الاقدمين . وقد وصف الموكب من ساعة الادلاج الى ساعة الاناخة الاخيرة كل يوم فاخبرنا كيف كانت السلطان ورجاله يقضون ساعات النهار والليل في السير والسرى .

قلت ان للموكب نظاماً عسكرياً في السير . وما سوى ذلك فلا دليل على الحرب في ما كان يحمل ، ولا اثر للحرب في ما كان يُسمع في صفوفه . انما هو رهط من الناس خرجوا للسياحة ، وفي سياحتهم رياضة مزدوجة بل مثلثة اي رياضة روحية ، وجسدية ، وادبية .

يسوح الاوروبيون في حقائبهم الكتب يطالعونها في ساعات السفر . وها نحن في البادية - عرب في فيافي العرب - ومعنا من الكتب الدينية والادبية والتاريخية للمطالعة في النهار وفي الليل ، اجل ، ترانا نسمو ونحن في السرى . فاذا ما طال الليل ومل الحادي ، سمعنا صوت السلطان ينادي العجيري . وقد يكون راوية نجد معتزلاً الركب كما هي عادته ، فيكرر احد الرجال كلمة السلطان : العجيري ! - يا عجيري تقدم . فيبحث الراوية رحلته ، وبعد ان يدنو من عبد العزيز يسلم ويشرع يقرأ ؟ اجل ، انك اذا كنت لا تراه ظنه يقرأ في كتاب من

(١) يوسف ياسين عربي صميم من اللاذقية ، أمّ تبه الجزيرة منطوعاً لخدمة القضية العربية وابن سعود . فوصل الرياض قبيل خروج السلطان منها ، وكان من الرفاق المقربين في الرحلة . ثم تولى تحرير جريدة « ام القرى » بمكة ، وعين وكيل الخارجية بالنيابة انثناء نائب الوكيل مع الامير فيصل في اوروسية ، وهو اليوم من المستقرين في ديوان جلالة الملك .

كتب الادب والشعر ، ولكن العجيري لا يحمل كتاباً . العجيري يحمل في رأسه « الاغانى » و « الكامل » و « البيان والنبين » و « للكشكول » وبضعة دواوين من الشعر . له ذاكرة يقيسها اذا كتبت خاطر سريع . وله ادب لا يقيد بحرف ما يروي ولا يبعد عن معناه . وله صوت ونطق وطريقة في الالتقاء تدهش اكبر الممثلين .

— ماذا يعني الامام ؟ فصلاً في مكارم الاخلاق ؟ — فصلاً في الشجاعة والاقدام ؟ — فصلاً في البر والتقوى ؟ — فصلاً في نوادر الملوك ؟

واذا ما بدأ في الرواية كان كالساحر يتمشي في حدائق الادب والشعر والتاريخ ، فينقلها بازهارها ، وبطبيب شذاها ، الى البادية ، فتعش الركبان ، وتطرد النعاس من الاجفان .

قال يوسف ياسين : « قد اقام لنا الدليل على ان ما روي عن اخبار الرواة الاولين ، وما كانوا يحفظونه من الشعر والنثر ، امثال حماد والاصمعي ، لم يكن خيالاً شعرياً . وان امالي ابي علي القالي واضرابه لم تكن الا من قبيل ما كان يرويه لنا الشيخ العجيري في الطريق » .

وفي ساعة الادلاج ، بعد ان تنشي الحملة وامامها العلم والى جانبه راكب يحمل قنديلاً منيراً ، نسمع الصوت ينادي : العجيري . فيدون الراوية من عظمة السلطان وبطفق يرتل طائفة من الذكر ترتيباً جميلاً انبثاً تكاد تعد منه حروفه . ثم يؤذن المؤذن صلاة الفجر .

وبعد الصلاة والقهوة يستأنف الموكب السير فينادي السلطان : ابن الشيخ ، فليبه احد العلماء ويشرع يتلو شيئاً من القرآن . ثم بعد الضحى يدعوه ثانية ، او يدعو غيره من العلماء ، قارئ الرحلة مثلاً ، فيسلم هذا قياد راحلته الى خادم يقودها ، ويتناول من حقيبة السيوة النبوية ، او صحيح مسلم ، او تاريخ ابن الاثير ، او كتاب الترغيب والترهيب ، فيطفق يقرأ ساعة او ساعتين بصوت عال يسمعه المتقدمون في الموكب والمتأخرون .

ويظل الموكب سائراً بنظام لا يخرج في الصورة الاجالية عنه ،
تقدمه كوكبة الفرسان ، وتكاد احياناً تحتفي عن الانظار ، فاحرى
بها ان تدعى كوكبة الكشافة . ثم علم السلطان ووراءه الخلة ، اي
حملة المودن والامتعة والمواعين ، وهي تمشي قبل الموكب السلطاني
بساعة او ساعتين ، فتحتفي بعض الاحايين مثل كوكبة الفرسان . اما
الموكب فتقدمه الاعلام ، اعلام الجيوش المنضمة اليه ، وكلها تمشي في
صف واحد ، وبعدها الموكب ، والسلطان حيناً على رأسه وحيناً في
الوسط ، فيسير امامه او ورائه الكبير والصغير بدون تمييز وبدون
نظام .

وها هو ذا قد اناخ في مرات بلدة امرى القيس ، فجاءته الوفود من
الوشم وسديو مسلعة عليه . وها هو ذا جائس في فسطاطه يسمع احد
الشعراء يتلو قصيدة في مديح الامام وانتصار جيوش التوحيد في
الحجاز . وها هو ذا في صراحته المعتادة يقول للشاعر : « احب سماع
الشعر ولكن نوعين منه لا احبهما ، الفجر والغلو في المديح » . ولا
وقت لدينا لنقف نبيكي من ذكرى الاحباء والمنازل ، ولكننا نمر
بسقط اللوى ، والعجيري يتلو علينا شيئاً من اخبارك يا ابن حجر
الكندي .

توكلنا على الله ! اركب يا ابن مطرف - اركب يا عبد الرحمن .
وعبد الرحمن بن مطرف هو اول من يعلو راحلة في الموكب ، هو
راعي الراية ، راية السلطان .

وها نحن بعد خروجنا من ديرة امرى القيس نشرف على اماكن
نشاطها ولو في الكتب جلال القدم والذكرى . هذه الجبال والشعاب
والمياه - وضع الحمى والثير والحفاف - قد طالما زانت في غابر الزمان
قوافي الشعراء ، وافسدت عيش سادة العرب . هاهنا كانت تتطاحن

القبائل ، وهامنا كانت تندب الشعراء المنازل والاحباب . وهذا ريع الريان ، ذاك الشعب الحبيب الذي تخرج اليه من الشعرة ، محط وحال التجار والقوافل بين الحجاز والقصيم والعارض ، وما دون الشعب الجبل الذي قال فيه جرير :

يا حبذا جبل الريان من جبل وحبذا ما كن الريان من كانا
وهو الذي حن كذلك الى اهله الشريف الرضي .

ايا جبل الريان ان تعرف منهم فاني ساكسوك الدموع الجواريا
ولا تزال مستدين - مضطدين - من الريان الى وادي الرضا ، بين
جبال شعلان والحوار ، فتبدو اعالي نجد في ابهى الخلل من الاخضرار ،
تلك البلاد التي يتغنى الشعراء بعراها ، وبطيب هوائها ، وبفسيح
ارحامها .

حينئذ انى ارض كأن تراها ، اذا امطرت ، عود ومسك وعنبر
بلاد كأن الاقحوان بروحه ونور الاقاصي وشي برد محبو
اخذ الى ارض الحجاز وحاجتي خيام بنجد . دونها الطرف يقصر
في وادي الرضا نعلو نحو الف واربعين قدم عن البحر ونستمر
مستدين ، فنصل الى ماء يدعى المصلوم (بالصاد) وهناك يلتقي الركب
بنجاب من مكة يحمل البريد الى السلطان ، وفي البريد كتاب من
قناصل الدول بحدة الى قواد الجيش النجدي بمكة يعلمونهم بموقف
دولهم الجيادي في النزاع بين نجد والحجاز ، فارسل اليهم السلطان
الجواب الآتي :

بسم الله الرحمن الرحيم
السلطنة النجدية وملكاتها

في ٢٤ ربيع الثاني ١٣٤٣ (٢٢ نوفمبر ١٩٢٤) عدد ١١٤
من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود الى حضرات

الكرام قناصل الدول العظام في جدة ، معتمد الدولة البهية البريطانية ،
وقنصل جنرال الدولة الايطالية ، ووكيل قنصل جنرال الجمهورية
الفرنسية ، ونائب قنصل ملكة هولندا ، ووكيل قنصل شاه ايران
المحترمين .

بعد اهداء ما يليق بجنابكم من الاحترام ، نحيط علمكم بأننا احطنا
علماً بكتابكم المؤرخ في ٤ نوفمبر المرسل الى امراء جيشنا خالد بن منصور
وسلطان بن بجاد بخصوص موقف حكوماتكم ازاء الحرب الواقعة بين
نجد والحجاز . كنت اود من صميم قلبي ان تحقن الدماء ، وتنفذ
رغائب العالم الاسلامي الذي ذاق المتاعب في السنوات الثانية الاخيرة .
ولكن الشريف علي بن حسين بوقفه في جدة لم يجعل لنا مجالاً للوصول
الى اغراضنا الشريفة . ولذلك فاني حزيناً بسلامة رعاياكم ، وبحفاظة علي
ارواحهم واملاكهم وما قد يحدث لهم من الاضرار احياناً ان نعرض
عليكم ما يأتي :

١- ان تخصصوا مكاناً ملائماً لرعاياكم في داخل جدة او خارجها
وتخبرونا بذلك المكان لترسل اليهم من رجالنا من يقوم بحفظهم
ورعايتهم .

٢- اذا احببت ان ترسلوهم الى مكة ليكونوا في جوار حرم الله
بعيدين عن غوائل الحرب واطارها فاننا نقبلهم على الرحب ونزولهم
المنزلة اللائقة بهم . واننا نرجوكم ان ترسلوا كتابنا طيه الى اهل جدة
حتى يكونوا على بينة من امرهم . واننا لا نعد انفسنا مسؤولين عن
شيء بعد بياننا هذا وتقبلوا في الحتام تحية خالصة مني .
الحتم
وهذا نص الكتاب الى اهل جدة .

« من عبد العزيز آل فيصل آل سعود الى اهالي جده كافة .
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فلا بد انه بلغكم ان اغلب

العالم الاسلامي قد ابدى عدم رضاه عن حكم الجباز بواسطة الحسين واولاده . وانا حياً بسيادة الاسلام ، وحقن الدماء ، نعرض عليكم انكم في عهد الله وامانه من اموالكم وانفسكم اذا سلكتم مسلك اهل مكة . وبالنظر الى وجود الامير علي بين اظهركم وخروجه على الرأي الاسلامي ، فانا نعرض عليكم الخروج من البلد والاقامة في مكان معين ، او القدوم الى مكة سلامة لارواحكم واموالكم ، او الضغط على الشريف علي واخراجهم من بلادكم . فان فعلتم غير ذلك بمساعدة المذكور او بولائه فنحن معذورون امام العالم الاسلامي ، وتبعة ما قد يقع من الحوادث تكون من المسبب والسلام .

الختم

كان الذين يسافرون في البادية ، فينقلون بيوتهم كل يوم ، ينسون ان بيوت اهل الحضر من حجر وطين ، وان لمصالحهم وتجارتهم جذوعاً متصلة بين تلك الاحجار وتحت تلك البيوت . ومع ذلك فقد ارسل السلطان الكتابين الى القناصل والى اهل جدة بواسطتهم ، وامر ثلاثة من حاشيته بان يتقدموه الى مكة فيطمئنوا الناس ، فراحوا يبشرون بقدمه .

سار الموكب ، بعد ان اجتاز جبل التبر ، جنوباً بغرب الى الدفينة ، وهي في رأس الحرة التي تعاونحو اربعة الاف قدم عن البحر ، وفيها بقية طريق معبدة ، غير السكة السلطانية اي سكة زبيدة القديمة . وفي هذه الحرة اعلام منصوبة تدل على الارض الوعرة التي لا تسلك ، بل تحذر القوافل من اخطارها . وهاك بعد ان تجتاز الحرة سالمين بيوتاً متهدمة في وسط بساتين من الاثل ونخيل الدوم . هي مران التي وصفها باقوت بقوله انها قرية غناء كبيرة ، كثيرة العيون والابار والنخيل ، وقد كانت لبني هلال . ولكنها اليوم الاضمحلال :

مررتا على مران ليلاً فلم نعيج على اهل آجام بها ونخيل
وفي اليوم الثالث والعشرين وصل الموكب الى عشيرة التي تنهاى
اليها طرق نجد كلها ، والتي تعلو اربعة الاف قدم عن البحر . فاقام
السلطان فيها يوماً يستقبل الوفود التي جاءت من جهات الحجاز للسلام .
ثم ادلىح الركب من عشيرة مصعدين الى قرية السيل (٥٠٠ قدم)
اعلى نقطة في هذه الرحلة ، فأحرموا هناك وانحدروا في وادي السيل ،
بين جبال جرداء ملساء سحاه ، فمروا بقرية الزينة ، وأناخوا في مكان
يبعد ساعتين عن الاميال . ثم تقدموا بعد الظهر مكبرين ملين .

لييك اللهم لييك !

لا شريك لك لييك !

ملأت هذه الجفوع البيضاء الشعاب ، وتزاحمت بين الغضاب ،
وتصاعدت أصوات الملين ، فتصادمت في الفضاء ، فرددت صداها
الجبال والوهاد .

لييك اللهم لييك !

لا شريك لك لييك !

الفصل الخامس والاربعون

اشاعات وحقائق

مرضنا ونحن في جدة ننتظر وصول السلطان عبد العزيز الى مكة .
مرضنا حقيقة ومعنى - مرضنا كلنا ، الملك علي ، والسيد طالب ،
والمستر قلبي ، والمؤلف - بالمالاريا وغيرها من الامراض السارية .
وكنّا في ذلك الاثناء نسمع من الاخبار - اخبار الاخوات - ما لا
يزل الكربة بل يزيد بها .

يا لحوّل الاخوان! يا للفظاعة ويا للعار! - قد عاهدوا « الجداعين »
وأمنوهم على حياتهم وأموالهم ، ثم ذبحوهم عن بكرة أبيهم . - قد
عاهدوا بني جابر وبعض الاشراف الذين « دينوا » وأمنوهم ، ثم حملوا
عليهم فذبحوهم كلهم الرجال منهم والنساء والاطفال - الاخوان يضربون
اهل جاور بمكة ويمنعونهم عن الصلاة ، وعن التدريس في الحرم . -
الويل لمن يرى الاخوان سيكارة بيده ، فانهم يشبعونه شتاً وضرباً . -
الاخوان يحجزون البيوت بمكة ويبيعونها . - الاخوان يهدمون بيت
مولد النبي ، وبيت السيدة فاطمة الزهراء ، وضريح السيدة خديجة . -
الاخوان هدموا كل قبور الصحابة والاولياء وآل البيت في
المعلاة . - وهدموا مسجد حمزة ، ومسجد ابي قبيس . - وهدموا ...
مرحّباً بالاشاعات . فانها مثل المصائب بعضها ينسي الناس البعض
الاخر . وقد انسانا الاخوات - الى حين - الحبر بسقوط حائل .
قالوا انها سقطت بيد قبائل شمر ، وقالوا ان سلطان الدويش قد
استولى بمساعدة شمر على حائل .

ومرحّباً بالمكذّبين . لاصحة للاشاعة بان مشايخ رايغ « دينوا »

وان رايغ اصبحت في حوزة الاخوان . كذلك كانت الاخبار تتوامى الينا ، ونحن على فراش الحى تتامل ونقول : عجّل الله قدومك يا عبد العزيز : ولكننا في نجالنا ايام النقه سمعنا من مصادر شتى ، وتحققنا بعدئذ ، ما يقرب من الحقيقة في ما تقدم من الاشاعات . سمعوا اذن اليها فتبعضها للتاريخ .

عندما دخل الاخوان مكة جاء عربان الجدعان وبني جابر وبعض الاشراف الى الامير خالد بن لؤي موحد بن طائعين . دخلوا في دين التوحيد دينوا ، فاعطاهم خالد الامان على ارواحهم واموالهم ، واذن لهم بالرجوع الى منازلهم التي تبعد مرحلة ومرحلتين عن جدة الى الشرق الجنوبي .

ولكنهم بعد ان عادوا من مكة جاؤوا يقدمون الطاعة للملك علي ، وشرع بعضهم يقطع الطريق بين جدة ومكة . فارسلت القيادة النجدية سرية عليهم للتأديب ولجمع السلاح . ابى الجدعان ان يسلموا سلاحهم ، فنشبت بينهم وبين الاخوان معركة دامية انتهت بهزيمة الجدعان وفرارهم في السناياك الى جدة . اما بنو جابر فتم من سلموا سلاحهم ، ومنهم من فرروا هاربين ، فركبوا البحر مثل الجدعان ، وجاؤوا جدة بحريهم وعبائهم ، فانزلهم الملك علي خارج السور ، وبذل في سبيلهم المستطاع .

اجتمعنا في قنصلية هولندية ببعض الجاويين العائدين من مكة ، فسألناهم ان يصدقوا الخبر ، فقال احدهم : « افننا حفلة لتلو المولد النبوي ، كما هي عادتنا كل سنة ، فنصبنا قبة الاجتماع . وعندما حضر عالمنا لتلاوة سيرة المصطفى ، جاء الاخوان فطردونا ، وهدموا القبة . - لا ، لم يضربوا احداً . ولكنهم كانوا يشتموننا ويدعوننا مشركين - نعم ، التدخين ممنوع في الاسواق . ولكنني ما رأيتهم يضربون احداً

يدخن . هم يشتمون من يدخن ، ، ويدفعونه جزاء ربع مجيدي .
التقينا ذات يوم عند السور باثنين عائدتين من مكة ، الواحد ضابط
تركي كان في خدمة الحسين ، والثاني عربي من البدو . فسألنا عن فظائع
الاخوان فقال الضابط : « حجزوا البيوت ، ونهبوها ، وباعوها والله .
وهدموا المقامات كلها ، حتى مقام سيدنا ابراهيم عليه السلام . فقاطعه
الاعرابي قائلاً : « لا والله . الذنب ذنبنا نحن العرب ، والخيانة منا .
يجيء الواحد الى خالد يقول : هذا بيت الشريف ، وهذا بيت عم
الشريف ، وهذا بيت احد عبيد الشريف فيحجز الاخوان هذه البيوت ،
ويبيعونها بعد ان يخرجوا منها الاثاث . ما مسوا والله غير املاك
الشريف وحرر الحكومة . »

اما هدمهم القبور والمقامات فما الخجاء الحقيقة فيها الا بعد ان زار
وفد جمعية الخلافة مكة فرأوا باعينهم ما هدم منها ، وما لم يدم .
وقد قال السيد سليمان الندوي رئيس الوفد في تقريره : « ان القباب
والبيبان التي كانت على القبور هدمت وكسرت . ولكن القبور
موجودة سالمة كما شاهدنا . والقبية التي كانت على قبر حمزة هدمت
والمسجد سالم . اما مسجد ابي قبيس فقد هدم قسم منه ، فانست
السلطان عبد العزيز لذلك ، وامر بتوحيده .

لا تار الاخوان على المساجد . ولكن في القباب مصيبة الدين
الكبرى . قال محمد بن عبد الوهاب : « المشاهد التي بنيت على القبور
التي اتخذت اوثانا تعبد من دون الله ، والاحجار التي تقصد للتبرك
والذخر والتقبيل ، لا يجوز ابقاء شيء منها على وجه الارض مع القدرة
على ازالته . » وقد ذكر بالحديث : خير القبور الدوارس .

ولكن السخافة في الناس لا تتغير الا في شكلها . ان هادمي القبور
ومندسيها لمن امة واحدة ، وان غصبة الحجارة مثل غصبة عليها لا

تصلح الامم . كيف لا نستأنس اذن بالاشاعة التي تنسينا اشاعات القبور ؟ كل من في جدة صدق الخبر بسقوط حائل الا المستوفلي والمؤلف . واطن ان بعض الناس شاركوا الريب ، واستمروا مع ذلك في نشر الاشاعة . فقد سمعنا جلالة الملك في مجلسه ذات ليلة يقول لفائدة فرقة النصر تحسين باشا الفقير : « الخبر بسقوط حائل صحيح ، جادنا اليوم الاثبات من عمان » . اي من المصدر الاعلى في ما كان يروى عن نكبات نجد وابن سعود . ولكن علينا من الناس الذين لا يحسنون التمييز ، فقد خانتهم الالهجة التي ظهر فيها انه مشكك بما يقول . وقد كان يشكك حتى بمن يقسمون اليمين المغلظة من البدو - والله بالله نحن رجالك يا علي وفديك بدمنا ! فهل يقال بعد هذا ان ابن مكيورك صاحب رايغ ومشايخه كلهم « دينوا » ؟ وان رايغ اصبحت في حوزة الاخوان ؟

هاكهم في القصر يقدمون الطاعة للملك .

وهاكهم في مكة يبايعون ابن سعود !

اشاعات وحقائق ، تلو الواحدة الاخرى كأدوار من الحمى . وقد

كنا ، بين الحمى وبينها ، نسترحم الله للعرب اجمعين .

الفصل السادس والاربعون

الكتاب والسنة - والسيف

اوضحت في ما تقدم خطة السلطان عبد العزيز السياسية والدينية،
التجديدية والحجازية - فقد ارسل من البادية، وهو في الطريق الى مكة،
يؤمن الاغنياء في جدة، ويعرض الامان على اهلهما اذا هم اخلدوا
الى السكنى. وكتب قبل ان غادر الرياض الى امراء الاسلام الحاكمين
يدعوهم لعقد مؤتمر في ام القرى، ثم مهد سبل الحج وآمن الطرق الى
الحرمين. الا ان هذا التطور في الحكم السعودي خلق لصاحبه مشا كل
جديدة، فمالج بعضها علاجاً عصبياً، وحل بعضها حلاً مرضياً، وهو
لا يزال في منتصف الطريق، وراه ماضٍ مجيد، وامامه مستقبل
نصفه مكتوب وان بدا غامضاً، والنصف الآخر صفحة بيضاء.

على ان المؤرخ لا يسبق التاريخ، وليس من شأنه النظر في
المستقبل قبل ان يدون في الاقل المهم من حوادث الماضي. نعود
اذن الى حيث تركنا الموكب السلطاني. فعندما وصل الى الابطح
مساء اليوم السابع من جمادى الاولى سنة ١٣٤٣ (٤ ديسمبر ١٩٢٤)
انافخ السلطان عبد العزيز ذلوله وركب حضائناً، ونزل تتبعه حاشيته الى
قلب المدينة، فترجلوا عندما قربوا من المسعى، ومشوا الى الحرم،
فدخلوه من باب السلام وطافوا، وصلوا، وسعوا تلك الليلة، ثم عادوا
الى الخيم في المعابدة.

وفي صباح اليوم التالي - الجمعة - استعرض السلطان الجيش من
خيالة ومشاة، ثم جلس في السراشق الكبير الذي نصبته البلدية، وفرشته
بالطنافس وحرقت فيه البخور، فاستقبل اولاً الاخوان، وكان بينهم

كثيرون لا يعرفون الامام ، فكانت المشاهدة الاولى ، وقد نهافتوا عليه يصافحونه ، ويقبلونه في خشية وفي جبينه ، وهم يبكون من شدة السرور . ثم جاء من اهل مكة بعض اعيانها وتجارها يسمون ، فبادروا الى يده يريدون تقبيلها فمنعهم قائلاً : « المصافحة من عادات العرب . اما عادة التقبيل فقد جاءتنا من الاجانب ، ونحن لا نقبلها » . وقد خطب فيهم خطبة صغيرة فاعاد ما قاله في خطبة الوداع لرؤساء نجد قبل سفره من الرياض .

بعد ذلك طلب اليه امين مفتاح الكعبة الشيخ عبد القادر الشبي ان يعين وقتاً للاجتماع بعلماء مكة ، فضرب لهم موعداً في اليوم التالي ، وكان الاجتماع في الحميدية ، حضره علماء البلد الحرام من اهله ومن المجاورين له ، فخطب فيهم السلطان عبد العزيز خطبة دينية ، اجتماعية ، سياسية ، خطبة طويلة بلغة نعتطف منها ما يلي :

- « ان افضل البقاع هي البقاع التي يقام فيها شرع الله ، وافضل الناس من اتبع امر الله . وان لهذا البيت شرفه ومقامه ، منذ رفع سمكه سيدنا ابراهيم عليه السلام . وقد عظم العرب امره في جاهليتهم ... فتعالوا نتعاقد ونتحد .

ان الفضول تعاهدوا وتعاهدوا ان لا يتربطن مكة ظالم والله وبالله وثالثه ورب هذا البيت ! لقد كان من احب الامور عندي ان يقيم الحسين بن علي شرع الله في هذا البيت المبارك ولا يعمل لآبادتنا من الوجود ، فاجئته مع الوافدين احب (اقبل) على يده واساعده في جميع الامور ... لا ينفعنا غير الاخلاص في كل شيء . الاخلاص في العبادة لله وحده ، والاخلاص في الاعمال كلها . والذي ابغبه في هذه الديار ان يعمل بما في كتاب الله وسنة نبيه في الامور الاصلية . اما في الامور الفرعية فاختلاف الامة فيها رحمة » الى ان قال وفيه لب

الاخلاص : « والان انا بذمتكم وانتم بذمتي . ان الدين نصيحة . وانا منكم وانتم مني . وهذه عقيدتنا في الكتب التي بين ايديكم . فان كان فيها ما يخالف كتاب الله فردونا عنه ، وسألونا عما يشكلكم فيها . والحكم بيننا وبينكم كتاب الله وما جاء في كتب الحديث والسنة ... اننا لم نطع ابن عبد الوهاب وغيره الا في ما ايدوه بقول من كتاب الله وسنة رسوله . اما احكامنا فهي طبق اجتهاد الامام احمد بن حنبل . اذا كان هذا مقبولاً عندكم تعالوا نتابع على العمل بكتاب الله وسنة رسوله وسنة الخلفاء الراشدين من بعده . »

بعض الحضور : كلنا نبايع .

السلطان : قولوا لنا بصريح القول ما عندكم .

بعض الحضور : ما عندنا غير هذا

السلطان : اعيدكم بالله من التتية ، فلا تكتموا علينا شيئاً .

احد العلماء : اجعنا بعلما نجد يا حضرة الامام فتباحث وابعثهم في الاصول والفروع ونقرر ما نتفق عليه ان شاء الله .

السلطان : زين . قريباً تجتمعون .

وبعد يومين ، في ١١ جمادى الاولى ، اجتمع خمسة عشر من علماء مكة بسبعة من علماء نجد ، فتباحثوا في الاصول والفروع ، ثم اصدر علماء مكة بياناً جاء فيه : « قد حصل الاتفاق بيننا وبين علماء نجد في مسائل اصولية . منها : من جعل ابنه وبين الله وسائط من خلقه ، يدعوهم ويرجوهم في جلب نفع او دفع ضرر ، فهذا كافر يستتاب ثلاثاً فان تاب والا قتل . ومنها : تحريم البناء على القبور واسراجها واقامة الصلاة عندها لان في ذلك بدعة محرمة في الشريعة . ومنها : من سأل الله بجاه احد من خلقه فهو مبتدع مرتكب حراما . في هذه المسائل تباحتنا واتفقتنا فاتفقت بذلك العقيدة بيننا معاشر علماء الحرم الشريف وبين اخواننا اهل نجد . »

اي انهم اقرؤا المسائل الجوهرية في المذهب الحنبلي الوهابي وقبلوها .
وفي يوم اجتماع العلماء صدر البلاغ الآتي مطبوعاً في مطبعة جريدة القبلة^(١)
« لمن في مكة وضواحيها من سكان الحجاز الحضر منهم والبدو :
لم تقدم من ديارنا اليكم الا انتصاراً لدين الله الذي انتهكت محارمه ،
ودفعاً لشروور كان يكيدها لنا ولبلادنا من استبد بالامر فيكم .

كل من كان من العلماء في هذه الديار ، من موظفي الحرم الشريف
او المطوفين ، ذا راتب معين فهو له على ما كان عليه من قبل ان لم تزده .
الا رجلاً اقام الناس عليه الحجة انه لا يصلح لما هو قائم عليه فهو ممنوع
بما كان له من قبل . وكل من له حق ثابت في بيت مال المسلمين اعطيناه
حقه

لا كبير عندي الا الضعيف حتى آخذ الحق له . ولا ضعيف عندي
الا الظالم حتى آخذ الحق منه . وليس عندي في اقامة حدود الله هواة
ولا اقبل فيها شفاعة » .

في هذا البلاغ ، وفي بيان العلماء ، حل للمشكل الديني مبني على
القاعدة ان الجزاء من نفس العمل . ولا فرق اي من الاثنين ، البيان
او البلاغ ، صدر قبل الآخر . كأن احد الفريقين قال : لا نس حقوكم
التقليدية . فقال الثاني : اذن نقبل ان كان مذهبكم ونعمل بها .

بعد هذه الاجتماعات الخاصة بين السلطان والعلماء عقد اجتماع عام
حضره العلماء والاعيان والتجار ، فخطب فيهم السلطان ، فقال :

« اريد رجالاً يعملون بصدق وعلم واخلاص ، حتى اذا اشكل علي
امر من الامور رجعت اليهم في حله وعملت بشورتهم ، فتكون ذهني
سالملة ، وتكون المسؤولية عليهم . واريد الصراحة في القول . ثلاثة

(١) قد كانت هذه المطبعة ثلاثاً يطبعون فيها جريدة الحجاز الرسمية . فاستولى
عليها الحسين في بداية الثورة وشرع يطبع فيها جريدة القبلة ، ثم استولى عليها ابن سعود
واصدر جريدة ام القرى .

اكرههم ولا اقبلهم ، رجل كذاب يكذب علي^١ تعمداً ، ورجل ذو هوى ، ورجل متملق . هؤلاء ابغض الناس عندي .

بهذه الخطبة الوجيزة الصريحة افتتح عظيماً الاجتماع لتأسيس مجلس اهلي شوري . فاجتمع الناس ثانية في دار البلدية ، وانتخبوا من الاعيان والعلماء والتجار مجلساً مؤلفاً من اربعة عشر عضواً برئاسة عبد القادر الشيبى

علي ان هناك مشاكل لا تحل بتأسيس مجلس الشورى ولا باتفاق العلماء ، كالمشكل الاقتصادي مثلاً ، وقد حال خط الدفاع في جدة دون قومن مكة من ثغرها الاول او الاقرب . ولم يتطعم الملك علي الاقوات عن « جيران بيت الله الحرام » الا عندما تم ذلك الحط ، لان بدو حرب ، من الذين كانوا يجيئون صباحاً كل يوم الى القصر بجدة ، او من اولئك الذين « دينوا » ، كانوا يقطعون الطريق الى مكة وينهبون القوافل . هو بعض السبب في حل الاخوان عليهم .

وقد كان السلطان عبد العزيز اصدر الاوامر ، حتى قبل ان يسافر من الرياض ، الى عماله وقواده بفتح طريق بل طريقين الى البحر ، وكانت القنفذة اول الثغور التي احتلتها جيوشه من عسير . ولكن القنفذة تبعد اكثر من مئتي ميل عن مكة ، والليث اقرب منها^(١) . لذلك بادرت القيادة في الحجاز الى احتلالها . على ان السرية التي مشت الى ذلك الثغر اقيمت من اشراف « ذو حسن » بعض المقاومة ، فاشتبكت وايام في معركة دامت بضع ساعات ، وكانت الغلبة فيها على « ذو حسن » ، ففر منهم كثيرون ، وسلم الآخرون ، واصبحت الليث في حوزة ابن سعود .

اما عرب رابغ^(٢) فقد اشرنا في الفصل السابق الى ما كان من

(١) الليث هي على مسافة تسعين ميلاً من مكة غرباً بجنوب

(٢) رابغ تبعد تسعين ميلاً عن جدة الى الشمال ومئة وعشرة اميال عن مكة الى الغرب التالي .

سلوكهم سلوك الثعالب. والحقيقة انهم عضوا حكومة جدة فارسلت عليهم
 خمسين جنديا بقيادة حمدي بك. ركبوا باخرة الطويل التي قد سُلمحت
 بثلاثة مدافع صغيرة، واجروا الى رابغ، ففزلوا الى البر ولم يلقوا من
 عربانها او مشايخها شيئا من المقاومة. بل سلم المشايخ ومعهم ابن عم
 عامل رابغ ابن مبيريك وجاؤوا مع الجنود الى جدة، فاقسموا بين
 الطاعة لعلي فعفا عنهم، واذن لهم بالرجوع الى بلادهم. وفي اثناء ذلك
 تصادم الاخوان وفريقا آخر من العربان، في الطريق بين مكة ورابغ،
 تصادما يستوجب البيان. في نهاية الحجاز يقطن بطون من حرب فتستد
 ديارهم الى المدينة المنورة. وقد كانت هذه القبائل في موسم الحج تعتدي
 على الحجاج، وتنهب ابقواقل، وتقتاضي الحكومة، فوق ذلك،
 رواتب معلومة. فعندما دخل الجند النجدي مكة جاء بعضهم الى الشريف
 خالد يطالبون بما ادعوا انه حقهم الشرعي، فقال لهم خالد: « اذا دينتم »
 كنتم وكافة المسلمين سواء. والا فعندنا الكتاب والسنة، وعندنا السياف.
 استمر هؤلاء الحروب عاصين، فارسل خالد عليهم سرية من الاخوان
 فالتقوا بجماعة منهم في عسفان^(١) بين مكة ورابغ، على طريق المدينة،
 فضربوهم ضربة شديدة وازالوهم من ذاك الطريق. وفي حملتهم هذه
 قُرب الاخوان من رابغ، ففكر العامل اسمعيل ابن مبيريك في امره،
 وجاء مكة اولاً وثانياً يعاهد الشريف خالداً ويوحد الله، فلبث ينتظر
 قدوم السلطان الذي عين له ومشايخه رواتب على شرط ان يمنعوا التعدي
 على الحجاج، ويحموا الطريق من البحر الى مكة. هذه هي قصة رابغ
 وعربانها الذين جاؤوا بجدة وراحوا الى مكة، واقسموا اليمينين،
 وفاوضوا وساموا الفريقين، ثم تبعوا الاقوي والاكرم.

وما كان ابن مبيريك فريداً في سلوكه. فقد تبع الاقوي والاكرم

(١) ثنية عسفان وهي من امنع الاماكن.

كثيرون غيره من العرب . ومنهم من الاشراف الحُرث والفقور الذين
تهاقوا على السلطان عبد العزيز عند وصوله الى مكة . ولكنهم رغم
تزلهم منه عوملوا معاملة السوي . وقد ارضى السلطان الجميع في تأليفه
مجلس الثوري الذي سيذكر في ما بعد . على انهم جاؤوه ساكنين قلة
الافوات وغلاءها ، وما يعانيه الاهالي بسبب ذلك من الشدة والضيق .
فقال لهم انه قد اتخذ التدابير لمنع الاحتكار أولاً ، ولجلب الافوات عن
طريق الليث . وانه ورجاله وجيوشه لا يكلفونهم من هذا القليل شيئاً ،
لان الافوات نجيتهم من نجد . هي قليلة ولكننا اهل نجد نكتفي
بالقليل . . . عليكم بالضر وقريباً تزد الارزاق من الثغور التي بيدنا ان
شاء الله .

ثم استأذنه بارسال كتاب الى الملك علي عليه يسمع شكواهم فلا يمنع
عنهم الارزاق . فقال السلطان : « هذا لا يقيد . علي لا يسمع شكواكم
وقد يظنها شكواً ملبسة . ومع ذلك هاتوا كتابكم ارسله . »

وفي هذا الكتاب ، المذيل بامضاءات ستين من اهل مكة ، لوم
وقعيف ، ورجاء بان لا يمنع الارزاق عنهم وهم جيوان بيت الله الحرام
الذين قال فيهم تعالى (اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) . « وما
السبب في التضييق علينا ؟ فان كنا مجرمين من جهة الحكومة النجدية
فلنا المسؤولين في دخولهم مكة ولا قوة لنا على اخراجهم . . . انا
نسألكم واحداً من امرين ، اما ان تقدموا بجيوشكم ونخرجوا الحكومة
النجدية حتى تفتح لمكة طريق رزقها ، او تترأوا شيئاً من الاسباب التي
تمكننا من جلب معاشنا »

فاجابهم الملك علي : « لم تمنع الارزاق عنكم الا مكرهين . فالقواعد
الحربية تقتضي ذلك ، ولا قصد لنا غير احراج مركز العدو وعدم
تكوين جيوشه . »

وقد شكوا الاهالي الى السلطان عبد العزيز امر الاخوان ، ونضيقهم

على الناس ، وشتمهم وضرهم الناس في بعض الاحايين . فطلب السلطان
 بالهم ، ولكنه سمع من الاخوان ايضاً كلمة لا ترد : « هم يدخنون ، يا
 عبد العزيز ، ولا يصلون . لا يصلون ! فامر السلطان بان يغرم كل من
 يدخن غرامة مالية - الشتم ممنوع والضرب ممنوع . وان ينبذ ذوو الامر
 الى وجوب المواظبة على الصلاة . فاخرجت البلدية منادياً ينادي بوجوب
 اجابة داعي الله . « فاذا سمع الناس المؤذن يبادرون الى الصلاة في الحرم
 الشريف ، ومن كان بعيداً عن الحرم فليصل في اقرب مسجد منه . وقد
 جعلنا من رجال البلدية وغيرها من يناظر المتأخر عن الصلاة لتقرير الجزاء
 الشرعي عليه . »

ثم ولي عظمة السلطان الشريف خالداً ، الذي كان يقيم في قصر الحسين
 شؤون الاخوان ، وامر الشريف هزاع من العبادلة على بدو الحجاز ،
 واقام بينه وبين اهالي مكة احد مستشاريه يعاونه بعض السوريين ،
 الذين اتخذوا سراي الحميدية مقرآ لهم .

بمثل هذا نظم عظيماً بعض الشؤون الداخلية وحل بعض المشاكل
 الدينية والسياسية في مكة . اما شؤونه الخارجية فاهمها يومذاك كانت
 تتعلق بتفاصيل الدول مجدة . وقد جاءه منهم بعيد وصوله جواب الكتاب
 الذي ارسله اليهم من البادية . وهاكاه نصه :

« من ممالي الدول الموقعين ادناه الى حضرة صاحب العظمة عبد
 العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود سلطان نجد الاكرم . بعد
 تقديم واجبات الاحترام . قد وصلنا كتابكم المؤرخ في ٢٤ ربيع الثاني
 عدد ١١٤ وما ذكرتموه صار معلوماً لدينا . اما بخصوص الاقتراحات
 المتعلقة بحفظ رعايانا وتأمينهم من خطر الحرب نرى من اللازم ان
 نذكر عظمتكم بان احترام رعايانا مبني على حقوق دولية متبعة في ايام
 الحرب . فبناءً عليه ندعوكم باسم حكوماتنا جميعها الى احترام اشخاص

وعايناهم مع أموالهم . وإلا تكونون مسؤولين بجميع ما يقع عليهم في أي وقت وفي أي مكان كان . أما بخصوص الكتاب المرسل باسم أهل جدة فنحن لا يمكننا تسليمه نظراً لقاعدة الحياء التي ننبهها والتي لا تسمح لنا بالتدخل في أي وجه كان . فعليه نعيده إليكم . وفي الختام تقبلوا طائق الاحترام .

القائم بشؤون القنصلية	وكيل قنصل جلالة	معتد وقنصل
الافرنسية	شاه ايران	بريطانية العظمى
قنصل جنرال	وكيل قنصل	
ملك ايطاليه	هولانده	

أما فعوى الكتاب الى أهل جدة فقد كان حديث السوق يوم وصوله . وقد نشر بعدئذ رسمياً في جريدة « ام القرى » فما هم السلطان ان القناصل أرجعوه .

ولكنه قطب وتضجر عندما فض الكتب التي جاءت مع كتاب القناصل . - وهذا كتاب من المستر فلي . وهذا كتاب من السيد طالب النقيب . وهذا كتاب من أمين الريحاني . ما الذي جاء بهم الى جدة في هذه الايام ؟ وما الذي يبغونه غير السلام ؟ !

الفصل السابع والأربعون المفاوضات

الحارس على الباب الشرقي حُطّ الدفاع يكلم بالهاتف القيادة في القشلة :
« عاد النجّاب من مكة ومعه كتب الى القناصل والى السيد طالب
والريحاني وفلي ». القيادة بالهاتف الى القصر : « عاد النجّاب من مكة » .
رئيس الديوان الهاشمي بالهاتف الى رسل السلام : « عاد النجّاب »
بادرنا الى القصر ، فادخلنا الحاجب غرفة الملك علي الخاصة ، فاستقبلنا
فيها وزير الخارجية . ثم دخل جلّالته متعباً بعمامة البيضاء ذات الذّوابة ،
لابساً جبة سوداء فوق انباز من الحرير ، وبيده كتب ثلاثة اعطانا اياها
مختومة ، فقال احدها : الملك اليوم موزع بريد . فضحك جلّالته وامر بالتهوية
قرأ كل منا كتابه ، وقدمه للملك فقرأه واعاده دون ان يفوه بكلمة .
ثم تبادلنا الكتب كذلك ساكتين . فاطلع كل منا على ما كتبه السلطان
عبد العزيز الى الآخر .

قال في كتابه الى « الصديق العزيز المستر فلي » :

« اذا كنتم حضرتم لمقابلتنا ومباحثتنا في بعض الشؤون الخاصة بنا
فعلى الرحب والسعة . وسنسهل الطريق للاجتماع بكم خارج الحرم . اما
اذا كنتم تنوون التدخل في مسائل الجواز فلا ارى في البحث فائدة . . .
وانه ليس من مصلحتي الخاصة ومصالحتي يا حديقتنا جعلكم وسيطاً في
هذه المسألة الاسلامية المحضة » .

وجاء في كتابه الى « حضرة الاخ المحترم السيد طالب النقيب »
« لقد ذكرتم انكم تودون مقابلتنا فنحن نرحب بكم . ولكن يجب
ان نعرف هل المقابلة شخصية ودية ام هي للوساطة في مسألة الجواز .

فإذا كان الغرض من الزيارة التوسط في هذه المسألة فاني لا ارى فائدة من ذلك وإذا كان الشريف علي يود حقيقة حق الدماء فعليه ان يتخلى عن جده . أما اذا قبله العالم الاسلامي وانتخبه حاكماً للحجاز فبحله غير مجهول »

وقال في جوابه على كتاب المؤلف :

« ذكرتم انكم موفدون من قبل جماعة في سودية وانكم تحملون كتاباً منهم اليها . ارحب في كل حال بصديقنا العزيز امين الريحاني ، ولكن احب ان الفت نظركم الى امر هام . وهو اذا كان البحث يتناول المسألة الحجازية فلا ارى فيه فائدة ، لان مشكل الحجاز يجب ان يحله المسلمون وترك الامر لهوى انفسنا ليس بما تجيزه المصلحة الاسلامية ولا العربية .. وفي كل حال اني احب توضيح الامر وجلاءه قبل المقابلة » .

لا سبيل اذن للتوسط . ولكن طريقة السلطان في رد كل منا اختلف باختلاف الصفات والاحوال . فالمستر فلي تأكد ان عظمت لا يانع اذا غادر جدة في اول باخرة - « ان المسألة اسلامية محضة وليس من مصالحه ولا من مصلحة ابن سعود ان يتدخل بها » . وكان السيد طالب بصفته مسلماً بقية من الامل - « وكيف لا يسمح ابن سعود بزيارة في الاقل بمكة ؟ ومتى تواجها تباحثنا ، والمواجهة نصف الحجة في الاقناع » . اما المؤلف فالسلطان ترك له باباً مفتوحاً اذ قال : « اني احب توضيح الامر وجلاءه قبل المقابلة » .

عندنا الكرة على العظمة السعودية ، فكذب المستر فلي مودعاً ، وكتب السيد طالب مستأذناً بزيارة « شخصية ودية » وملجأً بالاسراع لانه مضطر ان يعود الى مصر قريباً . وكتب المؤلف كتاباً يستوجب بعض البيان .

قد أسر الي احد الاصحاب في العصر شيئاً عن السيد طالب مستغرباً

مضحكاً ، واكد لي انه جادٌ في ما قال . ليس السيد خصم الملك فيصل اخي الملك علي ؟ أو ليس السيد صديق ابن سعود ؟ فلا يستغرب اذا اتفق الاثنان على خصمها مليكي العراق والحجاز . قلت لصديقي ان تصوره وان كان سياسياً تصور شاعر . ومسع ذلك فقد وضعت ارنيا به موضع الجد . وبما اني ظننت انه اسهل على السلطان ان يقابل طالباً بمكة من ان يخرج في تلك الاحوال الى حداء مثلاً ليقابل صديقه العربي المسيحي ، صممت على ارسال رسول مسلم لاصل اليه برسائي قبل السيد . وفي كل حال لم يكن في الامكان ان اؤدّي كتابة الرسالة كلها . لذلك كتبت الى عظمته اقول :

« ان لصديقي حسين العويني التاجر السوري ^(١) في جدة علاقات تجارية في مكة المكرمة ، وهو يحضر للتجارة والزبارة ، فيتشرف بقابلكم اذا اذنتم ويحمل الى عظامكم بعض خبري . اني اثق بحسين افندي كل الثقة . وفي البشير الذي سينوب عني به ما يعني عن البيان . فاذا اذنتم بقدومه مروا من يلاقيه الى منتصف الطريق ويصعبه محافظاً الى مقامكم العالي . »

ارسلنا الكتب هذه في ١٢ جمادى الاولى وبتنا ننظر الاجوبة . فمر الاسبوع ولم يعد التجاب . عندئذ ارسلى الملك علي يدعونا للمفاوضة فحضرنّا نحن الثلاثة ، ولم يكن غيرنا في المجلس ، ففتح جلالته الحديث

(١) حسين العويني ادب سوري ووطنى عربي ثابت العقيدة ، صريح الكلمة ، صادق الالفة : صاحب المود . وقد أدّت به وطنيته العربية : في اول عهد الفرنسي في سورية : الى المنفى بالكورة ، فقفى وبعش وجاء بيزوت في الاير هناك بضعة اشهر . ثم جاء الحجاز تنجاذبه السياسة والتجارة ، فعاطى الثانية ولم يرجع كل المهنر الاولى ، كان اول من اجتمعت بهم من السوريين عند وصولي الى جدة ، فدعاني لطعام في اليوم التالي ، فلقيت بيته زحياً ، وكل ما فيه من فرش وفوق لامعاً ، فترك ضيفاً عليه . وكنت كل يوم ، لما بدا لي من الاخلاص وصديق وطنيته ، ازداد حياً به ، واعجاباً به . فتأخينا وتفاوضا في سبيل السلم والعرب .

قائلاً : « دعوتكم لا يسط ما جد في الحالة واستشيروكم . قد جئتم ايها الافاضل الى جدة لحير الفريقين ، بل لحير العرب . ويسوؤني والله ان نس كرامتكم من اجل احد منا - انا والله مخجل . قد مر الاسبوع ولم يحشكم الجواب من ابن سعود . والرجل متحرك ، فهو الان يفسد القنابل علينا . ورجاله منعوا عرباننا من ارسال الفخيم كالعادة الى جدة . ونحن هنا ماسكون انفسنا . خط الدفاع يزداد منعة كل يوم ، وجنودنا مستعدون للحرب ، والطيارات كلها اصبحت صالحة للعمل . لذلك قد قررنا ان نرسل غداً بلاغاً الى اهل مكة بالطيارة ، ثم نرسل سرب الطيارات لرمي القنابل في الابطح ، عل ذلك يوصلنا الى نتيجة فاصلة . وقد دعوتكم لاستشيروكم في المسألة . »

تكلم السيد طالب أولاً فقال : « هل قنابلكم صالحة ؟ هل انتم متأكدون انها تنفجر . فاذا كانت قديمة ولا تنفجر تعود بالضرر عليكم ، فلا يخشى العدو بعدئذ الطيارات . يجب ان تجربوها قبل ان تقدموا على العمل ، فاذا كانت صالحة فلا بأس . »

ثم تكلم المستوفلي : « من رأيي يا جلالة الملك ان تنتظروا الى ان يجي الجواب . ومثل هذا العمل الحربي قبل ذلك في الاقل لا يأتي بفائدة . »

اما المؤلف فلم يرَ من الحكمة ان ترسل الطيارات الى مكة بصفة حربية . « انكم وان امرتم برمي القنابل في الابطح فقط تضرون بمصلحتكم حتى وان قيد الطيارون بامر القيادة العليا . نحن نعرف ان الابطح ساحة خارج مكة الى الشمال الشرقي منها ، ولكن العالم لا يعرف ذلك . واول قنبلة تقع هناك يطير البرق خبرها ، فتتشرد الجرائد خصوصاً المعادية لكم بالقلم العريض . - الملك علي يطر مكة ناراً من الطيارات - طيارات الملك علي تطير فوق الكعبة وترمي قنابلها في

قلب المدينة ! وهذا مضر باسم جلالكم ومضر بالمصلحة العربية .
وافق المستر فلي على رأيي وأوما الملك برأسه انه مقتنع . ولكنه
ظل متمسكاً بنظريته ان الطيسارات تخرج ابن سعود من مكة ،
وتحمّله على الفصل في الامر . فطلبنا تأجيل العمل ثلاثة ايام ، فاجاب
جلالته الطلب . ثم قال السيد طائب : « واثناء ذلك جربوا القنابل » .
ولكن التجربة لم تكن ضمن خط الدفاع بل في الطريق الى مكة ،
فوق بحرة ، وقبل ان تنتهي مدة الانتظار . فغضب المستر فلي غضبة
انكليزية وقتلنا على الصلح السلام . على ان النجاش عاد في صباح اليوم
الثاني ، اي العاشر ، يحمل الاجوبة من السلطان ، وفيها لصديقه المستر
فلي الدعاء بالسفر الميمون - بامسان الله . وفيها للاخ المحترم السيد
طالب ان مكة في حال من الاضطراب لا تجوز معها المخاطرة براحتة .
« وستصلكم وانتم في مصر اخبارنا الطيبة ان شاء الله » . وفيها في
جوابه على كتابي :

« قد سمعت لصديقكم حسين العويني بالقدوم الينا ، فزودوه بكل
ما لديكم من الكتب والافكار والآراء ... واثنا نرجو ان يحسن نقل
افكار صديقنا امين الريحاني ... واني اشكرك على تجشك المشاق
الجسيمة في خدمة العرب وفي سبيل قضيتهم » .

قد جلا هذا الجواب جو القصر فبش الملك واستبشر الوزراء ، كما
انه لطف بروح الجندي خارج السور . والجندي طبعاً وصفة عدوة السلام .
بادرنا الى الجواب والعمل ، فكتبنا الى عظمة السلطان اقول :
« اني مرسل مع العويني كتاباً من وجهاء المسلمين في بيروت ، ومذكرة
ضمنتها ارائي في الحالة الحاضرة ، واشترت الى نقاط يتوسع في شرحها
العويني . فاذا كنت مصيباً فولاي وصديقي عبد العزيز لا يتبع غير
الصواب . وان كنت مخطئاً فحبي واخلاصي يشفعان بما قد بعد نقصاً في

علمي . اما اذا كان في ما قدمت مزيج من الخطأ والصواب فانا اول من يرغب في التمهيص . واني اقبل الحقيقة من السوفة ، فكيف لا اقبلها من الملوك . علموني يا طويل العمر اذا كنت مخطئاً ، واسمعوا لي اذا كنت مصيباً .

لم يشأ العويني ان يسافر من جدة الا محرماً ، فاشفقنا عليه من برد سحر ، خصوصاً في الليل . ولكنه أصر على الاحرام وهو يقول : « لوجه الله وللقضية العربية » .

ثم اعطاني ساعة الوداع غلاماً مختوماً وقال : « اذا لم اوجع يا امين فهذا الغلاف لأمي في بيروت » . عندئذ ادرت حقيقة الخطر ، خطر الطريق في الاقل ، واحسست بشيء ثقیل حل في قلبي . ولكنني موته ما بي وانا اسر اليه الكلمة الاخيرة .

ودعناه امام القصر ، بعد ان ودع جلالة الملك ، فركب البغلة التي كانت تحمل حقائبه وسار بعد الغروب بأمان الله . يصحبه خادمه والنجاب ورفيق آخر . بأمان الله . ولكن الطريق لم تكن آمنة . فقد لقي صديقي ورفاقه في بحيرة تلك الليلة ، في القهوة المهجورة المظلمة التي آووا اليها ، ما يروع حتى البدو ، دخلوا بعد نصف الليل ليناموا ، او يستريحوا قليلاً ، فاحس العويني عندما التقى بيده الى الارض ان هناك شيئاً مائتاً لزجاً ، فاشعل عوداً من الكبريت فاذا به دم واذا بالدم لا يزال طرياً . فاشعل عوداً آخر فاذا بالجثة - جثة اعرابي - قريبة منه ! ولكنه ورفاقه ، بعد استراحة قصيرة في الغراء ، ادخلوا من ذلك المكان سالمين ، فوصلوا في ظهر اليوم التالي الى الخيم السلطاني بالشهداء (١) وكان العويني رسولاً مكرماً ، وفي احاديثه مع السلطان مقتعاً ، فلم

(١) كان قد نقل الخيم من المعابدة بالابطح الى الشهداء خارج مكة في طريق جدة . والشهداء سهل يبعد عن جرجول اي طرف مكة الغربي نصف ساعة .

يبطل، عظمت هذه المرة بالجواب . غاب العويني ثلاثة أيام فقط ، فعاد في الخامس والعشرين من شهر ديسمبر . وصل الى جدة مساء ذاك اليوم ، فوقف في باب الردهة التي كنا ننتظره فيها ، وهو يحمل حقيبته ويلبسم ابنسامة خفقت لها القلوب سروراً . وقد كان ساعته مع الملك رئيس الحكومة الشيخ عبدالله سراج ، ووزير الخارجية الشيخ فؤاد الحطيب ، ورئيس الديوان الهاشمي السيد احمد السقاف . سلم العويني وجلس على السجادة ، فأخرج من حقيبته كتاب السلطان ودفعه الي فقرأه وقدمته لجلالة الملك ، فطالعه ونور الجدل يكسو محياه .

« قضي الامر . وما تبقى غير الجزئيات . بارك الله فيك يا حسين . بارك الله فيك يا امين » . قال هذا وقبلنا نحن الاثنين . ثم نزع عن رأسه العقال والكوفية ونادى : هاتوا شاي ... يشهد الله اني لا احب ان تهراق نقطة واحدة من دم العرب » .

كان جلالة تلك الليلة في بهجة قلما شاهدناه في مثلها . ولا غرو ، فمن سجاياه الشريفة انه رجل مسالم محب للسلم .

الفصل الثامن والاربعون الطيارات

كان هناك اناس لا يرضون بالسلم ، منهم في مكة الاخوان وبعض الاشراف ، ومنهم في جدة الجندي وجماعة من وجهاء الاهالي المناوئين للبيت الهاشمي . وقد كان لكل فريق من هؤلاء ، في مكة وفي جدة ، غرض خاص في مقاومة المتوسطين وافساد مساعيهم . على ان غرض الاخوان اطرها لانه ناشيء عن عقيدة راسخة في النفس ، وبمجرد عن المنافع الشخصية . اما الآخرون ، اي الجندي والمناوئون للبيت الهاشمي في جدة ، فقد كانوا ينشدون اما الشهرة ، واما الانتقام واما المنفعة . وسنسردها لحوادث تبياناً وبرهاناً .

عندما جاء الاذن من السلطان عبد العزيز بارسال رسولي العويني اليه ، كمر الملك علي اوامره الى القيادة العالية في ان تؤجل ارسال المنشور الحربي الى اهالي مكة الى ان يصدر امر آخر بخصوصه ، وان تحتفظ بالنسخ فلا تأذن بنشر نسخة واحدة منه ، وان تشدد على الطيارين بان لا يتجاوزوا في استكشافهم بحرة .

ولكن القيادة العالية تجاوزت الامر الملكي . ففي ١ جمادى الثانية (٢٧ ديسمبر) اي بعد يوم من سفر النجباء وهو يحمل الى عظمة السلطان جوايي وفيه التمس ان يعين مكاناً لاجتماع وفود السلم ، بعد ظهر ذاك اليوم طارت طيارة الى مكة ، ورمت في الابطح وفي التحيم السلطاني بالشهداء نسخاً من منشور الملك علي ، المنشور الحربي الى الاهالي (١) .

(١) جاء في هذا المنشور : « لقد جمعنا شعبنا واثيل اخوانكم الينا من كل حذب وصوب حتى اصبح لدينا والمجد لله من الرجال والعتاد ما يرد كبد العدو في نحره . ولقد جئنا جنداً بكل الوسائل الفنية والمعدات الحربية ، وما نحن على اهبة الرحيل اليكم وتظهر بلادنا من المنتصب لها . ستبدأ طياراتنا بالتخليق في جوكم لتطير العدو وابلاً من القذائف النارية . كونوا على ما تعهد فيكم من الثبات والطمأنينة والشجاعة... ولا تخجلوا

وكانت قد طارت منذ يومين ، أي قبل انقضاء مدة التأجيل التي أمر بها الملك ، فشاهدوها العويني بعد خروجه ذاك اليوم من الخيم السلطاني وعند وصوله الى الشيمسية . سارعت الى القصر واجه الملك ، فادهشني منه انه جهل الامر . وما كان الوزراء ولا رئيس الحكومة عالمين به . ففرح بجلالته الجرس الصغير على المائدة الصغيرة امامه ، فجاء احد كتبة الديوان فقال له : « ناد تحسين باشا ليحضر فوراً » . جاء تحسين ، واقر ان الطائرة تجاوزت بحرة ، ولكنه انكر انها رمت نسخاً من المنشور .

اما السبب في تجاوز الاوامر - كلام الباشا - هو ان خللاً صغيراً في المحرك حمل السائق على الاسراع في السير ليقى الطائرة من السقوط الى الارض ، فطارت بحكم الاستمرار في خط مستقيم طيرة طويلة ، فلم يتمكن اثناء ذلك من ضبطها وردعا . لم يفه بجلالته بكلمة . انما اوماً برأسه انه مقتنع ، فقلت وفي صدري غضب مكبوم : « لا اظن يا باشا ان هذا السبب كاف لتبرير التجاوز . وانت ادرى بنتيجة المخالفة للاوامر العالية في ايام الحرب » .

فقال تحسين : « ما هو بالامر المهم » .

فقلت « كل امر ملصكي مهم يا باشا » .

فتكلم اذ ذاك بجلالته مخاطباً القائد بالتركية ، فتمهض مسلماً وانصرف .

للمسافر سيلاً الى القرار ... واعملوا لتخليص وطنكم بكل ما اوتيتم ، فالوطن اعلى من كل شيء لديكم » .

وفي جوارب الملك علي على كتاب اهل مكة الذي يطالبون فيه الارزاق ، المؤرخ في ٢٥ جمادى الاولى ، ما يلي « فان كان هو [ابن سعود] واذنابه يحترمون حرم الله وجيرانه ويعملون مثل عملي ويخرجون الى خارج الحرم فهناك نظهر حقناهم ان شاء الله . ويريون كيف يكون الذود عن الحياض والدفاع عن الحوزة . وان لم يخرجوا ولبثوا مكانهم جاعدين فاننا سنوافيهم من بين ايديهم ومن خلفهم ومن فوقهم [الطيارات] حتى تكون كلمة الله هي العليا » .

قد كان في القصر كما كان في القبلة اناس لا يملك الملك علي قيادهم

وفي اليوم التالي جاءتني تفاصيل الحادث ، فاثبتت ظني ان تحسبنا لم يصدق الملك الخبر ، فبادرت الى القصر وكلمت جلالته قائلاً : « ماذا يقول السلطان بعد ان يقرأ كتابي ثم يشاهد طياركم ويقرأ منشوركم الحزني ؟ لا شك انه يقول اني اما مخدوع واما مخادع . ان هناك مؤامرة يا مولاي لافساد مراعينا السامية ، ونقطة الدائرة لتلك المؤامرة هي القسلة . نعم ان هناك زمرة من الضباط وغيرهم لا يريدون السلم . وانا اسمي بكل ما عندي من القوة ، ومن الحب والاخلاص لكم ولابن سعود ، في سبيل السلم . فاذا كنتم حقاً تبغون السلم فعليكم بالشدة في تنفيذ اوامركم . القيادة العليا لجلالتكم لا لتحسين الفقير واركان حربه . ويجب ان توقفهم عند حدودهم . يجب ان تتخذوا خطة العزم والشدة في تنفيذ اوامركم . وحقني ان اطلب ذلك ما زلت ساعياً في سبيل السلم وما زلت انا راضين بسعيي »

عند ذلك اخذ جلالته يدي بيده وقال : « اني اميل الى حسن الظن بالناس ، ولا اسمي الظن الا بعد التثبت والتحقيق . وقد تحققت اشياء - تحققتها يا امين - وسياسا فلان وفلان وفلان في البأخرة القادمة . وساويح تحسين باشا ، ولصني افضل ان يكون ذلك في مجلس خاص له . »

خرجت والشيخ فؤاد اذ ذاك من المجلس وعرجنا على مكتب رئيس الديوان . ثم جاء تحسين امثالاً لامر جلالته وخرج من المجلس الخاص متغيظاً . وفي ذاك اليوم صدر امر ملكي بتقل اعداد المنشور كلها من القسلة الى القصر ومحبس ضابط المراقبة عشرة ايام .

اجتمعت بعدئذ بهذا الضابط ، وهو عبد الفتاح اللاذقي ، فسألته ان يصدقني الخبر ، فقال : « عملت والله باوامري . نعم طرنا فوق الابطاح والشهداء ورمينا المناسير » .

اعود الى مذكري في تلك الايام

٣ جمادى الثانية (٢٩ ديسمبر)

لم يعد النجاشي . اخشى ان يكون المشور قد اثار غضب السلطان
فيعدل عن خطته السلبية .

و كاني احسست وانا في جدة بما هو جار في مكة . فقد عقد في
٤ جمادى الثانية بالشهداء مجلس حرري ترأسه السلطان وحضره جمع من
القواد والاخوان ، فتكلم فيه ابو حميد ابن بجاد مخاطباً الامام عبد العزيز :
« اننا نعلم ان لا صلاح في امر دين ودنيا للمسلمين عموماً ولهذا البيت
وااله خصوصاً بوجود الحسين واولاده في الحجاز . فاذا كان هذا ثابتاً
عندنا ونعتقده ديناً فما المانع من الزحف عليهم وقتالهم ؟ فان كنت تخاف
على احد من رعايا الاجانب او احد من اهل جدة فلك منا العهد والميثاق
اننا لا نسهم بشر . الا من يبرز منهم لقتالنا او بلانا بنفسه ، ونحن كما
نعلم نتجنب ما تأمرنا بتجنبه . . . والآن فلا بد لنا من احد امرين . الاول
ان تعاملنا الطريق الذي يجب ان نسير فيه ونحن نكفيك مؤونة الامر .
الثاني اذا كنت لا توافق في الزحف لما تراه من الامور التي انت اعلم بها
منا ، فلا يجوز ان نظل بعيدين عن اعداء الله هذا البعد . بل يجب ان
نقتوب منهم ونضيق عليهم الحقائق حتى يحكم الله بيننا وبينهم . اما الامر
الاول فهو مرادنا ، واما الثاني فليس الامراضات مخاطرك » يا لأمام
لان الله اوجب علينا طاعتك .

ثم تكلم خالد بن لؤي فقال :

« يا عبد العزيز اني اقول كلمة وان كانت تغيظك . كنا نتحدث
فيما بيننا ونقول : قد بدل عبد العزيز الشجاعة بالجبنه وكنا قبل قدومه
نتمنى قدومه . اما اليوم فصرنا نقول : ليت ظل في بلده بعيدا عنا . فان
كان هناك دليل شرعي يؤخرنا عن القوم فينبه لنا حتى نتبعه . وما نحن

الا خدام الشرع . واذا كان لا قصد لك غير الشح بانفسنا عن الموت
فما من احد يموت قبل يومه . وما لتمنى والله ان نموت الا شهداء . فاي
قتال تراه افضل من قتال الحسين واولاده ؟ واي عمل جاء فيه الضرر
للاسلام والمسلمين اكثر من عمل الحسين واولاده ؟ .

هذه من اخبار مكة الرسمية . اعود الان الى مذكراتي .

٧ جمادى الثانية (٢ يناير ١٩٢٥)

غيمة سوداء في سماء السلم . كنت في مجلس الملك صباح اليوم عندما
وصل رسول من مكة يحمل الى جلالته كتاباً سرياً من احد انصاره
هناك ، فاخبر الرسول ان جنود خالد تقلت من الابطح ، ولا يدري
احد اين توجهت ، وان خالداً هو عند السلطان بالشهداء ، وان السلطان
يتأهب لنقل الحميم الى بجره .

كان الملك قد قرأ الكتاب ووضعه وهو عابس مضطرب في جيبه .
ثم اخرجوه واعاد قراءة شيء منه على مسمع رئيس الحكومة ووزير الخارجية
ومسمعي . - اجتمع ابن سعود بالاشراف - اشراف الحرات والفقور
والعبادة . وتباحثوا في انتخاب ملك الحجاز . وكان الاجتماع في قصر
الملك حضره من المعروفين الشريف شرف عدنان والشريف باشا العبدلي
والشريف هزاع بن قتن بن منصور .

هؤلاء اعداء السلم في الجهة الاخرى بمكة ، فنراهم وقد ناصروا ابن
سعود ، يخافون على انفسهم اذا عاد علي . وقد قالوا للسلطان عبد العزيز :
« اتصالح من عاديتنا من اجلك ؟ اتتركنا في بلادنا ينكل بنا ونحن الان
من رجالك ؟ »

٧ جمادى الثانية مساء الجمعة .

وصل جماعة من اهل جاوه من مكة فاخبروا ان ابن سعود ومعه
نحو الف من جنوده وصلوا الى حدباء .

في مجلس الملك : دخل تحسين باشا الفقير وعارف باشا الادلي وزيراً
الحربية والبحرية وعلى وجهيها سياء الغضب والاضطراب .
احد الوزيران : « علمنا ان الاخوان عشوا من بحيرة ، وقريباً يصلون
الى الرغامه » .

الوزير الآخر : « يجب ان نوسل عليهم الطيارات ، لعنهم الله ولعن
اجدادهم » .

الوزيران : « غداً صباحاً نوسل الطيارات كلها عليهم فتمطرهم النار
والرصاص وتقتلهم ان شاء الله » .
ثم احتدم الجدل ، فقال وزير الحربية : « هذه المساعي السامية تحول
دون تنفيذ خططنا العسكرية » .

وزير البحرية : « بل افسدت علينا خططنا واضرت بمصلحة جلالكم
ومصالح البلاد » .

قلت : « ومن افسد المساعي السامية يا باشا ؟ والله لو كنتم مخلصين
لمصلحة جلاله الملك ومصالح البلاد لتقيدتم باوامره العالية » .
الملك : « قد تغيرت الوضعية يا استاذ - ويجب ان تحتاط للامر .
يجب ان نباشر الان الدفاع » .

الوزيران : « غداً صباحاً نطير الطيارات » .

- « قبل ان يعود النجابه ؟ » .

- « النجابه لا يعود » .

- « قلتم هذا القول في المرة السابقة . ثم عاد النجابه وسرهم الجواب »
طلبت ان تؤجل الحركات العسكرية يومين آخرين ، الى الاحد ،
فاجيب طلبي على شرط ان اكتب في تلك الساعة الى ابن سعود استعجل
جوابه . فكتبت اقول : « علمت هذا المساء ان رجال عظيمكم وصلوا
الى حداء في صورة حربية ، فاخذني من ذلك العجب . واوجوان

يكون الحظر مكذوباً . في كل حال التمس الجواب العاجل . ثم كتبت الحاشية الآتية : الطيارة التي أشرفت على مكة تجاوزت الأوامر فعوقب الطيار بالحبس .

السبت في ٨ جمادى الثانية .

طار الطيار الروسي صباح اليوم الى وادي فاطمة ، فخلق فوق بحيرة وحداء والشمسية ، وعاد يقول انه لم ير ابن سعود ولا جنوده ولا احداً من البشر او الحيوان في الطريق . — اين الاخوان الزاحفون من بحيرة ؟

الاحد في ٩ جمادى الثانية صباحاً .

نائب قنصل هولندا على الهاتف : « وصل جماعة من مكة في هذه الساعة ولك ان تستخبرهم اذا شئت » ... بادرت الى القنصلية فعلمت انهم عادوا من مكة يوم الجمعة بعد الصلاة في الحرم ، ولم يكن هناك كثيرون من المصلين ، وانهم عند خروجهم من جرجول رأوا قافلة من الجمال وفيها بين الاحمال ثلاثة مدافع ، وانهم عند وصولهم الى حداء رأوا فيها خياماً عديدة ، نحو مئتي خيمة . هناك وقفت القافلة وهناك بات الجاويون . وفي صباح اليوم التالي السبت ، رأوا طيارة تطير فوق حداء وقد اطلق عليها الاخوان بنادقهم (هي الطيارة التي طارت الى الشمسية كما ادعى الطيار والمراقب وقالوا انها لم يريا احداً في الطريق) . جئت من القنصلية الى القصر . فقال الملك بعد ان اخبرته عن الطيارة التي اطلق الاخوان عليها الرصاص : « قد تكون الغيوم حالت دون رؤيتهم » . وكيف انها لم تحل دون الطيارة ونظر الاخوان ؟

دخل اذ ذاك الحاجب يقول : الوكيل الانكليزي . وكان الوكيل قد جاء ينيء الملك بصحته . وبعد قليل دخل تحسين باشا فددق مهبازي جزمته دقة سريعة شديدة ، وسلم ، ثم استأذن بكلمة خاصة . فقال الملك :

مهمة ؟ فاجابه : مهمة جداً ، ومشى وراء جلالتة الى الغرفة المحاذية للمجلس . وما هي الا دقيقة فعاد الاثنان يبتسمان والملك يقول : جاؤوا - نحو ميتين خيال منهم . رأيتهم القيادة خارجين من بين الجبال . وقال تحسين مخاطب الوكيل الاتكليزي : « انا رأيتهم بعيني . صاروا في السهل » .

صدر الامر باطلاق المدافع عليهم ، وبادر كل من في القصر ، من الشريف محسن الى اصغر العبيد ، الى البندقية وزنار الخرطوش ، ووقف جلالتة وبعض حاشيته في شرفة القصر يراقبون السهل بالنظارات .

دعاني الوكيل الى دار الوكالة لان له منظرة تشرف على السهل كله ، فخرجنا من القصر ونحن فلامس ، رغم الاستعداد ، الخوف والذعر . وقد ظن الناس ان الاخوان يهاجمون خط الدفاع في ذاك اليوم ويحترقونه فيدخلون المدينة . لذلك أقفلت الخازن ولجأ الاكثرون الى بيوتهم .

وكانت المدافع تطلق الطلقة تلو الاخرى على الاخوان . واين الاخوان ؟ كنا نرى من منظرة دار الوكالة البريطانية غباراً هنا وهناك ، في اطراف السهل ، غباراً تثيره القنابل المتفجرة ، ولا احد في جوارها .

ثم خرجت الحيلة من بين الجبال ، فعدت تجاه الخط الى الجنوب . وظهرت فرقة اخرى في الشمال الشرقي من السهل . هي خيالة التوحيد ! نحو ثلاثمئة منهم ، جالوا في ذاك السهل في رابعة النهار جولات عدة ، وقنابل المدافع تثير الغبار بينهم حيناً وحياناً وراءهم . وقد كان هناك قطع من الغنم فساقه امامهم وهم يتراجعون . وكان قد خرج اليهم ثلاثون من خيالة الدروز في الجيش الحجازي ، فجالوا مثلهم بضع جولات ، ووصلوا الى نزلة بني مالك التي ظنوها مكنساً لبعض الاخوان فلم يجدوا احداً هناك . وفي ذاك اليوم ساعة الظهر ، وصل النجباء عائداً من مقر السلطان يحمل اليّ جواباً هو ، لما تقدم من الاسباب ، عكس جوابه الاول .

الفصل التاسع والاربعون

علينا وعلى رسل الرحمة

عاد السيد طالب النقيب من جدة حائقاً على ابن سعود . وعاد المستر فاي مريضاً في مكان حنقه على جدة وكل من فيها . وسافرت انا منها حاملاً في حقيبتى قبلة من قنابل المدفعية النجدة .

ولكنني قبل ان ظفرت بها عرضت نفسي لقنابل الغضب السلطاني . ذلك لاني لم اقطع الامل وازمع الرحيل قبل ان استنفدت كل ما في الوسع ، واعتمدت كل فرصة سنحت ، في سبيل ما جئت جدة من اجله . نعم ، كنت اعقد واثق ان الخير كل الخير في الصلح بين نجد والحجاز . وما همني ان 'تجرح كرايتي في هذا السبيل . لا والله . فما كرامة المرء اذا قُتبت بكرامة الامة ؟ وما ضر امرى اذا صُدد في سبيل وطني شريف . بل ما ضره اذا استطاع ولو في تعريض نفسه للالهانة ، ان يحقق دماء المتحاربين من اهل وطنه ؟ ان اصالة الرأي في مثل هذه الحال لفي التضحية الشخصية ، والذي يحزن المجاهد الخاص هو اخفاق السعي لا اثمها الحرمه .

كُتبت الى عظمة السلطان عبد العزيز مظهراً دهشتي من الانقلاب السريع في خطته ، كُتبت اليه مكلوماً ، وكُتبت اليه ملوماً . فاجابني بلهجة فيها اثر للغيظ ولكنها لا تحاو من العطف ، ولا تحلو حتى من اهل كنت اقرأه بين السطور . فلم يتقل الباب على الثالث من رسل السلام الا في كتابه الاخير . وقد كان يكرر قوله : « انت الشريف علي دعانا للمناجزة ^(١) فليتناه » لم نشأ ان نحمل الشريف علي مؤونة القدوم الى الحرم ، فزحفنا اليه وامرنا ان يكون قسم من جنودنا على (١) اشارة الى المنشور الحربي الذي رمته الطيارات في الاطبع بمكة وفي الخيم السلطاني.

كتب منه . فليبر بوعده اذا كان من الصادقين .
ومع ذلك ظلمت مقيماً على ظني ان الصالح ممكن حتى بعد المناوشات
الاولى خصوصاً لان في العشرة الايام التي تلت الهجوم الاول لم نبدأ
من الاخوان حركة ما ، ولا ظهر شيء من طلائعهم في سهل جدة .
وعندما حضر طبيب التكمية المصرية بمكة وهو عائد بالاجازة الى مصر ،
اجتمعت به في محم الهلال الاحمر فظهر لي من حديثه انه عالم بشيء مما
كتبته الى عظمة السلطان . ونقل الي بعض كلمات دلت على انه من
الذين يحضرون مجلس عظمته الخاص . وما قاله : « السلطان يحترمكم
وينوه دائماً بذكركم ، فاكتبوا اليه مرة اخرى ولكن لطفوا باللهجة » .
ثم تطرق الى ذكر الهلال الاحمر وسألني بل الح علي ان اسمي لدى
الحكومة لتأذن بارسال قسم من البعثة الى مكة .

الهلال الاحمر المصري يستوجب كلمة في هذا التاريخ . فقد ارسلت
الجمعية المركزية في القاهرة بعثة الى الحجاز مؤلفة من ستة اطباء وصيدي
وثمانية ممرضين واربع ممرضات وحكيمة واحدة ، وكانت البعثة مزودة
بكمية وافرة من الادوية والعقاقير ، وبمستشفى متنقل مؤلف من
ستين سريراً بعداتها اللازمة .

نصبت هذه البعثة خيامها في الطرف الجنوبي من جدة عند وصولها ،
ثم نقلت الى الطرف الشمالي ، الى مكان انظف وافصح من الاول ، على
شاطئ البحر ، وراء القنصلية الافرنسية ، وامام البيت الذي كنت
مقيماً فيه . فكنت ورئيسها الدكتور حسن حلمي كراوه نزاور من
حين الى حين .

وعندما ظهرت طلائع الجيش النجدي في ٤ يناير ، وقطع الناس
الامل بمفاوضات الصلح ، طلب الدكتور كراوه من الحكومة ان
تأذن بارسال قسم من البعثة الى الجهة الاخرى لتم وظيفتها ، فرفضت

الحكومة قائلة ان الطريق غير آمن وانها لا تستطيع تأمينه . فجاء رئيس البعثة يسألني ان اعرض المسألة على الملك فوعده بذلك . وفي ذاك الصباح ، بعد خروج الدكتور ، زارني رئيس الحكومة فكلّمته في الموضوع وبيّنت له الخطأ في رفض الطلب ، لان المشروع خيري ولا دخل فيه للسياسة ، الى ان قلت : « هؤلاء رسل الرحمة فلا يجب ان يقال فيكم انكم صدقتموهم عن العمل الذي انتدبوا له » .

وعندني عطوفة الرئيس خيراً ، ولكنه بعد يومين ، عندما راجعته في الموضوع ، قال معتذراً : « لا جمال عندنا لنقل البعثة واحملها » ففهمت من لهجته ان هناك غير هذا العذر بما لا يجوز التصريح به .

ثم جاء طبيب النكبة بمكة يجدد الطلب ، فسألته : « وهل يرسل السلطان الى منتصف الطريق جمالاً تنقل احوال البعثة ؟ » فاجاب : « نعم هو يرسل خمسين جملاً » فذهبت اذ ذاك الى القصر وعرضت الامر على الملك علي . سألته باسم الانسانية ان يأذن بإرسال جزء من البعثة الى ما دون الخط ، وقلت انها فرصة اغتنمها لاكتب الى السلطان مرة اخرى في موضوع السلم . بل هي فرصة يجب ان يغتنمها جلالة ليظهر ان لا حقد في قلبه على المصريين . واذا لم تأت بفائدة سياسية فلا اظن انه يحول دون فائدتها الاصلية الشريفة . الالال الاحمر خير محض ، لا سياسة له ، ورجاله رسل الرحمة .

فقال الملك ، وقد وضع يده باظف على يدي : « هل هو محض خيري يا استاذ ؟ » ثم امر الى السبب الحقيقي في رفض الطلب . — « قد جاءني كتب من مصر يحذرنني اصحابها من هذه البعثة الخيرية . اكديا استاذ انها ليست محض خيرية . ان لها صبغة سياسية ، وان لم تظهر للعبان . وانت تعلم موقف مصر السياسي تجاه الحجاز في السنين الاخيرة . فهل الام ، والبلاد في حرب ، اذا تحذرت ؟ وهل كنت

انت تتساهل في الامر لو كنت من المسؤولين في الحكومة ؟ .
سمعت كلام الملك ولكنني لم اقتنع . وحزنت لاني لم استطع ان
اقنع جلالته بما اعتقده في تجرد البعثة عن السياسة . وحب ان ما جاء
الملك علماً من المعلومات هو محقق كله انما كان في وسعه وهو المعروف
بكرم الاخلاق ، المتصف بالشهامة ، ان يحسن معاملة اعضاء البعثة
فيستميلهم اليه ؟ لم ار مرة في مجلسه احداً من الاطباء المصريين . وما
علمت انه مرة دعا رئيسها للطعام مثلاً في القصر .

نعم قد كان في امكانه ان يكتب ثمة رجالها ويستخدمهم ، اذا
فرضنا ان ذلك ممكن ، لغرضه . قد كان في امكانه ان يصلح من هذا
القبيل ما افسده والده ، فيغتنم الفرصة التي ساحت البعثة بها ليعقد حبل
الولاء بينه وبين مصر ، وليفتح باباً جديداً للسلم بينه وبين ابن سعود .
عدت من القصر بائساً . ولكنني مع ذلك كتبت الى السلطان عبد
العزيز كتاباً آخر اقول فيه اني لا ازال في جدة وعل في بقائي ، نظراً
لتطور الامور ، فائدة لعظمته ، فجاءني منه الجواب الذي فيه فصل
الخطاب .

ثم خضعت في صباح اليوم التالي بقنبلة انفجرت في الشارع امام البيت
الذي كنت مقيماً فيه . وتلتها قنبلة انفجرت خارج السور ، في تخيم الغلال
الاحمر ! ان الحرب قائمة ، وهي ذي قنابلها تنذر رسل السلام ورسل
الرحمة معاً .

الفصل الخمسون المناجزات والمكالمات

قبل ان نسردها المهم من حوادث هذه السنة ، سنة الحصار ، اي بعد ظهور الاخوان للمرة الاولى في سهل جدة الى يوم التسليم ، يجب ان نخطط القاري ، علماً بقوات الفريقين ونخططها الحربية .

عندما يبيع الامير علي بالملك ، بعد تنازل الملك حسين ، ارسلت الحكومة الهاشمية الى الامير عبدالله في عمان اربعين الف ليرة لينبذها في التجنيد ، وفي شراء العدد الحربية من اوروبا ، خصوصاً الطيارات والسيارات المصفحة .

بأمر الامير التجنيد بمساعدة بعض الزعماء بفلسطين ،
 ١٣٤٣ هـ
 ١٩٢٤-٢٥ م
 فجاءت فرقة المتطوعين الاولى في ربيع الاول من هذا العام ، كما اسلفنا القول ، وثلاث فرقات اخرى حتى بلغ الجند النظامي نحو الف جندي يوم كنت هناك . ثم جاء في شهر رجب فرقة عددها مئتان وثلاثون ، وفي رمضان فرقة اخرى عددها خمسمئة .

ولكن هذا الجيش كان معرضاً لعاملين مستمرين في تنقيص عدده هما المالاريا والذئبتاريا ، ثم الوفيات والاصابات في المناجزات . والذي يقال في النظام يصح في البدو وعددهم في اعلى درجة لم يتجاوز الالف والخمسمئة مقاتل .

اما المال فلم يكن للحكومة ، بعد ان نفذت خزينتها ، غير مصدر واحد هو الحسين في العقبة . فقد جاءت «الوقتية» في شهر رجب تحمل صندوقين فيها خمسة عشر الف ليرة ، وجاءت في رمضان بخمسة آلاف اخرى ، ثم في شوال اجبرت «رضوى» من العقبة وهي تحمل لمساعدة الجيش عشرين الفا من الذهب . وفي هذه الاثناء فرضت الحكومة على

التجار قرضاً قيمته اثنا عشر ألف ليرة .

ثم نقل الحسين من العقبة - بعد عن جدة والبعد جفاء - فلم يرسل بعد ذلك غير دفعة واحدة صغيرة اي خمسة آلاف ليرة . فاختد العسر المالي منذ ذلك الحين يشتد يوماً فيوماً ، حتى اضطر الملك علي في صيف هذا العام ان يرهن اطيانه الخاصة في عصر لقاء قرض قيمته خمسة عشر ألف جنيه .

ومع ان مجموع ما صرف في سنة واحدة من الحرب لا يتجاوز المئتي ألف ليرة ، فالولا الاسراف - والاختلاس - في شراء الممدد الحربية والذخيرة لكان العسر المالي اخف على الملك وحكومته . لا نذكر غير مثل واحد من الفحش في ارباح الوكلاء والسامرة . فقد دفعت الحكومة سبعة آلاف ليرة انكايضة ثن ثلاث طيارات قديمة جاءت من لندن ، وهي لا تساوي بالاكثر غير الف وخمسة ليرة . قبل ان جاءت هذه الطيارات كان عند الحكومة الهاشمية خمس ايطاليات لا يصلح منها للعمل غير واحدة . ثم جاءها من المانية في الصيف ست طيارات جديدة تحمل الواحدة من البنزين ما يكفيها لتطير ست ساعات ، وهي مجهزة بالمدافع الرشاشة ، ومعها قنابلها الخاصة بها .

اما الطيارون فقد كانوا في اول الحرب روسيين من الحزب القيصري ، وكانوا في اخرها من الالمان . ولكن فترة تخلت مجيء هؤلاء وذهاب اولئك فتوقفت فيها حركة الطيران . وهناك اسباب اخرى لما كان في هذا السلاح الحربي من النقص وعدم الكفاءة . فالطيار الاجنبي حريص على حياته فلا يطير واطشاً ليصيب اذا رمى ، او يرى اذا طار مستكشفاً . ولم يكن لدى القيادة العامة في بادىء الامر قنابل خاصة ، فاصطنعت من القذائف ما لا تأثير كبير لها ، اللهم اذا انفجرت طلق الحباب . ولكن اكثرها كان ينفجر قبل او بعد

الوقت المأمين . ناهيك بالبزوين فلم يكن لدى الحكومة دائماً الكمية الكافية منه . وقصة المصفحات شبيهة بقصة الطيارات من وجهين هما غلاء الثمن وقلة الفائدة . فالسيارات الخمس الاولى ، التي خاضت معارك الحرب العظمى ، جاءت وحفائضها مفككة ، فظل العمال في « الورشة » يشتغلون شهراً في تأليفها وتركيبها . وهي لا تسير غير ساعتين سيراً متواصلاً فتحتاج اذ ذاك الى الماء . اما الاثنان اللتان جاءتا بعدئذ فيجديندان ، ومجهزتان بالرشاشات . وقد كانت القيادة تبني عليها آمالها العالية .

ولكن السيارات التي افادت اكثر من سواها هي تلك النقالة من صنع « فورد » فكانت تنقل الذخيرة من المدينة الى القشلة والى الخط ، وتنقل الجنود المصابين بالمalaria والذئبتاريا ، وبعدئذ الجرحى من الخط الى المستشفى في المدينة .

اما المدفعية فقد كان في الاستحكامات ، يوم كنت في جدة ، اثنا عشر مدفعاً صغيراً وكبيراً ، وعشرة رشاشات كلها صالحة للعمل . ثم جاء من ينبع ومن العقبة مدافع اخرى صحراوية وجبلية واثنا عشر رشاشاً ، وجاء من المانية مع المصفحتين عشر رشاشات والى وخمسة بندقية مع حرايبها ، فاصبح على الخط نحو عشرين مدفعاً واكثر من ثلاثين رشاشاً .

وقد كان لدى الجيش الهاشمي القنابل الكشافة التي تثير المكان الذي تنفجر فيه ، كما انه استخدم الانوار الكشافة لكشف حركات العدو في الليل . اصف الى ذلك كله ما وضع عند ابواب خط الدفاع امام الاسلاك الشائكة من الانعام ، ثم الاسلاك نفسها .

وقد مدت هذه الاسلاك على عمد من خشب طولها متر واحد في خط مفرد من البحر شمالاً الى الكندرة شرقاً بجنوب ، ومنها جنوباً ثم

غرباً بجنوب الى البحر ، فبلغ طوله في هذا الشكل ، شكل المثلال ، نحو ستة اميال . ثم حُفرت وراء الشريط الحنّادق ، واقبعت الاستحكامات . وبين الحنّادق ووراءها ربي ومكامن استخدمت للكشف والدفاع . وقد قسم هذا الحُط الى مراكز ستة ، مرتبطة كلها بواسطة الهائف بالقيادة العامة في القسلة . وهذه المراكز هي ابو بصيلة ، والشرفية ، والكندرة ، والمشاط ، والعقم ، والطابية البانية . فالطابية هي جناح الجيش الايمن وابو بصيلة جناحه اليسر .

وهناك خارج الحُط النزلة البانية ، وهي قرية مهجورة على مسافة ميلين من جدة الى الشرق الجنوبي ، وفيها حامية من البدو صغيرة ، مئة نفر لا غير . ونزلة بني مالك على مسافة ميلين من جدة الى الشمال الشرقي ، وفيها حامية اخرى صغيرة من البدو ، ثم الرويس وهي اقرب القرى الى جدة من الشمال .

هذي هي قوات الجيش الهاشمي وعنده في الدفاع . اما عُدّة الجيش النجدي فقد كانت محصورة بالمدفعية والبنادق والرشاشات . ان في القصر بالرياض مدافع كثيرة من انواع مختلفة ، ولكن السلطان عبد العزيز لم يأمر بحلب شيء منها الى الحجاز . اما المدافع التي استخدمها في هذه الحرب فقد غنم جيشه بعضها في الطائف والهدى ، ووجد اكثرها في مكة ، وكلها صالحة للعمل . وهي من المدافع الصحراوية والجبلية من عيار ٦٤ و ٧٤ ، وعددها لا يقل عن العشرين مدفعاً ، كانت تظهر تدريجياً ، او بتدرج ما يمكن الاستعمال منها في وقت واحد . وكان لدى الجيش النجدي رشاشات كثيرة وكمية وافرة من الذخيرة وجدوا اكثرها في قاعة جياذ بمكة .

اما الجنود فقد كانت القوة في المعسكر يوم الزحف الاول اربعة الاف ، والقوة الزاحفة مثلها ، وفيها من الاخوان العطفط ، واهل ساجر ،

واهل دُخنة ، وقحطان ، والداهنة ، وركبه ، وغيرهم . وفيها من الحضر الوية من اهل القصيم ، واهل المعارض .

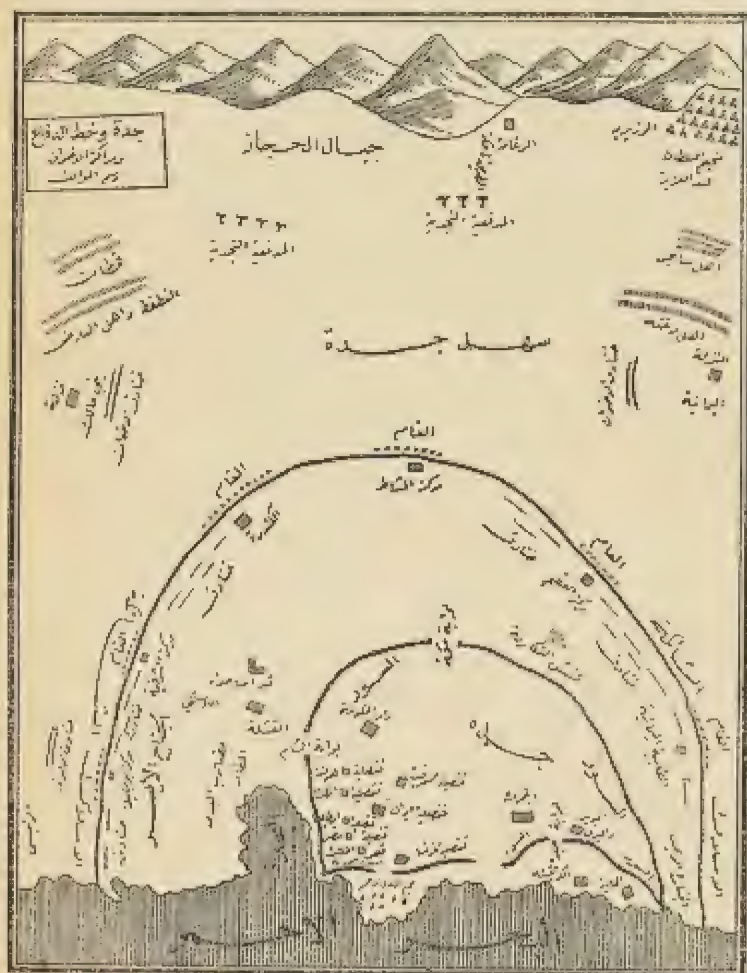
ثم جاء في رمضان فيصل الدويش امير الارطاوية بجيش من مطير ، وتلاه اهل سبيع والسهول . وبعد هؤلاء ، وصل الامير فيصل عائداً من نجد بنجدة كبيرة فبلغ عدد الجيش في الجبهة ووراءها نحو عشرة الاف . اصف الى ذلك الجنود الذين كانوا محاصرين المدينة والسرايا التي كانت مرابطة حول ينبع والوجه والعلاء ، فيدنو مجموع الجيوش النجدية في الحجاز من الاثني عشر الف مقاتل .

وقد كان توزيع الجيوش في جبهة جدة على الشكل الآتي : عسكرت فرقة القطع في الجناح الايمن (جناح الحجاز الايسر) ، واهل دخنة في الجناح الايسر (جناح الحجاز الايمن) ، واهل ساجر في جبهة معاونة للجناح الايسر . وعسكر في القلب لواء قحطان من الهياثم ، ووراء هؤلاء كلهم سرية من الحياثة . ثم التحق بهم الجيش الذي كان في اليمن من اهل الداخنة وركبه ، فاصبح في الجبهة نحو اربعة الاف مقاتل .

مشى هذا الجيش من مكة ومعه الاوامر بان يحيط بجدة ويحاجم خط الدفاع فيناوش الجنود هناك . اما الهجوم بقصد اختراق الخط والدخول الى المدينة فلم يكن ليقدم عليه بدون اذن من القيادة العليا . مشى بموجب اوامره ، فاحتل في اواخر جمادى الثانية التزلة اليمانية ، وتزلة بني مالك ، والرويس . ولكن الاخوان الذي احتلوا التزلة اليمانية اخلوها مرتين بعد وقعات مع جنود الحجاز ، ثم عادوا فاستولوا عليها . وبعد ان تخربت - ضربها تحسين باشا بالدفاع وحرق الاخوان قسماً منها - اخلاها الفريقان .

على ان الاخوان ظلوا مرابطين في الجبهة الجنوبية امام الجناح الايمن من خط الدفاع ، وقد اصطلدوا مراراً بفرزات من الجيش الهاشمي

كانت تخرج قارة للكشف وطوراً لاحتلال ابار الماء في تلك الناحية .
وبعد ان استولى الاخوان على هذه المراكز خارج خط الدفاع
تقدموا في العراء وباشروا حفر الخنادق . ثم اقاموا عندها استحكامات



رسم خط الدفاع وما دونه من مراكز الجيش النجدي
وقد نقل قسم من المدفعية بعدئذ الى نزلة بني مالك والريس

حصنها بإكياس من الرمل ، فصاروا يجاربون الجنود النظامية بالرشاشات والبنادق معاً . هي اول مرة على ما نعلم حارب الاخوان بطريقة منظمة حرب الجنادق . وكانت قد بدأت في آخر جمادى الثانية حرب المدفعية ايضاً ، فلم يتفرد فريق من الفريقين بالمفاجآت .

ولكن الحكومة الهاشمية في هذا الشهر خسرت في ما ستبوت للدهش والارهاب خسارة تعد في البلاد العربية جسيمة . ففي اصيل اليوم الثالث والعشرين من جمادى الثانية طارت الطائرة التي كان يسوقها الطيار الروسي « تشاريكوف » وفيها المراقب الضابط اللاذقي ، والكاتب عمر شاكر الذي دخل الى المطار خلسة ، كما قالت القيادة العامة ، فحشر نفسه مع الضابط السوري في مجلس واحد . وقد نزا بشاكر قلبه الى ضرب الاخوان من علي ولو بقنبلة واحدة . فعندما دنوا من المعسكر في الرغامة انفجرت القنبلة في الطائرة وهي تعلو نحو الفتي قدم عن الارض فتحطمت في الجو . وقد شاهدناها من القنقلة تطيح ومن فيها بين يدي الموت والفناء . ذهب هؤلاء الثلاثة ضحية الهمال في تنفيذ الاوامر العسكرية . وكان تشاريكوف الطيار الروسي الثاني الذي مات هذه المية الفظيعة في الحجاز . اما الاول فهو الذي طار الى الطائف عندما دخلها الاخوان ، فستطت طيارته بينهم ، فكانت خاتمة الوجود له ولها مخزنة مربعة .

لنعد الى حرب الاخوان . الذين كانوا يهجمون غالباً في الليالي المظلمة . وذلك لغرضين : ليلقوا في قلوب الاهالي الرعب والذعر فينهضوا على الحكومة ، او يهاجروا ، وليحملوا الجنود على الاسراف بالذخيرة . وقد نجحوا في هذه الحطة بعض النجاح . على انهم كانوا يهجمون غالباً هجمات هوجاء ، مستبشرين مستشبهين ، فلم تصرف عبثاً في كل حال ذخيرة الجنود الهاشمية . وقد كانوا يقربون جداً من الخط . حتى ان

رصاص بنادقهم وقع قرب قصر الملك، وحتى أنهم قطعوا بعض الشريط وأخذوه إلى المعسكر العام .

أما الأهل فقد كان الرعب سيرهم، والذعر جليسههم في تلك الليالي، لأنهم جهلوا القصد الحقيقي من الاغارات، فظنوا أن الأخوان يحاولون اختراق الخط، لذلك كانوا يسرون كل ليلة ليلاء على انغام الرشاشات والبنادق وهم يقولون : الليلة يدخلون البلد .

على أنهم كانوا يشاهدون لأول مرة أشياء جديدة في هذه الحرب البدوية الفنية معاً، خصوصاً عندما كانت المدافع تطلق على العدو القنابل الكشافة فتنبئ في سهل جده ظلمات تبدو هنيئة كالآقمار المكسرة . فاهيك بالانوار الكشافة التي كانت ترسل في ذلك السهل اسها بيضاء من اشعتها، فيهتدي بها الأخوان إلى طريقهم - إلى الابواب في الاسلاك الشائكة، وإلى الاغنام ! - وإلى الواقفين في الحنادق . هناك كنت تسمعهم ينادون : « يا اخوانا يا اهل الشام ، يا شمر ، يا حرب ، وباعقيات ، اخرجوا من الخط وانتم في وجه الله ووجه ابن سعود . لا تخافوا . والله ما يريد لكم غير الخير - تعالوا الينا ونحن اخوانكم والله بالله ! »

ولكن كثيرين من أولئك الجنود كانوا يحاربون عملاً باعتقادهم أن النهضة العربية لا تقوم إلا بالبيت الهاشمي . أما الآخرون الذين اصطيذوا في عمان والعقبة ، والذين جاؤوا جده مرتزقين ، فقد كانوا بين ثارين ، ولم يكن لهم يومئذ أن يختاروا اصغر الشرين

والى القاريء ، تماماً لصورة الحوادث في تلك الايام والليالي ، أمثلة نأخذها من التقارير الرسمية :

« تعرضت قوة من البدو على جناحنا الايسر في الساعة الخامسة (١١ افرنجية) من الليل فاصلتها مدافعنا ورشاشاتنا نارا شديدة ، فانهمزمت من حيث أتت تاركة عدداً من القتلى » .

« بدأت مدافع العدو ساعة الفجر بالرمي المعتاد فقابلتها مدافعنا
قدر ساعتين واسمكتها » .

* * * *

« طارت الطيارة الساعة ١ صباحاً أصوب معسكرات العدو
وموضع مدافعه ، قالت أربع قنابل وعادت » .

* * * *

وهاك أمثلة من تقارير القيادة النجدية :

« في هذه الليلة سرت طائفة من جنودنا الى حدود العدو ، فاطلقت
عليه النار فظن ان الاخوان يساجون على طول الجبهة ، فاخذ يوالي
اطلاق المدافع والرشاشات والبنادق من جميع المراكز . واستمر كذلك
ثلاث ساعات دون ان يصيب احداً من المهاجمين » .

* * * *

« اخرجت القيادة الهاشمية فرزة لكشف مراكز الاخوان فخرجوا
من مكانهم اليها ، واعملوا فيها النار ، فسقط منها سبعة قتلى وفر الباقون » .

* * * *

كذلك في شهري رجب وشعبان كانت تحيما الليالي المظلمة بين
المتحاربين . اما في النهار فقد استعرت بينهما حرب المدفعية التي استعرت
في بادىء امرها اهل جدة ، فكانوا يسارعون الى خارج السور ليشاهدوا
قنابلها تنفجر عند الاسلاك الشائكة ، وفي اطراف السهل بظل الجبال .
هناك شرقي الكندرة ، وعلى طريق مكة ، نصبت المدافع السعودية
في الاشهر الاولى من سنة الحصار . فكانت تصل قنابلها في البدء الى
ما بين مئة ومئتي متر من الاسلاك ، ثم داخل الاسلاك وهي تنقل الى الامام
بعد حفر الخنادق ، ثم عند سور المدينة ، ثم داخل السور ، فعُرم اهل
جدة اذ ذاك مشاهدة نارها ، ولكنهم لم يجرؤوا مفعولها . وقد كانت

مسافة الزمي تتراوح بين الثلاثة والأربعة أميال .

حلفت القنابل فوق خط الدفاع فتساقطت في قلب البلد ، وقد أصيب مرتين بيت الوكالة البريطانية ، فاختوفت قبلة جدادو غرفة النوم وقنبلة دخلت مكتب الوكيل . وقد أصيب أيضاً بيت وكالة السوفييت فتكسر العلم فوق السطح ، واستمرت تتقدم في تقدم المدفعية حتى وصلت الى الطرف الغربي من المدينة اي الى شاطئ البحر ، فزارت القنصلية الافرنسية وتنجرت في نخم الهلال الاحمر !

عندما اصيبت الوكالة البريطانية والوكالة الروسية عقد القنصلان مجلساً للبحث في المسألة فقرروا ان يظلوا رغم هذه الحال على الحياء . وقد ابرق رئيس الهلال الاحمر الى الجمعية المركزية في القاهرة يستأذن بالرجيل ، فلم تأذن الجمعية بذلك .

كان الضرب يبدأ صباحاً فيصلي الفريقان الفجر ويتبادلان بالقنابل السلام ساعتين او ثلاث ساعات ، ثم يستأنف العمل بعد الظهر فيستمر حتى غروب الشمس ، قبوكتل اذ ذاك كبير المحرّين بالوداع . - وهذه قبلة من « الاربوس » يا اخوان ! - وهذه من عيار ٢٢ بايجا الشوام ! .

عندما اشتدت هذه الحرب المدفعية في شهر رجب وشعبان ، نصب النجديون مدفعاً في الرويس ، فصارت قنابلهم تقع في الجهة البحرية من المدينة وفي قلبها ، فجرح وقتل عدد من الناس ، واستولى الرعب على الاهالي فشد كثيرون منهم للرجيل . بدأت الهجرة الى سواكن ومصوع وعدن في المراكب التجارية ، ثم طفق الناس يرحلون في السناييك الى الليث ، ومنها يرجعون الى مكة . وكانت الحكومة راضية بهذه الهجرة لما فيها من التوفير بالماء والازاد للجنود .

على ان تلك الحرب المدفعية التي كان يتفرج اهل جدة عليها ثم صاروا

يفرون منها ، وتلك المناوشات في ظلمات الليالي ، لم تكن غير مقدمات
لوقعة الكبيرة التي يجب ان تدعى بوقعة المصفحات . وهي المرة الاولى
والاخيرة التي برز فيها في رابعة النهار القسم الاكبر من الجيش الحجازي
لمنازلة الاخوان .

في ضحى اليوم الثامن عشر من شعبان (١٤ مارس ١٩٢٥) شرع
الحط يطلق مدافعة الكبيرة والصغيرة على الرويس ، وبعد نصف ساعة
من هذا الضرب الشديد المتواصل خرجت خمس مصفحات من بوابة
الكندرة فسارت ثلاث منها تجاه نزلة بني مالك واثنان تجاه الرويس .
ثم مشى من مركز الكندرة والى بصيلة نحو الف من جنود النظام
والبدو مقسمين الى ثلاثة اقسام ، تتبعهم سرية من الحيلة .

اما الاخوان فقد كانت فرقة من اهل دخنة في الرويس ، وفرقة
اخرى في بني مالك . وكان اهل العارض والقطط في الحط الثاني ، كما
انه كان من الفريقين في الجبهة الامامية اي في الخنادق ، وعدد الجميع
لم يتجاوز يومذاك الالفين . عندما خرجت المصفحات تقدمت القوة
الاحتياطية النجدية نحو مراكز الجيش المرابط ، ولكنهم لم يباشروا
الرمي لاهم ولا المخندقون حتى خرجت العساكر الهاشمية كلها الى السهل
وكادت المصفحات تصل الى النزلة ، فدارت عندئذ وحى الحرب في
الناحيتين ، تجاه الرويس وتجاه بني مالك ، ودوت البنادق والرصاصات .
اما المصفحات فقد كان من مهمتها ان تمنع وصول المدد الى الجبهة
الامامية فسارت شرقاً بشمال ، تاركة النزلة الى يسارها ، لتصد اهل
القطط والعارض عن الهجوم ، فاشتبكت وايامهم في قتال عنيف ،
واكنها لم تسكن من صدمهم . وقد رأى من ساعدوا المعركة من جدة
كيف كان الاخوان يصارعون هذه المصفحات مستشهدين فيدورون
حولها وهم يطلقون البنادق عليها وعلى من فيها ، وهي ترش الرصاص

من رشاشاتها في كل جانب . حتى ان عبداً من العتاريس دنا من احداها ، بعد ان جال حولها كأنها فارس من الفرسان ، فتمسك بها وصعد الى سطحها وهو يطلق مسدسه ، فأصيب وهو هناك برصاصة ، فهوى الى الارض .

ظل الاخوان يماركون هذه المصفحات حتى أبطلت الرشاشات فصار الجنود داخلها يطلقون الرصاص من مسدساتهم . وقد أصيب بعضهم برصاص العدو الذي كان يدخل من الكوى ، وجرح جراحاً بليغة اثنان من السواق الروس . تراجعت المصفحات ، وقد تفرقت وتكسرت جوانب بعضها ، وسارع اهل الغطط والعارض الى نجدة اخوانهم ، فحاضوا معركة دامت ساعتين في اشد حالاتها ، ثم ساعتين في قتال متقطع ، حتى انتهت ، الساعة الثالثة بعد الظهر ، في رجوع الجنود الحجازية والمصفحات الى داخل الاسلاك ، ورجوع الاخوان الى مراكزهم . اما من بقي في ساحة القتال ، وهم القتلى ، فلا يقل عددهم عن الثلاثة . جاء في التقرير الحجازي الرسمي : « خسر العدو بين قتيل وجريح اكثر من مئتين ، وخسر جيشنا خمسة عشر قتيلاً وأصيب منه خمسون » . وجاء في التقرير النجدي الرسمي : « قد تحقق ان خسارة العدو كانت في الاقل ثلاثة وعشرين قتيلاً ، بدليل بنادقهم التي غنمها رجال جيشنا واحضروها الى المعسكر العام . اما خسائرنا فقد كانت خمسة قتلى وخمسة جرحى فقط » .

وبما لا ريب فيه ان قد قتل في معركة المصفحات لا اقل من ثلاثة من العرب ا ومن الحق ايضاً ان المصفحات لم تنجح في مهمتها الاولى ، وهي قطع الطريق على المدد ، ولا كانت في مهمتها الثانية اشد فعلاً من الجيش المهاجم . فقد شغلها رجال الغطط والعارض حتى نفد الماء والذخيرة فيها ، فرجعت اذ ذاك ادراجها .

أخفقت القيادة الهاشمية في هذا الهجوم العام . فقد كانت خططها ان تضرب الاخوان المرابطين امام جناحها الايسر فتقضي عليهم ، ثم تعود شرقاً بمنحوب ، وقد أمنت مؤخراً ، فتزحف الى المعسكر في الرغامة ، فتستولي عليه ، وتستمر في خطة الهجوم ، فتوشى ظافرة الى مكة . -
ستعيد رمضان بمكة اهي كلمة الجيش الهاشمي في تلك الايام . وقد كتب احد ضباطه الى المؤلف ، قبيل هذه الوقعة ، يقول : « وغداً ندعوك لزيارتنا في الطائف » .

واذا فرضنا ان الاخوان امتنعوا عن اختراق الخط ومهاجمة المدينة لعجزهم منه بالاعارات والمناوشات ، فقد كان العجز اظهر في خطة الجيش الهاشمي بعد وقعة المصغيات .

وبعد هذه الوقعة تخذت في الجانبين نار الحرب . خف ضرب المدافع وقل الهجوم في الليل ، وكان في شهر رمضان شبه هدنة تبعها في شوال مناوشات في الليالي المظلمة . ومع انه كان قد شاع في جدة ان المعركة الفاصلة ستكون في شوال فقد وثى شوال والتقارير الرسمية تقول : « سيكون تام على الخط » .

على ان القتال استؤنف في الشمال . فالقيادة النجدية ارسلت حملة الى ينبع لتأديب بعض عربان جهينه الذين اعتدوا على قوافل تحمل ارزاقاً الى مكة . وكان ابن رُفاعة الشيخ ابراهيم ، كبير مشايخ جهينه ، قد خرج على الملك علي وعاهد ابن سعود على الطاعة والتوحيد ، فارسلت حكومة جدة الى قائمقام الوجه الشريف حامد ثلة من الجنود النظامية وبعض الرسائل لتأديب ابن رُفاعة وجماعته . وكانت قد ارسلت الامير ساكراً الى ينبع ليحبل على الاخوان في بدر ويستردها .

اما في المدينة المنورة فقد كان صالح بن عدل معسكراً في الحناكية وقد التحق بجيشه لواء جاء من جهة حائل . وكان قسم من هذا الجيش ،

واكثره من الحضر بقيادة ابراهيم النشمي وكيل ابن عدل ، مرابطاً حول المدينة ، وهو مأمور بان يحاصرها فقط ، وان لا يدخلها بدون امر من القيادة العليا .

اما وقد علمت ذلك فستطلعك على بعض البرقيات التي كانت ترده الحكومة الهاشمية في تلك الايام :

« المدينة ٢١ ذي القعدة .

جلالة الملك المعظم . جهزنا مع عسكره وبعض من حرب على النشمي فكسروه واسروا اربعة انفار من جماعته . ابشركم بذلك سيدي .
فانقاص المدينة : شحات »

« العلاء ٢٧ ذي القعدة .

جلالة الملك المعظم . صباح اليوم الجمعة هجمت على مدائن صالح ثلاثة بيارق ودامت الحرب بينهم وبين العدو الى العصر والحمد لله انقلب خامراً تاركاً جرحاه وقتلاه مولاي .
فانقاص العلاء »

« ينبع ٢٦ ذي القعدة .

جلالة الملك المعظم . احتلنا بدرآ وغنينا جميع ما فيها . انهرزم احمد سالم (صاحب بدر) ومعه اربعون بغيراً محملة . الامضاء : شاكر »

ولكن السلطان عبد العزيز جهز في هذا الشهر حملة الى الشمال بقيادة ابن عمه سعود بن عبد العزيز المعروف بسعود العرافة والامير خالد بن لؤي . فالتقت هذه الحملة في طريقها من رابغ باحمد بن سالم ، فقص على القيادة قصته ، فجوقل خالد وامر سالماً بالرجوع . فشى مع الحملة التي استمرت في طريقها الى بدر ، وبعد ان ضربتها واشتبكت في وقعة مع المدافعين ، رجال الامير شاكر فيها ، كتب لها النصر واستوائت عليها ثم اعادت احمد بن سالم الى مركزه ، ومشت الى ينبع النخل فمسكرت هناك تنتظر الاوامر الجديدة من القيادة العليا . وكانت قد اوسلت

تلك القيادة فيصل الدويش أيضاً الى الشمال فاحتل بجيشه العوالي ، حول المدينة ، بدون مقاومة .

اذن قد كانت الحالة في الشمال في آخر هذا العام ، عام ١٣٤٣ ، حالة حصار يتخللها شيء من القتال . فكان الاخوان مرابطين حول الوجه وينبع ، وكان جيش من الحضر محاصراً المدينة ، وكانت سعود العرافة وخالد بن لؤي معسكرين في ينبع النخل ، وفيصل الدويش في العوالي وصالح بن عدل في الحناكية . والغرض الاكبر من هذه التعبئة هو الضغط على اهل المدينة ليحصلوا اولياء الامر فيها على التسليم . ذلك لان القيادة العليا فضلت الحصار على القتال ، ولم تكن الجيوش هناك مسلحة بغير البنادق .

اما حكومة الملك علي فقد استبشرت بهذه الحال في الشمال ، وعزت سكون الجنود النجدية الى العجز . وبما اثبت ظنها وزادها املآ بالفوز ، رغم ما كانت فيه من العسر ، هو ان السلطان عبد العزيز امر جنوده بالانسحاب من جهة جدة ليتمكنوا من الحج . فلم يبق هناك غير قوة صغيرة من الحيلة والهجانة لتشرّف على الرغامة .

كان اهتمام السلطان بالحج في هذين الشهورين اكثر من اهتمامه بالحرب . بل كان قد بدأ منذ ثلاثة اشهر يمهّد للحج السبل ، فارسل في غرة شعبان نداء الى جميع المسلمين في مشارق الارض ومغاربها ، يخبرهم بان النظام قد ساد في البلدة المطهرة ، واستتب الامن فيها . وانه يرحب بحجاج بيت الله الحرام من المسلمين كافة في موسم هذه السنة ، ويتكفل بتأمين راحتهم ، والحفاظة على جميع حقوقهم ، وبتسهيل سفرهم الى مكة المكرمة من احد الموانئ الثلاثة اي رابغ والميت والقنفذة . وقد كانت نجي هذه الموانئ كل خمسة عشر يوماً بواخر هندية وخرديبة وايطالية ، تجميعها من عدن ومصوع والسويس ، حاملات الارزاق . لم تتمكن الحكومة

الهاشمية التي ضربت في اول الحرب نطاقاً بحرياً من القنفذه الى رابغ ، وحاولت تنفيذه بواسطة الباخرة المسماة « الطويل » ان تصدر الا قليلاً بما كان يصل من هذه الثغور الى مكة . وما كانت دائماً موفقة حتى بذلك القليل .

فقد صادرت « الطويل » مرة خمسة سنابيك ايطالية مشحونة من مصوع الى الليث وجاءت بها الى جدة . ولكن الحكومة الايطالية احتجت بواسطة قنصلها السنيور فارس على هذا العمل ، وانذرت الحكومة الهاشمية بانها تسحب قنصلها من جدة ، وتتخذ الطرق القانونية لحفظ حقوقها ، اذا كانت لا تعيد كل ما صادرته من السنابيك الرافعة العلم الايطالي . فعقد الوزراء مجلساً للنظر في الامر ، وقروا بعد البحث ان يجيبوا طلب الحكومة الايطالية .

عند هذا الحادث نظراً سياسياً لابن سعود . كما ان محبي ثلاثة آلاف من حجاج الهند ، ورجوعهم بعد الحج سالمين عن طريق رابغ هو نصر سياسي آخر . وهناك حوادث ثالث ، حدث في هذا الصيف ، لا يقل اهمية من الوجهة السياسية عن الحادثين الاولين ، الا هو نقل الملك الحسين من العقبة الى قبرص . وقد يكون اهم الحوادث لما كان فيه من الفائدة لابن سعود ، لأنه اقصى عن الملك علي ذلك المورد الذي كان يتكفل كل الاتكال عليه . اجل ، فقد اشتدت الازمة المالية في حكومة جدة بعد سفر الحسين الى قبرص . وهناك خسارة اكبر لتأجير كانت تتعلق بسفر الحسين ، وكان الامير عبدالله يسعى لها . فهو الذي اقنع اخاه وحكومة اخيه بان يسلموا بضم العقبة ومعان الى شرقي الاردن . وقد ضرب الامير يومئذ على الرتر الحساس اذ قال في احدي مذكراته الى جلالة اخيه ما معناه : سلموا بضم العقبة ومعان وانا اخمن لكم بالانكليز ما يأتي ، اي ثلاثمائة الف ليرة تعويض الضم ، ومشتا الف ليرة ثمن الاملاك

الغير المنقولة ، وقرض قيمته خمسة الف ليرة يُعقد حالاً . ثم ابعاد ابن سعود عن الحجاز حتى تربة والحرمه ، وجعل الخط الحجازي وهن اشارتكم في كل وقت .

اية حكومة في موقف تلك الحكومة الهاشمية لا تقبل يبيع قطعة من املاكها بهذا الثمن ؟ واي ملك في مركز الملك علي لا تغره تلك الارقام ؟ ولكنها ارقام ، في كتاب الاحلام .

لم تنحصر انتصارات ابن سعود في اواخر هذه السنة وطلائع سنة ١٣٤٤ بالحوادث الثلاثة التي تقدم ذكرها . فقد فتح ابوابه للوفود ، وبدأت منه رغبة في المكالمات لغرض من الاغراض الحربية والسياسية التي يجهلها الناس ايام الحرب ، ولا يقيمونها وزناً بعدها . على ان عظمة السلطان كان الجيب لا الطاب . واول من استاذن في رمضان بزيارة الحرم والحج بالعمرة ، وطى القصد الديني قصد حسن آخر ، هم القناصل المسلمون في جده ، اي عبد الكريم حكيمف معتد حكومة السوفيت ، وراين براوير نائب قنصل هولانده ، واحمد افندي لاري وكيل قنصل ايران ، فاذن السلطان ودعاهم بعد زيارتهم الحرم لزيارته في مقره بالوزيرية .

وبينا كانوا هناك يتكلمون بالصلح هجم الاخوان في الليل كالعادة على جناح خط الدفاع الايسر ، من البحر الى الكندرة ، هجمة هوجاء ، واستمرت البنادق والرشاشات تدوي دويّاً متقطعاً حتى الفجر . وما معنى زيارة القناصل ؟ ان ابن سعود سر من اسرار السلم والحرب يعجز عن كشفه الانس والجن !

القناصل : « اتنا نتكلم مع عظمكم في هذه المسألة بصفتنا الشخصية ، لا بلسان حكوماتنا ، لاننا شرفيون بهننا الاصلاح والاتفاق بين الشرقيين » .

السلطان : « كأن القوم لم يدركوا حتى اليوم غايتنا ومرامنا . فما زال الشريف علي في جدة فلا سبيل الى الصلح . اما اذا اخلاها وترك المسألة للعالم الاسلامي ، فنحن نقبل بما يقرره بشأن الحجاز » .
ثم سئل عظيمته اذا كان يأذن بقدم وزير الخارجية الشيخ فؤاد الخطيب للبعث في المسألة ، فاجاب انه يرحب بمن اراد القدوم اليه سواء اكان الشيخ فؤاد ام غيره .

وعند رجوع القناصل المسلمين الى جدة كتب وزير الخارجية الى عظمة السلطان يقول ان بعض الاصحاب انبأوه « بما حقق الامل المعقود » ويطلب منه تعيين يوم للمقابلة . فاجاب عظيمته بالاجاب على شرط ان يكون سمادة الوزير مفوضاً ليوافق على ما على عليه من الشروط « ثقلت وطأتها ام خفت » . فرد الشيخ يقول ان المأمول من قدومه « اولاً - شرف التعرف الى شخصكم الجليل المعظم . ثانياً - التمهيد لايجاد جو صالح تسود فيه الطمأنينة المنشودة ليكون محور الاعمال في ما يحسن التقايم عليه » . فقال عظيمته في كتابه الأخير « اكون مسروراً بواجبكم » .

نظن ان الشيخ فؤاداً شعر بمثل هذا السرور بالرغم عن عقم تلك المكالمة في الخيم السلطاني بالوزيرية ، تلك المكالمة التي تمحورت الى استنطاق من قبل السلطان ضاقت فيه لدى الوزير الشاعر جميل السياسة كلها .

- « ومن هو الضامن لهذه التعهدات ؟ »

- « انت الضامن » .

- « وكيف يكون ذلك ؟ انت تقبل بالشروط وانا اضمن بالتنفيذ »

الشيخ فؤاد : « اطلب الضامن الذي تريده ونحن نقدمه لك » .

السلطان : « لا اعم ضامناً له سلطة وأثق به يتكفل بما اطلب . فالدول كلها على الحياء ، ولا نقبل تدخلها في الاماكن المقدسة كما ترى » .

تحويل الحديث بعدئذ الى مواضيع اجتماعية وادبية ، فكان الشيخ
 هؤلاء فيها لامعاً باهراً . ثم عاد من الوزيرية راكباً بقلته ، حاملاً مظلته ،
 والقناصل والحكومة والجنود في جدة يتساءلون : ماذا عسى ان يكون
 تحت تلك المظلة من الامال ؟ لم يكن تحتها غير شاعر ابر في احاديثه
 الادبية في الخيم السلطاني ، وغلب في المكالمات السياسية .

عندما سافر القناصل المسلمون للحج بالعمرة قلق زملاؤهم المسيحيون ،
 فارسل الوكيل الانكليزي كاتبه الهندي المسلم منشيء احسان الله الى
 مكة لاشغال تحتص بالحجاج الهند ، فاقام هناك اسبوعاً ، وعرج في
 رجوعه على المقر العالي بالوزيرية ، فتزول ضيفاً على السلطان . اما المكالمات
 فقد كانت ولا تزال سرية .

بيد انه كان معلوماً ان الحكومة البريطانية كانت تفكر يومئذ في
 احتلال العقبة ومهان ، وان ابن سعود كان يفكر في ارسال حملة الى
 تلك الناحية لاجراج الحسين منها .

— نحن ننقل الحسين من العقبة ولا تكلفك مؤونة الحملة عليه

— الحملة ماشية فعليكم ان تعجلوا .

وفي الحقيقة كانت الحملة قد مشت من حائل ، فامر عظمته قائدها
 بان يتوقف في الزحف .

وقد تلت المكالمات بالوزيرية مكالمات اخرى في مكة ، وكتب في
 لائحة المتوسلين العلوية اسم كبير من حكام العرب . اجل ، قد حياء
 من صنعاء اليمن ، من حضرة الامام يحيى بن حميد الدين المتوكل على الله ،
 بواسطة قنصل ايطالية بمجدة ، برقيتان الواحدة الى الملك علي والاخرى
 الى السلطان عبد العزيز ، يطلب منها ايقاف القتال ، واحترام الاراضي
 المقدسة ، وقبوله حكماً بينهما . فاجاب الملك علي بالايجاب وارسل
 السلطان جواباً مآله انا دعونا المسلمين لمؤتمر يبحث في امر الحجاز فنرجو
 ان يحضر مندوبوكم معهم .

وفي الأشهر الثلاث الأولى من هذا العام جاء السلطان عبد العزيز ثلاثة وفود من المسلمين والمسيحيين ، ما عدا الوفد الذين جاء مع الحجاج من الهند . أما الوفد الأول فقد جاء من مصر ، من قبل الملك فؤاد ، للتحقيق في ما شاع من أخبار المدينة والضائف ، وللتوسط كما قيل في أمر الصلح . كان هذا الوفد مؤلفاً من الشيخ محمد مصطفى المراغي قاضي قضاة القطار المصري ومحمد بك عبد الوهاب كاتب سر الملك الخاص ، وكان ولا شك له غير ما ذكر من الأغراض . فان الخلافة كانت تثقل يومئذ بالملك فؤاد ، وقلبه ، فاحب أن يستطلع في أمرها رأي ابن سعود .

أما الوفد الإيراني الذي كان مؤلفاً من سفير مصر وقنصل سورية العام فقد كان غرضه ظاهراً وباطناً التحقيق في مسائل الطائف والمدينة . وبعد أن زار الوفد مكة ، وكالم السلطان عبد العزيز في ما انتدب له ، عاد السفير إلى مصر وسافر القنصل حبيب الله خان عين الملك إلى المدينة ليتم مهمته .

وقد جاء أيضاً في هذا الشهر ، أي في ربيع الثاني الوفد الاسكندراني ، أو البحري السر غلبت كلايته^(١) وكاتب سره وترجمانه وتوفيق بك السويدي مستشاره العراقي ، فاجتمع بهم السلطان في بحيرة . وهناك كان المؤتمر الذي استمر خمسة وعشرين يوماً ، أي من ٩ أكتوبر إلى ٣ نوفمبر ، فعقدت اتفاقيتان سميت الأولى اتفاقية بحيرة وهي بين العراق ونجد . والثانية اتفاقية حذاء ، وهي بين نجد وشرقي الأردن^(٢) . وعندما كان السلطان عبد العزيز في بحيرة جاءه من المدينة المنورة

(١) Sir Gilbert Clayton

(٢) في الملحق نص هاتين الاتفاقيتين .

رسول اسمه مصطفى عبد العال يحمل كتاباً من أمير المدينة الشريف شحات يعرض فيه التسليم، على شرط أن يؤمن الأهليون والموظفون على أرواحهم وأموالهم، ثم يسأل السلطان أن يرسل أحد أفراد العائلة السعودية لهذه الغاية

عاد عظمته إلى مكة فجهز نجله الصغير الأمير محمد الذي مشى بفرقة من الجند إلى المدينة في ٢٣ ربيع الثاني. وعندما دنا من أسوارها عرض على الحكومة والأهالي ما كان قادمًا من أجله، فأبى قيادة الحامية التسليم لأنها كانت تنتظر المدد من جدة، وقد أبرقت في ٥ جمادى الأولى إلى جلالة الملك تقول: «الذي بيننا الأرزاق للجند، وعدوقنا بأرسال الدراهم المتيسرة بالطيارة. إلى الآن لم نرَ أثراً لها. دبروا وأرسلوا لنا دراهم ولو يبيع إحدى البواخر فتروا منا ما يسركم».

وكان الأمير الصغير محمد يشدد الحصار على المدينة بدون قتال، عملاً بأوامر والده، فأبرقت القيادة في ١٣ من هذا الشهر إلى جلالة الملك بحجة تقول: «انقضى الأمر، ولم يبق في اليد حيلة. الجنود ما عندهم أرزاق إلا ثلاثة أيام. إذا لم تصل الطيارة غداً الظهر سنفاوض العدو. الأفضاءات: عزت. عبدالله حمير. عبد المجيد حمد».

فجاء الجواب أنه يستحيل إرسال الطيارة قبل عشرة أيام لعدم وجود بنزين. مرت الأيام الثلاثة فنقدت مؤونة الحامية. ومع ذلك فقد صبر الجنود ثلاثة أيام آخر، ثم في صباح الجمعة بعث القائد عزت ورئيس ديوان الإمارة عبدالله حمير كتاباً إلى الأمير محمد بن عبد العزيز بن سعود يطالبان ملاقاته، فأرسل الأمير خيالة لاستقبالهما. وقد فاضاه بالتسليم على شرط أن يعطي الجنود والضباط والأهالي الأمان، ويعلم العفو العام. وفي صباح اليوم التالي، أي يوم السبت الواقع في ١٩ جمادى الأولى (٥ ديسمبر ١٩٢٥) سلمت المدينة بعد حصار دام عشرة أشهر.

الفصل الحادي والخمسون

الملك علي يرحل

قبل ان سقطت المدينة المنورة بشهرين كانت الحالة في جدة تزداد عسراً من كل الوجوه ، فضربت الفوضى اطنابها في الجند ، وعرا الحكومة الانحلال ، وعم الضنك والبؤس الاهالي . فلا مال ، ولا ذخيرة ، ولا زاد يكفي لحفظ شبه السادة والقوة ان في الملكية او في الجندية . ولا مال في السوق ، ولا آمال تقوم مقامه . فقد كادت تنفد الارزاق لان التجار في الخارج توقفوا عن التوريد . فحيت المجاعة في اطراف المدينة بين مضارب البدو وعشش التكاثرية ، ومدت يدها الى القلب ، فامست على الاهالي اشد وبلاء من الحرب .

وبما ان السلطان عبد العزيز كان قد اعلن في ربيع الاول العفو العام — كل من كان في خدمة الحسين او غيره هو في امان الله اذا اراد ان يرجع الى مكة — وبما ان الطريق انفتحت بين ام القرى وجدة بعد الحج ، اخذ يزداد عدد الفارين عن طريق الليث ورابع الى ام القرى ، وعدد القادمين منها . فكان هذا الاتصال بين المدينتين خيراً واسطة لتعجيل العسل الذي فيه الفرج .

واننا نعيد ما طالما قاله السلطان في مجالسه الحربية التي كان يحضرها امراء الجيش والعلماء : ثلاثة اخبرته عن الهجوم ، وحملته على تفضيل الحصار على القتال ، وهي الحرص على جنوده وسمعتهم ، والحفاظة على الاجانب ، والفرصة المستظرة . اضاف الى ذلك ثقته بالنتيجة المرغوبة في ما اقدم عليه ، ثقته بولاء الفرصة المستظرة .

وها قد دنت تلك الفرصة ودنا يومها . كيف لا وفي منتصف جمادى

الثانية بلغت الحالة في جدة أشدها ، فنقد المال ، ونقد الزاد ، ونفر الجند ، خصوصاً الفرقة اليابانية ، الى التمرد والعصيان . وكان السلطان عبدالعزيز شأنه في مثل هذه الاحوال ، متبعا حركات التطور متنبها لما فيها مما يمكنه الانتفاع به ، فنشر في هذا الوقت بلاغا عنوانه « ابراء الذمة » عرض فيه الامان على من في جدة من ضباط وجنود اذا هم احبوا الخروج الى معسكره ، وعرض فوق ذلك المساعدة المالية على من احب منهم السفر الى وطنه . كان لهذا البلاغ التأثير السريع المطلوب ، فسرحت القيادة الهاشمية عدداً كبيراً من الجنود الفلسطينيين الذين سافروا في الباخرة « الطويل » الى العقبة .

لا مال ولا زاد ، و « فرقة النصر » تنقص يوماً فيوماً . وها قد عاد الاخوان الى معسكرهم في الرغامة وفي سفح الجبال ، عادوا بامر السلطان عبدالعزيز ، يقودهم اخوه الامير عبدالله وابنه الامير فيصل . هي الفرصة المنتظرة قد دنا يومها . وهل يجيء هذا اليوم بالسلم ام بالهجوم العام ؟ لم يكن بوسع احد ان يجيب على هذا السؤال غير واحد في القيادة العامة كلها ، هو السلطان عبدالعزيز . وبما بات في قيد اليقين انه كان مصمماً على الهجوم ليخلص جدة من المجاعة والفوضى والحرب التي كانت تنذر الحالة بها .

اما الملك علي فقد كانت حواسه في اضطراب دائم ، وكانت اعصابه في هياج مستمر بما كان يسمعه ويشاهده في قصره ، وفي حكومته ، وفي جنده ، وفي بلده ، كل يوم ، بل كل ساعة . فلم يرَ مهرباً والحالة هذه من ذاك العمل الاخير الذي فيه راحة باله ، في الاقل ، وحصون صحته وشرفه .

هي الفرصة المنتظرة قد دنا يومها ، بل قد دنت ليلتها . فقد جاء الملك علي مساء الثلاثاء في ٢٩ جمادى الاولى الى دار الاعتدال البريطانية

الملك علي يرحل

يعرض على المعتمد ، حقاً للدماء ودفعاً للعسر المستحوذ على البلد والاهالي . . . ثم ذكر جلالته شروط التسليم ، فأبرق المعتمد الى حكومته في الحال يستأذنها بالتوسط .

وفي ظهر اليوم التالي الواقع في ٣٠ جمادى الثانية (١٦ ديسمبر) ركب السلطان عبد العزيز سيارته وخرج من مكة ، تتبعه الحاشية وفصيلة من الجنود ، يقصد الى الرغامة . وقد بدت ، وهو في منتصف الطريق ، نتيجة الزيارة الملكية الى دار الاعتماد البريطانية الليلة البارحة ، بدت في سيارة قادمة من جدة ، التقى بها الموكب في بحيرة وهي تنشر العلم البريطاني وفيها رجل يلوّح بالعلم الابيض .

وقفت سيارة السلطان ، ونزل الرجل من سيارته فاذا هو المنشئ * احسان الله - وقد كان في تلك الساعة احساناً من الله - بحمل من المعتمد بحجة الكتاب الآتي :

«جدة في ١٦ - ديسمبر ١٩٢٥»

حضرة صاحب العظمة السلطان عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود سلطان نجد .

بعد الاحترام . مراعاة للانسانية ولأجل تسهيل عودة السلام والرفاهية بالحجاز اكون مسروراً اذا نفضاتكم عظمتكم بالمرافقة على مقابلتي في الرغامة غدا يوم الخميس قبل الظهر او بعد ذلك بأسرع ما يمكن . هذا وتفضلوا بقبول وافر التحية وعظيم الاحترام .

نائب معتمد وقنصل بريطانيا العظمى

وكيل قنصل ، جوردن »

فأمر عظمته عند وصوله الى الرغامة بكتابة الجواب الآتي :

« الرغامة في ٣٠ جمادى الاولى سنة ١٣٤٤ »

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل الى سعادة المعتمد البريطاني المستر جوردن المفضل .

تحيةً وسلاماً . قد تناولت كتابكم المؤرخ في ١٦ ديسمبر سنة ١٩٢٥
وفهمت ما تضمنته . وقد حضرنا لمقابلتكم في المحل الذي يخبركم به المنشئ
احسان الله . هذا وتقبلوا فائق احتراماتي .

عاد احسان الله مسرعاً الى جدة ، وفي الساعة العاشرة من صباح
الخميس وحل المعتمد البريطاني الى مقر السلطان ، وقال بعد السلام ان
الحكومة البريطانية لا تزال مقيمة على الحياد في قضية الحجاز . ولكنه
بالنظر لما تجسم من حالة جدة ، وبالنظر لمعرفة ان عظمة السلطان يفضل السلم
على الحرب ، ويرغب في راحة المسلمين وحقق دعائهم ودعاء الاجانب ،
يتقدم الى عظمتهم بناءً على طلب الملك علي وحكومته في التسليم . وان
نوسطه في تقديم هذه الشروط لما هو لغاية انسانية صافية . فاجاب
السلطان قائلاً : « هذا احب ما عندي على شرط ان تكون الشروط
موافقة لنا » .

عرضت الشروط فقبها السلطان «بدئياً بعد شيء» من التعديل . واهم
ما فيها ان الملك علي يتنازل عن الملك ويبارح الحجاز ، ولا يأخذ معه
غير امتعته الشخصية ومنها سيارته وسجانيده وخيوله ، وان كل ما في
الحجاز من الاسلحة ، والعدد الحربية ، والم ذخائر ، والطائرات وغيرها ،
تسلم الى السلطان عبد العزيز ، وان البواخر التي هي ملك الحجاز تصير
ملكاً له .

ولقاء ذلك يضمن السلطان عبد العزيز لكل الموظفين الملكيين
والعسكريين والاشراف والاهلالي عموماً سلامتهم الشخصية وسلامة
اموالهم ، ويعلمن العقو العام ، ويتعهد ان يرحل الضباط والعساكر
الذين يرغبون في العودة الى اوطانهم ، وان يوزع بنسبة معتدلة على
كل الضباط والعساكر الموجودين بمجدة خمسة الاف جنيه .

قد امضى السلطان هذه الاتفاقية^(١) في عصر ذاك اليوم ، وامضها الملك علي في المساء ، فاعتبرت نافذة من تلك الساعة .
هي الفرصة المنتظرة . وقد تلا يوم الاتفاقية ثلاثة ايام هادئة رائعة استعدت فيها جدة للتسليم . ومساء الاحد عاهد المعتمد البريطاني الى الرغامة ليخبر السلطان ان الامير علياً قد اقام في البارجة البريطانية « كورن فلاور » وانه قرر السفر الى عدن ومنها الى العراق . ثم جاء صباح اليوم التالي ومعه رئيس الحكومة الموقفة القائم عبد الله زينل ، ورئيس العسكرية الضابط صادق بك ، فغاطب السلطان قائلاً ان مهمته في التوسط قد انتهت ، وانه يقدم رئيس الملكية ورئيس العسكرية ليكونا مسؤولين امام عظمتهم .

عاد حضرة الوكيل الى جدة محبوراً مشكوراً . وظل الرئيسان عند السلطان للمذاكرة في شؤون الحكومة وتسليم ممتلكاتها . ثم في صباح اليوم التالي ارسل عظمتهم طليعة من حاشيته الى جدة لمباشرة العمل في ما يختص بالمهمات العسكرية وامور الجنود والضباط .

وفي ذاك الصباح ايضاً ، يوم الثلاثاء في ٦ جمادى الثانية ، انجرت البارجة « كورن فلاور » تقل الامير علياً الى المنفى الذي اختاره لنفسه . اما السلطان عبد العزيز فلم ينقل من مخيمه في الرغامة حتى صباح اليوم التالي ، فتقدمه فريق من جنود المشاة ووهط من الحيلة بقيادة اخيه الامير عبد الله الى الكندرة لاستقباله فيها . وهناك امام ذاك البيت القائم على طرف من خط الدفاع المحاذي للاسلاك الشائكة ، امام ذاك البيت الذي كان يجتمع فيه رسل السلام الثلاثة الاولون ليتباحثوا في خير الطرق التي تضمن للعرب السلام والفلاح ، حثت البلاد السلطان عبد العزيز بمئة مدفع ومدفع .

وفي ذلك البيت جلس عظمته للوفود المسلمين المهتئين ، فاستقبل
معهدي الدول والقناصل ، ثم ضباط الجند ، ثم اعيان المدينة . وقد
تكلم قنصل ايطاليا السنيور فارس باللغة العربية مهتئاً السلطان فقال :
« نظراً لكوني كبير القناصل سنأ اتقدم بالنيابة عن نفسي وبالوكالة عن
رفاقي بتقديم تهنئتنا لعظمتكم بدخولكم جدة في هذه الطريقة السامية التي
حققت بها الذماء . ونتمنى لعظمتكم التوفيق الدائم والسعادة » . فاجابه
السلطان قائلاً انه لم يبطل في الاعمال الحربية الا لهذه النتائج السامية .
ثم شكر المعتمد البريطاني مسعاه ، واعرب للقناصل عن سروره بما كان
من موقفهم في الانقلاب الاخير فتم سلماً كما قناه .

وبعد ان اقام بومه في الكندرة دخل جدة في صباح الخميس ، في
٨ جمادى الثانيه (٢٤ ديسمبر) ، بعد سنة واحدة من يوم أشرف عليها
للمرة الاولى من الرغامة ، ونزل في بيت الوجيه العالم الشيخ محمد نصيف
ثم باشر العمل في اعادة اليسر والطمانينة الى الحجاز .

الفصل الثاني والخمسون

عبد العزيز ملك الحجاز

قبل ان غادر السلطان عبد العزيز الرياض ، في ربيع الثاني سنة ١٣٤٣ ، دعا العالم الاسلامي لعقد مؤتمر في مكة يقرر مصير الحجاز . وقد كرر هذه الدعوة بعد ذلك ، ثم عززها في ١٠ ربيع الثاني سنة ١٣٤٤ بكتاب خاص ارسله الى الحكومات والشعوب الاسلامية ، فكانت صرخة في واد ، لم يلبها غير فريق من مسلمي الهند وجمعية الخلافة هناك . ولكن اولئك المسلمين يريدون للحجاز ما لا يريده اهلهم . هم يرتأون في حكم البلاد المقدسة رأيا لا يوافقهم عليه اهل الحجاز . وقد قاموه عندما جاء الوفد الاسلامي الهندي الاول الى جدة ، واستمروا في مقاومته حتى نهاية الحرب ، الشريفيون والسعوديون على السواء . الحجاز للحجازيين ، هي كلمة الجميع . ولا نظن احداً في الحجاز يرغب في هيئة تحكمه مؤلفة من ممثلي الشعوب الاسلامية في العالم . لذلك طلبوا من السلطان عبد العزيز ، بعيد دخوله جدة ، ان يكون لهم الحرية ، تلك الحرية التي وعد بها العالم الاسلامي ، والحجاز ركن منه ، ليقرروا مصير البلاد بلادهم ، فاجاب السلطان الطلب . عندئذ تألف في جدة لجنة من اعيانها عددها عشرون ، فسافروا الى مكة واجتمعوا هناك بليجة من اهلها عددها ثلاثون . وفي ٢٢ جمادى الثانية عقد اعضاء اللجنتين مجلساً قرروا فيه باجماع الراي مبايعة السلطان عبد العزيز ملكاً على الحجاز ، واتفقوا على شروط البيعة ونصها . ثم قدموها الى عظمة السلطان ليرى رايه فيها ، وطلبوا منه ، اذا حازت القبول ، ان يعين الوقت لعقد البيعة فاجاب الطلب . وبعد صلاة الجمعة ، في ٢٥ جمادى الثانية سنة ١٣٤٤ (١٠ يناير ١٩٢٦)

اجتمع الناس في المكان المعد للحفلة عند باب الصفا من المسجد الحرام ، وجاء عظمة السلطان في موكبه في الساعة الواحدة بعد الظهر . كان المشهد عربياً صافياً اي بسيطاً ديمقراطياً ، فلم يكن هناك غير سجادة وقف عليها السلطان وكروسي للخطيب الذي تقدمه المنادي قائلا : ان الله ولائكمته يصلون على النبي . يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً . ثم اعلى الكروسي الخطيب فحمد رب البيت المعظم ، وشكر وسبح ، وبعد ذلك قال :

« ايها الاخوان . ان الله سبحانه وتعالى قد انعم علينا بالامن بعد الخوف ، وبالرخاء بعد الشدة . فقد انتشعت غيمة الحروب ، وقد توجدت الكلمة بحول الله تعالى وقوته ، فتعطف علينا عظمة هذا السلطان المحبوب بقبول البيعة المشروعة الواجبة علينا واني اتلوها على مسامعكم :

باسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده . والصلاة والسلام على من لا نبي بعده . نبأبعك يا عظمة السلطان عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود على ان تكون ملكاً على الحجاز على كتاب الله وستة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وما عليه الصحابة رضوان الله عليهم ، والسلف الصالح والائمة الاربعة رحمهم الله ، وان يكون الحجاز للحجازيين ، وان اهلهم الذين يقومون بإدارة شؤونه ، وان تكون مكة المكرمة عاصمة الحجاز ، والحجاز جميعه تحت رعاية الله ثم رعايتكم .

وعندما كان الخطيب يتلو البيعة كانت فلاح مكة تطلق مدافعها ، اطلقت مئة مدفع ومدفع . وكان الناس اثناء ذلك يتراحمون حول تلك السجادة الواقف عليها السلطان ليتقبل البيعة . فتقدم اولاً الاشراف ، ثم الوجهاء والاعيان ، وتلاه المجلس الاهلي ، فالمحكمة الشرعية ، فالائمة والخطباء ، فالمجلس البلدي ، فاهل المدينة المنورة ، فاهل جدة ، فبقية

خدم الحرم ، فالطوفون والزمزمة ، فشايخ جاوه ، فاهل الحراف ، فشايخ الحارات واهل المحلات (١) .

وبعد الحفلة مشى جلالة الملك الى البيت الحرام فطاف به سبعاً ، وصلى في المقام ، ثم جلس في سراق دار الحكومة للمهنيين والخطباء .
- لا بد للبلاء من ملك مستقل يكون قادراً على صيانة الحجاز من الداخل والخارج . والذي يستطيع القيام بهذا الامر هو عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود .

« وما اعطاك الله هذا العطاء يا عبد العزيز الا لانك سائر في مرضاته » وقال آخر بعد اطرائه الامة العربية في زمن السلف الصالح : « علينا ان نتمسك بذلك الجبل المتين ليرجع المسلمين ما كان لهم من السؤدد والعز » .

ان في هذه الكلمات الثلاث مثلاً من عقلية القوم ونزعتهم السياسية والدينية . ثم خطب الملك السلطان فقال :

« اسمع خطباءكم يقولون : هذا امام عادل . وهذا كذا وكذا . فاعلموا ان ما من رجل ، مهما بلغ من المنازل العالية ، يستطيع ان يكون له اثر وان يقوم بعمل جيد ، اذا كان لا يخشى الله . واني احذركم من اتباع الشهوات التي فيها خراب الدين والدنيا . واحكم على الصراحة والصدق في القول ، وعلى ترك الرياء والملقى في الحديث . لم يفسد الملك الا الملوك واحفادهم ، وخدامهم ، والعلماء المملقون واعوانهم . ومن اتفق الامراء والعلماء ليستر كل منهم على صاحبه ، فيمنع الامير المنع والامراء يدلسون ، ضاعت حقوق الناس وفقدنا العياد بالله الاخرة »

(١) وقد جاءت بعدئذ برقيات بالبايعة من المدينة المنورة ومن ينبع والوجه وضبا والعلاء . وكانت حكومة السوفيت (الروسية) اول الدول التي اعترفت بتلك الحجاز وسلطان نجد واصلها ، ثم اعترفت به حكومات بريطانيا العظمى ، والجمهورية الفرنسية ، وهولندا ، والجمهورية التركية .

والاولى . الى ان قال خاتماً كلامه « واني احمد الله الذي جمع الشمل
وامن الاوطان : ولكم علي عهد الله وميثاقه اني انصح لكم كما انصح
لنفسى واولادى » .

فهمت الناس اذ ذاك فائلين : « جزاك الله خيراً ، جزاك الله خيراً ! »
وفي مساء ذلك اليوم دعا جلالة الى بيته اعضاء المجلس الاهلي ،
والوفد الذي قدم من جدة ، وبعض اهل الوجاهة في ام القرى ، فخطبهم
بما معناه :

انا الان في وقت العمل وفي ساعة التأسيس . ولا يستقيم الامر الا
بحسن التدبير وبالصدق والنزاهة . انتم ارباب الرأي والفكر في بلادكم
فعليكم ان تقرروا شكل الحكومة ، وتضعوا دستوراً لها ، وتحددوا
العلاقات بين نجد والحجاز ، وتبحثوا في ما ينبغي ان يكون موقف
الحجاز تجاه الدول .

ثم امر بان يؤلف من مندوبي مكة وجدة مجلس تأسيسى ، فينضم
اليه مندوبون من بلدان الحجاز الاخرى ، للنظر في ما ذكر من المسائل
وتقررها .

وبعد ان تألف هذا المجلس انتخب بالاقتراع السري لجنة لوضع
القانون الاساسي ، ثم عرض اسماءها على جلالة الملك ، فامر بان يرأس
اللجنة الشيخ عبد القادر الشيبى ، حامل مفتاح بيت الله الحرام ، وان ينضم
اليها خمسة آخرون ، انتخبهم جلالة ، من الاشراف والتجار .

كذلك في هذا الشرق الجديد يصلح التعيين الاقتراع ، ويكمل الحاكم
الفرد ما ينقص في حكم الشورى .

اهم الوقعات وتواريخها

- وقعة الصريف في ٢٦ ذي القعدة ١٣١٨ (١٦ فبراير ١٩٠١)
 احتلال الرياض في ٥ شوال ١٣١٩ (١٥ يناير ١٩٠٢)
 فتح عنيزة في ذ محرم ١٣٢٢ (٢٣ مارس ١٩٠٤)
 وقعة البكيرية في ١ ربيع الاول ١٣٢٢ (١٦ مايو ١٩٠٤)
 وقعة الشنانة في ١٨ رجب ١٣٢٢ (٢٩ سبتمبر ١٩٠٤)
 وقعة روضة مهنا (ذبحه ابن الرشيد) في ١٨ صفر ١٣٢٤ (١٤ أبريل ١٩٠٦)
 وقعة الطرفية في ٥ شعبان ١٣٢٥ (١٤ سبتمبر ١٩٠٧)
 احتلال بريدة وكسرة في الحيل في ٢٠ ربيع الثاني ١٣٢٦ (٢٣ مايو ١٩٠٨)
 وقعة هدية في ١ جمادى الثانية ١٣٢٨ (١٠ يونيو ١٩١٠)
 فتح الحاء في ٥ جمادى الاولى ١٣٣١ (١٣ أبريل ١٩١٣)
 وقعة جراب في ٧ ربيع الاول ١٣٣٣ (٢٤ يناير ١٩١٥)
 وقعة ترربة في ٢٥ شعبان ١٣٣٧ (٢٥ مايو ١٩١٩)
 الاستيلاء على عسير في شوال ١٣٣٨ (يوليو ١٩٢٠)
 وقعة الجهرى في ٢٦ محرم ١٣٣٩ (١١ اكتوبر ١٩٢٠)
 سقوط حائل في ٢٩ صفر ١٣٤٠ (٢ نوفمبر ١٩٢١)
 سقوط الطائف في ٧ صفر ١٣٤٣ (٧ سبتمبر ١٩٢٤)
 احتلال مكة في ١٨ ربيع الاول ١٣٤٣ (١٨ اكتوبر ١٩٢٤)
 وقعة المصفحات في ١٨ شعبان ١٣٤٣ (١٤ مارس ١٩٢٥)
 تسليم المدينة (بعد حصار دام عشرة اشهر) في ١٩ جمادى الاولى
 ١٣٤٤ (٥ ديسمبر ١٩٢٥)
 تسليم جدة (بعد حصار استمر سنة كاملة) في ٦ جمادى الثانية ١٣٤٤
 (٢٢ ديسمبر ١٩٢٥)

الملحق

- فتوى علماء نجد في تعصب بعض الاخوان .
- الامر السلطاني المبني على فتوى العلماء .
- اتفاقية بحرة .
- اتفاقية حذاء .
- اتفاقية مكة المكرمة .
- المعاهدة بين بريطانيا العظمى والحجاز ونجد .
- اتفاقية تسليم جدة .
- لائحة المهجر .
- النقود السعودية .

فتوى علماء نجد

في تعصب بعض الاخوان

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله بن عبد اللطيف وحسن بن حسين وسعد بن محمد بن عتيق وعمر بن محمد بن سليم وعبد الله بن عبد العزيز العنقري وسليمان بن سحمان ومحمد بن عبد اللطيف وعبد الله بن بليهد وعبد الرحمن بن سالم الى الاخوان كافة من اهل المهجر وغيرهم ، وفقنا الله واباهم لما يحبه ويرضاه ، وجعلنا من جزبه واوليائه . امين .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد ذلك انكم تفهمون ما من الله به علينا وعليكم من نعمة الاسلام وتجديد هذه الدعوة ، والذي علينا وعليكم شكر الله واتباع اوامره ، واجتناب نواهيه . ولا يخفى عليكم ما جرى من الاختلاف وكثرة الشبهة وهي على ثلاثة امور .

الاول - وهو الاكثر طلب الخير والاجتهاد ووقوع الناس في امور تخل بدنيهم ودنياهم ، لانهم يأتون ذلك محبة للدين بغير دليل .

الثاني - لا بد ان في بعض الاخوان المتقدمين شدة وتعصباً بغير دليل . فلما تبين له الامر وسأل طلبية العلم ، وتحقق عنده ان تعصبه خطأ ، استنكر منه اخوانه وصار بينه وبينهم اختلاف بغير سؤال ولا تبين حقيقة ما عنده .

الثالث - اتوا به اناس من الذين يدعون طلب العلم من الحضرة وهم

جهال يدخلون على بعض الاخوان اموراً مشتبهة . يريد احدهم الحق وهو مخطئه واخر يرغب في معرفة الامور المخالفة .

فلما تحقق ذلك عند ولاية الامر وعند العلماء احبوا اجتماع المسلمين مع علمائهم وولاية الامر منهم . فلما حضروا سمع الحاضر بنفسه ، والغائب نبأه بهذا الكتاب . فقد سألتنا الامام عبد العزيز بحضرتهم عن امور هي : الاول : هل يطلق الكفر على بادية المسلمين الثابتين على دينهم القائلين باوامر الله ونواهيه ام لا .

الثاني : هل من فرق بين لابس العقال ولابس العمامة اذا كان معتقدهما واحداً ام لا .

الثالث : هل في الحضر الاولين وفي المهاجرين الآخرين فرق ام لا . الرابع : هل في ذبيحة البدوي الذي في ولاية المسلمين ، ودربه درهم ومعتقده معتقدهم ، وفي ذبيحة الحضر الاولين او المهاجرين فرق حلال او حرام ام لا .

الخامس : هل للمهاجرين امر او رخصة في اعتدائهم على الذين لم يهاجروا ، فيضربوهم او يؤدبوهم او يهددوهم او يلزموهم بالهجرة ام لا . وهل لاحد ان يهجر احداً بدوياً كان او حضرياً بغير امر واضح او كفر صريح او شيء من الاعمال التي يجب هجره عليها بغير اذن من ولي الامر او الحاكم الشرعي ؟

فاجابناه بحضور الحاضر من المسلمين ان كل هذه الامور مخالفة للشرع ، وما امرت بها الشريعة . وان الذي يفعلها ينهى عنها ويؤجر ، فان تأب وافر بمخطئه فيعفى عنه . وان استمر على امره وعانده ، فيجب عليه تاديب ظاهر بين المسلمين . وان لا يعادى ولا يصادق الا على ما امرت به الولاية او حكم به حاكم الشرع . والذي يفعل ما يخالف ذلك فطريقته غير طريقة المسلمين . وهذا الذي ندين به ، ونشهد الله عليه ، ونرجوه ان يوفقنا واياكم للخير وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم . سنة ١٣٣٧

الامر السلطاني

المبني على فتوى العلماء

باسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز آل فيصل الى الاخوان كافة وفقنا الله واياهم لفعل
الخيرات وترك المنكرات . امين .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . بعد ذلك تفهمون ان الله سبحانه
انعم علينا بنعمة الاسلام ومن علينا ان جعلنا من اهله . ولا يخفى عليكم ما
مضى على اسلافكم من الامور التي تغضب الله وتحالف الشريعة . وحيث
ان الله منَّ عليكم بهذا الامر فيجب عليكم ان تذكروا ذلك بالشكر ،
واعظم الشكر واكبره هو ان تتقيدوا باتباع اوامر الله واجتناب
نواهيه . ثم لا يخفى عليكم ما جرى من النزاع والاختلاف الذي يخشى
علينا منها اخفاق الاعمال والفتنة . وليس قصدنا غير تقويم الشريعة ،
ونجاة انفسنا من عذاب النار . ولا يتم هذا الا بالاقتصاد واتباع
ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وعلماء المسلمين
اولهم وآخرهم .

وربما يلتبس عليكم الامر في بعض امَّة المسلمين واعتقاداتهم ، فاحييت
لذلك ان اشرح لكم العقيدة التي ذكرها المشايخ في فتواهم . وهو ان
معتقد المسلمين واحد حضرم وبدوهم . وتعلمون ان اصل المعتقد كتاب
الله وسنة رسوله ، وما كان عليه اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم
السلف الصالح من بعدهم ، ثم امَّة المسلمين الاربعة ، الامام مالك
والامام الشافعي والامام احمد والامام ابو حنيفة . فاعتقاد هؤلاء واحد
في الاصل ، وهو انواع التوحيد الثلاثة ، توحيد الربوبية ، وتوحيد الالهية ،

وتوحيد الاسماء والصفات كما هو مقرر في كتب العلماء ، التي بكنكم مراجعتها والمحدثه في كل ساعة . فهم في هذا الاصل سواء . فديكون بينهم اختلاف في الفروع وكلهم ومن هذا جذوهم على حق ان شاء الله الى يوم القيامة .

ونحن يا اهل نجد كافة على مذهب الامام احمد بن حنبل في الفروع . واما في الاصل فنحن والمذكورون اعلاه على ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم . على انه في اخر الامر اظهر الله شيخ الاسلام ابن تيمية وابن القيم ثم من بعدهما الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ورحمهم الله ونفع بهم الاسلام والمسلمين ، ارسلهم كلهم ، وخصوصاً محمد بن عبد الوهاب ، عندما اندرست اعلام الاسلام وكثرت الشبهات والبدع .

فلما رأى اسلافنا موافقة اقوالهم واقوالهم ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله قبلوا ذلك وقاموا بما اظهره الله على ايديهم . ونحن ان شاء الله على سبيلهم ومعتقدهم ، نرجو ان يجيئنا على ذلك وبئتنا عليه . وقد عرفناكم بذلك لموجب ذكر المشايخ في الاعتقاد ، والعمدة على ما ذكروه . فمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، وقصده في هجرته وانتسابه الى الخير دورة ما عند الله ، فليعتد على ذلك قولاً وفعلًا . ولا يحيط فيه لبس . وليترك مخالفه . ومن اشكل عليه شيء من الامور فليرده الى طالب العلم المنصوب عندهم بامر الولاية ورضى المشايخ . ونحن نعتقد ان ليس عندهم ما يخالف ذلك ان شاء الله ، وان قصدكم رضى الله . انا من الشفقة عليكم احببنا التبيين لكم بذلك انذاراً للمخالف او المتكلم بضده . وان من خالف ذلك بقول او بفعل فذمتنا وذمة المسلمين بريئة منه ، ولا يأمن البطش بنفسه وبجلاله . هذا حقكم علينا . ومن انذر فقد اعذر . نرجو الله ان يوفقنا واياكم للخير ، وينصر دينه ، ويعلي كلمته ، ويجعلنا واياكم من انصار دينه وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم . سنة ١٣٣٧ هـ

اتفاقية بحرة

نظراً للمعاهدة المعقودة بين حكومتي العراق ونجد ابتغاء تأمين الصلات الحسنة بينهما والمعروفة بمعاهدة المحمرة التي قد وقعت في اليوم السابع من شهر رمضان المبارك سنة ١٣٤٠ الموافق ٥ ماي سنة ١٩٢٢ ،
ونظراً للبروتوقولين المعروفين بالبروتوقول رقم ١ والبروتوقول رقم ٢ اللذين اضيفا الى معاهدة المحمرة المذكورة اعلاه والموقع عليهما في انعقد في اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الثاني المبارك سنة ١٣٤١ الموافق ٢ ديسمبر سنة ١٩٢٢ ،

ونظراً لابرام المعاهدة والبروتوقولين المذكورين آنفاً طبقاً للعادة من قبل حكومتي العراق ونجد ،

ونظراً لما تعهد به كل من حكومتي العراق ونجد في المادة الاولى في معاهدة المحمرة المذكورة بان يمنع كل منهما عشائره عن التعدي على عشائر الحكومة الاخرى ، وان يعاقب كل من الحكومتين من يتعدى من العشائر التابعة للحكومة الاخرى ، وان تتذاكر الحكومتان اذا حالت الظروف دون قيام احدهما بالتأديب اللائق في امكان التخاذ تدابير مشتركة طبقاً للصلات الحسنة السائدة بينهما ،

ونظراً لاعتقاد حكومة صاحب الجلالة البريطانية والحكومتين المذكورتين بانه يحسن لهابين الحكومتين ، حرصاً على الصداقة وحسن الصلات بين العراق ونجد ، وضع اتفاقية بخصوص بعض المسائل المتعلقة بينهما ،

نحن المرفعين ادناه سلطان نجد وملحقاتها عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود والسر جلبرت كلايتون المندوب المفوض من

قبل حكومة صاحب الجلالة البريطانية والتحول بأن ينوب عن الحكومة العراقية في الاتفاق والتوقيع قد اتفقا على المواد الآتية :

المادة الاولى - تعترف كل من دولتي العراق ونجد ان الغزو من قبل العشائر القاطنة في اراضيها على اراضي الدولة الاخرى اعتداء يستلزم عقاب مرتكبيه عقاباً صارماً من قبل الحكومة التابعة لها وان رئيس العشيرة المتعدية بعد مسؤولاً .

المادة الثانية - (ا) تؤلف محكمة خاصة ، بين حكومتى العراق ونجد ، تلتزم من حين الى آخر للنظر في تفاصيل اي تعدى يقع من وراء حدود الدولتين ولا حصاء الاضرار والحسائر وتعيين المسؤولية . ويكون تأليف هذه المحكمة من عدد متساو من ممثلي حكومتى العراق ونجد وتعهد رئاستها الى شخص آخر من غير الممثلين المذكورين تتفق على اختياره الحكومتان وتكون قرارات هذه المحكمة قطعية ونافذة .

(ب) بعد تعيين المسؤولية وتحقيق الاضرار والحسائر الناشئة عن الغزو ، واصدار المحكمة قرارها بذلك ، تقوم الحكومة التابعة لها المحكوم عليه بتنفيذ القرار المذكور وفقاً لعادات العشائر ، وبمعاينة المحكوم عليه كما جاء في المادة الاولى من هذه الاتفاقية .

المادة الثالثة - لا يجوز لعشائر احدى الحكومتين اجتياز حدود الاخرى الا بعد الحصول على رخصة من حكومتهم ، وبعد موافقة الحكومة الاخرى ، مع العلم انه لا يحق لاحدى الحكومتين ان فتش عن اعطاء الرخصة او الموافقة اذا كان السبب في انتقال العشيرة لداعي المرمى عملاً بفيداً حرية الرعى .

المادة الرابعة - تعهد حكومتا نجد والعراق بأن تتفقا بكل ما لديهما من الوسائل ، غير الطرد واستعمال القوة ، في سبيل انتقال عشيرة او فخذ من احد القطرين الى الاخر ، الا اذا جرى هذا الانتقال

بمعرفة حكومتها ورضاها ، وتعهد الحكومتان بأن تمتعنا عن تقديم الهدايا ايأ كان نوعها للمتجشين من البلاد التابعة للحكومة الاخرى ، وبأن تنظرا بعين السخط على كل شخص من رعاياهما يسعى لاستغلال العشائر التابعة للحكومة الاخرى ، او تشجيعها على الانتقال من بلادها الى البلاد الاخرى .

المادة الخامسة - ليس لحكومي العراق ونجد ان تتفاوضا مع رؤساء وشيوخ عشائر الدولة الاخرى في الامور الرسمية او السياسية .
المادة السادسة - لا يجوز لقوات العراق ونجد ان تتجاوز حدود بعضها البعض بقصد تعقيب المجرمين الا يرضى الحكومتين^(١) .

المادة السابعة - لا يجوز لشيوخ العشائر الذين لهم حقة رسمية او لهم ايات تدل على انهم قواد لقوات مسلحة ان يظهروا راياتهم في اراضي الدولة الاخرى .

المادة الثامنة - اذا طلبت احدى الحكومتين من عشائرها النازلة في اراضي الدولة الاخرى تجريدات مسلحة فالعشائر المذكورة حرة في تلبية دعوة حكومتها على ان توحد بعائلاتها واموالها بكل سكية .

المادة التاسعة - اذا انتقلت عشيرة من اراضي احدى الحكومتين الى الاراضي التابعة للحكومة الاخرى ، وشئت الغارات بعد انتقالها على البلاد التي كانت تقطن فيها ، يحق للحكومة التي تقيم العشيرة في اراضيها ان تأخذ منها ضمانات كافية ، حتى اذا تكررت منها مثل ذلك الاعتداء تكون هذه الضمانات عرضة للمصادرة ، وذلك عدا العقاب المنصوص عليه في المادة الاولى ، وعدا ما قد تفرضه المحكمة المنصوص عليها في المادة الثانية من هذه الاتفاقية .

(١) وفي برونوفول المقير المادة الثالثة «تعهد الحكومتان كل من قبلها الا تستخدم الاباز الموجودة على اطراف الحدود لاي غرض حربي كوضع قلاع عليها ، وان لا تنمي جنوداً في اطرافها»

المادة العاشرة - تتعهد حكومتا العراق ونجد بأن تقوموا بمذكرات
ودية ، لعقد اتفاقية خاصة بشأن تسليم المجرمين ، طبقاً للعادات المروعة
بين الدول المتحابية وذلك في مدة لا تتجاوز السنة اعتباراً من تاريخ
التصديق على هذه المعاهدة من قبل حكومة العراق .

المادة الحادية عشرة - النص العربي هو النص الرسمي الذي يرجع
اليه في تفسير مواد هذه الاتفاقية .

المادة الثانية عشرة - تعرف هذه الاتفاقية باتفاقية بحرة .

وقعت هذه الاتفاقية في مخيم بحرة في الرابع عشر من شهر ربيع
الثاني ١٣٤٩ الموافق اول نوفمبر سنة ١٩٢٥

الامضات

اتفاقية حداء

نظراً للعلاقات الودية السائدة بين الحكومة البريطانية السامية من جهة وسلطنة نجد وملحقاتها من جهة أخرى ، ونظراً لرغبتها في تعيين الحدود بين نجد وشرقي الاردن وتسوية بعض المسائل المتعلقة بذلك ، اختارت الحكومة البريطانية السامية السر جلبرت كلايتون ، كي ، بي ، إي . سي . بي ، سي . ام ، جي . وعينته مندوباً مفوضاً عنها ليعقد اتفاقية في هذا الشأن مع السلطان عبد العزيز ابن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود والسر جلبرت كلايتون وتعاهدا على المواد الآتية :

المادة الاولى - يمتدء الحد بين نجد وشرقي الاردن في الجهة الشمالية الشرقية من نقطة تقاطع دائرة الطول ٣٩ (شرقي) ودائرة العرض ٣٢ (شمالي) حيث تنتهي الحدود بين العراق ونجد ويمتد على خط مستقيم الى نقطة تقاطع دائرة الطول ٣٧ (شرقي) بدائرة العرض ٣٠ ، ٣١ (شمالي) فيتبع دائرة الطول ٣٧ (شرقي) الى نقطة تقاطعها بدائرة العرض ٢٥ ، ٣١ (شمالي) ثم يمتد من هذه النقطة على خط مستقيم الى نقطة تقاطع دائرة الطول ٣٨ (شرقي) بدائرة العرض ٣٠ (شمالي) تاركاً ما برز من اطراف وادي سرحان لنجد ثم يتبع دائرة الطول ٣٨ (شرقي) الى نقطة تقاطعها بدائرة العرض ٣٥ ، ٢٩ (شمالي) اما الحارطة التي يرجع اليها في هذه الاتفاقية فهي الحارطة المعروفة بالدولية « آسيا مقياس واحد على مليون » .

المادة الثانية - تعهد حكومة نجد بان لا تقيم اي حصن في (كاف) والا تستعمل المنطقة في جوارها كنقطة عسكرية .

اما اذا رأت حاجة في حين من الاحيان الى اتخاذ تدابير استثنائية

يجوز الحدود المحافظة على الأمن ، او لاي غرض اخر يستوجب حشد القوات العسكرية المسلحة ، فتتعهد بان تجبر حكومة صاحب الجلالة البريطانية بذلك في اقرب وقت . وعلاوة على ذلك تتعهد بان تمنع قواتها من التعدي على اراضي شرقي الاردن بكل ما لديها من الوسائل .

المادة الثالثة - منعاً لى التفاهم الذي قد يحصل في الحوادث التي تقع قرب الحدود ، وتوثيقاً لعرى الثقة المتبادلة بين الطرفين والتعاون الكلي بين حكومة صاحب الجلالة البريطانية وحكومة نجد ، يتفق الطرفان على القيام بذاكرات متواصلة بين الممثلين البريطانيين في شرقي الاردن او مندوبيه وبين حاكم وادي السرحان .

المادة الرابعة - تتعهد حكومة نجد بصيانة جميع الحقوق التي تتمتع بها في وادي سرحان القبائل غير التابعة لنجد سواء كانت حقوق الرعي او السكن او الملكية او ما يشبه ذلك من الحقوق الثابتة بشرط ان تخضع تلك القبائل ، ما دامت نازلة ضمن حدود نجد ، للقوانين الداخلية التي لا تمس هذه الحقوق . وتعامل حكومة شرقي الاردن نفس المعاملة رعايا نجد المتمتعين بحقوق ثابتة في شرقي الاردن شبيهة بالحقوق المذكورة .

المادة الخامسة - تعترف كل من نجد وشرقي الاردن ان الغزو من قبل العشائر القاطنة في اراضيها على اراضي الحكومة الاخرى اعتداء يستلزم عقاباً من رتبته عقاباً صارماً من قبل الحكومة التابعة لها ، وان رئيس العشيرة المتعدية يعد مسؤولاً .

المادة السادسة - (١) تؤلف محكمة خاصة ، بالاتفاق بين حكومتي نجد وشرقي الاردن ، تلتزم من حين الى آخر للنظر في تفاصيل اي تعدي يقع من وراء الحدود ولا حصاء الاضرار والحسائر وتعيين المسؤولية . ويكون تأليف هذه المحكمة من عدد متساو من ممثلي

حكومتي نجد وشرقي الاردن ، وتعهد رئاستها الى شخص آخر من غير الممثلين المذكورين تتفق على اختياره الحكومتان . وتكون قرارات هذه المحكمة قطعية ونافذة .

(ب) بعد تعيين المسؤولية وتحقيق الاضرار والحسائر الناشئة عن الغزو ، واصدار المحكمة قرارها بذلك ، تقوم الحكومة التابع لها المحكوم عليه بتنفيذ القرار المذكور وفقاً لعادات العشائر ، وبمعاينة المحكوم عليه كما جاء في المادة الخامسة من هذه الاتفاقية .

المادة السابعة - لا يجوز لعشائر احدى الحكومتين اجتياز حدود الحكومة الاخرى الا بعد الحصول على رخصة من حكومتها ، وبعد موافقة الحكومة الاخرى ، مع العلم انه لا يحق لاحدى الحكومتين ان تمتنع عن اعطاء الرخصة او الموافقة اذا كان السبب في انتقال العشيرة لداعي المرعى ، عملاً بمبدأ حرية الرعي .

المادة الثامنة - تعهد حكومتا نجد وشرقي الاردن بان تقفا بكل ما لديهما من الوسائل ، غير الطرد واستعمال القوة ، في سبيل انتقال كل عشيرة او قبيلة من احد القطرين الى الآخر ، الا اذا جرى هذا الانتقال بمعرفة حكومته ورضاها ، وتعهد الحكومتان بان تمتنع عن تقديم الهدايا ايما كان نوعها للمتجشئين من البلاد التابعة للحكومة الاخرى ، وبان تنظرا بعين السخط الى كل شخص من رعاياهما يسعى لاستجلاب العشائر التابعة للحكومة الاخرى ، او تشجيعها على الانتقال من بلادها الى البلاد الاخرى .

المادة التاسعة - ليس لحكومتي نجد وشرقي الاردن ان تتفادوا مع رؤساء وشيوخ عشائر الحكومة الاخرى في الامور الرسمية او السياسية .

المادة العاشرة - لا يجوز لحكومتي نجد وشرقي الاردن ان تتجاوز

حدود بعضها البعض بقصد تعقيب المجرمين الا برضى الحكومتين .
 المادة الحادية عشرة - لا يجوز لشيوخ العشائر الذين لهم صفة رسمية
 او لهم ايات تدل على انهم قواد قوات مسلحة ان يظهروا رايهم في
 اراضي الحكومة الاخرى .

المادة الثانية عشرة - على كل من حكومتي نجد وشرقي الاردن
 ان تمنع حرية المرور لجميع المسافرين والحجاج ، بشرط ان يخضع هؤلاء
 للقوانين الخاصة بالسفر والحج المرعية في نجد وشرقي الاردن ، وعلى كل
 من هاتين الحكومتين ان تخبر الحكومة الاخرى باي قانون قد نسه في
 هذا الخصوص .

المادة الثالثة عشر - تتعهد حكومة صاحب الجلالة البريطانية ان
 تضمن حرية المرور في كل حين للتجار من رعايا نجد لقضاء تجارتهم بين
 نجد وسورية ذهاباً واياباً ، وان تحصل على الاعفاء من الضرائب الجمركية
 وغيرها لجميع الاموال التي تجتاز منطقة الانتداب في مرورها من نجد
 الى سورية او من سورية الى نجد ، على ان يخضع التجار وقوافلهم
 لما قد يلزم من التفتيش الجمركي ، وان يكونوا حاملي وثيقة من
 حكومتهم تشهد انهم تجار مشروعون . ويشترط ان تنبع القوافل التجارية
 ذات الاموال المحملة طرقاً معروفة سينفق عليها فيما بعد المدخول في
 منطقة الانتداب والخروج منها ، مع العلم ان هذه القيود لا تسري على
 القوافل التجارية التي تقتصر تجارتها على الابل والحيوانات ، ولا على
 العشائر التي تنتقل بمقتضى المواد السابقة من هذه الاتفاقية . وتتعهد
 حكومة صاحب الجلالة البريطانية بان تحصل على غير ذلك من التسهيلات
 الممكنة للتجار من رعايا نجد المارين بمنطقة انتدابها .

المادة الرابعة عشرة - تبقى هذه الاتفاقية نافذة ما دامت حكومة
 صاحب الجلالة البريطانية مكلفة بالانتداب على شرقي الاردن .

المادة الخامسة عشرة - قد دونت هذه الاتفاقية باللغة الانكليزية واللغة العربية ، ووقع كلا الطرفين المتعاقدين نسختين من النص العربي ونسختين من النص الانكليزي ، ويكون للنصين قيمة رسمية واحدة . ولكن اذا وقع اختلاف بين النصين في تفسير مادة من مواد هذه الاتفاقية فيرجع الى النص الانكليزي .

المادة السادسة عشرة - تعرف هذه الاتفاقية باتفاقية حداثاء .

وقعت هذه الاتفاقية في حداثاء في الخامس عشر من شهر ربيع الثاني

١٣٤٤ الموافق ٢ نوفمبر ١٩٢٥

الامضاءات

معاهدة مكتة المكرمت

الحمد لله وحده

بين ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها وبين الامام السيد الحسن بن علي الادريسي .

رغبة في توحيد الكلمة ، وحفظاً لكيان البلاد العربية ، وتقوية للروابط بين امراء جزيرة العرب ، قد اتفق صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود وصاحب السيادة امام عسير السيد الحسن بن علي الادريسي على عقد المعاهدة الآتية :
المادة الاولى : يعترف سيادة الامام السيد الحسن بن علي الادريسي بأن الحدود القديمة الموضحة في اتفاقية ١٠ صفر سنة ١٣٣٩ المنعقدة بين سلطان نجد وبين الامام السيد محمد بن علي الادريسي ، والتي كانت خاضعة للإدارة في ذلك التاريخ ، هي تحت سيادة جلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بموجب هذه المعاهدة .

المادة الثانية : لا يجوز لامام عسير ان يدخل في مفاوضات سياسية مع اي حكومة ، وكذلك لا يجوز ان يمنح اي امتياز اقتصادي ، الا بعد الموافقة على ذلك من صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها .
المادة الثالثة : لا يجوز لامام عسير اشهار الحرب او ابرام الصلح الا بموافقة صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها .

المادة الرابعة : لا يجوز لامام عسير التنازل عن جزء من اراضي عسير المبينة في المادة الاولى .

المادة الخامسة : يعترف ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بحاكمية امام عسير الحالي على الاراضي المبينة في المادة الاولى مدة حياته ومن

بعده لمن يتفق عليه الادارة واهل المقد والحل التابعين لامامته .
 المادة السادسة : يعترف ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بان
 ادارة بلاد عسير الداخلية ، والنظر في شئون عسائرهما من نصب
 وعزل وغير ذلك من الشؤون الداخلية من حقوق امام عسير على ان
 تكون الاحكام وفق الشرع والعدل كما هي في الحكومتين .

المادة السابعة : يتعهد ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بدفع
 كل تعدي داخلي او خارجي يقع على اراضي عسير المدينة في المادة الاولى ،
 وذلك بالاتفاق بين الطرفين حسب مقتضيات الاحوال ودواعي المصلحة .
 المادة الثامنة : يتعهد الطرفان بالمحافظة على هذه المعاهدة والقيام
 بواجبها .

المادة التاسعة : تكون هذه المعاهدة معمولاً بها بعد التصديق عليها
 من الطرفين الساميين .

المادة العاشرة : دوت هذه المعاهدة باللغة العربية في صورتين تحفظ
 كل صورة لدى فريق من الحكومتين المتعاقبتين .

المادة الحادية عشرة : تعرف هذه المعاهدة بمعاهدة مكة المكرمة .
 وقعت هذه المعاهدة في تاريخ ٢٤ ربيع الآخر سنة ١٣٤٥ الموافق
 ٢١ اكتوبر سنة ١٩٢٦ .

ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها

عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود

الحكم الملكي

امام عسير

الحسن بن علي الاذريسي

الحكم

تم ذلك بحضور واقم هذه

الاحرف خادام الاسلام

احمد الشريف السنوسي

الحكم

المعاهدة

بين بريطانيا العظمى والحجاز ونجد

جلالة ملك بريطانيا وارانده والممتلكات البريطانية من وراء البحار
امبراطور الهند من جهة، وجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها من جهة أخرى
رغبة في توطيد العلاقات الودية السائدة بينهما وتوثيقها، وتأمين
مصالحهما وتقريبهما، قد عزموا على عقد معاهدة صداقة وحسن تفاهم.
لذلك أوفد صاحب الجلالة البريطانية حضرة السير جلبرت فلكنجهام
كلايتون مندوباً مفوضاً عنه، وانتدب صاحب الجلالة ملك الحجاز
ونجد وملحقاتها صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن عبد العزيز نجله
ونائبه في الحجاز مندوباً مفوضاً عنه بناء على ما تقدم

وبعد الاطلاع على مستندات اعتادها والتثبت من صحتها قد اتفقا،
سمو الأمير فيصل بن عبد العزيز وحضرة السير جلبرت كلايتون، على المواد الآتية:
المادة الأولى - يعترف صاحب الجلالة البريطانية بالاستقلال التام
المطلق للملك صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها.

المادة الثانية - يسود السلم والصداقة بين صاحب الجلالة البريطانية
وصاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها. ويتعهد كل من الفريقين
المتفاوضين بأن يحافظ على حسن العلاقات مع الفريق الآخر، وبأن يسعى
بشكل ما لديه من الوسائل لمنع استعمال بلاده قاعدة للأعمال غير المشروعة
الموجهة ضد السلام والسكينة في بلاد الفريق الآخر.

المادة الثالثة - يتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها
بتسهيل أداء فريضة الحج لجميع الرعايا البريطانيين والأشخاص المتمتعين

بالحماية البريطانية من المسلمين اسوة بسائر الحجاج ، و يعلن جلالة الملك بانهم يكونون آمنين على اموالهم وانفسهم اثناء اقامتهم في الحجاز .

المادة الرابعة - يتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بتسليم مخلفات من يتوفى في البلاد التابعة لجلالته من الحجاج المذكورين آنفاً ، والذين ليس لهم في بلاد جلالته اوصياء شرعيون ، الى المعتمد البريطاني في جدة او من ينتدبه لهذا الغرض ، لايصالها لورثة الحاج المتوفى المستحقين ، بشرط ان لا يكون تسليم تلك المخلفات الى الممثل البريطاني الا بعد ان تتم المعاملات بشأنها امام المحاكم المختصة ، وتستوفى عليها الرسوم المقررة في القوانين الحجازية او النجدية .

المادة الخامسة - يعترف صاحب الجلالة البريطانية بالجنسية الحجازية والنجدية لجميع رعايا صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها عندما يوجدون في بلاد صاحب الجلالة البريطانية او البلاد المشمولة بحماية جلالته . وكذلك يعترف صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بالجنسية البريطانية لجميع رعايا صاحب الجلالة البريطانية ولجميع الاشخاص الممتنعين بحماية جلالته عندما يوجدون في بلاد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها ، على ان تراعى قواعد القانون الدولي المرعي بين الحكومات المستقلة .

المادة السادسة - يتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بالمحافظة على الصلات الودية والسلمية مع الكويت والبحرين ومشايخ قطر والساحل العماني ، الذين لهم معاهدات خاصة مع حكومة صاحب الجلالة البريطانية .

المادة السابعة - يتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بان يتعاون بكل ما لديه من الوسائل مع صاحب الجلالة البريطانية في القضاء على الاتجار بالرقيق .

المادة الثامنة - على الفريقين المتعاقدين ابرام هذه المعاهدة وتبادل قرارات الابرام باقرب وقت .

وتصير المعاهدة نافذة اعتباراً من تاريخ تبادل قرارات الابرام ، ويعمل بها مدة سبع سنوات ابتداء من ذلك التاريخ . وان لم يعلن احد الفريقين المتعاقدين الفريق الآخر ، قبل انتهاء السنوات السبع بسنة اشهر انه يريد ابطال المعاهدة ، تبقى نافذة . ولا تعتبر باطلة الا بعد مضي ستة اشهر من اليوم الذي يعلن فيه ابطالها من احد الفريقين الى الفريق الاخر .

المادة التاسعة - تعتبر المعاهدة المعقودة بين صاحب الجلالة البريطانية وصاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها في ٢٦ ت الاول سنة ١٩١٥ يوم كان جلالة حاكماً لنجد وما كان ملحقاً بها اذ ذاك ملغاة ابتداءً من تاريخ ابرام هذه المعاهدة .

المادة العاشرة - دونت هذه المعاهدة باللغتين العربية والانكليزية ، وللمصين قيمة واحدة . اما اذا وقع اختلاف في تفسير اي قسم منها فيرجع الى النص الانكليزي .

المادة الحادية عشرة - تعرف هذه المعاهدة بمعاهدة جدة . وقعت هذه المعاهدة في جدة يوم الجمعة الثامن عشر من ذي القعدة سنة ١٣٤٥ هجرية الموافق عشرين ايار سنة ١٩٢٧ .

اتفاقية تسليم جدة

بالنظر لتنازل الملك علي ، ومبارحته للحجاز ، وتسليم بلدة جدة ،
يضمن السلطان عبد العزيز لكل الموظفين الملكيين والحربيين
والأشراف وأهالي جده عموماً والعرب والسكان والقبائل سلامتهم
الشخصية وسلامة أموالهم .

٢ - يتعهد الملك علي ان يسلم في الحال اسرى الحرب الموجودين
بجدة ان وجد .

٣ - يتعهد السلطان عبد العزيز بان يمنح العفو العام لكل
المذكورين اعلاه .

٤ - يجب على جميع الضباط والعساكر ان يسلموا في الحال الى
السلطان عبد العزيز بجميع اسلحتهم من بنادق ورشاشات ومدافع
وطيارات وخلافه وجميع المجهزات الحربية .

٥ - يتعهد الملك علي وجميع الضباط والعساكر بان لا يخرجوا اي
شيء من الاسلحة والمجهزات الحربية جميعها او يتصرفوا بها .

٦ - يتعهد السلطان عبد العزيز بان يرسل كافة الضباط والعساكر
الذين يرغبون في العودة الى اوطانهم ويتعهد باعطائهم المصاريف اللازمة
لسفرهم .

٧ - يتعهد السلطان عبد العزيز ان يوزع بنسبة معتدلة على كافة
الضباط والعساكر الموجودين بجدة مبلغ خمسة آلاف جنيه .

٨ - يتعهد السلطان عبد العزيز ان يبقى جميع موظفي الحكومة
الملكيين الذين يجد فيهم الكفاية في تأديتهم واجباتهم بأمانة في مراكزهم .

٩ - يتعهد السلطان عبد العزيز ان يمنح الملك عليا الحق ان يأخذ

معه الامتعة الشخصية التي في حوزته بما في ذلك سيارته وسجانيده وخيوله .

١٠ - يتعهد السلطان عبد العزيز ان يمنح عائلة آل الحسين جميع ممتلكاتهم الشخصية في الحجاز بشرط ان تكون هذه الممتلكات من الموروثة فعلاً ، ولا تشمل على الاملاك الثابتة المحولة من الاوقاف بمعرفة الحسين الى شخصه ، ولا على المباني التي يكون الحسين قد بناها في اثناء ملكه لما كان ملكاً على الحجاز .

١١ - يتعهد الملك علي ان يبارح الحجاز قبل يوم الثلاثاء المقبل مساءً .
١٢ - جميع البواخر التي في ملك الحجاز وهي (الطويل ورشدي والرقمتين ووضوى) تصير ملكاً للسلطان عبد العزيز ، ولكن السلطان يسمح ان ازم الامر بالباخرة ورقمتين ان تستعمل لنقل الامتعة الشخصية التابعة للملك علي المتنازل ثم ترجع .

١٣ - يتعهد الملك علي ورجاله وسكان جدة باث لا يبيعوا او يخرجوا اي شيء من املاك الحكومة مثل اللشاش والسنايك وخلافه .
١٤ - يتعهد السلطان عبد العزيز ان يمنح جميع السكان والضباط والعساكر الموجودين بينبع الحقوق والامتيازات المذكورة سابقاً الا فيما يختص بتوزيع النقود .

١٥ - يتعهد السلطان عبد العزيز ان يمنح العفو للاشخاص المذكورة اسماءهم ادناه ايضاً ضمن العفو العام ، وهم عبد الوهاب ومحسن وبكري ابناء يحيى قزاز ، وعبد الحي بن عابد قزاز ، واحمد وصالح ابناء عبد الرحمن قزاز ، واسماعيل ابن يحيى قزاز ، والشيخ محمد علي صالح بتاوي واخوانه ابراهيم وعبد الرحمن بتاوي ابناء محمد علي صالح بتاوي وابنائهم وابناء عمهم حسن وزين بتاوي وابناء محمد نور الشيخ يوسف خشيرم والشيخ عباس ولد يوسف خشيرم والشيخ ياسين بسيوني والسيد احمد السقاف وعائلات واموال جميع المذكورين آنفاً .

١٦ - ان كان الملك علي او رجاله في حال من الاحوال يخالفون او يقصرون في تنفيذ اي مادة من المواد التي تقدم ذكرها فان السلطان عبد العزيز لا يعتبر نفسه في تلك الحالة مسؤولاً عن تأدية ما عليه من هذه الاتفاقية .

١٧ - يتعهد الطرفان السلطان عبد العزيز والملك علي ان يكفيا عن اي حركة عدائية اثناء سير هذه المفاوضات .

الخمس في ١ جمادى الثانية سنة ١٣٤٤ الموافق ١٧ ديسمبر ١٩٢٥

الامضاءات

لائحة المهجر

كل عدد من الاعداد المذكورة اثنائه ، اي عدد من يلبوث دعوة الجهاد من كل قرية ، يضاف اليه ضعفه ، الضعف الاول وهم البدو اي الذين يرعون المواشي ، والضعف الاخر المحترفون اي الذين يبقون في البلدة ليقوموا بصناعتها وتجارتها وزراعتها . والمجموع عدد سكان المذكور في كل هجرة .

بلاد نجد وضعاً هي من القصيم الى وادي حنيفة .

يلبي الجهاد من نجد فقط اربعة الاف . وهؤلاء مسلحون متأهبون دائماً ، وهم بمثابة العسكر النظامي ، يدفع لهم السلطان كل ثلاثة اشهر قيمة مرضية غير معينة من المال . وكذلك المجاهدون من هجر حرب .

هجر قططان	هجر مطير
عدد المجاهدين	يلبي الجهاد منها
الهياثم ٠٨٠٠	الارطاوية ٢٠٠٠
الهياثم - بادية ١٠٠٠	مبايض ١٠٠٠
الجفير ٠٣٠٠	فريتان ١٠٠٠
الحصاة ٠٨٠٠	مكيح ٠٧٠٠
الرين الاسفل ٢٠٠٠	العمار ٠٧٠٠
الرين الاعلى ٢٠٠٠	الائلة ١٠٠٠
٦٩٠٠	الارطاوي ٠٦٠٠
هجر الدواسر	مسيكة ٠٨٠٠
مشيرة ١٥٠٠	ضريّة ٠٨٠٠
الريضة ٠٨٠٠	قرية العليا ١٥٠٠
٢٣٠٠	قرية السفلى ١٠٠٠
	١١١٠٠

هجر حوب [حوب نجد]

دُخنة	٢٥٠٠
الشيكة	١٠٠٠
الدُّلِيسَة	١٠٠٠
القرين	٠٧٠٠
الساقية	٠٦٠٠
حَلِيفَة	٠٣٠٠
حَمِيْظَل	٠٧٠٠
البرود	١٠٠٠
قِه (تلفظ اجْبه)	٢٠٠٠
الفواره	١٠٠٠
	<hr/> ١٠٨٠٠

هجر العوازم

تاجر	١٥٠٠
الحسي	١٠٠٠
الحثات	١٠٠٠
العشيق	٠٧٠٠
	<hr/> ٤٢٠٠

هجر بني مُرَّة

الشباك	١٠٠٠
أَبِيرِق	١٥٠٠
عين دار (بنو هاجر)	١٠٠٠
	<hr/> ٣٥٠٠

هجر الرُّوقَة من [عَتِيْبَة]

الداھنا	٢٠٠٠
الصَّوْح	٠٣٠٠
ساجر	٠٨٠٠
عرجا	٢٠٠٠
عسكة	٠٣٠٠
نَفِي	١٥٠٠
	<hr/> ٦٩٠٠

هجر بَرِّقَة من [عَتِيْبَة]

عُرْوَة	١٠٠٠
السنام	١٠٠٠
الروضة	٠٧٠٠
	<hr/> ٢٧٠٠

الغَطَط [من عَتِيْبَة]

هجر المعجان

الصَّرَار	٢٠٠٠
حَبِيد	١٠٠٠
الصعاف	٠٨٠٠
العقير	٠٧٠٠
عُرْيَة	١٣٠٠
	<hr/> ٥٨٠٠

خريفط (هتيم)	١٣٠٠
المصاع	٠٧٠٠
المرير (هتيم)	٠٤٠٠
	<hr/>
	١٣٨٠٠

الهجر التي في الخروج

الضيعة	٠٨٠٠
البدع	٠٨٠٠
المنيف	٠٦٠٠
الاخضر	٠٥٠٠
طيسم	٠٤٠٠
الروضة	٠٤٠٠
	<hr/>
	٣٥٠٠

هجر شمو

الاجفر	٢٠٠٠
بنوان قبيلة هتيم	١٥٠٠
القطيم	٠٦٠٠
القصير	٠٩٠٠
الحفير	٠٩٠٠
البلازيه	٠٥٠٠
الحبه	٠٨٠٠
الغيضة	١٢٠٠
بيضة نثيل (عزى)	١٥٠٠
التم	٠٦٠٠
ام القلبان	٠٥٠٠
الشقيق	٠٤٠٠

مجموع المجاهدين من الهجر

حرب نجد	١٠٨٠٠
العوازم	٤٢٠٠
بنو مرة	٣٥٠٠
شمر	١٣٨٠٠
الخرج	٣٥٠٠
	<hr/>
	٧٦٠٥٠٠

مطير	١١١٠٠
قحطان	٦٩٠٠
الدواسر	٢٣٠٠
الروقة - عتيبه	٦٩٠٠
برقة - عتيبه	٢٧٠٠
القطط - عتيبه	٥٠٠٠
العجمان	٥٨٠٠

بعض النقود العربية السعودية



ريال وربع ريال فضة حجم الاصل

فهرس اعلام

تاريخ نجد الحديث

راجع اسماء البلدان في النبعة الاولى (نواحي نجد) بين صفحات ٢٠ - ٣٠ .
واسماء افراد آل سعود في النبعة الثالثة وامراء حائل امي آل الرشيد ونسبهم في صفحتي
٢٩٦ و ٢٩٧ وتواريخ الوقعات في صفحة ٤٣١ . وراجع اسماء الهجر في لائحة الهجر
بين صفحات ٤٤١ - ٤٢٣ . اما اسم الملك عبد العزيز سعود واسماء الرياض ونجد
والعرب فلم تذكرها في هذا الفهرست لانها واردة في اكثر صفحات الكتاب .

- ملاحظة -

- هذه الالاماة تدل على وجوب تعداد الارقسام المقتدة بين الرقبين المذكورين

مثلاً : ١ - ٥ يعني ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥

٤

٣٣٣ ، ٣٣٥ ، ٣٥١ ، ٣٥٧	ابراهيم ٣٧٠
٣٦٥ ، ٣٩١	ابراهيم باشا ، ابن محمد علي ١٣ ، ٤٣
ابن بشر ، عثمان بن عبدالله ١٠ ، ١١	٤٧٧ ، ٨٤ - ٨٦ ، ٨٨ - ٩١
١٣ ، ١٤ ، ١٧ ، ٣٧ ، ٤١	١٤٣ ، ٩٤
٤٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٨ ، ٧٢	الابطح ٣٧٢ ، ٣٨٤ ، ٣٨٦
٧٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٧ ، ٩٠ ، ٩١	٣٩٠ ، ٣٩٢ ، ٣٩٦
ابن بليد ، عبدالله ٤٣٣	ابن الاتير ٣٦٢
ابن قويي ٥٣	ابن الامام سعود ، عبدالله ١٤ ، ٧٢
ابن تيمية ٥ ، ١٧ ، ٤٧ - ٤٩ ، ٥٤	٨٣ ، ٨٤ ، ٨٦ - ٩١
٥٥ ، ٥٧ - ٤٣٦	ابن الامام فيصل ، محمد ١٢
ابن ثاني ، أحمد ١٥٤ ، ١٥٥	ابن فتيان ، معاوية ٢٩٩
ابن ثاني ، قاسم امير قطيف ١٠٦ ، ١١٣	ابن ابي طالب ، علي ٥٣ ، ١١٢
١١٦ ، ١٢٢ ، ١٥٤ ، ١٥٥	٢٤٩
١٩٥ ، ٢١٢	ابن محياد ، سلطان ١٤٦ ، ٢٥٣ -
ابن ثعلبة ٦٩	٢٥٥ ، ٢٥٧ ، ٣٢٦ ، ٣٣١

٣٨٦ - ٣٨١ ، ٣٧٨ - ٣٧٦

٣٩٤ ، ٣٩١ - ٣٨٩ ، ٣٨٨

٤٠٧ ، ٤٠٦ - ٣٩٨ ، ٣٩٦

٤٢٥ - ٤٢٦ ، ٤١٧ - ٤١٢

٤٥٣ - ٤٥١

ابن حرد ، سلطان ، راجع ابن الرشيد ،

سلطان بن حرد

ابن حيد الدين ، الامام يحيى ١٤٨ ،

٣٥٩ ، ٣٤٠ ، ٢٠١ ، ١٥٠

٤١٨

ابن حنبل ، الامام أحمد ٣٦ ، ٣٧ ، ٤٨

٤٩ ، ٤٣٦

ابن الخطاب ، الخليفة عمر ٥ ، ٥٧ ،

١٨٣

ابن دجين ، سعدون بن عيسى ٦٥

ابن دجين ، عيسى ٤٥ ، ٤٦ ، ٦٣

٦٥ - ٦٨

ابن دواس ، دهم ٤٣ - ٤٥ ، ٦٢ -

٦٥ ، ٦٧ ، ٩٣ ، ٢٥٩

ابن الدويش ، راجع الدويش

ابن ريعان ١٢٨

ابن رخيص ، هناد ١٠٤

ابن الرشيد ، الامين طلال ٩٦ ، ٩٩ ، ١١٠

١١١

ابن الرشيد ، الامير عبد العزيز بن قنبر

١١٢ ، ١١٦ - ١٢٣ ، ١٢٧ -

١٣٨ ، ١٤٠ - ١٥٩

ابن الرشيد ، بدر بن طلال بن عبدالله

بن علي ٢٨٧

ابن ثنيان ، احمد ٢٠٧ ، ٢١٠ ، ٢١٧

ابن جبر ، عبد العزيز ١٤١

ابن جراد ، حسين ١٣٧

ابن جلوي ، سعد ١٣٠

ابن جلوي ، عبد العزيز بن مساعد ٣٠٠

٣٢٣

ابن جوري ، عبدالله ١٢٤ ، ١٢٦ ،

١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٥ ، ١٣٨ ،

١٨٠ ، ١٩١ ، ٢١٢ ، ٢٧٠

ابن جوير ، عائش ٢٤٧

ابن حازي ، ولد سليمان ٣٢٨

ابن حجر ، الكتندي ٣٦٣

ابن الحسن ، صالح ، راجع الحسن صالح

ابن حسن ، عبد العزيز ١٧٠

ابن الحسين ، الامير زيد ٣٢٢

ابن الحسين ، الامير عبدالله ١٨١

٢١٨ ، ٢٢٦ ، ٢٤٤ - ٢٥٤ ،

٢٥٦ - ٢٥٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ،

٣٢٣ ، ٣٢٨ - ٣٣٠ ، ٣٥١

٣٥٥ ، ٣٥٨ ، ٤٠٠ ، ٤١٥

ابن الحسين ، الامير فيصل ٢٣٤ ، ٢٧٧ ،

٣٠٦ ، ٣١٢ ، ٣١٤ ، ٣١٦ ،

٣١٧ ، ٣٢٢ ، ٣٨٣

ابن حسين ، حسن ٤٣٣

ابن الحسين ، الشريف والمالك علي ٦٩ ،

١٨١ ، ١٨٧ ، ٢٤٥ ، ٣٣٢ ، ٣٣٤ ،

٣٣٧ - ٣٤٠ ، ٣٤٣ ،

٣٥٠ - ٣٥٦ ، ٣٥٨ ، ٣٦٥ ،

٣٦٦ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧١

ابن الرشيد ، عبدالله بن حلال آل عبيد

٢٩٣ ، ٢٩٢

ابن الرشيد ، عبدالله بن متعب

٢٧٠ ، ٢٧٣ ، ٢٧٧ ، ٢٧٩

٢٨٣

ابن الرشيد ، عبدالله بن متعب بن عبد

العزيز

ابن الرشيد ، عبيد

ابن الرشيد ، عبيد بن علي

ابن الرشيد ، فحيميل بن حود

٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩٥

ابن الرشيد ، ماجد آل حود

١٣٧ - ١٨٠ ، ١٤١ ، ١٣٩

ابن الرشيد ، متعب بن عبد العزيز

١١٠ ، ١١١ ، ١٥٩ - ١٦٣

١٦٥ ، ١٦٨ - ١٧٠ ، ١٧٥

٢٨٨

ابن الرشيد ، متعب بن عبدالله بن علي

٢٨٧ ، ٢٨٩

ابن الرشيد ، محمد

١٠ ، ١٣

ابن الرشيد ، محمد (الملقب بالكبير)

١٠٦ - ١٠٦ ، ١١٠ ، ١١١

١١٦ ، ١٧٨

ابن الرشيد ، محمد بن حلال

٢٧٩ - ٢٨٣ ، ٢٨٨ ، ٢٩٣ ، ٢٩٥

ابن الرشيد ، محمد بن عبد العزيز

٢٨٨ ، ٢٨٩

ابن الرشيد ، محمد بن عبدالله بن علي

٢٨٧

ابن الرشيد بنذر

٩٨ ، ١٠٦ ، ١١٠ ، ١٧٨

ابن الرشيد ، بنذر بن حلال بن عبدالله

بن علي

ابن الرشيد ، جبر آل علي

ابن الرشيد ، رشيد آل علي

ابن الرشيد ، سعود بن حود بن عبيد

٢٨٩ ، ٢٩٠

ابن الرشيد ، سعود بن عبد العزيز

٢٦٩ ، ٢٧٩ ، ٢٨٩ - ٢٩٢

٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣١٣

ابن الرشيد ، سعود بن عبيد

١٨٢ ، ١٨٨ - ١٩١ ، ١٩٤

١٩٧ ، ٢٠٣ ، ٢٠٥ ، ٢١٧

٢١٨ ، ٢٢٠ - ٢٢٢ ، ٢٢٤

٢٢٦ ، ٢٣٣ ، ٢٣٨ - ٢٤٠

٢٤٣ ، ٢٥٩

ابن الرشيد ، سلطان بن حود

١٥٢ ، ١٦٨ - ١٧٥ ، ١٧٨

ابن الرشيد ، سلطان بن عبيد

ابن الرشيد ، حلال بن عبدالله بن علي

ابن الرشيد ، عبد العزيز

ابن الرشيد ، عبد العزيز بن متعب

٢٩١

ابن الرشيد ، عبدالله

٩٣ ، ٩٤

ابن الرشيد ، عبدالله آل علي

٢٨٦ ، ٢٨٩

ابن الرشيد ، عبدالله بن حلال

٢٧٩

ابن سعود ، تركي بن عبد العزيز بن عبد
الرحمن ٢٦٥

ابن سعود ، تركي بن عبد الله بن محمد ٩١ -
٢٢٣ ، ٢٠٠ ، ١٩٨ ، ٩٣

ابن سعود سعود ، ثبات ٣٨ ، ٤٠ ،
٦٣

ابن سعود ، خالد ، ٩١ ، ٩٤ ، ٩٥
ابن سعود ، خالد بن عبد العزيز بن عبد
الرحمن ٣٦٠

ابن سعود ، سعد ٩١
ابن سعود ، سعد بن سعود بن فيصل ١٠٤
ابن سعود ، سعد بن عبد الرحمن بن فيصل
١٩٨٦ ، ١٩٠ - ١٩٢ ، ١٩٤ ،
٢٢٥

ابن سعود ، سعود بن عبد العزيز (المعروف
بالمرأة) ٤١٣ ، ٤١٤
ابن سعود ، سعود بن عبد العزيز بن عبد
الرحمن ١٢٦ ، ٢٧٠ ، ٢٧٧ -
٣٥٩ ، ٢٨١ ، ٢٧٩

ابن سعود ، سعود بن عبد الله ١٩٦
ابن سعود ، سعود بن فيصل ٩٧ - ١٠٥
٢٣٣ ، ١٩٤ ، ١٠٣

ابن سعود ، سلطان بن محمد ١٨
ابن سعود ، عبد الرحمن بن فيصل ٩٧
١٠١ - ١٠٦ ، ١١٧ - ١١٩
١٢١ ، ١٢٣ ، ١٢٩ ، ١٣٤
١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٦٨ ، ١٨٠
١٨٩ ، ٢٢٦ ، ٢٣٥ ، ٢٤٥
٢٧٠ ، ٣٢٦ ، ٣٥٩

ابن الرشيد ، مشعل بن عبد العزيز
٢٨٨ ، ٢٨٩

ابن زقادة ، الشيخ ابراهيم ٤١٢
ابن ربيع ، عيسى ٤٧

ابن سالم ، احمد ٤١٣
ابن سالم ، عبد الرحمن ٤٣٣

ابن السببان ، راجع السببان ، زامل
ابن سببان ، سايان ٤٣٣

ابن سحيم ، سلطان بن محمد ٤٣
ابن سحيم ، عبدالله ٥٣

ابن سحيم ، محمد ٤٣
ابن سرور ، الشريف يحيى ٧٤

ابن سعد ، فيصل ١٣٩
ابن سعود ، ابراهيم ٩١

ابن سعود ، الامام سعود بن عبد العزيز
بن محمد (الملقب بسعود الكبير) ٣٦
٤٢ ، ٤٦ ، ٦٣ ، ٦٦ - ٧٦
٧٨ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٩١ ، ٩٢
١٩٢ ، ٢٥١ ، ٢٨٥ ، ٢٨٨
٢٩٩ ، ٣٠٤

ابن سعود ، الامام عبدالله ٢٨٧
٣٦٠ ، ٤٢٢ ، ٤٢٥

ابن سعود ، الامام عبد العزيز بن محمد
٦٣ - ٦٨ ، ٧٤

ابن سعود ، الامام فيصل ٨٢ ، ٨٨
٩١ - ٩٧ ، ١٠١ ، ١٩٥

ابن سعود ، الامير محمد ٤٠ ، ٤٤
٤٦

ابن سعود ، محمد بن عبد العزيز بن عبد
الرحمن ٣٦٠ ، ٤٢٠

ابن سعود ، محمد بن فيصل ٩٧ - ٩٩
١٠١ - ١٠٤

ابن سعود ، مشاري ٣٨ ، ٤٠ ، ٤٦٣
٩١ - ٩٤

ابن سعود ، مشاري بن معمر ٦٣
ابن سعود ، ناصر ٩١ ، ٢٢٤

ابن السعدون ، عجمي ١٠٠ ، ١٨٤ -
١٨٩ ، ١٩٧ - ١٩٩ ، ٢٠٤ -
٢٠٦ ، ٢٤٠

ابن السعدون ، يوسف بك المصور
راجع السعدون يوسف بك

ابن سليم ، امير مغلزة ١٧٠

ابن سليم ، عمر بن محمد ٤٣٣

ابن سليمان ٢٧٤ ، ٢٧٥

ابن سويط ، جود ١٩٧ - ١٩٩

ابن سويلم ، أحمد ٤٠

ابن سويلم ، عبد الرحمن ١٨ ، ٢١٠ ،
٢١٢

ابن سويلم ، مساعد ١٣٤ ، ١٣٥

ابن سويلم ، يوسف ٢٠٨

ابن الشعلان ، راجع الشعلان

ابن شبيب ، طامي ٧٠ ، ٨١ ، ٨٢ ،
٨٣

ابن الشيخ خزعل ، الشيخ كاسب ٢٧٦

ابن الشيخ ، الشيخ عبد الرحمن بن عبد
اللطيف ٣٦٠

ابن سعود ، عبد العزيز بن سعود بن فيصل
١٠٤

ابن سعود ، عبد العزيز بن عبد الرحمن
بن فيصل ، (صاحب السيرة) ١٠٥ ،

١٠٦ ، ١١٤ ، ١١٥ ، هذه

الارقام أنزلت لمراجعة نشأته أما
الصفحات التي ورد فيها اسمه فكما سبق
وذكرنا هي في اغلب فصول الكتاب
ولا داعي لذكرها

ابن سعود ، عبد العزيز بن محمد ٩٢ ، ٩٥

ابن سعود ، عبدالله بن تركي ١٠٠ ،
١٠٣

ابن سعود ، عبدالله بن ثنيان بن ابراهيم
بن ثنيان ٩٥

ابن سعود ، عبدالله بن سعود بن فيصل
١٠٤ ، ١٥٤ ، ٣٠١

ابن سعود ، عبدالله بن فيصل ٩٧ -
١٠٤ ، ١١٠ ، ١٧٣ ، ١٩٤

ابن سعود ، عبدالله بن عبد ٩٢ ، ٩٥
ابن سعود ، فريجات ٣٣

ابن سعود ، فيصل ابن الامام تركي
٢٨٥ ، ٢٨٦

ابن سعود ، فيصل بن عبد العزيز بن عبد
الرحمن ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٦١

٤٠٤ ، ٤٢٢ ، ٤٤٨

ابن سعود ، محمد بن سعود بن فيصل ١٠٣

ابن سعود ، محمد بن عبد الرحمن بن فيصل
١٢٤ - ١٢٩ ، ١٥٥ ، ٢٧٨

٢٧٩ ، ٣٦٠

- ابن الشيخ ، عبدالله بن حسن ، ٣٦٠ ،
٣٦٢
ابن الصامت ، عباده ، ٥١
ابن شامل ، قبحان ، ٢٥٢
ابن الصباح ، راجع الصباح
ابن صويط ، حمود ، ٣٠٥ - ٣٠٦
ابن طلال ، راجع ابن الرشيد محمد بن
طلال
ابن طوالة ، برقش ، ١٧٥
ابن طوالة ، خاري ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ،
٢٦٩ ، ٢٧٣ ، ٢٧٩ ، ٣٠٦
٣٠٧
ابن عائش ، حسن ، ٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠
ابن عائش ، حسن بن علي بن محمد
٣٠٠ - ٣٠٣
ابن عائش ، محمد ، ٢٩٩ - ٣٠٣
ابن عبد الرحمن سعود ، شاربي ، ٩٢
ابن عبد الطيف ، الشيخ عبدالله ، ١٠٤ ،
٢٣٥ ، ٢٣٣
ابن عبد الطيف ، محمد ، ٤٣٣
ابن عبدالله ، تويني ، ٦٨
ابن عبد الوهاب ، سليمان ، ٤٣
ابن عبد الوهاب ، الشيخ محمد ، ١٤ ،
١٥ ، ٣١ ، ٣٥ ، ٣٨ ، ٤٠ -
٥٥ ، ٥٧ ، ٦٢ ، ٦٥ - ٦٧ ،
٢٥٩ ، ٢٩٨ ، ٣٧٠ ، ٣٧٤ ،
٤٣٦
ابن عتيق ، سعد ، ٣٢٦
ابن عتيق ، سعود بن حمد ، ٤٣٣
ابن عجيل ، عقاب ، ٢٦٩
ابن عجيل ، ماجد ، ٢٤٠ ، ٢٤١
ابن عدل ، صالح ، ٤١٢ - ٤١٤
ابن عريصر ، سعدون ، ٤٦ ، ٢٥٩
ابن العزيز ، سعود ، ١٣٩
ابن عنيشان ، ٣٠٣
ابن عقيل ، عبدالله بن محمد ، ٣٢٣
ابن علي ، الشريف او المالك حسين ، ٧٠ ،
١٨١ ، ١٨٩ - ١٩٣ ، ١٩٥ ،
١٩٦ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ - ٢٠٥ ،
٢٠٧ ، ٢١٨ - ٢٢٠ ، ٢٢٦ ،
٢٢٩ - ٢٣٩ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ،
٢٤٥ - ٢٥٢ ، ٢٥٤ ، ٢٥٧ ،
٢٦٧ - ٢٦٩ ، ٢٨٨ ، ٣٠١ ،
٣٠٢ ، ٣٠٩ ، ٣١٢ ، ٣١٨ -
٣٢٦ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٤ -
٣٥٥ ، ٣٥٨ ، ٣٦٦ ، ٣٧٠ ،
٣٧٣ ، ٣٧٥ ، ٣٧٩ ، ٣٩١ ،
٣٩٢ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤١٥ ،
٤١٨ ، ٤٢١
ابن علي ، الشريف ناصر ، ٣٣٨
ابن عزيز ، غلاب ، ٢٤٧
ابن عون ، الشريف عبدالله ، ٣٠١
ابن عيسى ، ابراهيم ، ٩٩
ابن عيسى ، الشيخ ابراهيم بن صالح
١٢ ، ١٣
ابن غلام ، ١٥ ، ١٧
ابن فتي ، هزاع بن منصور ، ٣٩٢

- ابن قاعد ، ماضي ٢٥٣
 ابن النسيبي ٢٠٨
 ابن القيم ٤٣٦
 ابن لؤي ، الشريف خالد ١٩٢ ، ٧٠
 ١٩٣ ، ٢١٩ ، ٢٥٣ - ٢٥٧
 ٣٣١ ، ٣٥١ ، ٣٥٧ ، ٣٦٥
 ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧٧ ، ٣٧٩
 ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٤١٣ ، ٤١٤
 ابن مبيريك ، اسمعيل ٣٧١ ، ٣٧٧
 ابن منجب ، عبدالله ، راجع ابن الرشيد
 عبدالله بن منجب
 ابن منجل ٢٩٩
 ابن محمد ، الامير عبد العزيز ٤٥
 ابن محمد ، الامير عبدالله بن علي ٢٤٧
 ابن محمد ، خالد ١١٧
 ابن محمد ، سعود ١٣٩
 ابن محمد ، الشيخ عبد العزيز ٩٠
 ابن محمد ، غازي ٢٥٣
 ابن مرخان ، مقرون ٦٢
 ابن مرداو ، الشيخ خزعل امير المحمرة ،
 راجع الشيخ خزعل
 ابن مرعي ، عاشق ٩٦
 ابن مزروع ، الامير محمد ٨٦
 ابن مساعد ، الشريف عبد العزيز ٤٤ ،
 ٦٧ ، ٦٩
 ابن مساعد ، الشريف غالب ٦٧ ، ٧٢
 ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٨ ، ٨٣ ، ٨٤
 ابن مسفر ، عبدالله ٣١٤
 ابن - شيب ٢٥٢
 ابن مطيان ، غلام ٨٥
 ابن مطوف ، عبد الرحمن ٣٦٣
 ابن معمر ، عبد الرحمن ٣٠٦
 ابن معمر عثمان ٣٨ - ٤١ ، ٦٢ ،
 ٦٣
 ابن معمر ، فهد ١٩١ ، ١٩٤
 ابن معمر ، محمد بن مشاري ٩١ ، ٩٢
 ابن منلق ٤٣
 ابن مقرون ، ، محمد بن سعود بن محمد
 ٤٤ ، ٦٢ ، ٢٥٩
 ابن منصور ، الشريف خالد ٢٥٠ -
 ٢٥٢
 ابن مهزي ٢٤٧
 ابن ناصر ، مشاري ٢٥٣
 ابن هاشم ، عون ٢٥٦ ، ٢٥٩
 ابن هذال ٤٥ ، ١٨٢
 ابن هذال ، نايف ، راجع هذال
 ابن هذال ، مذكر ٢٢٣
 ابن وائل بكر ٢٦
 ابن الوليد ، خالد ٣٥
 ابو بكر ٢٦٢ ، ٢٦٣
 ابو بكر ، دياب ١٦١
 ابو ثايه ، عودي ٢٦٨
 ابو حنيفة ١٢٣
 ابو حنيفة ، الامام ١٦ ، ٥١ ، ٢٦٦
 ٤٣٥
 ابو الخيل ، حسن آل مهنا ١٠٢

- الادلي ، عارف باشا ٣٩٣
 الارطاوية ١٣٣ ، ١٣٦ ، ١٥٦
 ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٧٢ ، ٣٠٦
 ٤٠٤
 ارلدة ٤٤٨
 الأستانة ١٤ ، ٨٣ ، ٩٠ ، ١١٦
 ١٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ٢٠٣
 الاسكندرية ٨٤ ، ٨٩ ، ٣٥٨
 آسيا ٤٤١
 الأسياح ١٥٦
 الاشعلي ١٧٩ ، ١٨٠
 أشقير ١٢
 الاسمي ٢٦٢
 الأفلاج ٢٢ ، ٦١ ، ١٠٠ ، ١٢٨
 ١٩٥ ، ١٩٧
 آل ابراهيم ، يوسف ١١٦ ، ١١٧
 ١٢٠ ، ١٥١
 آل ابي الحبل ١٠١ ، ١٣٦
 آل إدريس او الأدارسة ٢٠١ ، ٤٤٦
 ٤٤٧
 آل بام ١٣٨ ، ٢١٧
 آل جعفر ٢٨٥
 آل حارث ، غازي ٢٤٧
 آل حسان ، عبد العزيز ٢١٦
 آل الحسين ٤٥٢
 آل ختلان ١٨٠
 آل خليفه ١١٣ ، ٢١١ ، ٣٠٣
 آل خليفه ، الشيخ عيسى ١٨ ، ١١٢ ، ٢١١
 ٢١١
 ابو الحبل ، محمد آل عبدالله ١٥٩
 ١٦٦ - ١٧٠ ، ١٧٣ - ١٧٧
 ابو الحبل ، محمد آل علي ١٤٩
 ابو الحبل منها ١٠٢ ، ١٥٤
 ابو ذراع ٣٠٦ ، ٣٠٧
 ابو زرعة ، زيد بن موسى ٤٤
 ابو شهر ١٢٠ ، ٢٢٩ ، ٢٧٤
 ٢٩٩ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٢٨
 ابو طاهر ٢٥٩
 ابو عبيد ، سفيون باشا ١١٧ ، ١١٨
 ابو الفار ٣٠٦ ، ٣٠٧
 ابو قيس ٣٧٠
 ابو منير ١٥٩
 ابو نقطة ، عبد الرحمن ٧٠ ، ٧٨
 أبا ٩٨ ، ٢٩٨ ، ٣٠٣
 ابرى ، قرية من قرى الملح ٣١٩
 أجا ، جبل ٢٧٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢
 ٢٨٨
 الأخضر ١٥٦
 احسان الله ، المنشئ ٤٢٣ ، ٤٢٤
 احمد ، الامام ٣٥
 احمد الثالث ، السلطان ٦١
 الأخضر ١٧٥
 الاداوسة راجع ، راجع آل ادريس
 الادريسي ، الامام السيد الحسن بن علي
 ٤٤٦ ، ٤٤٧
 الادريسي ، السيد محمد ٢٠١ ، ٢٢٩
 ٢٣٢ ، ٣٠٠ ، ٣٤١

آل عبيد ٢٨٩ ، ٢٨٨	آل خليل ٢٨٥
آل عفيفات ٣٠٣	آل ابي الرشد ٩٣ ، ٩٨ ، ١٥٩
آل علي ٢٨٥ ، ٩٣	١٦٨ ، ١٩١ ، ٢٢١ ، ٢٦٩
آل عليان ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٥٢	٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦
آل علي ، جبر ، راجع ابن الرشد ، جبر	٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩١ ، ٢٩٤
آل علي	٢٩٥ ، ٣٠٥ ، ٣٦٠
آل علي ، رشيد ، راجع ابن الرشيد ، رشيد آل علي	آل الرشيد ، محمد بن طلال ، راجع ابن الرشيد ، محمد بن طلال
آل علي ، عبدالله ، راجع ابن الرشيد ، عبدالله آل علي	آل زايد ١٨
آل او ابن قرحال ، عبد الوهاب ٢١٥	آل سبأ ١٧٨ ، ٢٦٩ ، ٢٩١
٢١٦	٣٦٠
آل ليد ١٣٢	آل سعود ١٥ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٦١
آل محمد ، سليمان ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٣	٦٣ ، ٦٨ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٧ ، ٨٨
آل مفرق ٢٤٨	٨٩ ، ٩١ ، ٩٣ ، ٩٧ ، ٩٨
آل ميتا ١٠١ ، ١٠٢ ، ١١٨	١١٠ ، ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٣٩
١٤٩ ، ١٥٤ ، ١٧٣	١٦٠ ، ١٧٣ ، ١٧٨ ، ١٨٢
آل هلال ١٠١	١٩٢ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٧
آل هزان او الحزازنة ١٨٠ ، ١٨١	٢٩١ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٣
١٩٤ ، ١٩٦	٣٢٠
آل يحيى ١٣٨	آل سفران ١٩٨
آل يزيد ٢٩٩	آل سليم ١١٨ ، ١٣٦ ، ١٣٨
البيا ، جزيرة ٨٣	آل سيف ، الشيخ عبدالله بن ابراهيم ٣٧
الباني البانيون ٨٥ ، ٨٨	آل الشيخ ٩١ ، ١٠٥
آلثني الجنرال ٢٤٣	آل صباح ٢٣٦ ، ٢٧٠
الامان ٢٤٣ ، ٢٨٨ ، ٤٠١	آل طوالة ٣٠٦
المانية ٤٠٢	آل عاقش ٩٦ ، ٩٨ ، ٢٩٨ ، ٣٠٢
المع ، قبة ٧٠ ، ٧٣	٣٤١
	آل عبدالله ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩٤
	آل عبيد ٣١٦

٢٧٦ ، ٢٧٤ ، ٢٧٠ ، ٢٤٠

٣٢٩ ، ٣٢٥ ، ٣٢٤ ، ٣٠٨

٤١٥ ، ٣٤٢

انور باشا ٢١٣

الاهواز ٣٥

أوزبك ٢١٨ ، ٨٠ ، ٢٤٦ ، ٢٣٢

٤٠٠

أون ، الكولونل ٢٣٩ ، ٢٣٨

ايران ٣٥٥ ، ٣٦٥ ، ٤١٦

ايطالية ٢٠١

الاوييون ٦

الأوسي ، محمد شكري ٢١٠ ، ١٦

الأوسي ، محمود شكري ٢١٩ ، ٢١٨

ام جريفه ٢٨٠

ام العماد ٣٢٩

ام القرى ٣٧٢ ، ٤٢١ ، ٤٣٠

امري ، التيس ٣٦٣

الامويون راجع بنو أمية

الاميل ٣٦٧

الانكشارية ٦١

الانكشار ٢٢٦ ، ٢٢٩ ، ٢٣١

٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨

ب

البحيري ٤٣

البحر الأحمر ٢١ ، ٨٥ ، ٢٣٠

بحرة ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٨ ، ٣٩٣ -

٣٩٤ ، ٤١٩ ، ٤٢٣ ، ٤٣٧

٤٤٠

البحرين ١٨ ، ٩٨ ، ١١٣ ، ١٥٥

٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢٣٨

٣٠٣ ، ٣٠٩ ، ٣٥٢ ، ٣٥٤

٣٥٧ ، ٤٤٩

بدر ٤١٢ ، ٤١٣

البلور ١٨٦

البديع ، قرية ٢٤٦ ، ٢٤٧

براويرا ، راتين ٤١٦

البره ٩٩

برقة ٢٤٨

باديا اي لبلح ، المعروف بولي بك العباسي

١٣ ، ١٤ ، ١٧ ، ٧٩ ، ٨٠

٩٧

بارق ٣٠٣

باريس ٧٨ ، ٨٥

الباطن ٤٢ ، ٢٥٥

بالأحر ٢٩٩

بالأحر ٢٩٩

بناوي ، ابراهيم محمد علي صالح ٤٥٢

بناوي ، حسن ٤٥٢

بناوي ، زين ٤٥٢

بناوي ، الشيخ محمد صالح ٤٥٢

بناوي ، عبد الرحمن محمد علي صالح ٥٢

البترام ٧٠

بركات ٩٧

بركهارت ، المعروف بالخاج عبدالله ١٣
٨٠

بريد ١٢ ، ٤٦ ، ٦٥ ، ٦٨ ، ٨٧
٩٦ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١١٨
١١٩ ، ١٣٧ ، ١٣٩ - ١٤١
١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥٤ -
١٥٦ ، ١٥٨ - ١٦٠ ، ١٦٣
١٦٥ - ١٧٧ ، ٢٢٨ ، ٢٦٣
٢٨٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠

بريطانية العظمى ، او الحكومة او الدولة
البريطانية او انكلترا ١٦ ، ٢١
١١٠ ، ١١٣ ، ١٢٠ ، ١٢٧
٢٠٦ ، ٢١٣ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠
٢٣٢ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٦
٢٥٧ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٧
٢٨٣ ، ٣٠٥ ، ٣٠٧ ، ٣١٤
٣١٨ ، ٣٢٠ ، ٣٢٥ ، ٣٣٠
٣٣٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٨ ، ٣٥٦
٣٦٥ ، ٤١٨ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤
٤٢٩ ، ٤٤٨

البريمة ٦٩

البسام ، عبدالله بن محمد العيد العزيز ١٥
١٧

بشيل ٨٢

بسيون ٤٥٢

البشوك ١٥٦

البصر ١٤١

البصره ١٧ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٣ ، ٤٧

١١٨ ، ١١٩ ، ١٨٨ ، ١٦٨ ، ١٦٦
١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٤٠ ، ١٤٨
١٤٩ ، ١٨٤ ، ١٩٢ ، ١٩٩
٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢١١ ، ٢١٢
٢١٥ - ٢١٩ ، ٢٣٢ ، ٢٣٦
٢٤٠ ، ٢٥٨ ، ٣٠٦ ، ٣٥٨

البطينيات ١٣٧

بغداد ١٧ ، ٦٨ ، ٩٩ ، ١٠٦
١١٧ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٧
١٤٨ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٩٠
١٩٧ ، ٢٠٣ ، ٢٠٧ ، ٢٣٩
٢٤٠ ، ٢٧٧ ، ٣٠٥ ، ٣٠٧
٣١١ ، ٣١٣ ، ٣٢١ ، ٣٢٢
٣٥٥

البغدادى ، ابراهيم فضيح الحيدري ١٧

بقعة ، قرية ٢٨٠

البقوم ٢٥١ ، ٣٣٣

البقيعة ١٥٥

البكورية ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٣
١٤٥ ، ١٤٧ ، ١٦١ ، ١٦٢
١٧٤ - ١٧٦ ، ٣٦٠

بلبول ٢٧١ ، ٢٧٢

بلمراف ، وليم ٩٦ ، ٩٧

بمخروق ، ضلع ١٣٤ ، ١٦٣

البنحية ١٥٦

بنو اسرائيل ١٤٤

بنو امية ٦

بنو قيم او التميمي ١٠ ، ٣٣١

بنو ثقيف ٣٣١

بنو مقرئ ٦٢	بنو جابر ٣٦٩ ، ٣٦٨
بنو هاجر ٢٢ ، ١٣٣	بنو خالد ١٣٩ ، ٤٥٥ ، ٦٦ ، ٨٨
بنو هاشم ٢٤٨	١٩٧ ، ١٣٣ ، ٢٢٣
بنو هلال ٣٦٦	بنو دليم ٢٩٩
بور سودان ٢٣٤ ، ٢٣٥	بنو زيد ٢٩٩
بو كمال ٣٢٠	بنو سالم ٨٢
بولاد ، المستر ٣٥٦	بنو سقيان ٣٣٤ ، ٣٣٥
بولس ، الرسوم ٤٩	بنو شهر راجع ابو شهر
بونابرث ، راجع نيوليون الاول	بنو صخر ٣٢٨
بونابرث ، يوسف ٧٨	بنو العباس ٦
بيت القبة ٧٠	بنو لؤي ٢٥٠
بيروت ٣٢٢ ، ٣٥٦ ، ٣٨٣ ، ٣٨٥	بنو مالك ٢٩٩ ، ٣٩٥
٣٨٦	بنو منيرة او آل مرة ٩٧ ، ٩٢ -
بيشة ٦٩ ، ٨٢ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠	١٠٠ ، ١١٨ ، ١٢٢ ، ١٢٩
٣٠٢	١٣٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ٢٠٥
بيك باشا ٣٢٩	بنو مقيط ٢٩٩

ت

١٣٠ ، ١٣٣ ، ١٣٥ ، ١٤٠	تربة ٦٩ ، ٧٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٢٤٤
١٤٥ - ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٥٣	٢٤٦ ، ٢٤٩ ، ٢٥١ - ٢٥٨
١٥٤ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦٢	٢٦٧ ، ٢٧٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢
١٦٣ ، ١٩٩ ، ١٩٣ ، ١٩٧	٣٣١ ، ٣٤٣ ، ٤١٦
٢٠٠ ، ٢٠٢ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦	الترك او الاتراك او الحكومة او الدولة
٢٠٨ - ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢١٨ -	التركية ١٧ ، ٦١ ، ٧١
٢٢٠ ، ٢٢٣ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠	٧٢ ، ٨١ ، ٨٧ ، ٩١ ، ٩٢
٢٣٢ ، ٢٣٥ ، ٢٣٩ ، ٢٤١ -	٩٧ ، ١٠٠ ، ١٠٦ ، ١١٣
٢٤٤ ، ٢٧٠ ، ٢٨٨ ، ٢٩٨ -	٢٤١ ، ١٢٣ ، ١٢٧ ، ١٢٨
٣٠٢ ، ٣٠٩ ، ٣٢٢ ، ٣٥٨	
٣٧٥	

التميمي ، محمد بن سليمان بن علي ٣٦	ترمداء ١٠١
تجامة ٧٠ ، ٨٣ ، ٩٦ ، ٢٩٩	تشاريكوف ، الطيار الروسي ٤٠٦
٣٧٧ ، ٣٤١ ، ٣٠٣	تشرشل ، الماتر ٢٧٧ ، ٣١٤
تورشيني ٨٥	تيز ٧٩
التويم ، قرية ١٣٦	التميمي ، راشد الدريبي العنقري ١٠١

ث

التوير ١٥٧	ثاق ١٣٦ ، ١٣٨
التيبي ، عبد القادر ٣٧٣	ثمداء ١٣٥

ج

٣٨٨ ، ٣٩١ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧	الجامعة الاميركية ١٤
٣٩٩ - ٤٠٤ ، ٤٠٧ - ٤١٠	جاوه ٣٦٨ ، ٣٩٢ ، ٤٢٩
٤١٢ ، ٤١٤ - ٤١٨ ، ٤٢٠ -	الجبرتي ١٤
٤٢٦ ، ٤٣٠ ، ٤٤٩ - ٤٥٢	جبل المروز ٣١٩
الجدعان ٣٦٨ ، ٣٦٩	جبل ٢١٣ ، ٢١٦ ، ٢٧١
جديلة ٦٢	الجنيلة ٣٨ ، ٦٣ ، ٨٨
جراب ٢٢٠ ، ٢٢٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٦	الجامعة ٢٨٠ ، ٢٨٢
٢٤٢ ، ٢٨٢	جليه ٢١٤١٥ ، ٧١١٧ ، ٧٤٤٧ ، ٧٨٠٧٥
الجربا ، امير جبل شمر ٢٨٥ ، ٣٠٤	٨٠ ، ٨٣ ، ١٨١ ، ٢٣١ ، ٢٣٥
جروول ٣٨٦ ، ٣٩٤	٢٣٧ - ٢٣٩ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧
جرج ٣٦٤	٣٣٦ - ٣٤١ ، ٣٤٣ ، ٣٤٥
الجرجيري ، البطريرك بطرس ٩٧	٣٤٨ ، ٣٥٠ - ٣٥٢ ، ٣٥٥
الجزائر ٧٨	٣٥٩ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٨
الجزعة ١٠٠	٣٦٩ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٦
الجمدة ٢٤٧	٣٧٧ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨٢

جبهة العرب ١٧٣ + ٤١٢

الجردة ٩٩

الجوفه ٧٠ + ١٧٤ + ٢٠٥ + ٢٦٨

٢٧٩ + ٢٩٠ + ٢٩١ + ٢٩٣

٣٠٠ + ٣٠٤ + ٣١٤ + ٣١٥

٣١٩ - ٣٢١ + ٣٢٣ + ٣٢٨

٣٤٥

الجراعي ١٤٥

جودار ا.ق. ١٤

جبرين + واحة ١٢٣ + ٢٠٦

جيزان ٢٢٩ + ٢٣٢

الجملة ١٦٩

جلاجل ٩٣ + ١٣٦

جلالون + السر جليلوت راجع كلاينون

السر غلزون

جمال باشا ٢٠٣ + ٢٠٧ + ٢١٠

٢٣٤

جمعيه ١٨٨

جنتيلي ٨٥

الجبهرى ١١٨ + ١٢٠ + ١٢١ + ٢٠٠

٢٧١ + ٢٧٣ + ٢٧٤

ح

٤١ + ٤٧ + ٦١ + ٦٧ + ٧٠ -

٧٧ + ٧٤ - ٨٤ + ١١٦ + ١٢٤

١٤١ + ١٨١ + ١٩١ + ١٩٢

١٩٧ + ٢٠٥ + ٢١٧ + ٢١٨

٢٢٦ + ٢٣١ + ٢٣٢ + ٢٣٥

٢٣٧ - ٢٣٩ + ٢٤٢ + ٢٤٥

٢٥١ + ٢٥٤ + ٢٦٧ + ٢٩٨

٢٩٩ + ٣٠٢ + ٣٠٣ + ٣١٢

٣١٤ + ٣١٥ + ٣١٨ + ٣١٩

٣٢١ + ٣٢٢ + ٣٢٥ + ٣٢٧

٣٣١ + ٣٣٢ + ٣٣٤ - ٣٣٧

٣٤٠ - ٣٤٤ + ٣٤٧ + ٣٤٨

٣٥٢ - ٣٥٥ + ٣٥٧ + ٣٦٠

٣٦٣ - ٣٦٧ + ٣٧٥ + ٣٧٧

٣٧٩ + ٣٨١ + ٣٨٣ - ٣٩١

٣٩٢ + ٣٩٦ - ٣٩٨ + ٤٠٣

٤٠٤ + ٤٠٦ + ٤١٥ - ٤١٨

٤٢٣ + ٤٢٤ + ٤٢٦ - ٤٣٠

٤٤٦ - ٤٥٢

حاضر سبيع ٦٥ + ١٣٠ + ٢٥٠

حائل ٢٢ + ٦٨ + ٩٣ + ٩٤ + ١٠٢

١٠٤ + ١١٠ + ١١١ + ١١٦ -

١٢٨ + ١٣٩ + ١٤١ + ١٤٨

١٥٢ + ١٥٣ + ١٥٦ + ١٥٩

١٦٠ + ١٦٢ + ١٦٣ + ١٦٥

١٦٨ + ١٦٩ + ١٧٣ + ١٧٤

١٧٨ - ١٨٠ + ٢٠٣ + ٢٢١

٢٤٠ + ٢٤٣ + ٢٦٧ + ٢٦٩

٢٧٠ + ٢٧٧ - ٢٨٢ + ٢٨٤

٢٩٠ + ٢٩٣ + ٢٩٤ + ٣٠٠

٣٠٢ + ٣٠٥ + ٣٠٨ + ٣١٦

٣٤٠ + ٣٦٨ + ٣٧١ + ٤١٢

٤١٨

الحازمية ١٢٢

حاشه + بلاد ٣٤١

حامد + الشريف ٤١٢

الحماز ١٣ + ٢٥ + ١٧ + ٢٧

الحجر ٢٤٢

حجلة ٣٠٠ : ٣٠٢

حد آه ٣٩٥ : ٣٨٣ : ٣٩٢ -
٤٤٥ : ٤٤١ : ٤١٩ : ٣٩٤

الحدائيد ٧٠ : ٣٤١

حرب : عرب ٧٣ : ٨٥ : ٨٨ : ١٠٢

١٣٧ : ١٥٥ : ١٥٩ : ١٦٣

١٧٠ : ١٧٤ : ١٧٩ : ١٩٠

٢٠٥ : ٢٢٤ : ٢٣٥ : ٢٦٢

٢٦٣ : ٣٧٦ : ٣٧٧ : ٤٠٧

٤١٣

حرة خير ١٤٠

الحرة الصغيرة ٢١ : ٦٨ : ٦٩

٢٥٢ : ٣٦٦

الحرق : الشريف ٣٣٩ : ٣٣٤

٣٧٨ : ٣٩٢

حرق ١٢٣

الحرم أو الحرمين ٧٢ : ٨١ : ٣٣٦

٣٤٠ : ٣٥٣ : ٣٧٢ : ٣٧٤

٣٧٥ : ٣٧٩ : ٣٨١ : ٣٨٩

٣٩٦ : ٤١٦ : ٤٢٩

حروقة ٣٠١ : ٣٠٣

الحريق ١٢٨ : ١٣٠ : ١٣١ : ١٨٠

١٩١ : ١٩٤ : ١٩٦ : ٢٠٣

حرقيلة ٣٧ : ٣٨ : ٤٣ : ٦٣

١٠٠ : ١٣٥

الحساء أو الاحساء ٦ : ١٨ : ٢١

٢٢ : ٣٥ : ٣٧ : ٤٣

٤٥ : ٥٦ : ٦١ : ٦٥

٦٦ : ٦٨ : ٧٥ : ٩٦ : ٩٨ -

١٠٠ : ١٠٥ : ١٠٦ : ١١٣

١١٤ : ١٢٠ : ١٢٢ : ١٢٤ -

١٢٩ : ١٣٠ : ١٣٣ : ١٥٥

١٨٢ : ١٩٤ : ١٩٦ : ١٩٨ -

٢٠٠ : ٢٠٢ : ٢٠٤ : ٢٠٦ -

٢٠٨ : ٢١٢ : ٢١٤ : ٢١٧

٢٢٣ : ٢٢٧ : ٢٣٣ : ٢٥٣

٢٧٠ : ٢٧٣ : ٢٨٥ : ٣٠٨

٣١٤ : ٣٢٤ : ٣٤٦

الحسن : صالح ١٢٩ : ١٥٠ : ١٥٤ -

١٥٧ : ١٥٩ : ١٦١ -

الحسن : عبد العزيز ٢٠٠ : ٢٧٢

الحسي ١٢٨ : ١٣٠ : ١٤٩

الحسين ٦٦

الحسين : بيت ٣٥٢

الحسين : الفتي امين ٣٥٣

حسين : الملك : واجع ابن علي : الملك

حسين

حطين : جبل ٢١ : ٢٤٦ : ٢٤٧

٢٤٩ - ٢٥١

الحقير ١٢ : ١٢٠ : ١٢٣ : ١٢٧

١٣٠ : ١٣٣ : ١٣٤ : ١٥٢

١٩٨ : ٢٤١ : ٢٧٦ : ٣٠٦

حفر الملح ٢٧٦

حكيموف : عبد الكريم ٤١٦

حلبان ١٢٨

حلي : عباس خلوي مصر ٣٣٨

حام ٣٦٢

الحنبلي ، راشد بن علي ١٥	الحامد ١٠٢
الحنبلي ، الشيخ القاضي احمد بن رشيد ٩٠	الحادي ، سلطان ١٨
حنيفة ، وادي ١٠ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٣٩	حمد ، عبد المجيد ٤٢٠
١٤٠ ، ٦٣ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٩	حمدي بك ٣٠٣ ، ٣٧٧
٣٦٠	حمدي ، الدكتور محمود ٣٦٠
حوران ٧٠ ، ٣١٩	حزة ٣٧٠
الحوطة ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣٢ - ١٣٢	حش ٢٧٢
١٨١ ، ١٩٤ ، ١٩٥	الحيدان ١٥٥
الحويزة ١٠٠	الحيدية ٣٧٣
الحويلات ٣٢٨ ، ٣٢٩	الحاكية ١٦٣ ، ٤٦٢ ، ٤١٤
حيفا ٣٥٥	حنبل ، الامام احمد ٢٦٦ ، ٣٧٥
حيوة ، الشيخ محمد ٣٧	الحنبلي ، حسين بن شام ١٠
حوية ، قرية ٣٣١	

خ

١٧٨ ، ١٨٤ ، ٢١٥	خالد ، واجع ابن لؤي ، الشريف خالد
خشيم ، الشيخ عباس بن يوسف ٤٥٢	الخبراء ١٤٠ ، ١٤٣ ، ٣٦٠
خشيم ، محمد نور الشيخ يوسف ٤٥٢	خدنية ، السيدة ٣٦٨
الخطيب ، الشيخ قزاد ٣٣٠ ، ٣٥٥	الخرج ٢٣ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٦٣ ، ٦٥
٣٨٧ ، ٣٩٠ ، ٤١٧ ، ٤١٨	٩١ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ١٠٠
الخفاف ٣٦٣	١٠١ ، ١٠٣ ، ١٢٧ ، ١٢٨
الحقن ، راجع فاء الحقن	١٣٠ - ١٣٣ ، ١٩١ ، ١٩٤
خيس ، مشيك ٢٩٩ - ٣٠٢	١٩٨ ، ٢٢٦
الخميسية ١١٨	الخمزة ٧٠ ، ١٩٢ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦
الخوار ، جبل ٣٦٤	٢٤٧ ، ٢٤٩ - ٢٥١ ، ٢٥٣
خور رشيد باشا ، القائد ٩٤	٢٥٤ ، ٢٥٧ ، ٣٢١ ، ٣٢٢
خيبر ٣٢١ ، ٣٢٣	٣٣١ ، ٤١٦
الخيف ٧٢	خزعل ، امين الحمزة ١٩٠ ، ١١٢

د

دارين ٢٣٠ ، ٢٣٢ - ٢٣٤ ، ٢١٢	الذليج ، لواء ٢٠٥ ، ٢٠٦
الدهانة ٩٣ ، ٣٦٠ ، ٤٠٤	دمشق ٨٧ ، ٧٠
الديار ، الشيخ طاهر ٣٣٧ ، ٣٣٨	الدملوجي ، عبدالله ٦٥
٣٣٩	الدهنا ، صجرا ٢٣ ، ٤٥ ، ٤٦
دخنا ، عبد ٢٥٤	١٠٠ ، ١١٨ ، ١٢١ ، ١٢٢
دخنة ، قرية ٢٦٣ ، ٣٦٠ ، ٤٠٤	١٣٣
٤١٠	الدواسر ٢٢ ، ٤٦ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧
الدرعية ٣٨ ، ٤٠ - ٤٣ ، ٤٥ -	١٩٨ ، ١٩٩ ، ١١١ ، ١٢٢ ، ١٢٨
٤٧ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٦ - ٦٨	١٢٩ ، ١٩٧ ، ٢٤٢
٧٤ ، ٨٧ - ٩٢ ، ٢٨٥ ، ٢٩٨	دوطين ، شارل ١٧
٣٠٣	الدريش ، فينل ٨٥ ، ١٥٦ ، ١٦٠
درويش ، بتر ٢٤٤	١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٧١ ، ١٨٧ -
دقبة ٣٦٦	١٩٧ ، ٢٠٠ ، ٢٠٤ ، ٢٧٢ -
دكون ، الميجر ٣١١	٢٧٥ ، ٢٧٩ - ٢٨١ ، ٣٠٦ -
الدلم ٦٥ ، ٩٤ ، ١٠٠ ، ١٣٠ -	٣٠٧ ، ٣٢٢ ، ٣١٧ ، ٣٦٨ -
١٣٢	٤٠٤ ، ٤١٤

ذ

ذو حسن ٣٧٦	الذويبي ، تاش ١٥٩
ذو النون ٢٠٠	

ر

رأس السيل ٦١	الرباعي ، عبد العزيز ٣١٧
رايع ٣٦٨ - ٣٧٠ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧	الربع الحالي ٢١ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٧١ -
٤١٣ - ٤١٥ ، ٤٢١	٢٠٦
الرافدين ٦٦	ربيعة ١٠ ، ١٥ ، ٦٢

الرقبة ٧٥	الرشا ١٥٩
ركبة ٤٠٤	رديف باشا ، المشير ٢٩٩
الركنية ٣٦٠	الزبس ١٤٠ : ٨٧ : ٨٦ : ٨٤ : ٨٣
الرمادي ٢٠٥	١٧٤ : ١٥٥ : ١٤٥ - ١٤٣
الرمة ، وادي ١٤٧ : ١٤٠	الرشا ، وادي ٣٦٤
رقبة ٧٠ : ٦٩ : ٨٢ : ٢٥٠ ،	الرشودي ، قهند ١٤٤
٣٣١ : ٢٥٣	الرشيد ، سمود بن عبيد ، راجع ابن الرشيد ،
الروس ٤١١	سمود بن عبيد
الروقة ١٣٥ : ١٣٦	الرشيد ، سلطان بن حمود راجع ابن
الروقة ، عرب ٢٤٨ ، ٩٣	الرشيد ، سلطان بن حمود
الرشوة ، عرب ١٨٢ : ٣٩١	الرشيد سلطان بن عبيد راجع ابن الرشيد ،
الروم ٨٧ : ٨٨ : ٩٢	سلطان بن عبيد
روقة ٤٢	الرشيد ، عبد العزيز ١٧
الرويس ٤٠٤ : ٤٠٥ : ٤٠٩ : ٤١٠	الرشيد ، عبيد راجع ابن الرشيد ، عبيد
الرياني ، أمين ١٢ : ٣٨٠ : ٣٨١	الرمي ، الشريف ٣٦٤
٣٨٢ : ٣٨٥ - ٣٨٧ : ٣٩٠	الرخامة ٣٩٣ : ٣٠٦ : ٤١٢ : ٤١٤
ربيع الريان ٣٦٣	٤٢٢ : ٤٢٣ : ٤٢٥ : ٤٢٦
	رقبة ١٣٩ : ١٣٠ : ١٣٣
	الرقاعي ، هاشم ١١٠ : ١٠

ز

زهران ٨٢ : ٨٣ : ٢٩٩ : ٣٠٠	الزبادة ١١٣ : ٣٠٣
٣٠٢	زبد ٤٢
الزواوي ، الشيخ ٣٣٣	الزبير ٣٨ : ١١٧ : ١١٨ : ١٢٧
الزوبع ، قبيلة ٢٠٥	١٤٨ : ١٤٩ : ١٩٩ : ٢١٧
زويمر ، الدكتور ٦٩	الزوقا ١٧٣
زيلسن ، ألينغ (المعروف بالجاج موسى)	الزلفي ٦٣ : ١٠٢ : ١٣٦ : ١٣٧
٨٠ : ٧٩	١٥٦ : ١٥٧ : ٢٢٠
الزجة ، قرية ٣٥٠ : ٣٦٧	زوموم ٧٩
زيل ، عبدالله ٤٢٥	

سرحان ، وادي : ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢

٣٢٦ ، ٤٤١ ، ٤٤٢

السعدون ، باشا ، راجع ابن السعدون

السعدون ، عبد المحسن بك : ٣١٧

السعدون ، يوسف بك المصور : ٣٠٥ -

٣٠٧

سعود الكبير ، راجع ابن سعود ، سعود

بن عبد العزيز

سعيد الحداد ، العيد : ٢٩١ ، ٢٩٢

سفوان ، راجع ماء سفوان

السفاف ، السيد احمد : ٣٤١ ، ٣٧٨ ،

٤٥٢

سكاك : ٣٢٠

سكوتو : ٨٥

سلسي ، جبل : ١٧٥ ، ٢٨٢

سلم الثالث ، السلطان : ٧٠

سليان باشا : ٦٨

سليان العنبر ، العيد : ٢٩١ ، ٢٩٢

السليمية : ١٣٢

الساوة : ٤٦ ، ٦٦ ، ١١٨

سحير : ١٦٠

السميط ، عبدالله : ٢٧٢

سهل الوشم ، راجع الوشم

السهول : ٩٩ ، ١٢٢ ، ١٣٤ ، ٢٥٠

٤٠٤

سواج ، جبل : ١٧٤

ساجر : ٤٤٣ ، ٤٠٤

ساسيو : ٨٥

سالم ، احمد راجع ابن سالم ، احمد

سالمونيك : ٨٤

الساغي ، محمد : ١٢

السيان ، ابراهيم : ٢٨٤

السيان ، زامل : ١٩١ ، ٢٦٧ ، ٢٩٠

السيان ، سالم : ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٢٩

السيان ، فاطمة : ٢٦٩ ، ٢٧٨ ، ٢٩١ -

٢٩٢

السيان ، قبد : ١٣٨

سبيح : ٨٢ ، ٩٩ ، ١٢٢ ، ١٣٣ ،

١٨٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٣

٤٠٤

ستورس ، زوالد : ٢٧٧

سدير : ١٥ ، ٣٩ ، ٤٥ ، ٦٣ ، ٨٨

٩١ - ٩٣ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ١٠٢

١١٧ ، ١٢٢ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ،

١٦٩ ، ٣٦٣

السديري ، احمد : ١٣٠ ، ١٣٥ ، ١٣٦

١٩٥ ، ١٩٦

السر ، وادي : ٦٧ ، ٨٧ ، ١٣٧ ، ١٥٥

١٦٢ ، ١٧٠ ، ٣٦٠

سرة ، جبل : ٢٩٨

سراج ، الشيخ عبدالله : ٣٨٧

سراط : ٢٩٩ ، ٣٠٠

الشوكي : راجع : ماء الشوكي	الشمسية ٣٨٩ ، ٣٩٤
شبي ٣٣٣	الشائه ١٤٣ - ١٤٥ ، ١٤٧
الشيبي : الشيخ عبد القادر ٣٧٦ ، ٣٧٣	الشهداء ٣٨٩ - ٣٩٤
٤٣٠	شهران : زاذي ٢٩٨
الشيحية ١٤٠ ، ١٥٠ ، ١٥٩ ، ١٦٠	شعلان : جبل ٣٦٤
١٦٢	الشوانع ٣٤١
شيكسبير : سائح ٢١٢ ، ٢١٨	شوكت علي ٣٥٣
٢٢٢ ، ٢٤٢	

ص

١٥٣ - ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٨	صادق بك ٤٢٥
١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٨ ، ١٨٢ -	الصباح : الشيخ احمد الجابر ٢٧٦ ، ٢٧٨
١٨٩ ، ١٩٨ - ٢٠٠ ، ٢١٢	٣١٨
٢١٦ ، ٢١٨ ، ٢٢٩ ، ٢٢٣	الصباح : جابر بن مبارك ١٣٣ ، ١٨٥ -
٢٢٩ ، ٢٣٦ ، ٢٧٠	١٨٧ ، ١٨٩ ، ٢١٤ ، ٢٢٩
الصباح : الشيخ محمد ١٠٦ ، ١٠٩	٢٣٣ ، ٢٥٩ ، ٢٧٠
صبري باشا ٣٣١	الصباح : جبرئيل ١٠٩
الصبيحية ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٦	الصباح : حمود ١٨
٢١٧ ، ٢٧٣ - ٢٧٥ ، ٣٠٧	الصباح : صبيح ٢٧١ - ٢٧٣
الصخور ٣٢٩	الصباح : سالم بن مبارك ٢٢٦ - ٢٢٨
صادق باشا : الفريق ١١٢ ، ١٤٨ -	٢٤٠ ، ٢٧٠ - ٢٧٦ ، ٢٨٠
١٥٠ ، ١٥٩ ، ١٦٠	الصباح : سعد بن عبد الرحمن ١٢٨
الصريف : راجع وقعة الصريف	الصباح : سليمان الحمود ١٩٨
الصعيد ٨٥	الصباح : علي الخليفة ١٩٨
الصغري وادي ٧٢	الصباح : الشيخ مبارك ٩٩ ، ١٠٩ ،
الصقوف ٧٣	١١٢ ، ١١٦ - ١٢١ ، ١٢٣ ،
صلاح الدين ٦	١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣٣ ، ١٣٦ ،
	١٣٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥١ -

٤١٨ ، ٣٤١	الصهار ، ٢٢ ، ١١٨ ، ١٢٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤
١٣٥ ، ١٣٤ ، الامير ، الصويغ	صنماء ، ٤٢ ، ٧٩ ، ١٤٨ ، ١٥٠

ض

٣٦٠ ، ١٩١ ، ١٣٤ ، ١٢٩	ضاري ، الشيخ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦
ضلاع ، وادي ، ٢٩٨	ضبا ، ٤٢٩
الضنويحي ، ١٥٢ ، ١٨٦	ضرمه ، ٨٧ ، ٨٨ ، ١٠٠ ، ١٠٢

ط

الطبيب ، ٣٢٩	الطائف ، ١٣ ، ٢١ ، ٦٩ ، ٧٠
طهران ، ٣٥٥	٨٠ ، ٧٤ - ٨٣ ، ٢٥١ ، ٢٥٧
طوسون باشا ابن محمد علي ، ١٣ ، ٧٢ -	٢٩٨ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٦
٨٤ ، ٨٣ ، ٨١ ، ٧٧ ، ٧٤	٣٣٩ ، ٣٤٣ ، ٣٥٥ ، ٣٥٧
٨٦	٤٠٣ ، ٤٠٦ ، ٤١٢ ، ٤١٩
الطويق ، ٣٣٢	طرايبس الغرب ، ٢٠٩
طويق ، جبل ، ٢٢ ، ٣٥ ، ١٣٣	الطريق ، ١١٩ ، ١٧١ ، ١٧٤ -
الطويل ، الشيخ محمد ، ٣٤١ ، ٣٥٢	الطريف ، ٤٢
	الطعام ، ٢٥٢

ظ

٣١٠ ، ٣٠٩ ، ٣٠٦ ، ٣٠٥	الظفير ، قبيلة ، ١٢٩ ، ١٥٢ ، ١٨٦
٣١٤	١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢٠٤ ، ٢٢٥

ع

٤١١ ، ٤١٠	العارض ، ١٥ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٣٦
عازار ، الدكتور زخور ، ١٠٥	٣٩ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٩١ ، ٩٦
عاكف باشا ، ١٠٥	١١١ ، ٢٣١ ، ٢٩٣ ، ٣٠٤
العائلة ، ٣٧٩ - ٣٩٢	٣٠٥ ، ٣٦١ ، ٤٠٤

٢٧٩ ، ٢٧٠ ، ٢٣٣ ، ٢٧٩
 الأعرجي ، عبد الله ٣٦٠ - ٣٦٣
 عدن ٧٩ ، ٢٢٩ ، ٢٣٢ ، ٤٠٩ ،
 ٤١٤ ، ٤٢٥
 عدنان ، الشريف شرف ٣٩٢
 العدوة مزوعة ٦٨
 العدل ، صالح باشا ١٥٥ ، ١٦٣ ،
 ١٦٤ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٣٤
 العراق ١٦ ، ٢١ ، ٤١ ، ٤٦ ، ٥٤ ،
 ٦١ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ٧١ ، ١٠٠ ،
 ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٣٧ ،
 ١٤٠ ، ١٥٢ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ،
 ١٧٧ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٨ ،
 ١٩٧ ، ٢٠٠ ، ٢٠٢ ، ٢٠٥ ،
 ٢١٣ ، ٢١٧ ، ٢٢٠ ، ٢٢٤ ،
 ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٣٧ -
 ٢٤١ ، ٢٤٦ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ،
 ٢٧٧ ، ٢٨٣ - ٢٨٥ ، ٣٠٤ -
 ٣٢١ ، ٣٢٣ ، ٣٢٥ ، ٣٤٣ ،
 ٣٨٣ ، ٤١٩ ، ٤٢٥ ، ٤٣٧ ،
 ٤٤١
 العرش ١٢٢ ، ١٧٠
 عرفات ٧٨ ، ٣٣٤
 'عريذار ١٢٢ ، ١٣٣ ، ٢٧١
 عفاف ٣٧٧
 العفاف ، حسين ١٥٥
 العسكر ، حمد ١٣٥
 عسير ١٧ ، ٦١ ، ٧٠ ، ٨١ - ٨٣ ،
 ٩٦ ، ٢٩٨ - ٣٠٢ ، ٣٤١ ،
 ٣٥٣ ، ٣٧٦ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧

عباس الاول ٩٦
 العباس هم النبي ٥٥ ، ٥٧
 العباسي ، علي بك ، راجع باديا
 العباسيون ، راجع بنو عباس
 عبد الحميد ، السلطان ١٦٣ ، ١٨٤ ،
 ١٩٠
 عبد المال ، مصطفى ٤٢٠
 عبد مناف ٢٤٨
 عبد الوهاب ، محمد بك ٤١٩
 العبدلة ، قبيلة ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٨٥ ،
 ٣٠٤
 العبدلي ، الشريف باشا ٣٩٢
 عبوش ، آغا ٩١
 'عقبة ، عرب ٨٥ ، ٨٨ ، ٩٣ ، ٩٧ ،
 ١٠١ - ١٠٣ ، ١٢٨ ، ١٣٣ ،
 ١٣٦ ، ١٤٣ ، ١٥٦ ، ١٦٩ ،
 ١٧٠ ، ١٧٤ ، ١٩٠ ، ١٩١ ،
 ٢٠٣ ، ٢٣٥ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ،
 ٢٥٦ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٣٣١ ،
 ٣٣٥
 عجلان ، الامير ١٢٣ - ١٢٦
 العجم او بلاد الفرس ١٨ ، ٣٥ ، ٢٢٣ ،
 ٢٣٩
 العجمان ١٨ ، ٩٧ - ١٠١ ، ١٠٦ ،
 ١١٠ ، ١١٨ ، ١٢١ ، ١٢٩ ،
 ١٣٣ ، ١٥٤ ، ١٨٢ ،
 ١٨٤ ، ١٨٩ ، ١٩٨ ، ٢٠٠ ،
 ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢ -

العروة ٤١٨	عشيرة ١٢٢ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٣٦٧
عمان ١٨ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٦٩ ، ٧١	المعلم ، عبدالله باشا ٧١
٢٢١ ، ٢٩٨ ، ٢٠٦ ، ٩٩ ، ٩٨	العقة ٣١٥ ، ٣٤١ ، ٣٥١ ، ٤٠٠ -
٤٤٠٠ ، ٣٧١ ، ٣٥٥ ، ٣٢٤	٤٠٢ ، ٤٠٧ ، ٤١٥ ، ٤١٨ ، ٤٤٢
٤٠٧	
عمر ، عبدالله ٤٢٠	عقدة ٢٨٢
عزى ٤٥٠ ، ٩٧ ، ١٠١ ، ١٨٠ ، ١٨٢	المغير ١٠ ، ١١ ، ١٨ ، ٢١ ، ٩٩
٣١١ ، ٣٠٨ ، ١٨٢	٢١٠ - ٢١٢ ، ٢١٨ ، ٢٣٦
العقري ، امير ثمودا ١٣٥	٣٠٧ - ٣١٠ ، ٣١٣ ، ٣١٦
العقري ، عبدالله بن عبد المزين ٤٣٣	٣٢٠ ، ٣٢٣ ، ٣٤٣ ، ٤٣٩ ، ٤٣٧
عقير ١٢ ، ١٥ ، ٨٣ ، ٨٧ ، ٩١	المقيلات ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٤٠٧
٩٥ ، ١١٨ ، ١٣٨ - ١٤٠	العلاء ٤٠٤ ، ٤١٣ ، ٤٢٩
١٤٤ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٥٠	علي الشريف ، امير مكة ٣٣٨
١٥٥ ، ١٦٢ ، ١٧٠ ، ١٧١	علي ، الملك ، راجع ابن الحسين
١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٨١ ، ٣٥٩	عليه ، ضلع ١٣٠ ، ١٣١
٣٦٠	الهاد ١٤٩ ، ١٥٠
الموازم ١٣٣	المادية ٦٦
الموالي ٤١٤	المبارات ١٨٢ ، ٣٠٨ - ٣١١
الموجا ٢٨٨ ، ٢٢١	٣١٤
المونية ٣١٣	عمان (قطر) ٢٣١ ، ٢٠٦ ، ٢٩٨
المروني ، حسين ٣٨٣ ، ٣٨٥ - ٣٨٩	٣٢١ ، ٣٢٤ ، ٣٢٨ - ٣٣٠
عين الملك ، حبيب الله خان ٤١٩	٤٤٩
عين النجا ١٠٦	عمر الخليفة ٦ ، ٧
العينفة ٣٧ - ٤١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٨٨	

غ

غالب الشريف : راجع ابن معاهد
 الغالي ، ابو علي ٣٦٢

الغاط ١٣٥ ، ١٣٦
 غالب باشا ٢٣٤ ، ٢٣٥

القطط ٢٤٦ + ٢٥٥ + ٢٥٧ + ٢٦٣	غالية ، امرأة شيخ من مشايخ سبيع ٨١
٣٣١ + ٤٤٠ + ٤٤١ + ٤٤٢	حامد ، عرب ٨٣
غوث ، ادوار ، مؤلف ٨٥ + ١٤	عديم ١٦٥
	الغزي ، جاني ٣٦٠

ف

الفريكة ١٥	فارس ، بلاد راجع المعجم
القمر ، الشريف عبدالله بن حمزة ٣٠٢	فارس ، السنيور ، فصل إيطاليا ٤٢٥
٣٠٣	٤٢٦
القصور ، الشريف ٣٧٨ + ٣٩٢	الفارسي ، الخليج ٤١ ، ٦٩ ، ٧٩
القفير حسين باشا ١٤١ + ٣٥١ + ٣٧١	١١٠ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١٢٠
٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩٣ - ٣٩٥	١٥٢ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢٢٣
٤٠٤	٢٣٠ ، ٢٣٩ ، ٢٧١ ، ٣٠٧
فلي ، الخليج عبدالله ، او المسفر ١٧	الفاروقي ، سامي باشا ١٦٠ - ١٦٣
٢٣٨ - ٢٤٢ ، ٣٥٦ - ٣٥٨	فاسية ، مهندس ٨٥
٣٦٨ ، ٣٧١ ، ٣٨٠ - ٣٨٢	فاطمة الزهراء ٣٦٨
٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٩٦	فاطمة ، وادي ٣٩٤
فلسطين ٧٠ ، ٢٤٠ ، ٢٤٣ ، ٣٢٥	فخري باشا ٢٤٤
٣٥١ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٤٠٠	فرات ، نهر ٣٢٠
الفلوجة ٢٠٥	فرساي ٢٤٣
فؤاد ، الملك ٤٩٩	فرعون ١٤٤
فيضي باشا ، المشير احمد ١٤٨ + ١٥٠	الفرنسي أو الفرنسيون ٣١١ + ٣٢٥
٢٠٧	٣٨٣
الفييلة ٢١٦	فروق ١٩٠

ق

قارون ١١٠	قادس ٧٨
-----------	---------

القصابي ٧٤٩

القضية ١٦٩ ، ١٥٥ ، ١٤٩

القضيي ٣٥٧

القصر ٨٥

القصر ١٥ ، ٢٢ ، ٤٦ ، ٦٥ ، ٦٦

٨٧ ، ٨٣ - ٨٩ ، ٩١ ، ٩٥ - ٩٥

٩٧ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٤

١٠٥ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢٨

١٣٣ - ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٤٤

١٤٨ - ١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٥٦

١٥٨ - ١٦٢ ، ١٦٥ ، ١٦٨

١٧٠ ، ١٧٤ ، ١٨٠ ، ١٨٨

١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٥ ، ٢١٨

٢٢٢ ، ٢٢٤ ، ٢٣٥ ، ٢٤٢

٢٤٣ ، ٢٤٥ ، ٢٥٠ ، ٢٧٨

٢٨٨ ، ٢٩٢ ، ٣٥٨ ، ٣٦٠

٣٦٤ ، ٤٠٤

قطر ١٨ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٦ ، ١٠٦ ، ١١٣

١١٤ ، ١١٦ ، ١٢٣ ، ١٥٤

١٥٥ ، ١٩٥ ، ٢١٢ ، ٢٢٥

٣٠٣ ، ٤٤٩

القضايا ١٨ ، ٤٣ ، ٦٢ ، ٩٣ ، ٩٦

٩٩ ، ٢١٠ ، ٢١٢ - ٢١٤

٢٣٠ ، ٢٧١

قنا ٨٥

القنصلية راجع ماء القنصلية

القنصلية ٨١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٤١٤

٤١٥

القاهرة ١٧٠ ، ٨٠ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٩٠

٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٤ ، ٢٣٧

٢٣٨ ، ٢٧٧ ، ٣٩٧ ، ٤٠٩

قبرص ٢٣١ ، ٤١٥

قبة ١٧٩ ، ١٨٠ ، ٢٨٠

قبطان ٢٢ ، ٦٧ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠٠

١١٧ ، ١٢٢ ، ١٢٨ ، ١٢٩

١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٨٩ ، ٢٢٣

٢٦٢ ، ٠٠ - ٠٠ ، ٣٣١

٤٠٤

القدس ٣٣٠ ، ٣٣٤ ، ٣٣٨ ، ٣٥٣

القرامطة ٣٥ ، ٢٥٨

القرع ١٠٥ ، ١٤١

القرم ، حرب ٢١٣

القرمطي ، الشيخ طاهر ٢٥٨

قروية ، راجع ماء قروية

قرويات الملح ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٩

٣٢٠ ، ٣٢٢ ، ٣٢٨

القرينين ٢٥٣ ، ٢٥٤

قريش ٢٤٨ ، ٣٣٤

القزاز ، أحمد بن عبد الرحمن ٤٥٢

القزاز ، إسماعيل بن يحيى ٤٥٢

قزاز ، بكر بن يحيى ٤٥٢

القزاز ، صالح بن عبد الرحمن ٤٥٢

القزاز ، عبد الحفيظ بن عابد ٤٥٢

قزاز ، محمد بن يحيى ٤٥٢

القسطلي ٣٢٩

د

الكورة ٣٨٣	الكابدة : راجع ماء كابدة
كوكس : البربري ٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣	كاف ، قرية من قرى الملح ٣١٩
٢٣٣ ، ٢٣٦ ، ٢٨٣ ، ٣٠٥	كريلام ٣٠٧ ، ٦٦
٣٠٧ - ٣١٠ ، ٣١٢ - ٣١٤	كرارو : الدكتور حسن حطي ٣٩٧
٣١٦ ، ٣١٧	٣٩٨
كوهن ٩٧	كرا : جبل ٣٣٤ ، ٣٣٥
الكويت : ١١٠ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١٦١ ، ١٦١ - ١٩٨	كردي علي ، محمد ٧١
١١٠ ، ١٠٦ ، ١٠٩ - ١١٢	السكر ٣٣٥
١١٤ - ١١٧ ، ١١٩ - ١٢٣	السكر ٣٢٠ ، ١٧٠
١٢٧ - ١٣٠ ، ١٣٣ ، ١٣٥	الكعبة ٣٣٣ ، ٣٦٩ ، ٣٧٨ ، ٣٧٢ ، ٣٨٤
١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٤٩ ، ١٥١	٣٨٤ ، ٣٧٣ ، ٣٥٨ ، ٣٤٤
١٥٢ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٨٢	كلايتي ، السر غريرت ٤٣٧ ، ٤١٩
١٨٤ - ١٨٧ ، ١٨٩ ، ١٩٠	٤٤٨ ، ٤٤١
١٩٥ ، ١٩٨ - ٢١٣ ، ٢٠٠	كالي سامان شفيق باشا ٢٠٢ ، ١٧
٢١٧ ، ٢٢٧ - ٢٣٠ ، ٢٣٣	٣٠٠ ، ٢١٧ ، ٢١٥
٢٣٦ ، ٢٣٨ - ٢٤٠ ، ٢٧٠	الكنندو ٤١٠ ، ٤٠٨ ، ٤٠٢
٢٧٦ ، ٢٨٤ ، ٣٠٧ ، ٣٠٩	٤٢٦ ، ٤٢٥ ، ٤١٦
٣١٠ ، ٣١٣ ، ٣١٨ ، ٣٢٠	كفزان ٢٢٥
٣٢٤ ، ٣٢٨ ، ٣٤١ ، ٣٤٢	الكعبة ، قرية ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٧٠
٣٥٢ ، ٣٥٨ ، ٤٤٩	١٧٥
الكويبية ١٩١	الكوت ٢٠٨ - ٢١٠
كيت : توماس ٧٧	

ل

لبلج : دومنتو باديا لي : راجع باديا	اللاذقي : عبد الفتاح ٣٩٠
لبنان ٨٠ ، ٧٩	اللاذقية ٣٦١

ليثمن ، خيزار ٢٠٦ ، ٢٠٥	لاري ، احمد افندي ٤١٦
الليث ، بلد ٣٧٦ ، ٣٧٨ ، ٤٠٩ ، ٤٠٩	اللبة ٧٠
٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤٢١	لندن ١٤ ، ١٧ ، ٢٥٧ ، ٢٧٤
ليجا ١٨	٤٠٦ ، ٣٥٦ ، ٣٤٨
ليلا قاعدة الاملاج ١٩٥	لوزان ٣١٣

م

ماوان ١٣١	المعون ٦
المبرز ٦٨ ، ١٠٦ ، ٢١٠	ماء بنات ١٣٠
المتني ١٥٠	مالك ، الامام ٤٣٥
المجمعة ١٠٢ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٦٩	ماء الحسي ، راجع الحسي
المجموعي ، الشيخ محمد ٣٧	ماء الحنجر ، راجع حنجر
محسن ، الشريف ٣٩٥	ماء الخفس ٢٠٦ ، ٢٠٥
محمد علي باشا ١٣ ، ١٤ ، ٧١ ، ٧٢	ماء سفوان ٢٠٠ ، ١٩٩
٧٤ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ٨٠ ، ٨٤	ماء الشريعة ١٣٨
٨٧ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٤ ، ٩٥	ماء الشوكة ٢١٨ ، ٢٤١
٢٨٦ ، ٢٩٩	ماء معلوم ٣٦٤
المحمرة ١١٠ ، ٢٧٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٩	ماء طوال ١٣٤
٣١٠ ، ٣١٢ ، ٣٢٣ ، ٣٣٧	ماء العرجاء ١٩١
المحمل ٩٢ ، ١٠٢ ، ١٢٨ ، ١٢٩	ماء فهد ١٧٥
١٣٤	ماء قورية ٢٧١ - ٢٧٣
الحظ ٢٩٩	ماء التفصيلة ٢٥٧
مدائن صالح ٣٢٠	ماء كابدة ١٩٩
مدنيت باشا ٩٩	ماء باحلب ٢٤٢ ، ٢٨٠
المدينة المنورة ١٣ ، ٣٧ ، ٧٠ ، ٧٢	مالك ، الامام ٢٦٦
٨٣ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ٨٦	مانجين ، فيلكس ، مؤلف ١٤
٨٨ ، ٩٠ ، ١٤٨ ، ١٦٢ ، ١٦٣	مانع ، الامير ٦٤

١٩٠ - ١٨٨ : ١٧٩ : ١٧ -

١٢٢٢ : ٢٠٦ - ٢٠٤ : ١٩٧

١٢٦٣ : ٢٦٢ : ٢٤٦ : ٢٢٤

٤٠٤ : ٢٨٠ : ٢٧١

المائدة : ٣٧٢ : ٣٨٦

معان : ٤١٥ : ٤١٨

معاوية ٦

المختار ٩٨

المعرب : زيد ١٥٣

الملا : ٣٦٨

مفرج : منارية ٨٥ : ٨٨

مفجر ١٩٥

مكة : ١٣٠٥ : ١٣١ : ١٢٧ : ٦٧

٦٩ - ٧٥ - ٧٧ - ٨١ : ٨٣

١٨٩ : ١٨١ : ١١٦ : ٩٦

١٢٢٩ : ٢٠٣ : ١٩٦ : ١٩٠

٢٥٢ : ٢٤٥ : ٢٣٥ : ٢٣٠

٣٣١ : ٣٢٧ : ٣٢٦ : ٣٠١ -

٣٤٣ : ٣٤١ - ٣٣٨ : ٣٣٦

٣٥٩ : ٣٥٧ : ٣٥٣ - ٣٤٥

٣٦٨ : ٣٦٦ - ٣٦٤ : ٣٦١

٣٨٨ : ٣٨٦ - ٣٨١ : ٣٧٩

٣٩٤ : ٣٩٢ : ٣٩١ : ٣٨٩

٤٠٤ : ٤٠٣ : ٣٩٨ - ٣٩٦

٤١٤ : ٤١٢ : ٤٠٩ : ٤٠٨

٤٢٣ : ٤٢١ - ٤١٨ : ٤١٥

٤٢٦ : ٤٢٠ : ٤٢٨ : ٤٢٧

٤٤٧

مساج ٢١٣

٢٤٩ : ٢٤٦ : ٢٤٤ : ١٦٥

٢٨٠ : ٢٦٧ : ٢٥٧ : ٢٥٠

٢١٢ : ٢٧٧ : ٢٤٧ : ٢٩٠

٤٢٩ : ٤٢١ : ٤٢٠ : ٤١٩

المدن : ٨٧ : ١٧٠ : ٣٦٠

مرات : بلدة : ٣٦٣

المرافي : الشيخ محمد مصطفى ٤١٩

مران : قرية : ٣٦٦ : ٣٦٧

المربط ١٣٨

المزاريب ٨٩

مسقط : ١٨ : ٦٩

مسيلة : ٣٥ : ٢٧٨ : ٢٥٩

مصر : ١٥ : ١٦ : ١٧ : ٧٥

٩١ : ٩٠ : ٨٨ : ٨٥ : ٨٤ : ٨٣

٢٨٦ : ٢٧٩ : ١٣١ : ٩٤

٣٤٨ : ٣٤٦ : ٣٤٢ : ٣٢٤

٤٠١ : ٣٩٩ - ٣٩٧ : ٣٨٢

٤١٩

مصري : مضيون : ٧٢ : ٧٣ : ٧٧

٨٩ - ٨٦ : ٨٤ : ٨٢ : ٨١

مصطفى بك ٨١

مصوع : ٤٠٩ : ٤١٤ : ٤٦٥

المضايقي : عثمان بن عبد الرحمن ٦٩

مضر : ١٥ : ٤٧

مطير : ٦٧ : ٦٨ : ٨٥ : ٩٧

١٠١ : ١٠٤ : ١١٨ : ١٢٢

١٢٣ : ١٢٢ : ١٣٥ - ١٢٣

١٥٥ : ١٥٦ : ١٦٥ : ١٦٧ -

٣١١	مياثلي ٣٤٥
المصور ، سعلون ١٨٣	المليدا ، راجع وقعة المليدا
المتفوحة ٣٨ ، ٦٢ ، ٦٣	الماليك ٧١ ، ٧٢
مهزي ، راجع ابن مهزي	المناصر ١٣٣
مهنا ، روضة ١٥٧ ، ١٥٩ ، ٢٨٨	المتفق ٤٧ ، ٦٨ ، ٩٨ ، ١١٧
مور الماجر ٢٧٥ ، ٣١٠ ، ٣١٣	١٨٣ ، ١٨٥ - ١٨٧ ، ١٩٧
الموصل ٦٦ ، ٢٠٠ ، ٢٠٩ ، ٣١٦	١٩٩ ، ٢٤٠ ، ٣٠٥
٣١٧	المنديل ، عبد اللطيف باشا ١٨٩
ميتايل ، الاب ٩٧	٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢١٢ ، ٢١٣

ن

١٣١	الناصرية ٢٢٠ ، ٣٠٦
النقود ٢٢ ، ٦٥ ، ١٣٨ ، ١٧٩	نبوليون الاول ١٣ ، ٥٢ ، ٧٨
النقبة ، عبد الرحمن ٣٦٠	٨٣ ، ٩٧
نفي ٣٦٠	نبوليون الثالث ٩٧
النقيب ، طالب ١٨٤ ، ٢١٣ - ٢١٨	نجران ٦٥ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٩٨ ، ٢٢٣
٣٥٨ ، ٣٦٨ ، ٣٨٠ - ٣٨٥	النخف ٣٥ ، ٦٦ ، ٢٥٨ ، ٢٨٢
٣٩٦	٣٠٧
نقيش ، محمد ابرق ٢٥٣	النحاس ، محمد ٣٦٠
ناسن ، هارولد ٧٩	النسوي ، السيد سليمان ٣٧٠
النور ٣٣٣	نزلة بني مالك ٤٠٣ - ٤٠٥ ، ٤١٠
نوكس ، الكولونل ٣١٨ ، ٣١٩	النزلة الجاية ٤٠٣ ، ٤٠٤
٣٢١	نشأت ، صبيح بك ٣١٠
النصبة ، قرية ٢٨٠ ، ٢٨٢	النشعي ، ابراهيم ٤١٣
النيل ٨٥	نصيف ، الشيخ محمد ٤٢٦
النخير ٣٦٣ ، ٣٦٦	نعام ، قرية ١٩٥

هـ

هزيلة ٣٣٤ : ٣٣٥	هازدنع ، الوزف ٢١٩
الهفوف ٦٨ : ١٠٦ : ٢٠٨ : ٢١٠	الهاشمي ، البيت ٣٢١ : ٣٣٠ : ٣٨٨
٢٢٦ : ٢١١	٤٠٧
همدان ٢٢٣	هامدق ، الكوثول ٢٣٨ : ٢٣٩
الهند ١٠ : ٢١٣ : ٢١٩ : ٢٢٩	الهدار ، قرية
٢٣٩ : ٢٤٥ : ٢٥٤ : ٢٤٢	الهدى ٣٣٢ - ٣٣٦ : ٣٤٣ : ٤٠٣
٣٥٢ - ٣٥٤ : ٤١٥ : ٤١٩	الهدال ، فهد ٣٠٨ - ٣١٠ : ٣١٤
٤٤٨ : ٤٢٧	الهدال ، ثايف ١٦٥ : ١٦٩ : ١٨٨
هو غارث ا دي . دجي ١٧ : ٧٥	١٨٩
١٧٧ : ١٨٠ : ١٩١ : ٢٣٧ : ٢٨٦	هزاع ، الشريف ٣٧٩
مولده ٣٦٥ : ٣٦٩ : ٣٩١ : ٤١٦	الهزالي ، راشد ١٩٦ : ٢٠٣
٤٢٩	الهزالي ، عبد العزيز ١٩٦

و

وضع الحمى ٣٦٣	واحة جبرين ، راجع جبرين
وقعة البكيرية ١٤٠	وادي الدواسر ، راجع الدواسر
وقعة الشنانة ١٤٠	والن ، جورج ٢٨٦
وقعة الصريف ١١٩ : ١٢٠	الوجه ٤٠٤ : ٣١٢ : ٤١٤ : ٤٢٩
وقعة المليدة ١٠٥ : ١٣٧	الوزيرية ٤١٦ - ٤١٨
وقعة الهدى ، راجع الهدى	الوسم ، سيل ٢٢ : ٤٥ : ٦٣ : ٨٧
وقفيت ، السر روجينلد ٣٤٨	١٨٨ : ٩١ : ٩٧ : ١٠٢ : ١٢٨
الوهاب ، محمد بن عبد ١٠	١٣٣ : ١٣٤ : ١٣٦ : ١٣٨
	١٩١ : ٣٥٠ : ٣٦٠ : ٣٦٣

ي

اليمن ٤١ : ٥٦ : ٧٠ : ٧٩ : ٨٠	بادودة ٣٢٩
٨٢ : ١٤٨ : ١٥٠ : ٢٢٠	ياسين : يوسف ٣٦٠ - ٣٦٢
٢٢٣ : ٢٩٨ : ٤٠٤ : ٤١٨	ياطوب : راجع ماء ياطوب
ينبع ٧٢ : ٧٣ : ٧٨ : ٨٥ : ٩٣	ياغوت ٣٦٦
٢ : ٤ : ٤٠٤ : ٤١٢ - ٤١٤	الباور : الشيخ عجيلة ٣١٦ ، ٣١٧
٢٢٩ : ٤٥٢	اليام : قبيلة ٧٠
	الجامعة ٢٢ : ٢٣ : ٤٦ : ٦١ : ٦٢

فهرس الخواطر والرسوم

صفحة

خارطة البلاد العربية

٨

الملك عبد العزيز سعود
الجامع الكبير في الرياض
عبد الله بن سعود الكبير
الغرب (العدة) فوق القلب لرفع المياه
الامير سعود بن عبد العزيز
سيارة الملك عبد العزيز
الحرم الشريف
التقديف لنقل الحجاج الى مكة والمدينة

١١٢

احد جنود ابن سعود على باب قصر الامير عبد الله بن جلوي
الملك عبد العزيز والى يمينه الرجا في
اسطبل الملك عبد العزيز
الشارع الرئيسي في جدة
الملك حسين
الامير فيصل بن عبد العزيز سعود
السربوسي كوكس في مؤتمر العقير
القصر الملكي في الرياض

٢٠٨

وقعة تربة

٢٥٥

جيش الحجاز النظامي	
حسين العربي	
احمد مداخل الرياض	
الملك عبد العزيز في مؤتمر العقير	٣٠٤
امين الربيعاني في مؤتمر العقير	
الملك علي بن الحسين في جده	
بيت الشيخ محمد ناصيف	
الحمل المصري	
خارطة جده وخط الدفاع	٤٠٥
بعض النقود السعودية	٤٥٧

الفهرس

تقدمة الكتاب	٦
في المراجع والاسانيد	١٠
نواحي نجد	٢٠
محمد بن عبد الوهاب والوهابية	٣١
نسب محمد بن عبد الوهاب	٣٣
آل سعود منذ نشأتهم الى حين استيلاء	النبذة الثالثة
محمد بن الرشيد على نجد	
جدول امراء آل سعود	٥٩
الدور الاول - الفتوحات	٦١
الدور الثاني - الفوضى	٧٧
الدور الثالث - الحروب الاهلية	٩٣

سيرة الملك عبد العزيز

نسب آل سعود	١٠٨
تمهيد	١٠٩
وقعة الصريف	١١٦
اختلال الرماض	١٢٠
الحرب في الخرج	١٢٧
الاستيلاء على القصيم	١٣٣
البكورية	١٤٠
الاتراك يقاوضون ويتفرجون	١٤٨

كربوات الشيخ مبارك	الفصل السابع	١٥١
ذبيحة ابن الرشيد	الفصل الثامن	١٥٤
الأتراك يرحلون	الفصل التاسع	١٥٩
ليلة الظافر	الفصل العاشر	١٦٥
تعددت الاعداء	الفصل الحادي عشر	١٦٨
كسرة ابي الحبل	الفصل الثاني عشر	١٧٣
الاقارب والعقارب	الفصل الثالث عشر	١٧٨
الشيخ مبارك يستغيث	الفصل الرابع عشر	١٨٤
الشريف حسين يمشي الاردان	الفصل الخامس عشر	١٩٠
العرائف والمزازنة	الفصل السادس عشر	١٩٤
لا نصر ولا انكسار	الفصل السابع عشر	١٩٧
الترك والوحدة العربية	الفصل الثامن عشر	٢٠١
فتح الحساء	الفصل التاسع عشر	٢٠٥
المفاوضون يتسابقون والشيخ مبارك يتعثر	الفصل العشرون	٢١٢
هادمة المهود ومفرقة الرفود	الفصل الحادي والعشرون	٢١٧
يوم جراب العجمان	الفصل الثاني والعشرون	٢٢٠
الانكليز والعرب	الفصل الثالث والعشرون	٢٢٣
هدايا وتعنيف من بلاد الشريف	الفصل الرابع والعشرون	٢٢٩
وفود الانكليز والعرب	الفصل الخامس والعشرون	٢٣٤
وقعة تربة ومقدماتها	الفصل السادس والعشرون	٢٣٧
البدو والهجر	الفصل السابع والعشرون	٢٤٤
صلح صغير	الفصل الثامن والعشرون	٢٥٨
الاخوان في الكويت	الفصل التاسع والعشرون	٢٦٧
	الفصل الثلاثون	٢٧٠

فتح حائل	الفصل الحادي والثلاثون	٢٧٧
مأساة بيت الرشيد	الفصل الثاني والثلاثون	٢٨٥
جدول امراء حائل		٢٩٦
نسب بيت الرشيد		٢٩٧
آخرة آل عائض	الفصل الثالث والثلاثون	٢٩٨
الاخوان في العراق	الفصل الرابع والثلاثون	٣٠٤
مؤتمر العقير	الفصل الخامس والثلاثون	٣٠٨
النكاس، والذي يوسوس في صدور الناس	الفصل السادس والثلاثون	٣١٦
ذروة المجد والحظ	الفصل السابع والثلاثون	٣٢٤
الاخوان على ابواب عمان	الفصل الثامن والثلاثون	٣٢٨
سقوط الطائف	الفصل التاسع والثلاثون	٣٣١
يوم الانقلاب	الفصل الاربعون	٣٣٦
الشريف حسين	الفصل الحادي والاربعون	٣٤٢
الآباء بأكلون الخضرم....	الفصل الثاني والاربعون	٣٥٠
رسل السلام	الفصل الثالث والاربعون	٣٥٥
الى مكة	الفصل الرابع والاربعون	٣٥٩
اشاعات وحقائق	الفصل الخامس والاربعون	٣٦٨
الكتاب والسنة والسيف !	الفصل السادس والاربعون	٣٧٢
المفاوضات	الفصل السابع والاربعون	٣٨١
الطيارات	الفصل الثامن والاربعون	٣٨٨
علينا وعلى رسل الرحمة	الفصل التاسع والاربعون	٣٩٦
المناجزات والمكالمات	الفصل الخمسون	٤٠٠
الملك علي يرذل	الفصل الحادي والخمسون	٤٢١

٤٢٧	الفصل الثاني والخمسون	عبد العزيز ملك الحجاز
٤٣١	جدول اهم الوقعات في هذا التاريخ	
٤٣٢	الملحق وفيه فتوى العلماء ونصوص المعاهدات	
٤٥٤	لائحة المنجّر	
٤٥٨	فهرس الاعلام	
٤٩٠	فهرس الحرائط والرسوم	

T

S
Book

PB-36245
5-11T
CC

B





New York University
Bobst Library
70 Washington Square South
New York, NY 10012-1091

DUE DATE	DUE DATE	DUE DATE

NYU - BOBST



31142 00220 7101

DS247.9.N35 R54 1954 : Tarikh Najdi al-hadith wa-mulha

